هيلاري
رودهام
كلينتون

حالة إرهاب

رواية

لويز
بيني

ترجمة: د. محمد نجيب

kalemat

مكتبة سر من قرأ

حَالَةُ إِرهَاب

لن ننسى تشرين . . 23

لن ننسى غزة والشهداء

انضم لـ مكتبة .. امسح الكود

telegram @soramnqraa

حَالَةُ إرهَاب

STATE OF TERROR

هيلاري كليتون

HILLARY CLINTON

لويز بيني

LOUISE PENNY

ترجمة: د. محمد نجيب

دار كلمات للنشر والتوزيع

بريد إلكتروني:

Dar_Kalemat@hotmail.com

الموقع الإلكتروني:

www. kalemat.com

Copyright © Hillary Rodham Clinton and Three Pines Creations. LLC 2021

ردمك: 978-9921-768-39-8

مكتبة

t.me/soramnqraa

26 11 2023

حَالَةُ إرهَاب

STATE OF TERROR

هيلاري كلينتون

HILLARY CLINTON

لويز بيني

LOUISE PENNY

كاتبة الجريمة الكندية الشهيرة

ترجمة

د. محمد نجيب

2022

Akalemat

إهداء

إلى الرجال والنساء الشجعان الذين يحموننا من الإرهاب، ويقفون في مواجهة العنف والكراهية والتطرف -بصرف النظر عن مصدره-: أنتم تُلهِموننا كل يوم حتى نكون أشجع وأحسن.

إنّ الحدث الأكثر دهشة في حياتي لم يكن وضع إنسان على سطح القمر أو امتلاك الفيس بوك Facebook 2.8 مليار مُستخدم نشط شهريًّا، بل إنه خلال الخمس والسبعين سنة وسبعة أشهر وثلاثة عشر يومًا منذ ناجازاكي، لم تنفجر قنبلة نووية واحدة.

توم بيترز (عالم اقتصاد ومفكر وكاتب أمريكي -1942)

الفصل الأول

«سيدتي الوزيرة»، قال تشارلز بوينتن وهو يهرول بجوار رئيسته بينما تندفع عبر ردهة الماهوجني إلى مكتبها داخل مبنى وزارة الخارجية. «أمامكِ ثماني دقائق فقط للوصول إلى الكابيتول».

«إنه على مبعدة عشر دقائق». قالت إيلين آدمز، وقد بدأت تركض. «ويجب أن أستحم، وأبدّل ثيابي. إلا ...» استدارت إلى مدير مكتبها. «هل أستطيع الذهاب بهذه الهيئة؟»

فردت ذراعيها حتى يلقي نظرة جيدة إليها. لا يمكن أن يغفل أي أحد نظرة الرجاء في عينيها، والتوتر في صوتها، وحقيقة أنها تبدو كأنها كانت تُجرُّ للتو وراء ماكينة زراعية صدئة.

تلوى وجهه في ابتسامة بدا أنها تؤلمه.

في أواخر العقد السادس من عمرها، كانت إيلين آدمز متوسطة الطول ورشيقة القوام وأنيقة. حسها الجيد في اختيار الثياب ومشد الجسم قد أخفيا ولعها بحلوى الإكلير. كان مكياجها خفيفًا، يُظهر عينيها الزرقاوين المتقدتين دون أن يحاول إخفاء عمرها الحقيقي. لم تكن في حاجة إلى التظاهر بأنها أصغر مما كانت، ولم ترغب أيضًا في أن تبدو أكبر من عمرها الفعلي.

دعتها مصففة شعرها عندما كانت تصبغ شعرها بـ«الشقراء صاحبة الجلالة».

«مع خالص احترامي، سيدتي الوزيرة، تبدين كمشرّدة».

«شكرًا للرب أنه يحترمك». همست بيتسي جيمسون، صديقة ألين المقربة ومستشارتها.

مكتبة
t.me/soramnqraa

بعد يوم عملٍ دام اثنتين وعشرين ساعة، بدأ باستضافة الوزيرة آدمز إفطارًا دبلوماسيًا في السفارة الأمريكية في سيول، الذي تضمن محادثات رفيعة المستوى حول الأمن الإقليمي والجهود المبذولة لإنقاذ صفقة تجارية حيوية تواجه عثرات غير متوقعة، انتهى اليوم الطويل بجولة في مصنع أسمدة في مقاطعة جانجوون، جولة كانت غطاء لزيارة سريعة إلى المنطقة المنزوعة السلاح بين الكوريتين.

بعد ذلك، مشت إيلين آدمز بخطوات متثاقلة إلى داخل الطائرة من أجل رحلة العودة. ما إن استقرت الطائرة في الهواء، حتى خلعت مشدَّ الجسم، وصبت لنفسها كأسًا كبيرة من الشاردونيه.

قضت ساعات عدة، تُرسل تقارير إلى نائبيها وإلى الرئيس، وتقرأ الرسائل الواردة. أو على الأقل تحاول ذلك. استغرقت في النوم، ووجهها يلامس تقريرًا من الإدارة عن طاقم العاملين في سفارة أيسلندا.

استيقظت منتفضة عندما لمست مساعدتها كتفها.

«سيدتي الوزيرة، نحن على وشك الهبوط».

«أين؟»

«واشنطن».

«الولاية؟» اعتدلت في قعدتها، ومررت يديها خلال شعرها لتعدله كما لو كانت قد شعرت بالفزع أو خطرت ببالها فجأة فكرة جهنمية. كانت تتمنى أن تكون تلك سياتل. من أجل إعادة ملء الوقود أو تناول الطعام أو ربما لوجود حالة طوارئ غير متوقعة تتعلق بالطائرة. علمت أن ثمة حالة طوارئ لكنها لم تكن

تتعلق بالطائرة أو حالة غير متوقعة. كانت حالة الطوارئ أنها قد استغرقت في النوم، ولا تزال في حاجة ماسة إلى الاستحمام و...

«بل واشنطن دي سي».

«يا إلهي يا جيني! ألم يكن بوسعكِ أن توقظيني أبكر من ذلك؟»

«لقد حاولت. لقد تمتمتِ بكلمات غير مفهومة قبل أن تعودي إلى النوم».

تمتلك إيلين ذكرى ضبابية لذلك لكنها اعتقدت أنه كان حلمًا.

«شكرًا على المحاولة. هل امتلك الوقت لتفريش أسناني؟»

علا رنين مصاحب لتشغيل قائد الطائرة زر «ربط حزام الأمان».

«أخشى أنني لا أمتلك الوقت حتى لذلك».

شخصت إيلين بعينيها خارج نافذة طائرتها الحكومية النفّاثة التي تسميها مازحة إير فورس 3.

شاهدت قبة مبنى الكابيتول حيث ستقعد داخله قريبًا. ثم لمحت انعكاسها فوق الزجاج؛ شعرها مجعد، مسكارا العينين ممسوحة وتلطخُ وجهها، وثيابها غير مهندمة، وعيناها محتقنتان وتحرقانها بسبب عدساتها اللاصقة. ثمة تجاعيد قلقٍ وضغط، لم تكن هناك قبل شهر واحد فقط في أثناء مراسم التنصيب. ذلك اليوم المشرق والمبهج حين كان العالم جديدًا، وبدا كل شيء ممكنًا. كم أحبت هذا البلد. هذا الفنار المتألق المحطم.

بعد عشرات السنين من تشييد إمبراطورية إعلامية عالمية وإدارتها، تضم الآن شبكات تلفزيونية وقناة إخبارية متخصصة

ومواقع إلكترونية وصحفًا، سلمت راية القيادة أخيرًا إلى الجيل التالي. إلى ابنتها كاثرين. بعد السنوات الأربع السابقة التي شاهدت خلالها البلد الذي تعشق ينهار حتى درجة الموت تقريبًا، أصبحت الآن في منصب يجعلها قادرة على المساهمة في التئام جراحه.

منذ وفاة زوجها العزيز كوين، لم تشعر بأن حياتها فارغة فقط، بل غِرَّة وقليلة التجربة أيضًا. وبدلًا من أن ينحسر هذا الشعور مع الوقت، تنامى بداخلها واتسعت الهوّة. شعرت شعورًا متزايدًا بحاجتها إلى أن تفعل أكثر، أن تساعد أكثر، أن لا تشير إلى ألمها، بل تفعل شيئًا لتُسكِنه، أن ترد الجميل.

أتت الفرصة من أكثر مصدر غير محتمل؛ الرئيس المنتخب دوجلاس وليامز. كم بوسع الحياة أن تتغير سريعًا. إلى الأسوأ، أجل. لكن، أحيانًا إلى الأفضل أيضًا.

والآن وجدت إيلين آدمز نفسها على متن الطائرة إير فورس ٣، باعتبارها وزيرة خارجية الرئيس الجديد. كانت في موقع يسمح لها بإعادة بناء جسور التواصل مع الحلفاء بعد عدم كفاءة تصل إلى حد الإجرام من الإدارة السابقة. تستطيع أن ترمم علاقات حيوية من جهة، وتوجه من جهة أخرى التحذيرات إلى الأمم غير الصديقة. تلك التي قد تفكر في الإيذاء وتمتلك القدرة على تنفيذه.

كانت ألين آدمز في موقع لم تعد تستطيع الحديث منه فقط عن التغيير، بل تستطيع أن تُحدِثه. أن تحول الأعداء إلى أصدقاء وأن تسيطر على أي حالة فوضى أو إرهاب.

مع هذا...

لم يعد الوجه الذي يبادلها النظرات واثقًا بنفسه كثيرًا. شعرت بأنها تنظر إلى امرأة غريبة.. امرأة متعبة ومستنزفة وغير مهندمة وأكبر من سنوات حياتها. وربما أكثر حكمة قليلًا، أو أكثر ارتيابًا؟! تمنت أن لا تكون كذلك، وتساءلت: لماذا بات التمييز بين الاثنين صعبًا فجأة؟

التقطت منديلًا ورقيًا وبللته بلعابها وأزالت المسكارا. ثم بعد أن فردت شعرها، ابتسمت إلى انعكاسها. إنه الوجه الذي أبقته ملاصقًا لها، الوجه الذي تعَرَّف إليه الرأي العام.. الصحافة وزملاؤها والقادة الأجانب. وزيرة الخارجية الواثقة والدمثة والمطمئنّة التي تمثل أقوى أمة على وجه الأرض. لكن كان كل هذا مجرد واجهة. شاهدت إيلين آدمز شيئًا آخر في وجهها الشبحي الشاحب، شيئًا مُروعًا تبذل قصارى جهدها لإخفائه حتى عن نفسها، لكن الإنهاك قد سمح له بأن يتجلى متجاوزًا دفاعاتها.

لمحت خوفًا، وقريبه المقرَّب: الشك.

أكان شعورًا حقيقيًا أم زائفًا؟ همس هاجس بداخلها أنها ليست جيدة كفاية.. ليست أهلًا للوظيفة.. أنها ستفسد الأمر، وأن حياة آلاف -وربما ملايين- البشر ستتعرض للخطر. دفعت ذلك الهاجس جانبًا معترفة بأنه يزيد الطين بلة. لكنه همس حتى فيما ينحسر: إن ذلك لا يعني *أنه* غير حقيقي.

بعد هبوط الطائرة في قاعدة أندروز للقوات الجوية، سارعت إيلين إلى داخل سيارة مصفحة حتى تقرأ المزيد من المذكرات والتقارير ورسائل البريد الإلكتروني. مرت واشنطن دي سي غير

مرئيـة فـي تلك السـاعة أمامهـا فيمـا تطّلِـع علـى آخـر المسـتجدات. مـا إن وصلـت إلـى الجـراج الأرضـي الخـاص بمبنـى هـاري إس ترومـان[1] الهائـل الـذي لا يـزال قاطنـوه القدامـى يدعونـه -ربمـا حتـى بشـيء مـن المحبـة- «القـاع الضبابـي Foggy Bottom»، حتـى رافقتهـا مجموعـة مـن رجـال الأمـن إلـى المصعـد، وصعـودًا حتـى مكتبهـا الخـاص فـي الطابـق السـابع فـي أقصـر مـدة ممكنـة.

قابلهـا تشـارلز بوينتـون مديـر مكتبهـا أمـام المصعـد. كان أحـد الأشـخاص الذيـن عينتهـم مديـرة مكتـب الرئيـس فـي وزارة الخارجيـة الجديـدة، بقامتـه الطويلـة وأطرافـه الرفيعـة، كانـت بنيتـه نحيلـة بسـبب العصبيـة المفرطـة أكثـر مـن التماريـن الرياضيـة أو العـادات الغذائيـة الجيـدة. يبـدو مـن مظهـر شـعره وشـدة عضلاتـه كأنَّـه فـي سـباق محمـوم.

قضـى بوينتـون سـتًا وعشـرين سـنة يترقـى عبـر السـلم السياسـي، حتـى حـاز أخيـرًا وظيفـة عليـا بصفـة خبيـر اسـتراتيجي فـي حملـة دوجـلاس وليامـز الرئاسـية الناجحـة، حملـة أثبتـت أنهـا أكثـر ضـراوة مـن معظـم الحمـلات الرئاسـية السـابقة. لقـد وصـل تشـارلز بوينتـون أخيـرًا إلـى الحَـرَم الداخلـي للسياسـة الأمريكيـة، وكان مصممًـا علـى أن يبقـى هنـاك. كان تعيينـه مديـرَ مكتـب وزيـرة الخارجيـة مكافأتـه علـى اتبـاع الأوامـر، ولأنـه كان محظوظًـا فـي اختيـاره المرشـح الانتخابـي. وجـد بوينتـون نفسـه يصمـم قواعـد بغـرض الإبقـاء علـى وزراء الحكومـة تحـت السـيطرة. مـن وجهـة نظـره، كانـت تعيينـات

1- مبنى هاري إس. ترومان: مقر وزارة الخارجية الأمريكية. (المترجم).

سياسية مؤقتة.. مجرد واجهة جذابة لنظامه.

اندفعت إيلين ومدير مكتبها عبر ردهة الماهوجني بألواحها الأرضية الخشبية، نحو مكتب وزيرة الخارجية، يتبعها معاونوها ومساعدوها وعملاء مكتب الأمن الدبلوماسي.

«لا تهلعي». قالت بيتسي، وهي تهرول لتلحق بها. «لقد أرجؤوا خطاب حالة الاتحاد[2]. يمكنك الاسترخاء».

«لا، لا». قال بوينتون وقد ارتفعت نبرة صوته. «لا يمكنكِ الاسترخاء. الرئيس مستاء، وعلى أي حال، إنه ليس خطاب حالة اتحاد رسميًا».

«أرجوك يا تشارلز، حاول ألا تكون متحذلقًا». توقفت إيلين فجأة. كادت تتسبب في سقوط جماعي. ما إن خلعت فردتي حذائها بكعبيهما الملطخين بالوحل حتى أخذت تركض بقدميها المغطاتين بالجوارب فوق السجادة المخملية وهي تحاول أن تزيد من سرعتها. «الرئيس مستاء دائمًا».

هتفت بيتسي من ورائهما. «أوه، تعني غاضبًا؟ حسنًا، هو غاضب دائمًا من إيلين».

رمقها بوينتون بنظرة تحذير.

لم ترُق له المدعوة إليزابيث جيمسون. بيتسي. الدخيلة. والسبب الوحيد لوجودها هنا هو أنها صديقة عُمُر وزيرة

2- خطاب حالة الاتحاد: خطاب سنوي يلقيه رئيس الولايات المتحدة خلال جلسة مشتركة لمجلسي الشيوخ والنواب (الكونجرس) في مبنى الكابيتول. يقر فيها الرئيس حالة الأمة، ويضع تصورًا للأجندة التشريعية والأولويات الوطنية. (المترجم).

الخارجية. يعرف بوينتون أنه من حق وزيرة الخارجية أن تختار كاتمَ سرٍّ مقربًا؛ مستشارًا يعمل معها، لكنه لم يُحب ذلك؛ فأي شخص دخيل يجلب بعدًا غير متوقع لأي موقف.

لم يحبها.. ينعتها في الأحاديث الخاصة بـ«السيدة كليفر Mrs. Cleaver» لأنها تشبه باربرا بيلينغسلي[3]، والدة بيفر Beaver في المسلسل التلفزيوني. ربّة بيت مثالية في خمسينيات القرن العشرين، مسالمة ومستقرة ومطيعة. لكن، اتضح أن شخصية «السيدة كليفر» لم تكن واضحة المعالم؛ أبيض أو أسود. بدا كأنها قد تقمصت شخصية «بِيت ميدلر» بعبارتها المشهورة «فليذهبوا إلى الجحيم لو كانوا لا يستطيعون تحمُّل مزحة». ومع أنه أحب «الآنسة إم الساحرة [4] Divine Miss M» كثيرًا، فإنه يعتقد أنه ما كان ليحبها لو كانت مستشارة وزيرة الخارجية.

مع هذا كان على بوينتون أن يعترف أن ما قالته بيتسي صحيح. لا يكنُّ دوجلاس ويليامز أي محبة لوزيرة خارجيته. وقول إن هذا الشعور متبادل هو تخفيف للحقيقة.

كانت صدمة هائلة حينما اختار الرئيس -المُنتَخب حديثًا- خصمة سياسية وزيرة خارجيته. امرأة استخدمت مواردها الضخمة كلها لدعم منافسه من أجل الظفر بترشيح الحزب لمثل

3- باربرا بيلينغسلي Barbara Billingsley: ممثلة أمريكية اكتسبت شهرة كبيرة عن أدائها دور جون كليفر، الأم في المسلسل التلفزيوني، دع الأمر لبيفر Leave it to Beaver الذي دام عرضه سنوات عدة. (المترجم).

4- الآنسة إم الساحرة: اسم الألبوم الأول للمغنية والممثلة الأمريكية بيت ميدلر، واللقب الذي صارت تُعرف به. وهو يعكس شخصيتها على خشبة المسرح. (المترجم).

هـذا المنصب القوي والمرموق. وكانت صدمة أعظم عندما تنازلت إيليـن آدمـز عـن إمبراطوريتهـا الإعلاميـة لابنتهـا البالغـة وقبِلـت المنصـب. تلقـف الخبـرَ الساسـة والنقـادُ وزمـلاء العمـل، وحاكـوا حولـه الإشـاعات. كان مـادة دسـمة غـذّت ومـلأت البرامـج الحواريـة السياسـية أسـابيع عـدة. كان تعييـن إيليـن آدمـز مثـار الحديـث فـي حفـلات العشـاء فـي واشـنطن دي. سـي. كان الشـيء الوحيـد الـذي يسـتطيع أي أحـد الحديـث عنـه فـي «أوف ذا ريكـورد Off The Record»؛ الحانـة فـي قبـو فنـدق «هـاي-آدمـز Hay-Adams».

لماذا قبلت المنصب؟

مـع أن السـؤال الأهـم والأكثـر إثـارة للاهتمـام كان: «لمـاذا عـرض الرئيس المنتخـب فـي ذلـك الوقـت وليـام علـى خصمـه الأعلـى صوتًـا، والأكثـر شراسـة منصبًـا فـي حكومتـه؟ ووزارة الخارجيـة مـن بيـن كل المناصـب؟»

النظريـة السـائدة أن دوجـلاس وليـام كان يحـذو حـذو إبرهـام لِنكـن، ويُشـكِّل «فريقًـا مـن الخصـوم» أو - وهـو الاحتمـال الأكبـر - يتبـع خطـة سـون تـزو، الخبيـر الاسـتراتيجي العسـكري القديـم بـأن يُبقِـي أصدقـاءه قريبيـن لكـنّ أعـداءه أقـرب.

مع أن النظريتين -كما اتضح- كانتا خاطئتين.

اهتـم تشـارلز بوينتـون -المعـروف بـ«تشـارلز» بيـن أصدقائـه- برئيسـته فقـط لأن لإخفاقـات إيليـن آدمـز تأثيـرًا سـلبيًا كبيـرًا فيـه، ولأن مصيـره مرتبـط بمصيرهـا؛ سـيهلك إذا هلكـت.

وبعـد هـذه الرحلـة إلـى كوريـا الجنوبيـة، أخـذت حظوظهـا وحظوظـه منعطفًـا حـادًا جهـة الجنـوب، والآن يتسـببون فـي تأخيـر مـا قـد يكـون خطـاب حالـة الاتحـاد.

مكتبة
t.me/soramnqraa

«هيا. هيا. أسرعي».

«كفى». توقفت مرة واحدة. «لن أسمح بأن أرهَب أو أُساق كالقطيع. إذا كان عليّ الذهاب بهذه الهيئة، فليكن».

«لا تستطيعين». قال بوينتون، عيناه جاحظتان فزعًا. «تبدين..»

«أجل، لقد قلت ذلك بالفعل». ثم التفتت إلى صديقتها. «بيتسي؟»

مرت هنيهة صمت لم يكن من الممكن خلالها سماع أي شيء سوى شخير بوينتون المستاء.

«تبدين في حالة جيدة» قالت بيتسي بهدوء. «ربما قليلًا من طلاء الشفاه». ناولت إيلين أنبوب طلاء الشفاه من حقيبة يدها مع فرشاة شعر وعلبة بودرة البشرة.

«هيا، هيا». قال بوينتون بنبرة أقرب إلى الصياح عمليًا.

همست بيتسي وعيناها مثبتتان على عينيّ إيلين المحتقنتين بالدماء. «تناقضٌ لفظّي Oxymoron[5] دلف إلى حانة...»

فكرت إيلين ثم ابتسمت. «وكان الصمت يصم الآذان».

أشرق وجه بيتسي، «تبدين مثالية».

راقبت بيتسي صديقتها، وهي تستنشق نفسًا عميقًا، وتناول حقيبة سفرها الضخمة إلى مساعدتها قبل أن تلتفت إلى بوينتون. «هلّا ذهبنا؟»

مع أنها بدت رابطة الجأش، كان قلب وزيرة الخارجية آدمز

5- التناقض اللفظي Oxymoron: صورة بيانية تجمع بين لفظتين متناقضتين ظاهريًا ما يمنحهما معنى جديدًا. مثل مصادفة مقصودة أو المضحك المبكي، أو صمت يصم الآذان (المثال المستخدم في النص). (المترجم).

يخفق في أثناء سيرها بقدميها المغطاتين بالجوارب فيما تحمل فردة حذاء قذرة في كل يد، وهي تقطع ردهة الماهوجني من جديد نحو المصعد حتى تستقله إلى أسفل.

***

«أسرعي، أسرعي». لوح أمير إلى زوجته. «إنهم في المنزل». يستطيعان سماع صوت القرع وراءهما. الرجال يصيحون وهم يلقون الأوامر. كلماتهم مع لكنتها الثقيلة، واضحة المعنى.

«دكتور بُخاري، اخرجي! الآن».

«اذهبي». دفع أمير، نسرين داخل الزقاق. «اركضي».

«وأنتَ؟» سألته، وهي تحتضن الحقيبة الجلدية.

تعالى صوت تشقق الخشب فيما يتحطم باب منزلهما في كهوته Khauta، خارج إسلام آباد مباشرة.

«لا يريدونني. أنتِ من يجب عليهم إيقافها. سوف أضللهم. اذهبي، اذهبي».

لكن ما إن استدارت حتى أمسك ذراعها وسحبها إليه مقرّبًا إياها من صدره.

«أحبكِ. أنا فخور جدًا بكِ».

قبّلها بقوة لدرجة أن أسنانهما قد تصادمت، واستطاعت أن تشم رائحة قطرات الدم التي تنزف من شفتها المجروحة. مع هذا تشبثت به وتشبث بها بدوره. افترقا على إثر أصوات المزيد من الهتاف الذي بات أقرب الآن. كاد يسألها أن تُعلِمه ما إن تصل إلى وجهتها بسلام لكنه لم يفعل. عرف أنها لن تستطيع الاتصال به. عرف أيضًا، كما عرفت هي أنه لن ينجو الليلة.

الفصل الثاني

سـرت همهمـة مـا إن أعلـن نائـب الرقيـب فـي السـلاح وصـول وزيـرة الخارجيـة. كانـت السـاعة العاشـرة وتسـع دقائـق، وقـد قعـد بقيـة أعضـاء الحكومـة فـي أماكنهـم بالفعـل. سـرت توقعات بأن سـبب غيـاب إيليـن آدمـز هـو أنهـا كانـت «الناجـي المعيـن[6] Designated Survivor» مـع أن الأغلبيـة تعتقـد أن الرئيـس وليامـز سـيفضل اختيـار جوربـه علـى أن يختارهـا هـي. بينمـا تدخـل الحجـرة، بـدا أن إيليـن لـم تلاحـظ الصمـت الـذي يصـم الآذان.

تناقض لفظي يدلف إلى...

أبقـت رأسـها مرفوعًـا، وتبعـت مرافقهـا وهـي تـوزع الابتسـامات علـى النـواب المتجمعيـن علـى جانبـي الممـر كأنـه لا يوجـد أي شـيء خاطـئ.

«أنـتِ متأخـرة». همـس وزيـر الدفـاع بينمـا تتخـذ مكانهـا فـي الصـف الأمامـي بينـه وبيـن مديـر المخابـرات الوطنيـة. «لقـد ألقينـا كلماتنـا فـي انتظـار وصولـكِ. الرئيـس سـاخط. يعتقـد أنـكِ فعلـت ذلـك عمـدًا حتـى تركـز شـبكات التلفزيـون عليـكِ لا عليـه».

«سـيكون الرئيـس مخطئًـا إذا اعتقـد ذلـك». قـال مديـر المخابرات الوطنيـة. «مـن المسـتحيل أن تفعلـي ذلـك».

«شـكرًا يـا تيـم». قالـت إيليـن. كان ذلـك تعبيـرًا نـادرًا عـن الدعـم مـن أحـد رجـال الرئيـس وليامـز المخلصيـن.

6- الناجـي المُعيّـن: عضـو فـي الإدارة الأمريكيـة يختـاره رئيـس الجمهوريـة سـنويًا قبـل سـاعات مـن حـدث رسـمي كبيـر لضمـان اسـتمرارية عمـل الحكومـة فـي حـال وقـوع حـادث كارثـي ألحـق الأذى بالرئيـس ونائبـه. (المترجـم).

«مـع الأحـداث المؤسـفة فـي كوريـا الجنوبيـة». اسـتطرد تيـم بيتشـام، «لا أسـتطيع أن أتخيـل أنـكِ تريديـن أي اهتمـام».

«مـاذا ترتديـن بحـق الـرب؟» سـألها وزيـر الدفـاع. «هـل كنـتِ تصارعيـن الوحـل مجـددًا؟

عبس بوجهه، وحكّ أنفه.

«لا، سـيدي الوزيـر. كنـت أؤدي عملـي. وذلـك يعنـي أحيانًـا القيـام بأشـياء بغيضـة». تفحصتـه بنظـرة سـريعة. «تبـدو طاهـرًا كعادتـك دائمًـا».

ضحـك مديـر المخابـرات الوطنيـة الجالـس إلـى جانبهـا الآخـر، ثـم وقفـوا جميعًـا فيمـا يعلـن الرقيـب فـي السـلاح، «السـيد المتحـدث، رئيـس الولايـات المتحـدة».

***

اندفعـت الدكتـورة نسـرين بُخـاري عبـر الأزقـة المألوفـة، وهـي تتمايـل لتتجنـب الصناديـق والصفائـح المعدنيـة المتناثـرة فـي المنطقـة، التـي قـد تفضـح مكانهـا لـو ركلتهـا بالخطـأ. لـم تتوقـف، ولـم تلتفـت إلـى الـوراء حتـى حيـن بـدأ إطـلاق النـار. قـررت فـي أعماقهـا أن زوجهـا ذا الثمانـي والعشـرين سـنة قـد هـرب. نجـا. أفلـت مـن أولئـك الذيـن أُرسِـلوا كـي يحاولـوا إيقافهـا. لـم يُقتـل، أو الأسـوأ، يُمسـك بـه ليخضـع للتعذيـب حتـى يعتـرف بمـا يعرفـه.

عندمـا توقـف إطـلاق النـار، عـدَّت ذلـك إشـارة إلـى أن أميـر قـد صـار بعيـدًا، فـي أمـان. وهـو مـا يجـب أن تفعلـه بدورهـا الآن. اعتمـد كل شـيء علـى هـذا. أبطـأت علـى مبعـدة نصـف شـارع مـن موقـف الحافـلات، التقطـت أنفاسـها وسـارت بخطـوات محسـوبة وهادئـة

للانضمام إلى طابور الركاب. مع أن قلبها يخفق بقوة كان وجهها صافيًا.

***

قعدت آناهيتا ضاهر على مكتبها في إدارة شؤون وسط وجنوب آسيا في وزارة الخارجية. كفت عما تفعله، وسارت نحو التلفاز فوق الجدار البعيد. فتحته على خطاب الرئيس. كانت التاسعة والربع صباحًا. كان الخطاب متأخرًا عن موعده، وقد أرجأه، يقول المعلقون، بسبب غياب وزيرة الخارجية، رئيسة آناهيتا الجديدة. تتبعت الكاميرا الرئيس المُنتخب حديثًا في أثناء وصوله إلى الحجرة المزخرفة مصحوبًا بتهليل صاخب من مؤيديه، وتصفيق صامت من المعارضة التي لا تزال مجروحة. لأنه قد نُصِّب منذ شهر فقط، كان من الصعب الاعتقاد أن الرئيس ولیامز يعرف حقًا حالة الاتحاد الحقيقية، أو أنه سيعترف بها حتى لو كان يعرفها. اتفق الخبراء على أن الخطاب سيكون فعلًا متوازنًا بين انتقاد غير صريح للإدارة السابقة على الفوضى التي خلفتها وراءها، والتعبير بتفاؤل غير مبالغ فيه عن الأمل. الغرض من ذلك هو التقليل من سقف التوقعات المفرطة الذي ارتفع في أثناء الانتخابات، ودحض أي لوم قد يُلقى عليه وعلى إدارته.

وقوف الرئيس ولیامز أمام الكونجرس مشهد مسرحي سياسي، نوع من الكابوكيKabuki[7] حيث المظهر أهم من

7- كابوكي: أحد أنواع المسرح الياباني الذي يرجع تاريخه إلى مرحلة إيدو. وهو مسرح يتميز بأزيائه المبهرجة والمبالغ فيها والإفراط في استخدام مساحيق التجميل. (المترجم).

الكلمات. ودوجلاس وليامز يعرف بكل تأكيد كيف يبدو بمظهر رئاسي. بينما تشاهده آناهيتا، وهو يشق طريقه ببشاشة داخل الحجرة، ويحيي ويبتسم إلى أصدقائه وأعدائه السياسيين بالمثل، ظلت الكاميرا تتنقل بينه وبين وزيرة الخارجية. كانت هذه هي الدراما الفعلية. القصة الحقيقية لهذه الليلة. تمادى المعلقون في توقعاتهم عمَّا سيفعله الرئيس ما إن يصبح وجهًا لوجه مع وزيرة خارجيته. كانوا سعداء بأن يشيروا إلى -ويكرروا- أن إيلين آدمز قد هبطت منذ مدة وجيزة من فوق متن الطائرة عائدة من أول زيارة خارجية لها حيث تمكنت من إثارة ضيق حليف مهم وزعزعة استقرار منطقة هشة بالفعل. اللحظة التي سيلتقي فيها الاثنان هنا في هذه الحجرة سوف يشاهدها مئات الملايين عالميًا، وتُعاد مرات عدة عبر وسائل التواصل الاجتماعي.

ضجت الحجرة بالترقب.

مال المراقبون إلى الأمام، متلهفين لفك شيفرة الرسالة التي قد يرسلها الرئيس.

خطت موظفة الشؤون الأجنبية الشابة -التي كانت وحدها في الإدارة ما عدا مشرفها في مكتبه الجانبي- مقتربة من الشاشة، مهتمة بأن ترى ما سيحدث بين رئيس الجمهورية الجديد ورئيستها في العمل. كانت متوترة جدًّا حتى أنها لم تسمع أزيز وصول رسالة.

بينما يتقدم الرئيس، متوقفًا بين فينة وأخرى للحديث، والتلويح بيده، ملأ المعلقون الفراغ بمناقشة شعر إيلين آدمز ومكياجها وثيابها التي كانت غير مهندمة وملطخة بما كانوا يأملون أنه وحل.

«تبدو كأنها قد أتت للتو من مسابقة رعاة البقر».

«ودخلت إلى مسلخ، لا إلى مبنى الكابيتول».

المزيد من القهقهة.

أخيرًا أشار أحد المعلقين إلى أن وزيرة الخارجية ربما لم تخطط إلى أن تصل وهي تبدو بذلك المظهر، بل كانت تلك شهادة على مدى اجتهادها في عملها. «لقد هبطت للتو من فوق متن الطائرة القادمة من سيول». ذكّرهم. «حيث كما فهمنا، قد توقفت المحادثات. حسنًا»، اعترف، «لقد قلتُ إنها تعمل باجتهاد لكن ليس بكفاءة». ثم ناقشوا بنبرة متجهمة أن الأيام قد تثبت مدى كارثية إخفاقها في كوريا الجنوبية. للوزيرة آدمز، وللحكومة حديثة التكوين. وللعلاقات الأمريكية في ذلك الجزء من العالم. عرفت موظفة الشؤون الأجنبية أن هذا أيضًا مشهد مسرحي سياسي. من المستحيل أن يقود اجتماع واحد غير مُوفَّق إلى ضرر دائم. لكن، بينما تشاهد رئيستها الجديدة عرفت أنّ ضررًا قد حدث.

مع أنها جديدة في هذه الوظيفة، كانت فطنة حتى تعرف أن المظاهر في واشنطن العاصمة أغلب الأحيان أكثر قوة بكثير من الواقع. في الحقيقة، كانت المظاهر قوية جدًّا حتى أنها تستطيع فعليًا أن تخلق واقعًا. توقفت الكاميرا على وزيرة الخارجية آدمز فيما ينتقدها المعلقون بعبارات لاذعة.

بخلاف الخبراء، كانت آناهيتا ضاهر ترى في الوزيرة امرأة في عمر أمها تقريبًا، تقف باستقامة: ظهرها منتصب ورأسها مرفوع ومنتبهة ووقورة. تلتفت باتجاه الرجل القادم باتجاهها وهي

تنتظر مصيرها بهدوء. وبدا أن هيئتها الشعثاء تضيف -بعينيّ آناهيتا- إلى كبريائها.

حتى تلك اللحظة كانت موظفة وزارة الخارجية سعيدة باستيعابها ما يقوله المعلقون وزملاؤها المحللون.. إن إيلين آدمز كانت تعيينًا سياسيًا تهكميًا أقدم عليه رئيس بارع. لكن الآن في أثناء مشاهدتها الرئيس يقترب والوزيرة آدمز تهيّئ نفسها، شككت أناهيتا في ذلك. ضغطت موظفة الشؤون الأجنبية على زر «كتم الصوت» في التلفاز. لا حاجة إلى سماع المزيد. مشت عائدة إلى مكتبها حيث لاحظت ورود رسالة جديدة. فتحت الرسالة. رأت أنه في المكان الذي يفترض أن يكون فيه اسم المرسل توجد حروف عشوائية. وفي متن الرسالة نفسه، لم توجد أي كلمات، فقط مجموعة من الأرقام والرموز.

***

في أثناء اقتراب الرئيس، اعتقدت إيلين آدمز أنه سيتجاهلها.

«سيدي الرئيس». قالت.

تمهل ونظر وراءها ومن خلالها. وراح يومئ ويبتسم إلى الأشخاص إلى جانبيها. ثم مد يده لتتجاوزها، ومرفقه يكاد يصطدم بوجهها ليصافح شخصًا في الخلف. حينها فقط حرّك عينيه ببطء حتى تلتقيا بعينيها. كانت العداوة بينهما محسوسة بشدة حتى أن وزير الدفاع ومدير المخابرات الوطنية قد تراجعا خطوة إلى الوراء.

«مستاء» لم تكن كافية لوصف كيف يشعر الرئيس، ولم يرغبا في أن يتلقيا جانبًا من غضبه. كان وجه الرئيس الوسيم -للكاميرا

وملايين المشاهدين- صارمًا ومحبطًا أكثر منه غاضبًا. والد حزين ينظر إلى طفل بريء النيات لكنه مشاكس.

«سيدتي الوزيرة». *أيتها الحثالة عديمة الكفاءة.*

«سيدي الرئيس». *أيها الأحمق المتعجرف.*

«ربما تستطيعين القدوم إلى المكتب البيضاوي في الصباح قبل اجتماع الحكومة».

«بكل سرور يا سيدي».

واصل السير وتركها لتنظر إليه بدفء. عضوة مخلصة في حكومته.

***

قاعدة على كرسيها، استمعت إيلين بأدب إلى الرئيس وليامز الذي بدأ كلمته. شعرت مع تقدم الخطاب بنفسها منجذبة إليه. ليس إلى بلاغته، بل إلى شيء أعمق بكثير من الكلمات. الهيبة والتاريخ والتقاليد. غمرتها العظمة والفخامة الهادئة وسمو هذا الحدث. رمزية الحدث إن لم يكن المحتوى الفعلي.

بعث خطاب الرئيس رسالة قوية إلى الأصدقاء والأعداء على حد سواء. رسالة عن الاستمرارية والقوة والإصرار والغاية. أن الدمار الذي تسببت فيه الإدارة السابقة سوف يُصلّح. أن أمريكا قد عادت. شعرت إيلين آدمز بإحساس جارف طغى على كرهها لدوجلاس وليامز. إحساس دفع عدم ثقتها وشكوكها بعيدًا، وخلّف وراءه فخرًا فقط. ودهشة من حقيقة أن الحياة بطريقة معينة قد قادتها إلى هنا. ووضعتها في هذا المنصب حتى تخدم بلادها. قد تبدو مثل المشرّدين، وتفوح منها رائحة أشبه بالسماد لكنها

وزيـرة الخارجيـة الأمريكيـة. أحبـت بلدهـا، وسـتفعل كل شـيء فـي سلطتها لحمايتـه.

***

قعـدت الدكتـورة نسـرين بُخـاري علـى المقعـد الأخيـر للحافلـة، وأرغمت نفسـها علـى النظـر أمامها مباشـرة. ليس إلى خارج النافذة ولا إلـى الحقيبـة الجلديـة فـوق حِجرهـا التـي تُمسـكها بقبضتهـا بقـوة حتـى ابيضـت مفاصـل أصابعهـا. ولا إلـى الـركاب الآخريـن. كان تجنـب التواصـل بالعيـن مـع الآخريـن أمـرًا جوهريًـا. أجبـرت وجههـا علـى أن يبـدو محايـدًا وملـولًا.

دار محـرك الحافلـة، وراحـت تهتـز فـي طريقهـا باتجـاه الحـدود. كانـت الترتيبـات أن تغـادر البـلاد جـوًا لكنهـا غيـرت الخطـة دون أن تخبـر أي أحـد بمـن فيهـم أميـر. سـيتوقع الأشـخاص الذيـن أُرسِلوا للتخلـص منهـا أنهـا تحـاول المغـادرة بأسـرع طريقـة ممكنـة. سـينتظرونها فـي المطـار. سـيضعون أشـخاصًا علـى متـن كل الرحـلات الجويـة لـو اقتضـى الأمـر. سـيفعلون كل شـيء ليمنعوهـا مـن الوصـول إلـى وجهتهـا. ولـو أنهـم قـد أمسـكوا أميـر وعذبـوه، فقـد يبـوح بالخطـة. لـذا يجـب أن تتغيـر.

أحبـت نسـرين بخـاري بلدهـا، وسـتفعل كل مـا هـو ضـروري لتحميـه، وقـد كان ذلـك يعنـي أن تتـرك كل مـا تحبـه وراءهـا.

***

حدقـت آناهيتـا ضاهـر إلـى الشاشـة. قطبـت حاجبيهـا، واسـتغرقت ثوانـي قليلـة فحسـب لتقـرر أن الرسـالة رسـالة غيـر مرغـوب فيهـا (Spam). يحـدث هـذا أكثـر ممـا قـد يظـن أي أحـد. مـع هـذا أرادت

تأكيدًا. طرقت باب مكتب مشرفها المفتوح، وهي تميل بجسمها إلى الداخل. كان يشاهد الخطاب، ويهز رأسه.

«ماذا؟»

«رسالة». أعتقد أنها رسالة غير مرغوب فيها».

«دعيني أرى».

أرته الرسالة.

«هل هي قطعًا ليست من أي من مصادرنا؟»

«قطعًا، يا سيدي».

«جيد. امحيها إذًا».

وهو ما فعلته، لكن ليس قبل أن تدون الرسالة من باب الاحتياط.

0717/19، 1536/38، 1848/119

الفصل الثالث

«تهاني، سيدي الرئيس. لقد سار ذلك على نحو جيد». قالت باربرا ستينهاوزر.

ضحك دوجلاس ويليامز. «لقد سار على نحو جيد جدًا. أفضل مما قد كنت أستطيع أن أتمناه».

حلّ عقدة ربطة عنقه ووضع قدميه فوق المكتب. كانوا قد عادوا إلى المكتب البيضاوي. وقد نُصب بار مشروبات مع مأكولات خفيفة من أجل العائلة والأصدقاء والمناصرين الأثرياء الذين دُعوا للاحتفال بأول خطاب للرئيس أمام الكونجرس. لكن ويليامز أراد أن يختلي لحظات قليلة بمديرة مكتبه حتى يتخلص من الضغط. لقد كان للخطاب التأثير الذي أراده وأكثر. لكن شيئًا آخر قد جعله يشعر بالدوار من شدة السعادة. شابك أصابع يديه وراء رأسه وراح يتمايل بجسده فيما أحضر النادل له كأسًا من السكوتش وطبق محار ملفوفٍ بلحم خنزير مقدد وجمبري مقلي.

أشار إلى باربرا حتى تنضم إليه فيما يشكر الخادم ويطلب منه أن يغادر. قعدت باربرا ستينهاوزر، واحتست رشفة طويلة من النبيذ الأحمر.

«هل تستطيع النجاة من هذا؟»

«أشك في هذا. سوف نُطلق الإعلام عليها. مما شاهدته قبل خطابكَ، يمكنني القول إنهم قد بدؤوا بالفعل. ستكون ميتة قبل أن تصل إلى بيتها. من باب التأكد فقط، فقد حشدت عددًا من

أعضاء مجلس الشيوخ ليبدؤوا التعبير عن قلقهم المتحفظ حيال جدارتها بالوظيفة بالنظر إلى العرض الكارثي الذي قدمته في كوريا الجنوبية».

«جيد. أين وجهتها التالية؟»

«لقد جدولت زيارتها إلى كندا».

«يا إلهي! سندخل في حرب معهم قبل نهاية الأسبوع».

ضحكت باربرا. «لنأمل ذلك. أردت دائمًا مكانًا في كيبك. التقارير الأولية بشأن خطابكَ إيجابية بشدة يا سيدي. ينوهون إلى نبرة الكبرياء في صوتكَ، ووصولك إلى المنصة عبر الممر. ولكن سُمع تذمر -سيدي الرئيس- من أن تعيين إيلين آدمز -رغم شجاعته- كان زلة، خاصة بعد السقطة في كوريا الجنوبية». «القليل من ردود الفعل السلبية تجاهنا أمر متوقع ما دام النقد -معظمه- موجهًا نحوها. بالإضافة إلى أن ذلك سوف يعطي النقاد شيئًا ليركزوا عليه فيما ننهي عملنا».

ابتسمت ستينهاوزر. نادرًا ما رأت سياسيًا مُتمكنًا مثله. سياسيًا يمتلك الشجاعة الكافية كي يُصاب بجرح إذا كان ذلك يعني قتل خصمه. لم تستطع تجاهل حقيقة أن دوجلاس وليامز قد جعل جلدها يرتعش إذا كان هذا يعني في النهاية تنفيذ أجندة كانت تؤمن بها من كل قلبها.

مالت بجسمها فوق المكتب وناولته ورقة.

«لقد جهزت بيانًا مقتضبًا لدعم الوزيرة آدمز».

قرأه ثم أعاده إليها.

«مثالي ورصين، لكنه مُبهم وغير مُلزِم».

«مدح باهت».

ضحك ثم تنهد بارتياح. «شغلي التلفاز. دعينا نرى ما يقولون».

مال إلى الأمام، ووضع مرفقيه فوق المكتب فيما تُضاء الشاشة الضخمة. شعر بإغراء قوي في أن يخبر مديرة مكتبه كم أنه بارع حقًا لكنه لم يجرؤ على ذلك.

***

«تفضلا».

ناولت كاثرين آدمز أمها وأمها الروحية كأسين كبيرتين من الشاردونيه. ثم أمسكت الزجاجة من عنقها، وحملت كأسها إلى الأريكة الضخمة وقعدت بينهما. ثلاثة أزواج من الأقدام مرفوعة فوق طاولة القهوة. مدت كاثرين يدها نحو ريموت التلفاز.

«ليس بعد»، قالت أمها وهي تضع يدها فوق معصم ابنتها. «دعينا نتظاهر لحظات قليلة أخرى أنهم يتحدثون عن انتصاري في كوريا الجنوبية».

«ويهنئونكِ على تصفيفة شعركِ الجديدة وذوقكِ في ارتداء الثياب». قالت بيتسي.

«واختيار العطور». قالت كاثرين.

ضحكت إيلين. ما إن عادت إلى البيت حتى استحمت وارتدت بنطلونًا رياضيًا. والآن تقعد النساء الثلاث جنبًا إلى جنب في حجرة المعيشة المريحة.

الجدران مغطاة برفوف ملأى بالكتب، وصور مؤطرة لأطفال إيلين، وحياتها مع زوجها الراحل كوين. كانت مساحة خاصة وآمنة. مساحة مقصورة على العائلة والأصدقاء المقربين. ترتدي

نظارتها الآن، وتقرأ ملفًا كانت قد أخرجته، وهي تهز رأسها.

«ما الخطب؟» تسأل بيتسي.

«المحادثات مع الكوريين. لم يكن يجب أن تنهار. لقد أبلى الفريق التحضيري بلاء حسنًا». رفعت الأوراق في يدها. «كنا مستعدين. وكان الكوريون الجنوبيون مستعدين أيضًا. أجريت المحادثات مع نظيري الكوري. كان يفترض أن يكون هذا أمرًا شكليًا».

«إذًا ماذا حدث؟» سألت كاثرين.

تنهدت أمها. «لا أعرف. أحاول اكتشاف الأمر. كم الساعة؟»

«الحادية عشرة وخمس وثلاثون دقيقة». قالت كاثرين.

«الواحدة وخمس وثلاثون بعد الظهر في سيول». حدقت إلى بيتسي التي كانت تتصفح الرسائل. «أي شيء؟»

«الكثير من الرسائل الداعمة عبر البريد الإلكتروني والهاتف من الأصدقاء والعائلة». قالت بيتسي. واصلت إيلين النظر إليها لكن بيتسي هزت رأسها وهي تعرف ما كانت تسأل عنه إيلين بالتحديد.

«يمكنني الكتابة إليه». اقترحت كاثرين.

«لا، إنه على دراية بما يحدث. لو أراد الاتصال، فسيفعل».

«تعرفين أنه مشغول يا أمي».

أشارت إيلين إلى الريموت. «ربما يجدر أن نُشغل الأخبار وننتهي من أمرها».

تعرف بيتسي وكاثرين أن ما سيُعرَض في التلفاز سيكون بمثابة المُهدئ؛ سيشغل ذهن إيلين عن التفكير في الرسالة التي لم تصل إلى هاتفها.

وبينما تستمع إيلين بعدم تركيز إلى من يُطلق عليهم «خبراء» في التلفاز، واصلت تصفح التقارير وهي تحاول العثور على دليل ما يشير إلى الخطأ الذي حدث في سيول. تعرف ما سيقولونه. حتى المنافذ الإعلامية لشركتها؛ القناة الإخبارية واسعة الانتشار عالميًا والجرائد والمواقع الإلكترونية سينتقدون مالكتهم السابقة.

في الحقيقة سيكونون أول الناقدين في محاولة منهم لإثبات حياديتهم. وسيكون نقدهم قاسيًا. يمكن لإيلين أن تشم بالفعل الرائحة اللاذعة لمقالات الرأي. ما إن قبلت إيلين بمنصب وزيرة الخارجية حتى تخلت عن ملكية أسهمها في الشركة، ونقلتها إلى ابنتها وطلبت شفاهيًا وكتابيًا أن لا تشارك كاثرين آدمز شخصيًا في تغطية أي شيء يتعلق بإدارة وليامز عمومًا أو الوزيرة آدمز خصوصًا.

كان هذا التعهد سهلًا على ابنتها، ففي النهاية لم تكن الصحفية في العائلة، درجتها العلمية وخبرتها واهتمامها كان يركز فقط على الجانب الإداري. كانت تشبه أمها في ذلك.

لمست بيتسي ذراع إيلين، وأومأت باتجاه التلفاز.

رفعت عينيها عن ورقها، وشاهدت الشاشة لحظة قبل أن تقعد باعتدال أكثر.

***

«اللعنة!» قال دوجلاس وليامز. «هل تمزحون معي؟»

حدق إلى مديرة مكتبه كأنه يتوقع منها أن تفعل شيئًا بخصوص هذا. ما فعلته باربرا ستينهاوزر هو تغيير القناة، لكن تكرر الأمر نفسه. لسبب ما، حدث تحول بين إلقاء الرئيس وليامز خطاب حالة الاتحاد، وبين كأس السكوتش الثانية التي احتساها.

بدأت كاثرين تضحك، وعيناها تلمعان.

«يا إلهي، كل القنوات». تنقلت عبر القنوات كلها، وقد توقفت عند كل قناة بالقدر الكافي حتى تسمع الخبراء والسياسيين يهنئون الوزيرة آدمز على عملها الدؤوب. استعدادها للظهور في الكابيتول غير مهندمة، وقذارة عملها لا تزال عالقة بها. أجل، كانت الرحلة إخفاقًا غير متوقع، لكن الرسالة الأكبر أن إيلين آدمز، والولايات المتحدة بالتبعية، لم تنحنِ؛ إنها مستعدة لأن تدخل في خنادق السياسة الوعرة. أن تواجه. أن تحاول -على الأقل- ترميم التلف الذي أحدثته أربع سنوات من الفوضى.

أُلقِي لوم إخفاقها في كوريا الجنوبية على الفوضى التي خلفها رئيس سابق أخرق ووزير خارجيته.

صاحت كاثرين في تلك اللحظة، «انظرا إلى هذا». دفعت الهاتف أمام عيني أمها وبيتسي.

راج مقطع فيديو رواجًا واسعًا عبر وسائل التواصل الاجتماعي.

ففي أثناء الإعلان عن وصول وزيرة الخارجية آدمز إلى الكونجرس وعبورها الممر نحو مقعدها من أجل حضور خطاب حالة الاتحاد، تحولت الكاميرا إلى سيناتور منافس، وهو ينظر إليها بازدراء ويتمتم، «امرأة قذرة».

***

«ماذا يحدث؟!» قال دوجلاس وليامز وهو يقذف الجمبري إلى طبقه بانفعال شديد حتى أنه قد ارتد فوق مكتب رزوليت قبل أن يسقط على السجادة.

«اللعنة».

خطرت فكرة في رأس آناهيتا ضاهر في أثناء استلقائها فوق سريرها.

هل يمكن أن تكون الرسالة الغريبة من جيل؟ أجل، ربما قد تكون من جيل. يرغب في التواصل معها من جديد. أن يلمسها. يمكنها أن تشعر ببشرته الرطبة بالعرق من عصر تلك الأيام الحارة واللزجة في إسلام آباد. كانا يغادران خلسة إلى شقتها الصغيرة التي تقع في منتصف الطريق تقريبًا بين مكتبه في وكالة الأنباء ومكتبها في السفارة. كانت وظيفتها ثانوية جدًّا حتى أن أحدهم لم يكن يلاحظ غيابها. كان جيل مُحترَمًا جدًّا بوصفه صحافيًا حتى أن أحدهم لم يشكك في أسباب تغيبه. ظنوا أنه قد انطلق سعيًا وراء دليل من أجل قصة صحفية.

في عالم العاصمة الباكستانية المغلق والخانق، كانت اللقاءات السرية تجري طيلة النهار والليل. بين العملاء ورجال الشرطة السريين، بين المخبرين والمتاجرين بالمعلومات، بين تجار المخدرات والأسلحة والموت وزبائنهم، بين موظفي السفارة والصحافيين.

كان مكانًا وزمانًا حيث أي شيء يمكن أن يحدث في أي لحظة. الصحافيون الشبان وعمال الإغاثة والأطباء والممرضات وموظفو السفارة والمخبرون التقوا جميعًا وانصهروا معًا في الحانات تحت الأرض وفي شقق صغيرة وفي الحفلات، كان يصطدم بعضهم ببعض وتتلامس أجسادهم. كانت الحياة من حولهم ثمينة وغير مستقرة. شعروا بأنهم خالدون بطريقة ما.

تحـرك جسـمها بإيقـاع ثابـت فـوق سـريرها فـي واشـنطن العاصمـة، وهـي تشـعر مجـددًا بجسـمه الصلـب يلامـس جسـمها. جسـمه الصلـب داخـل جسـمها. بعـد دقائـق قليلـة، نهضـت أناهيتـا. ومـع معرفتهـا أنهـا سـتثير مشـكلة، مـدت يدهـا إلـى هاتفهـا. كتبـت إليـه.

هل حاولت مراسلتي؟

استيقظت بين حين وآخر من أجل تفقد هاتفها. لا رد.

أحمق. تمتمت. حتـى وهـي تشـم رائحـة المِسـك التـي تفـوح منـه. شـعرت ببشـرته البيضـاء العاريـة فيمـا تنزلـق مقابـل جسـمها الرطـب الداكـن. كلاهمـا لامـع فـي شـمس الظهيـرة. يمكنهـا أن تشـعر بوزنـه فوقهـا، وهـو يرقـد ثقيـلًا فـوق قلبهـا.

***

جلسـت نسـرين بُخـاري فـي صالـة المغـادرة. فشـل الحـارس المُرهَـق الـذي تفقـد جـواز سـفرها عنـد الحـدود فـي اكتشـاف حقيقـة أنـه مزيـف. أو ربمـا لـم يكـن يهتـم حقًـا. نظـر إلـى الوثيقـة ثـم إلـى عينيهـا. رأى امـرأة فـي منتصـف العمـر منهكـة. حجابهـا التقليـدي باهـت ومهتـرئ حيـث يحيـط بوجههـا المجعـد مـن شـدة التعـب. *لا تمثـل تهديـدًا بالتأكيـد*. انتقـل إلـى الراكـب التالـي الـذي يتـوق إلـى عبـور الحـدود هربًـا مـن التهديـد، ووراء أمـل واهـن.

عرفـت الدكتـورة بخـاري أنهـا تحمـل ذلـك الأمـل فـي حقيبتهـا الجلديـة. وفـي رأسـها حملـت ذلـك التهديـد. لقـد وصلـت إلـى المطـار قبـل رحلتهـا بثـلاث سـاعات. أدركـت الآن فقـط أن تلـك المـدة ربمـا تكـون أطـول قليـلًا مـن الـلازم.

تمركـزت نسـرين بُخـاري فـي مـكان يتيـح لهـا أن تـرى بجانـب عينيهـا الرجـل الـذي يسـتند إلـى الجـدار فـي الجهـة المقابلـة مـن القاعـة. لمحتـه عنـد مكتـب الأمـن وهـي تختـم جوازهـا. تـكاد تكـون متيقنـة من أنـه قـد تتبعهـا حتـى منطقـة الانتظـار. كانـت تبحـث عـن باكسـتاني أو هنـدي أو إيرانـي، فهـم مـن سيُرسَـلون بالطبـع من أجـل إيقافهـا. لـم يخطـر ببالهـا قـطّ أنهـم سيرسـلون رجـلًا أبيـض. لكـن كان هـذا التمويـه الشـيء الـذي لفـت انتباههـا إليـه أيضًـا. لـم تكـن الدكتـورة بُخـاري لتشـيد بأعدائهـا علـى هـذه الخطـة العبقريـة. مـع أنـه مـن المحتمـل أنهـا تتخيـل كل هـذا. القليـل مـن الراحـة والطعـام، والكثيـر مـن الخـوف، كل هـذا قـد يخلـق أوهامًـا. شـعرت بمنطقهـا يتلاشـى. كانـت دائخـة بسـبب عـدم النـوم حتـى أنهـا شـعرت أحيانًـا بأنهـا تحلـق فـوق جسـمها.

باعتبارهـا مثقفـة وعالمـة، وجـدت الدكتـورة بخـاري هـذا الحـدث الأكثـر رعبًـا الـذي مـرت بـه حتـى الآن. لـم تعـد تسـتطيع الثقـة بعقلهـا أو مشـاعرها. كانـت تائهـة.

لا، فكـرت. الأمـر ليـس كذلـك؛ لديهـا خـط سـير واضـح. وجهـة واضحـة. يجـب عليهـا فقـط أن تصـل إلـى هنـاك. نظـرت نسـرين بُخـاري إلـى السـاعة العتيقـة المتهالكـة فـوق جـدار منطقـة الانتظـار القـذرة.

سـاعتان وثـلاث وخمسـون دقيقـة حتـى رحلتهـا إلـى فرانكفـورت. رأت بزاويـة عينيهـا الرجـل يُخـرج هاتفـه.

***

وصلت الرسـالة النصية في الواحدة والنصف صباحًا.

لم أكتب إليكِ. ممنن لأنكِ فعلتِ. قد تستكيعين مساعدتي في أمر معين. أحتاج معلومات عن عالمة.[8]

أغلقت الرسالة. لم يهتم حتى بأن يتفقد الأخطاء الإملائية قبل إرسال الرسالة. لقد دخلت إلى تلك العلاقة الشائكة وهي تعرف أو على الأقل تشك في أنها كانت مجرد مصدر بالنسبة إليه. ولم تعن له أكثر من ذلك. وربما كانت كذلك منذ البداية.

كانت قيمتها لديه تتمثل في أنها «عينه» داخل السفارة، والآن في وزارة الخارجية. أصبحت مصدره داخل إدارة شؤون وسط وجنوب آسيا.

تساءلت آناهيتا عن مدى معرفتها جيل باهار حقًا. كان صحافيًا محترمًا يعمل مع رويترز. مع هذا كانت هنالك شائعات. همسات.

لكن إسلام آباد مدينة مبنية على الهمسات والشائعات. حتى السكان القدامى لا يستطيعون فصل الحقيقة عن الخيال. الواقع عن الوهم. في ذلك المرجل، امتزج الاثنان وأصبحا واحدًا. لا يمكن التفرقة بينهما.

ما كانت تعرفه هو أن جيل قد تعرض للاختطاف على يد شبكة جماعة البشتون[9] قبل سنوات قليلة حيث حُبس ثمانية أشهر قبل

8- Didn't write glid you did. You might be album to help me with something. Need info on scientist.وردت العبارة هكذا في الأصل. (المترجم).

9- البشتون: أكبر جماعة عرقية في أفغانستان. تتمركز في الحدود الشمالية الغربية لأفغانستان وبعض المناطق القبلية في غربي باكستان. وهي جماعة منعزلة. تتحدث لغة البشتو. ويعتنق البشتون كلهم الإسلام. شكلوا رأس الحربة في مقاومة الغزو السوفييتي. توجد صلات قوية بين متطرفي البشتون وطالبان. (المترجم).

أن يهرب. يعدّ البشتون -الذين يعرفون بـ«العائلة»- الأكثر تطرفًا ووحشية بين الإرهابيين في منطقة القبائل الأفغانية-الباكستانية. وتربطهم علاقة وثيقة بالقاعدة، وتهابهم حتى جماعات أخرى تابعة لطالبان.

في المكان نفسه الذي عُذِّب فيه صحافيون آخرون ثم أُعدِموا، وقُطِعت رؤوسهم، تمكن جيل من الفرار دون أن يصاب بأي أذى. كيف فعل ذلك؟ كان ذلك السؤال الذي همست به آناهيتا إلى نفسها. كيف هرب من البشتون؟ غير أن آناهيتا ضاهر قد اختارت أن تتجاهل التلميح البغيض الكامن وراء هذا السؤال. لكن فيما ترقد في السرير الآن، سمحت لنفسها أن تذهب بأفكارها إلى هناك.

آخر مرة اتصل بها جيل كانت بعد مدة وجيزة من نقلها خارج باكستان لتتولى وظيفة في واشنطن العاصمة. اتصل على رقمها الشخصي، وبعد بعض المجاملات، سألها عن معلومات معينة. لم تعطه إياها بالطبع لكن بعد ثلاثة أيام حدث اغتيال.

اُغتِيل الشخص نفسه الذي كان جيل يسأل عن تحركاته.

والآن يرغب في المزيد من المعلومات عن عالمة.

الفصل الرابع

«أجل؟» قالت إيلين، وهي تستفيق فورًا من نوم عميق. «ما الأمر؟» ردت على هاتفها، وهي تلقي نظرة إلى الساعة. الثانية وخمس وثلاثون دقيقة صباحًا.

«السيدة الوزيرة». أتى صوت تشارلز بوينتون. عميقًا ويقظًا. «لقد حدث تفجير».

جلست في مرقدها، ومدت يدها بحثًا عن نظارتها. «أين؟»

«لندن».

شعرت بإحساس مؤنب بالارتياح. على الأقل ليس على الأراضي الأمريكية. مع هذا، أمالت ساقيها لتغادر الفراش، وتضيء النور.

«أخبرني».

***

في غضون خمس وأربعين دقيقة، كانت الوزيرة آدمز في غرفة العمليات (قاعة جون إف كينيدي للمؤتمرات). استُدعي للاجتماع العاجل الهيكل الرئيس لمجلس الأمن الوطني فحسب للتقليل من الارتباك والضوضاء غير الضرورية.

اجتمع حول المائدة الرئيس، ونائبة الرئيس، ووزراء الخارجية، والدفاع، والأمن الداخلي، ومدير المخابرات الوطنية، ورئيس هيئة الأركان المشتركة. وجلس الكثير من المساعدين ومديرة مكتب البيت الأبيض على مقاعد ملاصقة للجدار.

كانت وجوههم متجهمة لكن ليست مذعورة. لقد مر رئيس هيئة الأركان المشتركة بهذا الموقف من قبل حتى لو لم يمر الرئيس وحكومته به.

كان الإعلام قد بدأ قبل قليل فقط في تغطية ما حدث، وما يحدث.

احتلت خريطة لندن الشاشة كلها في النهاية البعيدة للحجرة. أظهرت نقطة حمراء أشبه بقطرة دم موقع التفجير بالتحديد. في شارع بيكاديلي. خارج متجر فورتنام آند ميسون مباشرة. لاحظت إيلين ذلك، وهي تراجع في ذهنها ما تعرفه عن لندن. كان فندق ذا ريتز على مسافة قصيرة من الشارع فيما كان هاتشاردس -أقدم متجر كتب في لندن-، مختفيًا تحت العلامة الحمراء.

«لا شك في أنها كانت قنبلة، أليس كذلك؟» سأل الرئيس وليامز.

«بلى، سيادة الرئيس». أجاب تيم بيتشام، مدير المخابرات الوطنية. «نحن على اتصال دائم بالمكتب الخامسMI5 (جهاز الأمن الداخلي) والمكتب السادس MI6(جهاز المخابرات). إنهم يبذلون قصارى جهدهم لفهم طبيعة ما حدث، لكن بالنظر إلى حجم الدمار، لا يمكن أن يكون أي شيء آخر».

«تابع». قال الرئيس، وهو يميل بجسمه إلى الأمام.

«يبدو أنها كانت على متن حافلة». قال اللواء ألبيرت بيرت وايتهيد، رئيس هيئة الأركان المشتركة. كانت أزرار زيه العسكري مغلقة على نحو خاطئ. وربطة عنقه ملقاة حول رقبته في عجالة، مفكوكة. عقدتها غير محكمة. لكن صوته كان قويًا وعيناه صافيتين وتركيزه تامًا.

«يبدو؟» سأل وليامز.

«حجم الدمار أضخم من أن نحصل على قراءة دقيقة للموقف الآن. ربما تكون قنبلة داخل سيارة أو شاحنة انفجرت في اللحظة التي عبرت حافلة بجوارها. الحطام في كل مكان كما يمكنك أن ترى».

ضغط اللواء وايتهيد على كومبيوتره المحمول المحمي، فحلت محل الخريطة صورة ثابتة. التقطها قمر صناعي. كانت الصورة واضحة وضوحًا غير متوقع مع أنها مُلتقَطة على مبعدة أميال عدة في الفضاء. مالوا جميعًا نحوها.

كان في منتصف الشارع الشهير حفرة تناثرت حولها قطع معدنية ملتوية.

تصاعد الدخان مُعلقًا في الهواء من العربات، وواجهات مباني عمرها قرونٌ -كانت قد نجت من القصف النازي- اختفت. لكن لا جثث كما لاحظت إيلين. شكت في أنها ربما قد انفجرت إلى أشلاء بالغة الصغر لا يمكن التعرف أنها كانت جزءًا من إنسان. قيدت المباني على كلا الجانبين مساحة منطقة الانفجار؛ وإلا من يعرف إلى أي مسافة كان الانفجار ليمتد.

«يا إلهي». همس وزير الدفاع. «ما الشيء الذي تسبب في ذلك؟»

«سيدي الرئيس». قالت باربرا ستينهاوزر، «لقد تلقينا مقطع فيديو للتو».

شغلته على إثر إيماءة من الرئيس. التقطته كاميرا من بين عشرات الآلاف من الكاميرات المنتشرة في أرجاء لندن. كان في الأسفل على يمين الصورة مؤقت زمني.

7:17:04

«متى انفجرت القنبلة؟» سأل الرئيس ويليامز.

«عند السابعة وسبع عشرة دقيقة وثلاث وأربعين ثانية بتوقيت جرينتش يا سيدي». قال اللواء وايتهيد. غطت إيلين آدمز فمها بيدها وهي تشاهد. كانت بداية ساعة الذروة، والشمس تحاول أن تخترق صباح فبراير الرمادي.

7:17:20

رجال ونساء يتدفقون فوق الرصيف. سيارات وشاحنات نقل، وسيارات تاكسي سوداء تنتظر أمام شارة المرور. يتقدم الزمن، ويتقلص الوقت المتبقي على الانفجار.

7:17:32

«اركضوا، اركضوا». سمعت إيلين وزير الأمن الداخلي الجالس بجانبها يهمس، «اركضوا». لكنهم بالطبع لم يفعلوا ذلك.

ثم توقفت حافلة ذات طابقين، حمراء لامعة.

7:17:39

تنحت امرأة شابة جانبًا لتسمح لرجل عجوز بالصعود أولًا. التفت ليشكرها.

7:17:43

0000

***

شاهدوا المشهد مرات عدة، من زوايا مختلفة مع وصول المزيد من مقاطع الفيديو التي عُرضت على الشاشة الضخمة في حجرة العمليات.

في الفيديو الثاني، استطاعوا أن يروا الحافلة بوضوح أكبر في أثناء وصولها إلى الموقف. سمحت الزاوية لهم برؤية الوجوه بما فيها وجه فتاة صغيرة في المقعد الأمامي في الطابق العلوي من الحافلة. أفضل مقعد. المقعد الذي يندفع الأطفال كلهم بمن فيهم أطفال إيلين للجلوس فوقه. يرغب الأطفال في الجلوس فوقه بشدة. لم تستطع إيلين مهما حاولت أن تزيح عينها عن الفتاة.

اركضي، اركضي.

لكن بالطبع في كل فيديو، ومهما كانت الزوايا، ظلت الفتاة الصغيرة في مكانها، ثم تلاشت.

كان التأكيد الذي أتى من بريطانيا نظريًا بحتًا. من الواضح من معاينة المشهد أنها قنبلة زُرِعت في حافلة. وضُبط مؤقتها بحيث تنفجر في أسوأ لحظة ممكنة، وفي أسوأ مكان ممكن. ساعة الذروة في وسط لندن.

«هل أعلن أي أحد مسؤوليته عن التفجير؟» سأل الرئيس وليامز.

«ليس بعد». قال مدير المخابرات الوطنية وهو يتفقد، ويعيد تفقد تقاريره. كانت المعلومات تتدفق من كل مكان الآن. عرف الجميع أن مفتاح حل الأزمة احتواؤها. أن لا يتركوها تهيمن عليهم.

«ولا أي اتصال من بريطانيا؟» سأل الرئيس وليامز.

طاف بعينيه عبر المائدة الطويلة اللامعة، في الرؤوس المهتزة قبل أن يتوقف عند إيلين.

«لا شيء». أكدت. لكنه واصل التحديق إليها كما لو أن الفشل

فشلها. فشلها وحدها. برزت حقيقة بسيطة في ذهن إيلين.

لا يثق بي، أدركت ذلك. ربما كان يجدر بها إدراك هذا قبل ذلك لكنها كانت منشغلة جدًّا بمحاولة فهم طبيعة وظيفتها الجديدة حتى أنها لم تتوقف من أجل التفكير في الأمر.

دفعها غرورها إلى الاعتقاد أنه قد اختارها لتكون وزيرة خارجيته مع خصومتهما الواضحة لأنها جيدة لهذه الوظيفة. الآن أدركت أنه كان لا يحبها، ولا يثق بها أيضًا. فلماذا إذًا عين شخصًا لا يثق به من أجل هذا المنصب القوي؟ جزء من الإجابة كان جليًّا في تلك الحجرة، وفي تلك اللحظة. لأن الرئيس دوجلاس وليامز لم يتوقع حدوث أزمة دولية في مثل هذا الوقت المبكر من مدة ولايته أو ولايتها. لم يتوقع أنه سيحتاج إلى أن يثق بها. إذًا ماذا توقع؟ خطر كل هذا في ذهنها في ومضة سريعة لكنها لم تمتلك الوقت لتفكر فيه مليًّا. ساورتها مخاوف عاجلة ومهمة أكثر بكثير.

أبعد الرئيس وليامز عينيه ببطء عنها، وثبتها على مدير المخابرات الوطنية. «أليس ذلك غير معتاد؟» سأله، «أن لا نسمع أي شيء من جهة التفجير؟»

«لا، ليس بالضرورة». قال تيم بيتشام. «ليس إذا كان تفجيرًا فرديًا. ذئب وحيد[10] فجّر نفسه مع القنبلة».

«حتى مع هذا»، قالت إيلين وهي تدور بعينيها حول المائدة، «ألا يرغب أولئك الناس في الظروف الطبيعية أن يعرف العالم؟

10- ذئب وحيد: تعبير معروف يشير إلى شخص منعزل يعمل بمفرده، في هذه الحالة إرهابي منفرد، وليس جزءًا من منظمة أكبر. (المترجم).

ألا ينشروا بيانًا أو مقطع فيديو، أو يعلنوا عن ذلك من خلال وسائل التواصل الاجتماعي؟»

«سبب واحد يبرر أن لا أحد...» شرع اللواء وايتهيد يتحدث قبل أن تقاطعه مديرة مكتب الرئيس. «سيدي، رئيس وزراء بريطانيا على الخط». قالت باربرا ستينهاوزر.

مثل جميع الحضور، كانت باربرا ستينهاوزر قد ارتدت ثيابها في عجالة. لم تخفِ مساحيق التجميل التعبير الجاد على وجهها. لا يمكن لأي كمية من المكياج أن تخفيه. حل محل المجزرة على الشاشة الوجه الصارم لرئيس الوزراء بيلنجتون بشعر أشعث كالعادة.

«سيدي رئيس الوزراء، الشعب الأمري...» شرع دوجلاس وليامز يتكلم.

«أجل، أجل، فليكن. ترغب في معرفة ما حدث. وأنا مثلك. وبصراحة، لا أمتلك أي شيء لأخبرك به».

حدق بعيدًا عن الكاميرا إلى من أمكنهم فقط أن يخمنوا أنهم ممثلو المكتب الخامس والمكتب السادس؛ المخابرات البريطانية.

«هل يوجد هدف محدد؟» سأل وليامز.

«لا يمكنني الجزم بذلك بعد. استطعنا فقط أن نتأكد من أن القنبلة كانت على متن الحافلة. لا نمتلك أدنى فكرة عن هوية من كان على متنها أو بالقرب منها. لقد تمزق المارة والركاب إلى أشلاء. يمكنني أن أرسل إليك الفيديو».

«لا داعي». قال وليامز. «لقد شاهدناه».

رفع بيلنجتون حاجبيه. لم يكن واضحًا إذا كان منبهرًا أم منزعجًا. لكنه قرر سريعًا أن يتخطى تلك النقطة.

كان رئيس الوزراء البريطاني بعد ثلاث سنوات من مدة ولايته الأولى مشهورًا شهرة طاغية في أوساط التيار اليميني في حزبه، وبين العامة من المحافظين الذين يمتلكون حق التصويت، لأنه وعد بتحقيق أمان داخلي، واستقلال عن الأمم الأخرى. لن يساعد هذا التفجير حملة إعادة انتخابه.

«سيتطلب الأمر مدة طويلة قبل أن نحصل على هوية محددة». قال بيلنجتون. «نفحص الفيديوهات بعناية لنرى إذا كان نظام تعرّف الوجه سيشتبه في أي أحد. إرهابي محتمل أو هدف. أي عون يمكنكم تقديمه سيكون محل تقدير».

«هل يمكن أن يكون هدف التفجير مبنى، وليس شخصًا؟ مثل هجمات ١١/٩؟» سأل مدير المخابرات الوطنية.

«قد يكون». اعترف رئيس الوزراء. «لكن توجد أهداف أكثر وضوحًا في لندن منها في فورتنام آند ميسون».

«ومن المحتمل وجود شخص ساخط يعترض على دفع مئات الجنيهات مقابل فنجان شاي بعد الظهر». قال وزير الدفاع، ونظر حوله بحثًا عن ابتسامات التقدير على مزحته. لم يبتسم أي أحد.

«لكن الأكاديمية الملكية للفنون تقع هناك أيضًا». قالت إيلين.

«فنون، سيدتي الوزيرة؟» قال رئيس الوزراء بيلنجتون، وهو يلتفت إليها. «تعتقدين أن شخصًا سوف يتسبب في مجزرة كهذه ليدمر معرضًا فنيًا؟»

حاولت إيلين أن لا تنزعج من نبرة الفوقية في صوته، مع أنها تعترف أن كل اللكنات البريطانية تبدو متعالية للأذن الأمريكية. عندما يتحدث البريطانيون، تسمع تلميحًا ضمنيًا، *«أنتِ أيتها الحمقاء»*.

سمعتها ثانية الآن. لكنه كان تحت ضغط، وكان يبث بعضًا منه باتجاهها. ستسمح له بذلك في الوقت الراهن.

وكي تكون عادلة، فقد كان رئيس الوزراء بيلنجتون هدفًا مفضلًا لمنافذها الإعلامية لسنوات، التي كانت تصوره على أنه غير مؤهل لوظيفته بشكل مزرٍ. رجل ضحل، أبله من الطبقة الثرية، وقد استبدل عبارات الاستحقاق[11] وتعابير لاتينية عشوائية بأي بديهة يمتلكها. نظرته إليها بتلك الطريقة لم تكن مفاجئة. في الحقيقة اعترفت إيلين لنفسها بأنه يُظهر قدرًا مدهشًا من ضبط النفس.

«ليس فنًا فقط، سيدي رئيس الوزراء». قالت. «ثمة جمعية جيولوجية هناك».

«هذا صحيح». عيناه مدققتان الآن، وحتى إنهما تخترقانها. كان أكثر ذكاء بكثير مما كانت تظن أنه ممكن.

«تعرفين لندن جيدًا».

«لندن إحدى المدن المفضلة لدي. وهذه حادثة فظيعة. مروعة».

كانت بالفعل كذلك. لكن عواقبها قد تتجاوز الخسارة الفادحة للحياة، وتدمير جزء من التاريخ الثري لتلك المدينة.

«جيولوجيا؟» قال وزير الدفاع. «لماذا يرغب أحدهم في تفجير مكان يدرس الصخور؟»

لم تجب إيلين آدمز. بدلًا من ذلك، نظرت إلى الشاشة لتلتقي

11- الاستحقاق: مصطلح يعني الشعور بامتلاكك الحق في فعل شيء ما أو امتلاك ما تريد لشخصك فقط دون أن تعمل من أجل ذلك أو أن تستحقه. (المترجم).

عيناها عيني رئيس الوزراء البريطاني الغارقتين في التفكير.

«الجيولوجيا أوسع بكثير من مجرد صخور». قال. «إنها نفط. فحم. ذهب. الماس».

توقف بيلنجتون عند هذا الحد، وعيناه مثبتتان على عينيّ إيلين آدمز من أجل إعطائها شرف قول ما كانت تُلمِح إليه.

«اليورانيوم». قالت.

أومأ. «والذي يمكن تحويله إلى قنبلة نووية. التراجع عن فعل قد حدث، مستحيل». [12]

ترجم بيلنجتون نفسه. «لكن ربما نستطيع منع هجوم آخر».

«تعتقد أنه سيكون هنالك هجوم آخر، سيدي رئيس الوزراء؟» سأل الرئيس وليامز.

مكتبة
t.me/soramnqraa

«أعتقد ذلك، سيدي».

«لكن أين؟» غمغم مدير المخابرات الوطنية.

***

ما إن انفض الاجتماع حتى حرصت إيلين على الخروج بجانب اللواء وايتهيد.

«لقد كنت تقول إن ثمة سببًا قد يجعل الشخص لا يتحمل مسؤولية مثل هذا التفجير، قبل أن يقاطعك أحدهم. هذا ما كنت ستقوله، أليس كذلك؟»

أومأ. بدا رأس رئيس هيئة الأركان المشتركة أشبه برأس أمين مكتبة أكثر من رأس مقاتل.

12- Factum fieri infectum non potest. وردت باللاتينية في الأصل. (المترجم).

فكرت أنه من المثير للاهتمام أن أمين مكتبة الكونجرس هو من يشبه مقاتلًا حقًا.

كان وجه اللواء وايتهيد ودودًا وصوته رقيقًا. نظرت عيناه إليها من وراء نظارته الشبيهة بالبومة. لكنها تعرف سجله بوصفه جنديًا مقاتلًا. ضابط صاعقة. لقد ترقى عبر الرتب العسكرية بعد أن كان يقود دائمًا من المقدمة، مكتسبًا احترام وولاء الرجال والنساء تحت قيادته.

توقف اللواء وايتهيد ليسمح للآخرين بالمرور، وهو يتأملها. كانت نظراته متفحصة لكن لم تكن عدائية.

«ما ذلك السبب أيها اللواء؟»

«لم يعلنوا مسؤوليتهم يا سيادة الوزيرة لأنهم لا يحتاجون إلى هذا. هدفهم كان ولا يزال شيئًا آخر تمامًا. شيء أهم من الإرهاب».

أحست بالدم يهرب من وجهها، ويتجمع في أعماقها، في قلبها.

«وماذا يمكن أن يكون ذلك؟» سألت متفاجئة، ومرتاحة لسماع صوتها أكثر تماسكًا من مشاعرها.

«ربما اغتيال. ربما كان التفجير خطوة «جراحية»؛ محسوبة بدقة، لإرسال رسالة إلى شخص بعينه أو مجموعة بعينها فحسب. لا حاجة إلى أي إعلان في هذه الحالة. وقد يكونون على دراية أيضًا أن صمتهم سوف يستنزف مواردنا استنزافًا مؤثرًا أكثر بكثير من الإعلان عن تحمل المسؤولية».

«بالكاد يمكنني وصف ما حدث في لندن «جراحيًا»».

«صحيح. أقصد بـ«جراحيًا» الغاية من وراء التفجير، ليس التفجير نفسه. هدف محدد وضيق. نرى نحن مئات الموتى لكن ربما لا يرون هم سوى شخص واحد. نرى دمارًا مريعًا لكنهم يرون زوال مبنى واحد. دقة». تحركت يده نحو ربطة عنقه. بدا متفاجئًا لاكتشافه أنها غير محكمة. «يمكنني إخبارك بشيء واحد، الوزيرة آدمز. من خبرتي العملية، كلما كان الصمت أعظم، كان الهدف أكبر».

«إذًا تتفق مع رئيس الوزراء؟ أنه سيكون هنالك هجوم ثان؟»

«لا أعرف». ثبت عينيه على عينيها. فتح فمه ثم أغلقه دون أن ينبس بكلمة.

«يمكنك أن تخبرني أيها اللواء».

ابتسم قليلًا. «ما أعرفه أنه وفقًا للمفاهيم الاستراتيجية، فهذا صمت عظيم جدًا».

ما إن أنهى حديثه حتى تلاشت ابتسامته. بات وجهه عابسًا.

كان المعتدي في الخارج. في مكان ما. يختبئ في صمت شاسع. لن يضطروا إلى الانتظار طويلًا.

***

كانت الساعة تدنو من العاشرة صباحًا عندما عادت إيلين آدمز إلى مكتبها في وزارة الخارجية. كان ثمة نشاط محموم. قبل أن تستطيع أن تغادر باب المصعد، كانت محاطة بمعاونيها الصحافيين يطلبون منها أي شيء يمكنهم أن يعطوه إلى الإعلام الشره. ما إن صارت خارج المصعد حتى هرولت إلى مكتبها. ركض رجال ونساء بطول الممر، يقفزون داخل وخارج المكاتب

لتبادل المعلومات، غير واثقين بجدوى الرسائل النصية أو حتى المكالمات الهاتفية في مثل هذا الظرف. تعالت الأسئلة والمطالب فيما يلاحق معاونو وزارة الخارجية كل دليل محتمل.

«نتحدث مع كل مصادرنا». قال بوينتون، وهو يسير بسرعة بجانبها. «المنظمات الاستخباراتية عالميًا يبحثون الأمر. اتصلنا أيضًا بمراكز مكافحة الإرهاب. وأقسام الدراسات الاستراتيجية».

«أي شيء؟»

«لا، ليس بعد. لكن لا بد من أن شخصًا ما يعرف شيئًا ما».

ما إن أصبحت في مكتبها حتى تفقدت قائمة اتصالاتها.

«لدي بعض الأسماء من أجلك. أشخاص قابلتهم في رحلاتي السابقة. بعض الصحافيين. وبعض «الذباب» الذين يقولون القليل ويسمعون الكثير».

أرسلت إليه مجموعة من بطاقات جهات الاتصال.

«استخدم اسمي. اعتذر نيابة عني، واشرح الأمر».

«سأفعل. نحتاج إلى الانتقال إلى حجرة اجتماعات الفيديو المحمية. إنهم ينتظرون».

ما إن توجهت إلى هناك حتى ظهرت وجوه على الشاشة. «مرحبًا سيادة الوزيرة».

كان اجتماع وزراء خارجية «العيون الخمسة» قد بدأ.

***

جلست آناهيتا ضاهر فوق مكتبها في وزارة الخارجية.

كل موظف في إدارة الشؤون الخارجية على مستوى العالم كُلِّف بإرسال أي معلومة، أي شيء على الإطلاق قد يكون مثيرًا للريبة.

كان المكان ينبض بطاقة أقرب إلى السعار فيما تُبعث الرسائل وتُستقبل. مشفرة، وغير مشفرة. تفقدت آناهيتا الرسائل التي وصلت إلى مكتبها خلال الليل، وفي الوقت نفسه تراقب الأخبار على شاشة التلفاز. بدا الأمر كأنّ لدى الصحافيين شبكة اتصال أقوى من وكالة الأمن القومي ووكالة الاستخبارات المركزية ووزارة الخارجية. ذكّرها ذلك بجيل. واستولت عليها مجددًا رغبة في الاتصال به حتى ترى إن كان يعرف أي شيء. لكنها شكت أيضًا في أن هذه الفكرة لم تنبع من دماغها بل من مكان في جسدها أسفل من ذلك بشكل ملحوظ. ولم يكن الآن هو الوقت للانخراط في ذلك.

بصفتها موظفة مبتدئة في إدارة الشؤون الأجنبية في مكتب باكستان، لم تكن مطلعة على اتصالات عالية المستوى. تأتي إليها أخبار استخباراتية عادية أكثر من مخبرين هامشيين. أخبار مثل المكان الذي تناول فيه وزراء عدة في الحكومة الباكستانية غداءهم، وبصحبة من، وماذا أكلوا. لكن حتى تلك الرسائل قد توقفت ليحل محلها هدوء غريب.

***

«العيون الخمسة» هو اسم تحالف وكالات استخبارات أستراليا ونيوزيلاندا وكندا وبريطانيا وأمريكا. منظمة من حلفاء ناطقين بالإنجليزية لم تسمع عنه إيلين من سوى أربعة أسابيع فقط.

بسبب مواقع هذه الدول الاستراتيجية تغطي الأعين الخمسة الكوكب كله تقريبًا. لكن حتى هم لم يسمعوا أي شيء؛ لم يرصدوا أي همسات قبل التفجير، ولا بيانات انتصار في الساعات التالية له.

انضم إلى الوزيرة آدمز عبر مكالمة الفيديو نظراؤها ومديرو وكالاتهم الاستخباراتية من كل دولة. خمسة عملاء مخابرات وخمسة وزراء خارجية يتشاركون ما يعرفون بسرعة وسرية. ما رصدته شبكات اتصالهم، الذي كان «لا شيء».

«لا شيء على الإطلاق؟» طالب وزير الخارجية البريطاني. «كيف ذلك ممكن؟ المئات لقوا مصرعهم. وعدد المصابين أكبر من ذلك. وسط لندن كأنه تعرض للقصف النازي. لم يكن ذلك بسبب ألعاب نارية؛ كانت قنبلة هائلة!»

«انظر، سيادتكم». قال وزير الخارجية الأسترالي، وهو يشدد على الكلمة الأخيرة تشديدًا مبالغًا فيه. «لا يوجد أي شيء. لقد تفقدنا المعلومات الاستخباراتية القادمة من روسيا، والشرق الأوسط وآسيا. ونحن نواصل البحث، لكن حتى الآن لا شيء سوى الصمت».

فكرت إيلين، صمت عظيم، متذكرة كلمات اللواء.

«لا بد أنه فعل طائش فردي أقدم عليه شخص خبير بالقنابل بدافع من إحساس بالمظلومية». قال وزير خارجية نيوزيلاندا.

«أتفق». قال مدير وكالة الاستخبارات المركزية الذي كان عين الولايات المتحدة. «لو كانت منظمة إرهابية أجنبية مثل القاعدة أو داعش...»

«أو «الشباب»[13]»، قالت عين نيوزيلاندا.

13- الشباب أو حركة الشباب الإسلامية: تنظيم صومالي أسّس سنة ٢٠٠٤، وهي حركة قتالية تنشط في الصومال، وتتبع فكريًا تنظيم القاعدة. تتهمها الكثير من الدول بالإرهاب. (المترجم).

«أو البشتون...» قال عين أستراليا.

«هل ستذكرونهم جميعًا؟» سأل وزير خارجية بريطانيا. «لأن الوقت ليس حليفنا».

«الغاية من هذا الحديث هي أن...» بدأ عين أستراليا يتحدث.

«نعم، ما الغاية؟» سأل وزير خارجية بريطانيا.

«حسنًا»، تدخل عين كندا. «كفى. دعونا لا ينقلب بعضنا على بعض. نعرف كلنا الغاية. لو أن واحدة من مئات المنظمات الإرهابية المعروفة قد فجرت القنبلة لكانت قد أعلنت مسؤوليتها بالفعل».

«وماذا عن المنظمات غير المعروفة؟» سأل عين أمريكا. «لنفترض أن منظمة جديدة قد ظهرت؟»

«حسنًا، هم لا يظهرون من العدم فحسب، أليس كذلك؟» قالت عين نيوزيلاندا. التفتت إلى نظيرها الأسترالي من أجل الدعم.

«منظمة جديدة تمكنت من تنفيذ مثل هذا الهجوم»، قال عين أستراليا، «لن تبقى غير معروفة طويلًا. سوف يعلنون عن ذلك بتباهٍ».

«أليس من الممكن»، قالت الوزيرة آدمز، «أن لا أحد قد أعلن مسؤوليته عن الحادث لأنهم لا يحتاجون إلى ذلك؟»

التفت الجميع إليها كما لو أنهم قد دهشوا من أن مقعدًا خاليًا قد تعلم كيف يتكلم. زفر وزير خارجية بريطانيا منزعجًا من أن وزيرة الخارجية الأمريكية الجديدة سوف تهدر وقتهم معتقدة أن لديها أي شيء يستحق القول.

بدا عين أمريكا مُحرجًا.

تابعت إيلين حديثها، وشرحت ما قاله اللواء وايتهيد. حقيقة أن هذا الكلام قد صدر عن لواء ورئيس هيئة الأركان المشتركة كان يعني أنهم سيعطونه مصداقية أكبر بكثير مما لو كانت قد اقترحت الأمر بنفسها. لم تهتم إيلين بذلك. لم تكن في حاجة إلى موافقتهم أو احترامهم. احتاجت إلى انتباههم فحسب.

«سيدتي الوزيرة»، قال وزير الخارجية البريطاني، «غاية الإرهابي كلها هي نشر الإرهاب. التزام الصمت ليس جزءًا من قواعدهم».

«أجل، شكرًا لك». قالت إيلين.

«قد يكونون معجبين بألفرد هِتشكوك». قالت عين كندا.

«أجل، أجل». قال وزير خارجية بريطانيا. «أو ربما مونتي بايثون[14]. دعونا نتخطى ذلك...»

«ماذا تعنين؟» سألت إيلين الكندية.

«أعني أن هتشكوك قد عرف حقيقة أن بابًا مغلقًا مخيفٌ أكثر من آخر مفتوح. فكري، حين كنتِ تحدقين ليلًا، وأنت طفلة، بذعر في باب الخزانة المغلق متسائلة ماذا يوجد بداخلها حقًا. نحن كوننا أطفالًا نملأ الفراغات بمخيلتنا ولم نفكر أبدًا تقريبًا في أن ما يقبع وراء الباب جنية طيبة تحمل جروًا وبعض حلوى البودينغ». توقفت عن الكلام، وبدا لإيلين أنها تحدق إليها مباشرة.

«أولئك الذين يمتلكون خطة مريعة حقًا لن يسمحوا لنا بأن نفتح الباب. سيُفتح الباب حين يكونون مستعدين لإطلاقها. لواؤكِ

14- مونتي بايثون: مجموعة بريطانية تنتج كوميديا سريالية. وقد ابتدعوا سيرك مونتي بايثون الطائر وهو برنامج تلفزيوني بريطاني كوميدي مشهور في الستينيات.

محقّ، سيدتي الوزيرة. الطبيعة الحقة للإرهاب غير معروفة. كل ما هو فظيع حقًا يزدهر في الصمت».

شعرت إيلين بنفسها تصبح ساكنة وهادئة جدًا. ثم تحطم الصمت. ارتدّت إيلين إلى الوراء في مقعدها ما إن دوّى صوت كل الهواتف المشفرة في اللحظة نفسها.

على شاشة بريطانيا الخاصة، يمكنهم رؤية معاون يقول شيئًا في أذن وزير خارجيته.

«يا إلهي». همس ثم التفت إلى الشاشة مصعوقًا في اللحظة نفسها التي انحنى فيها بوينتون بجانب إيلين آدمز.

«سيدتي الوزيرة، لقد حدث تفجير في باريس».

الفصل الخامس

هبطت الرحلة الجوية في مطار فرانكفورت متأخرة عشر دقائق. مع هذا لا يزال متسع من الوقت للحاق بحافلات المطار.

بينما تتهادى الطائرة فوق المدرج نحو صالة الوصول، تفقدت نسرين بُخاري ساعتها، وأعادت ضبطها إلى ٤:٠٢ عصرًا. لم تجرؤ على حمل هاتف، ولا حتى هاتف رخيص يسهل التخلص منه. لم تستطع المخاطرة. أخبرت زوجها معلم المدرسة كثيرًا بأن علماء الفيزياء النووية بطبيعتهم يتجنبون المُخاطَرة تجنبًا تامًا. وهو ما كان يجعله يضحك، وهو يشير إلى عدم وجود عمل أكثر مُخاطَرة من عملها. جعل هذا أيضًا ما تفعله الآن بعيدًا كل البعد عن منطقة راحتها حتى أنها شعرت بأنها قد تكون على سطح كوكب آخر.

أو في فرانكفورت.

سرت تمتمات من حولها داخل الطائرة فيما يعيد الركاب الآخرون تشغيل هواتفهم، ثم تحولت إلى تأوهات فصرخات. لقد حدث شيء ما. انتظرت الدكتورة بُخاري، ولم تجرؤ على الحديث مع أي أحد، حتى صارت داخل صالة الوصول، ثم توجهت إلى إحدى شاشات التلفاز. تجمع حشد أمامها، وكانت بعيدة جدًّا في الخلف حتى تسمع ما يُقال لو كانت تفهم اللغة. لكن أمكنها رؤية الصور. وقرأت الشريط في أسفل الشاشة. لندن. باريس. مشاهد دمار أقرب إلى نهاية العالم. حدقت مشلولة. تمنت لو كان أمير معها. ليس من أجل أن يخبرها بما ينبغي لها فعله بل حتى تمسك يدها بيده. حتى لا تكون وحيدة.

كانت تعرف أن هذا مجرد مصادفة. لا شيء يتعلق بها. لا يمكن ذلك. مع هذا ما إن تراجعت والتفتت، حتى لمحت الرجل الشاب الذي هبط من الطائرة معها، وكان يقف الآن على مبعدة أقدام قليلة منها. لم يكن يشاهد التلفاز أو ينظر إلى مشاهد المذبحة. كانت عيناه مثبتتين عليها، وتعكسان ما كانت متأكدة من أنه مزيج من التقدير والاحتقار.

***

«اجلسي». أمرها الرئيس وليامز وقد رفع عينيه لحظة بعيدًا عن أوراقه قبل أن يخفضها ثانية.

جلست إيلين آدمز فوق المقعد المقابل له داخل المكتب البيضاوي. كان لا يزال المقعد دافئًا حيث كان رأس ومؤخرة مدير المخابرات الوطنية الذي التقى الرئيس قبلها. وراءها صف من شاشات العرض المفتوحة على قنوات مختلفة، جميعها إمّا تتحدث عن وإمّا تعرض صورًا للفظائع التي شهدتها الساعات الأخيرة.

داخل السيارة في الطريق إلى هنا، وصفارات الإنذار تدوي فوق سيارات الأمن الدبلوماسي المرافق لها، راحت إيلين تقرأ الرسائل المقتضبة اقتضابًا شديدًا، والمرسلة من وكالات الاستخبارات العالمية. معظمها تطلب، وتتوسل من أجل معلومات، دون أن تقدم أي معلومة.

«ستجتمع الحكومة بكامل أعضائها خلال عشرين دقيقة». قال وليامز وهو يخلع نظارته ويحدق إليها. «لكن أحتاج إلى فهم ما حدث، وإذا كنا معرضين للخطر. هل نحن كذلك؟»

«لا أعرف، سيدي الرئيس».

صارت شفتاه رفيعتين، وحتى من مكانها على الجهة الأخرى من مكتب رزوليت، كانت تستطيع سماع صوت تنفسه الطويل. شكّت في أنه يحاول أن يكتم غضبه. لكن كان غضبه هائلًا جدًا حتى يبتلعه. اندفع غضبه وسط سحابة من البصاق والسخط.

«ماذا تعنين بحق الجحيم؟»

انفجرت الكلمات خارجة منه. سمعتها إيلين مرات عدة لكن لم توجّه قطّ إليها بمثل هذه القوة أو الظلم. مع أنه لم يكن يومًا للبحث عن العدل. كانت صرخته نابعة من الخوف. كانت تعرف هذا القدر حتى وهي تُجبر نفسها على ألا تمسح وجهها المبلل.

كانت خائفة بدورها. لكن، ضخّم خوفَه يقينٌ أنه لو لم يكن حذرًا وسريعًا وذكيًا بالقدر الكافي، فالصور التالية ستكون لنيويورك أو واشنطن أو شيكاغو أو سياتل.

بعد أسابيع من تولي هذه الوظيفة، وفيما لا يزال يحاول أن يجد طريق العودة إلى صالة البولينج في البيت الأبيض، يحدث هذا. وأسوأ من ذلك. كان مثقلًا بعبء إدارة جديدة. رجال ونساء أذكياء لكنهم يفتقدون الخبرة في هذا المضمار. بل أسوأ من ذلك. ورث عن غير الأكفاء في الإدارة السابقة بيروقراطية عاجزة. لم يكن خائفًا فحسب. لقد وجد رئيس الولايات المتحدة نفسه في حالة أبدية تقريبًا من الإرهاب، ولم يكن في تلك الحالة بمفرده.

«يمكنني أن أخبرك، سيدي الرئيس، بما نعرفه. أستطيع أن أعطيك حقائق لا تكهنات».

حدق إليها. أكثر تعيناته دبلوماسية. وذلك قد جعلها الحلقة الأضعف في سلسلة بالغة الضعف. فتحت ملف الأوراق الذي كانت توازنه فوق حِجرها.

قرأت، وهي تعدل وضعية نظارتها. «حدث انفجار باريس في الثالثة وست وثلاثين دقيقة حسب التوقيت المحلي. كانت القنبلة داخل حافلة منطلقة في شارع فوبورج سان دينيس في الدائرة العاشرة...»

«أجل، أعرف كل ذلك. العالم يعرف كل ذلك». أشار إلى صف شاشات التلفاز. «أخبريني شيئًا لا أعرفه. شيئًا سيساعدني».

مضى أقل من عشرين دقيقة على الانفجار الثاني. لم يتسن لهم الوقت لجمع المعلومات. أرادت أن تذكر ذلك لكنه يعرفه أيضًا.

خلعت نظارتها في هذه اللحظة، ودعكت عينيها، قبل أن تنظر إليه. «ليس لدي أي شيء». امتلأ الهواء بسخطه.

«لا شيء؟» قال بحشرجة.

«تريدني أن أكذب؟»

«أريدك أن تُظهِري ولو قدرًا ضئيلا من الكفاءة».

استنشقت إيلين نفسًا عميقًا، وفتشت في ذهنها عن شيء لتقوله لن يثير غضبه أكثر، وبالتالي يهدر وقتًا ثمينًا.

«كل وكالة استخباراتية حليفة تراجع المنشورات والرسائل. ويفتشون في الشبكة المظلم (web Dark)[15] بحثًا عن أي منشورات على المنتديات والمواقع المخفية. ونفحص فيديو

15- الشبكة المظلمة هي جزء من الشبكة العميقة، ومن ثم هي جزء من الإنترنت، لكن الوصول إليها يحتاج إلى برمجيات أو إعدادات خاصة، وفي بعض الأحيان يحتاج إلى إذن مسبق للوصول إليها. (المترجم).

التفجير حتى نرى إذا كنا نستطيع التعرف على هوية المفجِّر أو على أي هدف محتمل. حتى الآن، قد تعرفنا على هدف واحد محتمل في لندن».

«ما هو؟» مال إلى الأمام، وقد بدا عليه الانتباه.

«الجمعية الجيولوجية». بينما تتحدث، تجسد أمامها وجه الفتاة في النافذة العلوية للحافلة، وهي تنظر أمامها إلى شارع بيكاديلي. تنظر إلى مستقبل ليس له وجود.

شرع الرئيس وليامز يتحدث. همّ بأن يقول -كما كان بإمكان إيلين أن ترى- شيئًا تهكميًا لكنه توقف حتى يفكر قبل أن يومئ برأسه.

«وباريس؟»

«باريس مثيرة للاهتمام. لقد توقعنا أن يكون التفجير في مكان معروف. اللوفر أو نوتردام. أو مقر الإقامة الرئاسي».

مال إلى الأمام مهتمًا بما تقول.

«لكن الحافلة رقم 38 لم تكن في أي مكان قريب من هدف محتمل. كانت تمضي في طريقها عبر ضاحية واسعة. حتى أنه لم يكن في الأنحاء كثير من الناس، ولم تكن ساعة ذروة. لا يبدو أن للتفجير سببًا. لكن لا بد من وجود سبب».

«هل يمكن أن تكون القنبلة قد انفجرت خطأً؟» سألها، «قبل موعدها المحدد أو متأخرة عنه كثيرًا؟»

«أجل، هذا احتمال. لكننا نبلور نظرية أخرى. تذهب الحافلة رقم 38 إلى محطات قطار شتى. في الحقيقة كانت في طريقها إلى محطة الشمال عندما انفجرت».

«محطة الشمال حيث يتوقف قطار يورو ستار القادم من لندن». قال.

كان دوجلاس وليامز يثبت أنه أذكى مما افترضت إيلين. أو على الأقل قد سافر إلى أماكن أكثر مما تخيلت.

«بالضبط».

«تعتقدين أن على متن تلك الحافلة شخصًا كان متجهًا إلى لندن؟»

«إنه احتمال وراد. نراجع مقاطع الفيديو التي التقطتها الكاميرات في كل موقف حافلات، لكن باريس ليست مغطاة جيدًا بكاميرات المراقبة مثل لندن».

«كان المرء يعتقد أنه بعد ما حدث في باريس سنة 2015...» قال وليامز، «أي شيء آخر يتعلق بلندن؟»

«ليس بعد. لم نكتشف أي هدف اغتيال محتمل، ولسوء الحظ، كان جميع من صعد إلى الحافلة يحمل حزمة أو حقيبة ظهر أو شيئًا قد يحوي مادة متفجرة. بالإضافة إلى المسارات المعتادة، طلبت من زملائي السابقين في وكالات الأخبار أن يُعلموني بما قد يسمعه الصحافيون والمخبرون الذين يعملون لديهم».

مضت مدة من الصمت قبل أن يتحدث الرئيس. مدة كافية حتى تنظر باربرا ستينهاوزر من فوق الأريكة حيث كانت تراقب المحادثة والمعلومات المتدفقة.

«هل يشمل ذلك ابنكِ؟» قال وليامز. «كما أتذكر، فهو يمتلك اتصالات قوية».

تجمد الهواء بينهما. أي وفاق هش كانا قد وصلا إليه، تشقق ثم تحطم تمامًا.

«لا أعتقد سيدي الرئيس، أنك تريد أن تُدخِل ابني في هذا الموضوع».

«ولا أعتقد سيدتي الوزيرة، أنكِ تريدين تجاهل سؤال مباشر من رئيسكِ بصفته القائد الأعلى للقوات المسلحة».

«لا يعمل لصالح أي من المنافذ الإعلامية التي كنت أمتلكها سابقًا».

«لم يكن ذلك هو السؤال أو القضية». كان صوت وليامز جافًا وحادًا. «إنه ابنكِ. ويمتلك اتصالات قوية. وبالنظر إلى ما حدث، فربما يعرف شيئًا».

«أتذكر ما حدث، سيدي الرئيس». إذا كانت نبرته جافة فقد كانت نبرتها جليدية. «لا أحتاج إلى تذكير».

تبادلا النظرات. عرفت باربرا ستينهاوزر أنه ربما يجب عليها أن تتدخل. أن تعيد التحضر إلى المحادثة. أن تعيدها إلى شيء مفيد وبنّاء من جديد. لكنها لم تفعل. تملّكها الفضول حتى تعرف كيف سينتهي الأمر. فلو لم يكن بنّاء، فقد يثبُت أنه «تعليمي».

«كان ليخبرني لو كان يعرف شيئًا عن التفجيرات».

«كان ليخبرك حقًا؟»

انفتح الجرح بينهما، وكشف عن فجوة أسفله. تمايل كلاهما إلى الحافة حتى سقطا فيها بسرعة مدوية.

افترضت باربرا ستينهاوزر أن نفور الرئيس من إيلين آدمز يرجع إلى استخدامها ترسانتها الإعلامية الهائلة لدعم منافسه

علـى ترشـيح الحـزب. وفـي خـلال ذلـك، انتهـزت كل فرصـة حتـى تهين دوجـلاس وليامـز. حتـى تقلل مـن شـأنه، وحتـى تصور أنـه غيـر كفـؤ ومخـادع.

غير جاهـز.

جبان.

حتـى إنهـا أقامـت مسـابقة، دعـت فيهـا القـراء إلـى أن يؤلفـوا جناسًـا تصحيفيًـا[16] لاسـمه.

أصبـح دوجـلاس وليامـز أجلـو ديـم لويـس Aglow Dim Luis، وبعـد خسـارته فـي انتخابـات الحـزب فـي ولايـة آيـوا، صـار اسـمه جلـوم آيـوا سـليد Glum Iowa Slid. تبعـت تلـك الألقـاب الرئيـس وليامـز فـي كل مـكان مـدة مـن الوقـت، وتمتـم بهـا أعداؤه السياسـيون. كانـت إيليـن آدمـز واحـدة منهـم. ويبـدو أن صعودهـا إلـى منصـب وزيـرة الخارجيـة لـم يغيـر أي شـيء. رددت فـي رأسـها.

آل جو ماد سويل Al Go Mud Swill.

أدركـت سـتينهاوزر أنهـا قـد ركـزت تركيـزًا شـديدًا علـى مديرهـا، ولـم تتوقـف لحظـة حتـى تتسـاءل عـن سـبب عـدم محبـة آدمـز القويـة لوليامـز. فيمـا تراقبهمـا، أدركـت أنهـا اسـتهانت بتلـك المشـاعر. لـم يكـن الشـعور الـذي مـلأ المكتـب البيضـاوي مجـرد عـدم محبـة أو حتـى غضـب. كان كراهيـة شـديدة جـدًا لدرجـة أن مديـرة مكتـب الرئيـس قـد توقعـت لحظـة أن تحطـم قوتهـا زجـاج النوافـذ. راحـت تتسـاءل الآن مـاذا يتذكـران. ومـاذا قـد حـدث بينهمـا فـي السـابق؟

16- الجنـاس التصحيفـي أو جنـاس القلـب: إعـادة ترتيـب حـروف كلمـة أو عبـارة دون زيـادة أو نقصـان للحصـول علـى كلمـات أو عبـارات جديـدة. (المترجـم).

«اتصلي به». زمجر الرئيس. «وإلا فأنتِ مطرودة من وظيفتكِ».

«لا أملك أي رقم له». شعرت إيلين بخديها يحترقان، وهي تعترف بذلك. «لسنا على تواصل».

«تواصلي معه».

طلبت هاتفها من مدير مكتب أمنها الدبلوماسي، والواقف خارج الباب مباشرة ثم أرسلت رسالة إلى بيتسي تطلب منها الاتصال بابنها، وتعرف إن كان لديه أي معلومات؛ أي شيء على الإطلاق يتعلق بالتفجيرات.

وصل رد في غضون دقائق.

«أريني». قال وليامز، وهو يمد يده.

ترددت إيلين قبل أن تناوله هاتفها. ما إن نظر إلى الرسالة حتى قطب حاجبيه.

«ماذا تعني؟»

كان دورها لتمد يدها. «إنها شيفرة استخدمها وصديقتي. شيفرة اخترعناها ونحن أطفال حتى نتأكد من أننا ما نقول أننا نكون».

على الشاشة ظهرت الكلمات.

غير متسلسل[17] Non Sequitur *يدلف إلى حانة...*

أعاد الهاتف إليها وهو يغمغم، «ترهات فكرية».

فكرت إيلين، *أحمق جاهل* فيما ترد على بيتسي.

في ريح هادرة، حتى الديك الرومي يستطيع الطيران.

17- غير متسلسل: عبارة غير ذات صلة بما سبقها. عادة ما تبدو غير منطقية أو فُكاهية. (المترجم).

بعد ذلك وضعت الهاتف فوق المكتب. «قد يستغرق الأمر مدة. لا أعرف أين هو. قد يكون في أي مكان من العالم».

«قد يكون في باريس». قال وليامز.

«هل تلمح إلى أن...»

***

رفعت آناهيتا ضاهر عينيها من فينة إلى أخرى لمشاهدة الصور. لكن في أغلب الوقت لقراءة الشريط أسفل شاشة التلفاز فوق الجدار داخل المكتب المفتوح الواسع. أرادت أن ترى إذا كان المراسلون يمتلكون معلومات أكثر منها، وهو أمر ليس صعبًا. انفجرت القنبلة الأولى في لندن في 2:17 ثم القنبلة الثانية في باريس منذ أقل من ساعة عند 09:36 لكن، بينما ترى المَشاهد والدورة غير المنتهية من انفجارات القنابل، أدركت أن ثمة شيئًا غير منطقي. كان المكان مضاء في لندن لذا لا يمكن أن يكون التفجير في منتصف الليل، وفي باريس لا يبدو أنها ساعة الذروة. ثم هزت رأسها، وتمتمت إلى نفسها مدركة خطأها. شبكة الأخبار الأمريكية قد حوّلت الوقت إلى التوقيت الشرقي الأمريكي. لذا فقد كان الوقت في أوروبا...» أجرت حسابات سريعة، وأضافت الساعات اللازمة قبل أن تجلس جامدة تمامًا. حدقت في الفراغ ثم رأت مرعوبة ما كان يجب أن يكون واضحًا لها. بدأت تزيح الأوراق عن مكتبها.

«ماذا تفعلين؟» سألها زميلها في الإدارة على المكتب المجاور. «أثمة خطب ما؟»

لكن لم تكن آناهيتا تنصت إليه. راحت تتمتم إلى نفسها، «يا إلهي، رجاء. أوه، رجاء». ثم كانت الورقة أمامها. أمسكت بها

لكن يديها كانتا تهتزان اهتزازًا شديدًا لدرجها أنها اضطرت إلى وضعها فوق المكتب حتى تقرأها. كانت الرسالة التي وصلت ليلة البارحة. الشيفرة. أمسكت بها، وركضت إلى مكتب مشرفها لكنه لم يكن هناك.

«في اجتماع». قالت مساعدته.

«أين؟ أحتاج إلى أن أراه. أمر عاجل».

كانت المساعدة تعرف مدى حداثة موظفة مكتب الشؤون الأجنبية في العمل، وبدت غير مقتنعة. أشارت بإصبعها إلى أعلى، إلى السماء أو أقرب شيء إليها؛ الطابق السابع في مكاتب ردهة الماهوجني.

«انظري، تعرفين ما يحدث. لن أقاطع اجتماعًا مع مدير مكتب الوزيرة».

«يجب أن تفعلي ذلك. الأمر يتعلق برسالة وصلت ليلة البارحة. أرجوكِ».

ترددت المساعدة قبل أن تجري المكالمة حينما لمحت الفزع في وجه المرأة الشابة.

«آسفة يا سيدي لكن آناهيتا ضاهر هنا. موظفة مبتدئة في إدارة الشؤون الأجنبية في مكتب باكستان. أجل. تقول إن لديها رسالة؛ شيئًا قد وصل ليلة البارحة».

أنصتت المساعدة إليه ثم نظرت إلى آناهيتا. «هل هي الرسالة نفسها التي أريت المشرف إياها؟»

«أجل، أجل».

«أجل، يا سيدي». استمعت إليه، ووافقت على ما قاله ثم أغلقت الخط. «يقول إنه سيتحدث إليكِ ما إن يرجع؟»

«ومتى سيرجع؟»

«لا أحد يعرف».

«لا. لا، لا، لا. يجب أن يرى هذه الآن».

«إذًا اتركيها معي. سأريه إياها حين يعود».

تشبثت أناهيتا بالورقة. «لا، سوف أفعل أنا ذلك».

عادت إلى مكتبها ونظرت إلى الورقة ثانية.

1536/38 ،0717/19

أرقام الحافلتين اللتين انفجرتا، وتوقيت الانفجارين بالضبط. لم تكن شيفرة. كانت تحذيرًا. وثمة مجموعة أخرى من الأرقام.

1848/119

حافلة رقم 119 سوف تنفجر في 6:48 هذا المساء. لو كانت في أمريكا، فأمامهم ثماني ساعات. ولو كانت في أوروبا... نظرت إلى صف الساعات التي تُظهر التوقيتات المختلفة في المناطق الزمنية كلها. كانت الساعة 4:30 عصرًا بالفعل في معظم أوروبا. يمتلكون ما يزيد قليلًا فقط على الساعتين.

تريّت آناهيتا ضاهر على أن تمتثل وتفعل ما تُخبَر به. تبعت -فتاة لبنانية طيبة- القواعد دائمًا. فعلت ذلك طيلة حياتها. لم يكن شيئًا غُرِس بداخلها. كان الأمر عفويًا. ترددت. تستطيع الانتظار. يجب عليها الانتظار. لقد أُمرت بأن تنتظر. لكنه أمر لا يحتمل الانتظار. وهم يجهلون ما فعلته. الأوامر المبنية على الجهل لا يمكن أن تكون شرعية، أليس كذلك؟ التقطت صورة الأرقام ثم جلست لحظة تحدق إليها. لحظة ثم أخرى. دقت عقارب الثواني في كل الساعات فوق الجدران، كل المناطق

الزمنيـة حـول العالـم. دقـت فيمـا يعـد العالـم عـدًا تنازليًـا، تيـك. تيـك. ويلومهـا علـى ترددهـا.

ثـم نهضـت آناهيتـا ضـاهـر منتفضـة حتـى أن مقعدهـا قـد سـقط. كانـت الحركـة فـي الحجـرة الواسـعة محمومـة فلـم يلاحظهـا سـوى زميلهـا، موظـف الشـؤون الأجنبيـة، بجوارهـا.

«هل أنت على ما يرام يا آنا؟»

لكنـه كان يوجـه حديثـه إلـى ظهـر آناهيتـا فـي أثنـاء توجههـا نحـو البـاب.

الفصل السادس

نظرت نسرين بُخاري حولها فيما تتوقف الحافلة رقم ٦٣ المتجهة من المطار إلى وسط فرانكفورت. كان جليًا الآن أن الرجل يتبعها غير أنها لا تستطيع أن تفعل سوى القليل حيال الأمر. التخلص من مراقبته يكاد يكون مستحيلًا. تمنت فقط أنه ما إن تصل إلى وجهتها حتى يعرف الأشخاص هناك ماذا يجب أن يفعلوا.

كانت قريبة الآن. لقد وصلت إلى هذه النقطة على الرغم من أن هذا لم يكن متوقعًا. كم تمنت الاتصال بأمير وسماع صوته وإخباره بأنها في أمان، وسماعه يقول إنه كذلك. جلست في مقعدها داخل الحافلة والتفتت إلى الوراء. كان الرجل يجلس على مبعدة صفوف قليلة وراءها. كانت مركزة تركيزًا شديدًا على الرجل الذي بات مألوفًا لها الآن حتى إنها قد فشلت في ملاحظة الرجل الآخر.

***

انتظرت آناهيتا أمام صف المصاعد.

مصعد واحد فقط يفتح مباشرة في ردهة الماهوجني. وقد كانت أرضيته مغطاة بألواح من خشب الماهوجني على نحو غير مفاجئ. يمكن دخوله فقط باستخدام مفتاح خاص. لا سبيل آخر للصعود. ولم تمتلك آناهيتا المفتاح بالطبع. أو الترخيص باستعماله. لكن المرأة التي تنتظر المصعد كانت آناهيتا شبه متأكدة، تمتلكه. كانت منحنية فوق هاتفها، وتكتب بسرعة، وقد

بدت متوترة. الجميع يبدو متوترًا من حراس الأمن حتى كبار الموظفين. أدارت آناهيتا بطاقتها التعريفية حتى تُخفي اسمها، وهرولت بخطوات حازمة. توقفت، ونظرت إلى باب المصعد المغلق. أطلقت تنهيدة تنم عن نفاد صبرٍ، وغمغمت بشيء ما بصوت خفيض. ثم أخرجت هاتفها، وأمعنت في النظر إليه، في محاولة أن تبدو مركزة. رأسها منخفض. مستغرقة في ما تفعله.

«عذرًا...» بدأت المرأة الأخرى تتحدث. كانت تتساءل بوضوح عن هوية هذه الغريبة. ولماذا تريد الذهاب إلى الطابق السابع.

نظرت آناهيتا إلى أعلى، ورفعت يدها كأنها تقول، *امنحيني لحظة فحسب*. ثم عادت إلى التركيز في رسالتها التي بدت بالغة الأهمية. ثم لتجعل الأمر يبدو مُقنعًا، كتبت، *أين أنت؟ هل سمعت الأخبار؟* وصل المصعد. دخلت المرأة التي عادت الآن إلى هاتفها. تبعتها آناهيتا.

الجميع مسعور هنا، واصلت الكتابة بينما تنغلق أبواب المصعد. *أي أفكار؟* ما إن صاروا في الداخل حتى انطلق بهم المصعد إلى الطابق السابع مباشرة.

***

اهتز هاتف جيل باهار مع وصول رسالة. تقلب في مقعده، وهو يقرؤها. ثم ضغط على هاتفه منزعجًا دون أن يرد. لا يمتلك وقتًا لهذا الهراء. بعد دقائق قليلة، بعد أن غادرت الحافلة المحطة، وصار إبعاد عينيه عن هدفه آمنًا، فتح هاتفه مجددًا، وأرسل ردًا سريعًا.

في فرانكفورت على متن الحافلة. سأوافيك بالمزيد لاحقًا.

أرسلت بيتسي الرد دون تعليق في أثناء دخول إيلين اجتماع الحكومة. قرأتها إيلين قبل أن تسلم هاتفها إلى عميل الأمن السري أمام الباب الذي ضمّه إلى الهواتف الأخرى في أدراج مغلقة.

ما إن دخلت إيلين الحجرة حتى نظر القليل من زملائها في الحكومة إليها، وقالوا: «امرأة قذرة». ابتسمت معربة عن تقديرها المزحة. تعرف أن البعض يمزح، لكن البعض الآخر يضحك ساخرًا منها. انتشر التعبير انتشارًا مدويًا، وتبنى الجميع سريعًا استخدام «امرأة قذرة» واختارته الجماعات النسوية شعارًا ضد الذكورية السامة. بالكاد تستطيع إيلين، وهي تطوف بعينيها حول المائدة أن تنعت أي من زملائها بأنه سام على وجه الخصوص. تعرف أن وزراء الحكومة مجموعة تضم بعضًا من أرقى العقول التي أنجبتها البلاد في الشؤون المالية والتعليم والرعاية الصحية والأمن القومي، ولم يتورط أي منهم في العبث الذي شهدته السنوات الأربع السابقة.

لكن نتيجة لهذا أيضًا، لا يمتلك أي منهم خبرة كافية في المستويات العليا من إدارة شؤون الحكم. هم أذكياء، وبعضهم حتى عباقرة وملتزمون وحسنو النيات وجادون في عملهم. مع هذا لم يمتلكوا أي معرفة عميقة بدهاليز السياسة أو أي ذاكرة مؤسسية. لم يبنوا بعد جهات اتصال قوية وعلاقات جوهرية. ولم تتشكل الثقة بعد بين هذه الإدارة والعالم خارج هذه الجدران. كيف ذلك، والثقة لم تُبنَ داخل الجدران بعد؟

لقد تخلصت الإدارة السابقة من أي ناقد لسياساتها. وعاقبت الأصوات المُعارِضة. أخرست جميع المعارضين من أعضاء مجلس الشيوخ حتى أعضاء الكونجرس، ومن وزراء الحكومة حتى رؤساء المكاتب الوزارية والأمن.

الولاء التام للرئيس دَن وقراراته مهما كانت مدفوعة بالكبرياء وجاهلة وخطِرة خطرًا واضحًا، كان مطلوبًا من الجميع. أحلَّت الإدارة السابقة المختلّة -بصورة متزايدة- الولاء الأعمى محل الكفاءة بوصفه عاملًا حاسمًا في التعيينات.

ما إن دخلت الوزيرة آدمز الإدارة بصفتها وزيرة الخارجية حتى أدركت سريعًا أن لا وجود لشيء اسمه الدولة العميقة. لا شيء عميق يتعلق بها. لا شيء مخفي. كان الموظفون الدائمون والمعينون السياسيون[18] يجوبون الأروقة، ويجلسون في الاجتماعات، ويتشاركون دورات المياه والطاولات في الكافتيريات.

لأولئك الذين تركتهم إدارة دَن وراءها نظرات شاخصة تمتد لألف ياردة، أشبه بنظرات محاربين انفصلوا أخيرًا عن الفظائع من حولهم. فظائع ارتكبوها بأنفسهم.

والآن، بعد شهر واحد، حدثت هذه الأزمة.

«إيلين». قال الرئيس وليامز، وهو يلتفت إلى وزيرة الخارجية عن يساره. «ما الذي يمكنكِ أن تخبرينا به؟»

نظرت إلى تعبير وجهه السمج وهو يرمي القذيفة إليها. عرفت إيلين في تلك اللحظة أن الوحشية لا تأتي كلها من المعارضة.

18- السياسيون المعنيون: مصطلح سياسي يطلق على أولئك الذين يعينهم رئيس الجمهورية الأمريكي أو نائبه أو مدير أحد الوكالات الحكومية تعيينًا مباشرًا. (المترجم).

لا يرغب الجميع في شفاء الجروح القديمة.

***

سمحت آناهيتا للمرأة الأخرى بالخروج أولًا وهي تمد يدها إلى الأمام وتقول بوقار وثقة: «تفضلي»، فيما تردد بداخلها *«أرجوك، أرجوك»*.

توقفت أمام المصعد متظاهرة بأنها تقرأ رسالة مهمة أخرى لكنها في الحقيقة تعطي المرأة الوقت حتى تختفي داخل إحدى الحجرات.

ثم شخصت بعينيها عبر الممر الطويل.

تيك. تيك. تيك.

ردهة الماهوجني الشهيرة. شعرت كأنها تسير داخل نادٍ للرجال في نيويورك أو لندن. الممر أمامها واسع وأرضيته ذات ألواح خشبية داكنة، وصور لوزراء الخارجية السابقين تعلو الجدران. تكاد آناهيتا تشم رائحة السيجار. لكن ما شمته حقًا كان الرائحة القوية للزنابق الشرقية المرصوصة بترتيب جذل على مائدة جانبية برّاقة في منتصف الممر. كانت ردهة الماهوجني خلابة. بُنيت لتكون كذلك. حتى تبهر الزائرين المحليين والأجانب، وحتى تعكس قوة ورسوخًا.

وقف عميلان من الأمن الدبلوماسي إلى جانبي الأبواب المزدوجة الطويلة في منتصف ردهة الماهوجني. خمنت آناهيتا أنه مكتب وزير الخارجية غير أنه لم يكن غايتها، بل حجرة الاجتماعات. لكن أي باب يفضي إليها؟ لا تستطيع أن تفتحها جميعًا، وقد بدأ العميلان يلتفتان باتجاهها.

اتخـذت آناهيتـا قـرارًا. ليـس هـذا هـو الوقـت المناسـب لتكـون ابنـة أمهـا أو أبيهـا. كان هـذا الوقـت لتكـون شـخصًا آخـر. قـررت أن تُخـرِج شـخصية لينـدا مطـر[19] مـن داخلهـا؛ بطلتهـا الشـخصية. أغلقـت هاتفهـا وتركتـه مـع الأمـن ثـم مشـت بتصميـم عبـر الممـر مباشـرة نحـو العميليـن.

«أنـا موظفـة فـي إدارة الشـؤون الأجنبيـة مـن مكتـب باكسـتان. لقـد طُلـب منـي أن أسـلم رسـالة إلـى مشـرفي مباشـرة. كيـف أسـتطيع العثـور علـى حجـرة الاجتماعـات؟»

«شارتكِ، سيدتي؟»

«سيدتي»؟

أدارتها، وأظهرتها له.

«لا يجب أن تكوني في هذا الطابق».

«أجل، أعـرف. لكن طُلب منـي أن أسـلم رسـالة. انظـر؛ فتشـني ثم رافقنـي، افعل مـا تشـاء لكننـي أحتاج إلـى توصيل الرسـالة. الآن.»

تيك. تيك. تيك.

تبـادل الضابطـان النظـرات. ثـم علـى إثـر إيمـاءة مـن الأعلـى رتبـة، فتشـت العميلـة آناهيتـا تفتيشًـا سـريعًا قبـل أن تمشـي معهمـا عبـر الممـر حتـى بـاب دون أرقـام أو لافتـة.

طرقـت آناهيتـا البـاب. مـرة، اثنتيـن، ثـلاث مـرات. طـرقـت بـدوي أعلـى وبقـوة أكبـر.

19- لينـدا مطـر: ناشـطة لبنانيـة متخصصـة فـي الدفـاع عـن حقـوق المـرأة. ترأسـت المجلس اللبنانـي لحقـوق المـرأة ثلاثيـن سـنة. حـازت أكثـر من تكريـم دولـي، واكتسـبت شـهرة واسـعة بفضـل كفاحهـا الطويـل مـن أجـل قضايـا المـرأة. (المترجـم).

ليندا مطر. تنفسي. ليندا مطر. تنفسي.

انفتح الباب فجأة. «أجل؟» سأل شاب قوي البنية ووجهه يشبه النمس: «ما الأمر؟»

«أحتاج إلى الحديث إلى دانيل هولدين. أُدعى آناهيتا ضاهر. أعمل في إدارته. أحمل رسالة».

«نحن وسط اجتماع. لا يمكن إزعاجه...»

ليندا مطر.

دفعته آناهيتا لتتجاوزه.

«أنتِ؟»! صاح.

التفتت كل الوجوه حول مائدة الاجتماع. توقفت آناهيتا ومدت ذراعيها أمامها؛ إشارة إلى الاستسلام. حتى تُظهِر أنها لا تقصد أي ضرر. تفحصت الوجوه بحثًا عن...

«ماذا تفعلين هنا بحق الجحيم؟» نهض دانيل هولدين، وهو يحدق إليها.

«الرسالة».

أحاط بها العملاء في اللحظة التي قال فيها مديرها، «أعرفها. الأمور على ما يرام». ثم ركز على آناهيتا. «أعرف أنكِ تعتقدين أن رسالتكِ مهمة. كل شيء مهم اليوم بما في ذلك ما نناقشه هنا على وجه التحديد. عليكِ أن تغادري. سوف أتحدث إليكِ لاحقًا».

نبرته هادئة لكن حازمة. لن تقبل ليندا مطر هذا التعالي الأبوي غير أن آناهيتا ضاهر لم تكن ليندا مطر حقًا. أومأت ووجهها يحترق عارًا. قالت، «آسفة، سيدي». ثم التفتت فجأة، وهي تقاوم أمها وأبيها وحاجتها الداخلية إلى إرضاء الآخرين، وأمسكت يده ودست الورقة المجعدة بداخلها.

«اقرأها بحق الرب. اقرأها. سيحدث هجوم آخر».

راقب دانيل هولدين آناهيتا وهي تُدفع إلى خارج الحجرة، وقد داهمته رغبة في أن يناديها. ثم ما إن حدق إلى الورقة حتى رأى أنها لا تحوي أي ذِكر لهجوم آخر؛ مجرد أرقام ورموز. فكر أن موظفة إدارة الشؤون الأجنبية مجرد موظفة مبتدئة. إنسانة مذعورة أخرى تحاول أن تجعل نفسها أهم مما تكون. لا يمتلك الوقت الآن لذلك.

ما إن وضع الورقة في جيب معطفه وقد قرر إلقاء نظرة إليها لاحقًا حتى عاد إلى مقعده وهو يعتذر على المقاطعة.

تيك. تيك. تيك.

في الخارج؛ رافق الأمن آناهيتا عبر الممر إلى المصعد، وراقبوها حتى غادرت.

***

عادت آناهيتا إلى مكتبها على مبعدة طوابق عدة في الأسفل، وقد علمت في قرارة نفسها أنها قد فشلت. من النظرة إلى وجه مشرفها، عرفت أنه لن يقرأ الرسالة. ليس في الوقت المناسب على أي حال. حسنًا، على الأقل قد حاولت. بذلت قصارى جهدها.

نظرت إلى الشاشات التي تعرض مشاهد من باريس ولندن. صور لرجال ونساء جرحى يغطيهم الرماد والدماء. صور لمارة يحاولون تضميد جراح لا يمكن تضميدها. ينحنون على ركبهم ويمسكون أيدي المحتضرين. يرفعون أعينهم بحثًا عن أي مساعدة. كانت مشاهد دمار فظيع؛ مجزرة. دائرة مفرغة من

فيديوهات كاميرات المراقبة تعرض مشهد قتل رجال ونساء على نحو متكرر، أشبه بموت بروميثيوس[20].

لم يتبق سوى أكثر قليلًا من ساعتين على التفجير التالي إذا صدقت الرسالة التحذيرية. علمت آناهيتا أن شيئًا آخر وحيدًا يمكنها أن تجريه. شيء مقتت فعله لكن لا مفر أمامها الآن. فتحت الفيس بوك حيث عثرت على زميل دراسة سابق. ومن خلاله، حصلت على اسم شخص آخر، ثم اسم شخص ثالث، وهلم جرًا. بعد عشرين دقيقة ثمينة، عثرت على الشخص الذي تحتاج إليه. الشخص الذي تمقته.

***

غادرت الوزيرة آدمز اجتماع الحكومة مبكرًا. شعرت إيلين بأن السيارة تقودها للمرة المئة منذ أن أُجبِرت على النهوض من الفراش في الساعة 2:35 من صباح اليوم، بين البيت الأبيض والقاع الضبابي.

ما إن أصبحت داخل مبنى وزارة الخارجية حتى توجهت مباشرة إلى حجرة الاجتماعات الخاصة حيث انضم إليها مدير مكتبها تشارلز بوينتون ومعاونون آخرون. أجرت الوزيرة اتصالات مع جهات عدة. مع نظرائها وخبراء أمنيين. مع غياب المعلومات، فإن الرأي الذي أجمع عليه أعضاء الحكومة أنه لن يكون هنالك هجوم آخر. ولو كان هنالك هجوم آخر، فلن يحدث غالبًا داخل

20- وفقًا للأساطير الإغريقية، عاقب زيوس بروميثيوس على جرائمه بأن قيده بالأصفاد، وأرسل صقرًا ليلتهم كبده المتجدد كل نهار، غير أنه كان ينمو ثانية كل ليلة. لذا يُشبّه أي شيء يتكرر بـ«موت بروميثيوس». (المترجم).

الأراضي الأمريكية. لذا مع أن الأمر مأساوي فإنه لا يعدّ مسألة أمن قومي. سوف يساعدون حلفاءهم بأي طريقة ممكنة غير أن الرسالة التي يحتاجون إلى نقلها إلى الشعب الأمريكي هي الثقة بأنهم في أمان.

قال مدير مكتب الاستخبارات والأبحاث بعد ضغط من إيلين، إنهم لا يمتلكون أي دليل، لكن مع عدم تحمل أي منظمة مسؤولية التفجيرات، فإنه من المنطقي افتراض أن من نفذ التفجيرين ذئبان منفردان عملا بالتنسيق بعضهما مع بعض.

«كيف يمكن ذلك؟» سألته إيلين. «الذئاب المنفردة بالتعريف، لا يعملون بالتنسيق بعضهم مع بعض».

«ربما كانوا قطيعًا صغيرًا».

«آه». قالت، وقد قررت أن لا تهدر ثانية أو نفسًا آخر في هذه المحادثة.

الآن، وبينما تجلس في حجرة الاجتماعات الخاصة، وهي تستمع إلى تقارير لا تكشف عن أي شيء جديد، فكرت إذا كانت مغادرتها اجتماع الحكومة قبل انتهائه خطأً كبيرًا.

في ذلك المستوى من السياسة، كانت إيلين تثمِّن القاعدة التي تقول:

إنْ لم تكن تجلس إلى المائدة فأنتَ في قائمة الطعام.

لكن فليفعلوا أسوأ ما يمكنهم فعله. فالمائدة التي تجلس إليها الآن هي المائدة التي تحتاج إلى أن تكون عليها.

«صلني بمدير المخابرات الوطنية». قالت. «لدي بعض الأسئلة».

الفصل السابع

لـم تمـض سـوى سـويعات علـى انفجـار القنبلـة الأولـى، مـع هـذا جلس محاسـبون بالفعل في مكتب كاثريـن آدمـز يحذرونهـا مـن أزمـة وشـيكة.

«لا يمكننـا أن نحـول المـال عشـوائيًا إلـى مكاتبنـا فـي الخـارج بهـذه الطريقـة». شـرح رئيس قسـم المحاسـبة فـي شـركة الإعـلام العالميـة. «نحتـاج إلـى تبريـر. بهـذا المعـدل سـنكون قـد أرسـلنا مليـون دولار بحلـول الظهيـرة».

«عشـوائيًا؟» سـأل مديـر قطـاع الأخبـار. «هـلا أخرجـت رأسـك من مؤخرتـك لحظـة حتـى تلاحـظ أن...» لـوَّح إلـى الشاشـات الصامتـة التـي تعـرض الصـور المروِّعـة التي تُبـث عبـر محطـات القنـاة محليًـا وعالميًـا. «أليـس ذلـك مبـررًا كافيًـا؟ يحتـاج الصحـافيـون إلـى دعـم، وذلـك يكـون مـن خـلال المـال. ويحتاجـون إلـى ذلـك الآن».

«لـو اسـتطعنا الحصـول على إيصـالات...» شـرع أحـد المحاسـبين يتكلم.

«أجـل. هـل إيصـالات مكتوبـة بالـدم سـتفي بالغـرض لديـك؟» صـاح.

التفت كلاهما إلى كاثرين وهما ثائران.

تشـغل كاثريـن منصـب المديـر العـام للشـركة منـذ أشـهر قليلـة فقـط، وكان هـذا أول اختبـارٍ حقيقـيٍّ لهـا. لكنهـا قـد ترعرعـت فـي أسـرة إعلاميـة، وهـي تشـاهد أمهـا تتنقـل بيـن قضايـا صحفيـة وسياسـية وقضايـا تتعلق بالعدالـة، وتتعامـل مـع شـخصيات «الأنـا»

فيها متضخمة، وهو شيء يوجد على نطاق واسع بين الصحفيين الساسة. وكثيرًا ما كانت تتغاضى عن أمور واضحة وضوح الشمس، وكانت تناقش وتقنع بالحجة. كانت هذه أمور تحدث والداها معها عنها على مائدة العشاء طيلة حياتها. كانا يجهزانها من أجل هذه الوظيفة طيلة حياتها.

مع أن أخاها غير الشقيق قد سلك مسلك أبيه وأصبح صحافيًا، حذت هي حذو أمها وصارت المديرة. لكن لم يهيئها أي شيء للتعامل مع هذا. الشيء الوحيد الذي تعلمته هو فن أن تبدو واثقة مع أن كل ما تريده هو أن تنحني وتختفي تحت المكتب وتترك شخصًا آخر يتخذ القرارات.

«يجب أن نظل عقلانيين». ناشدها رئيس المحاسبات. «لو خضعنا لتدقيق حسابي، ولم نكن نمتلك دليلًا يُثبت أين ذهب المال...»

«ماذا سيحدث؟» سأل الصحافي. «هل سنتعرض للتفجير؟ يبدو أنك لا تفهم. الصحافيون على خط المواجهة. يحصلون على معلومات عن تلك التفجيرات أسرع من الوكالات الاستخباراتية. وكيف يفعلون ذلك؟ بأن يطرحوا الأسئلة بتهذيب؟ بأن يقولوا، أرجوك، وشكرًا؟ بأن يقدموا حليبًا و...»

«أفهم ما ترمي إليه ولكن عليك أن تؤكد على الصحافيين تحت إمرتك أن هذا المال ليس مالهم الخاص. يجب أن يكونوا ناضجين...»

نظر إلى كاثرين آدمز. فكرت كاثرين؛ *قولي شيئًا. تولي القيادة. من أجل الرب؛ قولي شيئًا.*

«ناضجـون؟ هـل تمتلـك أدنـى فكـرة عمَّـا تتطلبـه تغطيـة أخبـار الحـروب، وحـركات التمـرد»، قـال رئيـس الصحافييـن، «أن يقضـي صحافـي سـنوات وهـو يُقـوي شـبكة اتصالاتـه ومصـادره داخـل المنظمـات الإرهابيـة. ولا داعـي لذكـر وكالات الاسـتخبارات التـي قـد تكـون أكثـر إثـارة للرعـب بكثيـر. يتطلـب ذلـك شـيئين: الشـجاعة والمـال. يتكفلـون هـم بالشـجاعة لأنـك لا تمتلـك أيًّـا منهـا لتقدمهـا إليهـم، غيـر أنـك تسـتطيع علـى الأقـل أن تزودهـم بالمـال. الآن».

التفت إلى كاثرين بحنق. «اشرحي لهم الأمر. سأغادر».

ارتجـت الحجـرة بينمـا ينغلـق البـاب وراءه بـدوي مرتفـع. التفـت المحاسـبون إلـى كاثريـن، وانتظـروا.

«افعل الأمر فحسب». قالت.

«نحن نستنزف المال».

نظـرت كاثريـن مـن فـوق كتفـه إلـى صـف شاشـات العـرض. إلـى المشـاهد فـي لنـدن وباريـس. ركـزت ثانيـة علـى رئيـس المحاسـبات. صديـق قديـم للعائلـة.

«افعل ذلك».

مـا إن يجمـع أوراقـه وموظفيـه ويرحـل حتـى تنظـر كاثريـن إلـى رسـالة البريـد الإلكترونـي الـواردة مـن أمهـا. كتبـت إلـى كاثريـن صيغـة الطلـب الرسـمية التـي سـتقدمها إلـى رئيـس الأخبـار مـن أجـل مشـاركة أي معلومـة يجمعهـا صحافيوهـم قـد تكـون مفيـدة، مـع وزارة الخارجيـة قبـل إذاعتهـا علـى الهـواء. لـم تسـأل كاثريـن رئيـس الأخبـار إن كان يخطـط لتنفيـذ الطلـب أم لا. ولـم يتطـوع رئيـس الأخبـار بـأن يخبرهـا بذلـك. مـن الأفضـل ألا يـراك أحدهـم، وأنـت تحـاول أن

تفرض شيئًا أو يُفرض عليك شيءٌ. بالإضافة إلى أن الصحافة ليست مهارتها الأقوى. تركت ذلك لأفراد عائلتها الآخرين. كانت مديرة مثل أمها.

كان من الواضح لها أن أمها تنشر شبكة واسعة في محاولة لجمع أكبر قدر ممكن من المعلومات. ثمة إشاعة أذاعتها قناتهم الإخبارية أن الوزيرة آدمز قد تواصلت مع وزراء الخارجية السابقين لها، من أجل أن تطلب منهم أي رؤية قد يمتلكونها لما يحدث. انقسم تفسير الخبراء تلك الخطوة، فقد عدّها البعض بادرة جريئة من وزيرة الخارجية التي استطاعت أن تضع كبريائها وحزبها جانبًا من أجل صالح الدولة، فيما رآها البعض مضيعة حمقاء للوقت من وزيرة خارجية بائسة وغير مؤهلة لأداء مهام عملها، وتفتقد أي عمق.

كان على الباب طرقة ثم انفتح باب مكتب كاثرين ودخلت مساعدتها بنشاط محموم. «ربما تريدين رؤية ذلك. لقد وردت عبر بريدك الإلكتروني القديم». ناولت الهاتف إلى مديرتها. «يبدو أنها عرفتكِ في أيام المدرسة».

«ليس لدي وقت...»

«تعمل في وزارة الخارجية الآن».

«عظيم، شكرًا لكِ».

ما إن تغادر مساعدتها حتى تحدق كاثرين إلى الرسالة. كانت مقتضبة ومباغتة.

كنا معًا في المدرسة الثانوية. أحتاج إلى التحدث إليكِ.

كانت موقّعة: آناهيتا ضاهر، إدارة الشؤون الأجنبية، شؤون

جنوب ووسط آسيا، وزارة الخارجية. مالت كاثرين بجسمها إلى الوراء في مقعدها. تذكرت شخصًا تدعى آنا داب... فتاة صغيرة الحجم وثرثارة كانت تشي بأي أحد يدخن السجائر أو الماريجوانا، أو يحاول أن يتسلل إلى الفصل متأخرًا، أو يغش في أثناء الامتحان. كانت بمثابة «حيوان أليف» للمعلمين الذين كانوا يمقتونها بدورهم. كانوا يتلذذون بإلقاء الكرات نحو جسمها لا إليها في أثناء لعب كرة السلة، وبعرقلتها في أثناء لعب كرة القدم، وبضرب ذقنها في أثناء لعب الهوكي. لم يكن تنمرًا بل تسديد حساب. عرفت كاثرين أنه لم يكن عقابًا بل نتيجة. لقد سبَّبت آنا داب... ذلك لنفسها.

لكن بعد خمسة عشر عامًا، عرفت كاثرين شيئًا. أنه مهما كانت المبررات فقد كان ذلك قاسيًا. ماذا قد تريد آنا من كاثرين الآن؟ واليوم من بين كل الأيام. ضغطت على أيقونة الرد وطلبت رقم هاتف آنا. ظهر الرقم في غضون ثوانٍ. أجرت الاتصال. رد الشخص على الطرف الآخر من الخط في الحال.

«آنا؟»

«كاثي؟»

«اسمعيني يا آنا. كنت أنوي التواصل معكِ منذ مدة. أنا آسفة...»

«اصمتي، وأنصتي إليّ». قاطعتها آنا. ارتفع حاجبا كاثرين. لم تكن هذه «آنا داب...» التي تذكرتها.

«أحتاج إلى الحديث إلى والدتكِ؟»

«ماذا؟ أين أنتِ؟ هل هذا صوت مرحاض؟»

كان كذلـك. مـا إن تلقـت رسـالة كاثريـن حتـى غـادرت مكتبهـا إلـى حمـام السـيدات. كانـت داخـل أحـد حجيـرات المراحيـض، وقـد جعلـت الميـاه تندفـع داخـل المرحـاض حتـى تحجـب صوتهـا.

«أتوسل إليكِ. هل تستطيعين إيصالي بأمكِ؟»

«لماذا؟ ما الأمر؟ هل يتعلق بالتفجيرات؟»

عرفـت آناهيتـا أن ذلـك السـؤال سـيُطرح عليهـا، وعرفـت أن كاثـي -كاثريـن آدمـز الآن- قـد حلـت محـل أمهـا بوصفهـا رئيسـة هـذه المنظمـة الإخباريـة القويـة والهائلـة.

آخـر شـيء أرادتـه آنـا أن يتسـرب مـا تعرفـه عبـر كل وسـائل الأخبـار.

«لا أستطيع أن أخبركِ».

«حسـنًا، سـوف تخبرينـي». قالـت كاثريـن. «لسـت متأكـدة حتـى إذا كنـت أسـتطيع الدخـول إلـى الـوزارة لرؤيتهـا. فلمـاذا سـأُدخلكِ أنـتِ؟»

«لأنك مدينة لي».

«مـاذا؟ أديـن لـكِ باعتـذار، وهـو مـا حاولـت أن أقدمـه لـكِ. وأنـا آسـفة لكننـي لا أديـن لـكِ بهـذا».

«أرجوكِ، أرجوكِ. لدي شيء تحتاج إلى أن تراه».

«ماذا؟»

«لـن... أخبـركِ»! يتخلـل كلمـات آنـا صـوتُ اندفـاع الميـاه فـي المرحـاض.

«أوه، مـن أجـل الـرب، قبـل أن تُفـرغـي نهـر بوتومـاك، قابليني خارج المبنـى، عنـد مدخـل شـارع رقـم ٢١ في الركن الشـمالي الشـرقي».

«أسرعي».

«أجل، حسنًا، الآن أحتاج أنا إلى الذهاب إلى الحمام».

***

تيك. تيك.

نظرت آناهيتا إلى هاتفها. لقد ضبطت المنبه ليرن في ١٢:٤٨ بعد الظهر. ١٨٤٨ (٦:٤٨ مساء) في أوروبا. التوقيت الذي ستنفجر فيه القنبلة الثالثة. ساعة هاتفها الآن ١٢:٠١. دقيقة واحدة بعد الظهر. أمامهم سبع وأربعون دقيقة.

«آنا؟»

التفتت آناهيتا، ورأت امرأة مألوفة لها بصعوبة، تركض عبر الشارع. ارتدت معطف تويد مثاليًا، وحذاء عالي الرقبة يبدو أنه مصنوع من أجل امتطاء الخيل. تمتلك شعرًا كستنائيًا طويلًا وعينين بنيتين عميقتين. المرأة البالغة التي أصبحت عليها الفتاة التي شاهدتها آنا آخر مرة، وهي تعطيها ظهرها في آخر يوم من المدرسة.

رأت كاثرين في آنا الفتاة نفسها تقريبًا التي رأتها آخر مرة قبل خمس عشرة سنة، وهي تتملق الناظر دونما سبب في آخر يوم من المدرسة. لا تزال قصيرة، ربما أنحف. وأجمل مما تتذكر كاثرين. شعرها أسود فاحم، وبشرتها بنية مصفرة وصافية. وعيناها البنيتان حادتان كالعادة لكنهما تعكسان الآن ثقة وإصرارًا لم يكونا من قبل.

«كاثي؟» قالت آناهيتا. «شكرًا للموافقة على لقائي».

«ماذا بجعبتكِ؟»

ترددت آناهيتا. «لا أستطيع إخباركِ. يجب أن تثقي بي».

«لا أستطيع أن أُدخلَكِ فحسب. هل يمكنكِ تخيل ما تواجهه أمي؟ مقاطعة عملها...»

«أعرف بالتحديد ما تواجهه الوزيرة آدمز. ربما أعرف أكثر مما تعرف. انظري، لدي معلومات».

حينما بدت كاثرين مرتابة وقلقة من أنها تتعامل مع امرأة مجنونة أو أسوأ، قالت آناهيتا، «هل عهدتني سوى أن أكون صريحة؟ صريحة صراحة مبالغ فيها أحيانًا. لا أكذب أبدًا. لا أخون أبدًا. لا أخترق أي قواعد. حاولت أن أعرض هذه المعلومات على مشرفي لكنني لا أعتقد أنه يأخذ الأمر على محمل الجد. أرجوكِ».

نظرت كاثرين إلى الوجه أمامها. فيه خوف حقيقي. استنشقت نفسًا عميقًا ثم زفرته قبل أن تُخرج هاتفها، وترسل رسالة. بعد لحظة، صدر عن الهاتف رنة.

«هيا بنا. نستطيع الصعود إلى الطابق السابع على الأقل، لكنني لا أضمن أن أمي سوف تقابلك».

هرولت آنا وراءها، وساقاها القصيرتان تأخذان خطوتين سريعتين في مقابل خطوة واحدة لكاثرين.

تيك. تيك.

قابلتهما في الردهة امرأة طاعنة في السن تشبه السيدة كليفر من المسلسل القديم «اترك الأمر لبيفر» الذي كانت تشاهده آناهيتا على التلفاز في وقت متأخر من الليل عندما كان الأرق يصيبها.

«هذه أقرب صديقات أمي، ومستشارتها الآن»، قالت كاثرين، «بيتسي جيمسون. آنا داب...»

«ضاهر». صححت آناهيتا اسمها لها.

«أحضرت لكما تصريحين بالدخول». ناولتهما بيتسي التصريحين. «ما الأمر بحق الجحيم؟ لقد اخترتما أسوأ وقت للزيارة».

رفعت آنا حاجبيها. يبدو أن سيناريو السيدة كليفر قد تغير.

«لا أعرف عما يدور الأمر أيضًا». اعترفت كاثرين، وهما تتبعان بيتسي إلى المصعد بأرضيته الخشبية الذي كان ينتظرهن في الرواق. «إنها ترفض أن تخبرني».

لم تتذكر آناهيتا عميلي الأمن في الطابق السابع إلا بعد أن انغلقت أبواب المصعد ولم يبقَ سبيل للتراجع. دعت حتى يكون في مناوبة الحراسة تغيير.

نظرت إلى الهاتف.

إحدى وأربعون دقيقة متبقية.

***

وقف جيل في الصف أمام موقف الحافلة. لم يعد مهتمًا بأن يختبئ. في الحقيقة أرادها أن تراه. أن تعرف وتشعر بذلك النفس الحار.

عرف أن المرأة الآن لا بد من أنها تعرف أنه يتتبعها. مع هذا كان يعلم أيضًا أن المرأة لا تستطيع أن تحيد عن خطتها. ولا يستطيع هو كذلك.

***

تركت نسرين حافلتين تجيئان وتذهبان. ما إن توقفت الحافلة الثالثة حتى صعدت على متنها. استنشقت رائحة أمير الأشبه بالمسك في أثناء احتضانها حقيبته الجلدية المهترئة بقوة. اعترفت لنفسها الآن أن الحقيبة الجلدية غالبًا كل ما تبقى لها منه. لقد خاطرا بكل شيء من أجل إخراجها وبحوزتها الحقيبة من البلاد. لقد خسرت كل شيء. وخسر هو أكثر من ذلك. لكن مع هذا الاعتراف، داهمها هدوء غير متوقع، وشعور بالحرية. الأسوأ قد حدث. لم تعد خائفة.

استقرت نسرين في الركن الخلفي من الحافلة حيث تستطيع على الأقل مراقبته هذه المرة بدلًا من العكس. صعد جيل إلى الحافلة، وجلس في الجهة المقابلة على مبعدة صف منها.

جلس الرجل الآخر البعيد عن الأنظار أمام نسرين مباشرة. ثم شرعت الحافلة رقم 119 تتحرك.

***

«توقفي مكانكِ!»

توقفت آناهيتا.

«ما الأمر بحق الجحيم؟» سألت بيتسي. «إنها ضيفتي. دعها تمر».

«هل تعرفين هذه المرأة؟» سألت العميلة، ويدها مستقرة فوق مسدسها.

«بالطبع، أعرفها». كذبت السيدة كليفر. «وهل تعرفانها؟» أشارت بيتسي إلى كاثرين.

أومأ العميلان.

«جيد. اسمحا لنا بالمرور».

كان قلب آناهيتا يخفق بقوة حتى أنها فكرت أن الآخرين يستطيعون رؤيته ينبض عبر معطفها الشتوي السميك.

حدقت العميلة إليها ثم أومأت بهزة رأس واحدة صارمة.

«شكرًا»، قالت آناهيتا مع أن ذلك بدا أنه قد استفز العميلة أكثر.

دلفن إلى المكتب الخارجي. لم يكن كما تخيلته آناهيتا على الإطلاق. تخيلت أرضية ذات ألواح خشبية داكنة أكثر من الخارج. ومقاعد جلدية ضخمة. وسجادة مخملية سميكة تبدو مبهرة لو لم يفحصها أحدهم من كثب. مثل كل شيء آخر يتعلق بالحكومة. كانت آناهيتا تتعلم شيئًا جديدًا كل يوم. *سيبدو خلابًا لو لم تقترب أكثر.*

مع هذا كانت حجرة انتظار مكتب الوزيرة آدمز مختلفة تمامًا. أسوأ. ثمة سقالات وقطع مشمع. الأرضية الخشبية المتهالكة والمُرقعة مكشوفة، ومغطاة بطبقة من غبار الجص. كانت أشبه بموقع بناء. كانت الوزيرة آدمز تغيِّر تصميم مكتب وزير الخارجية تغييرًا كليًا.

«انتظري هنا». قالت بيتسي لآناهيتا. «وأنتِ»، أشارت إلى كاثرين، «تعالي معي».

«أرجوكما، أسرعا». قالت آناهيتا.

توقفت بيتسي والتفتت. توقعت آناهيتا ردًا لاذعًا.

بدلًا من ذلك رأت وجهًا مُتعبًا وقلقًا ومتعاطفًا.

«سنفعل. يمكنكِ الاسترخاء. لقد نجحتِ. أنتِ في الداخل. ستكون الوزيرة آدمز معكِ خلال دقيقة».

شاهدت آناهيتا بيتسي وكاثرين تختفيان داخل الحجرة التالية. لم تسترخ. كان مقصد السيدة كليڤر حسنًا لكنها لا تعرف ما تعرفه آناهيتا. تفقدت هاتفها. ثمانٍ وثلاثون دقيقة متبقية.

***

اهتزت الحافلة، وهي تقطع الطريق نحو الجانب البعيد من فرانكفورت. كانت تتوقف بين حين وآخر لتسمح للرجال والنساء والأطفال بالنزول منها والصعود إليها.

الفصل الثامن

ظهرت إيلين آدمز يتبعها مدير مكتبها كظلها. اتسعت عينا آناهيتا لا إراديًا. لم تشاهد الوزيرة إلا من بعيد أو على شاشة التلفاز. كانت أطول مما ظنت آناهيتا، غير أنها حادة الذهن كما هي دائمًا.

«لديكِ معلومات؟» قالت الوزيرة آدمز، وهي تسير نحوها.

«هنا». مدت آناهيتا هاتفها إلى وزيرة الخارجية التي التقطته، وألقت نظرة إليه ثم مررته إلى بوينتون.

«ما هذا؟» سألت إيلين.

«صورة التقطتُها لرسالة وصلت إلى محطة استقبالي ليلة البارحة. أنا موظفة في إدارة الشؤون الأجنبية في مكتب...»

«في مكتب باكستان، أعرف. ماذا تعني هذه الرسالة؟»

«هذا إهدار للوقت، سيدتي الوزيرة». قال بوينتون، وهو يرفع الهاتف. «إنها موظفة مبتدئة في إدارة الشؤون الأجنبية. لدينا ضباط مخابرات رفيعو المستوى في حجرة الاجتماعات في انتظارنا. من غير الممكن أنها...» أشار إلى آناهيتا، «تعرف أي شيء لا يعرفه جهاز مخابراتنا».

استدارت إيلين إليه فجأة وهاجمته، «وهو مما سمعته، لا شيء. من المستحيل أن تفعل هذه الموظفة أسوأ من ذلك». التفتت من جديد إلى موظفة الشؤون الأجنبية المبتدئة. «فسِّري».

انتزعت آناهيتا الهاتف من بوينتون، وتقدمت إلى أن وقفت بجانب الوزيرة آدمز. مالت إليها حتى تلامست كتفاهما.

«انظري إلى الأرقام، سيدتي الوزيرة».

«أنا...» شرعت إيلين تتحدث قبل أن تغرق في الصمت فيما تتباعد الأرقام، وتعيد ترتيب نفسها، وتشكل شيئًا مرعبًا. الشيء في الخزانة. الشيء أسفل السرير. الشيء في الزقاق المظلم الذي لا يستطيع أي قدر من الغناء أن يبعده. تجسدت كل الأهوال التي لا يمكن تخيلها معًا في تلك الأرقام.

«إنها تشير إلى خطيّ الحافلتين وتوقيت التفجيرين السابقين»، قالت إيلين، «وثمة قنبلة ثالثة». كان صوتها يكاد يعلو على الهمس كما لو أن أي صوت أعلى من ذلك سوف يفجرها. «هل أُرسِلت تلك الرسالة لكِ ليلة الأمس؟»

«أجل».

«ماذا؟» سأل بوينتون، وهو يتقدم إلى الأمام حتى يلقي نظرة.

تزاحمت بيتسي وكاثرين أيضًا حولهما. ثم تحدثت كاثرين وبيتسي معًا لكن إيلين رفعت يديها حتى يصمت الجميع.

«أين سيحدث التفجير؟» سألت.

«لا أعرف».

«من أرسلها؟»

«لا أعرف».

«رائع!» قال بوينتون. لا أحد يستمع إليه. أو بدا حتى أنه يستمع إليه.

لكن الوزيرة آدمز قد لاحظت ذلك، وأضافته إلى قائمة سلوكه الغريب.

«إنْ كان عليّ التخمين فسأقول إن الهدف التالي في أوروبا أيضًا». قالت آناهيتا.

أومـأت إيلين إيمـاءة حازمـة سـريعة. «أتفق معكِ. لأننا سـنحتاج إلـى تضييـق الاحتمـالات، فـإن ذلـك يبـدو منطقيًـا. لـو أنـه فعـلًا سـيحدث فـي أوروبـا...» تفقـدت السـاعة، وأجـرت الحسـابات. «يـا إلهـي!» نظـرت إلـى بيتسـي. «أربـع وعشـرون دقيقـة متبقيـة».

امتقع وجه بيتسي، وقد عجزت عن الكلام.

«تعالوا معي». قالت.

سـاروا وراءهـا إلـى داخـل حجـرة الاجتماعـات الخاصـة. كل المقاعـد مشـغولة، وكل الأعيـن مثبتـة عليهـم.

شـرحت الوزيـرة آدمـز باقتضـاب مـا لديهـم، ومـا علـى وشـك أن يحـدث.

«أرغـب فـي أن تُرسـل هـذه الشـيفرة إلـى كل منظمـة اسـتخباراتية حليفـة. وأرغـب فـي قائمـة بالعواصـم الأوروبيـة التـي توجـد فيهـا خطـوط حافـلات تحمـل الرقـم ١١٩. يمكنكـم اسـتبعاد لنـدن وباريـس. أريـد ذلـك فـي غضـون خمـس دقائـق».

سـادت لحظـة مـن الصمـت كأنهـم متجمـدون فـي أماكنهـم ثـم انفجـر المـكان حركـةً.

***

«ضـع رئيـس مخابـرات الاتحـاد الأوروبـي علـى الخـط». قالـت إيليـن لبوينتـون فـي أثنـاء عودتهـا إلـى حجـرة مكتبهـا الخاصـة. نظـرت إليـه وهـي تقـف أمـام مكتبهـا وتهـم بالجلـوس. كان مديـر مكتبهـا لا يـزال يقـف عنـد البـاب.

«ماذا؟» قالت.

نظر وراءه داخل حجرة الاجتماعات، وإلى موجة النشاط التي اجتاحتها. ثم خطا داخل مكتبها، وأغلق الباب.

«ألم تسألي نفسك لماذا هي بالتحديد».

«عذرًا؟»

«موظفة الشؤون الأجنبية الشابة. لماذا هي؟ لماذا وصل التحذير إليها؟»

همت إيلين بأن تقول إن الأمر غير مهم لكنها سكتت مدركة أن الأمر قد يكون مهمًا حقًا.

«صلني بمدير مخابرات الاتحاد الأوروبي، ثم أعرف كل ما تستطيع معرفته عن آناهيتا ضاهر».

ما إن جلست حتى أخرجت هاتفها، وأرسلت رسالة إلى ابنها. *رجاء، اتصل بي*. حامت إصبعها فوق رمز القلب، قبل أن يواصل التحرك حتى يضغط على سهم «إرسال». ثم انتظرت.

تيك. تيك.

لا يوجد رد.

***

«لقد انتهينا منها». قال محلل استخباراتي عالي الرتبة في وزارة الخارجية، وهو يندفع داخل مكتب إيلين.

أنهت الوزيرة للتو مكالمتها مع رئيس مخابرات الاتحاد الأوروبي الذي أطلعها على ما لديهم.

وضع المحلل القائمة أمامها. اصطف الآخرون وراءه، وهم يشاهدون الوزيرة فيما تقرأ القائمة. لم يستغرق الأمر طويلًا. كانت القائمة قصيرة على نحو مفاجئ. يمكن استبعاد باريس

ولندن اللتين كانتا في القائمة. يتبقى روما ومدريد وفرانكفورت ولشبونة.

«أيها أكثر احتمالاً من البقية؟» سألت.

ست دقائق متبقية.

«لا يمكننا الجزم، سيدتي الوزيرة. لقد اتصلنا بإدارات النقل في كل مدينة. مع هذا، فإن الساعة تجاوزت السادسة مساء الآن، والمكاتب مغلقة».

كانوا يحدقون إليها بأعين متسعة. التفتت إيلين إلى بوينتون. «اتصل بالإنتربول. أخبرهم بأن يحذروا الشرطة في كل مدينة من تلك المدن. كاثرين!»

«أجل؟» هتفت ابنتها، وهي تنتظر أمام الباب، وتضع هاتفها فوق أذنها.

«روما ومدريد وفرانكفورت ولشبونة. انشري المعلومة».

«سأفعل».

***

«ماذا يحدث؟» سألت آناهيتا، وهي تشاهد مجموعة من المحللين ذوي الرتب العالية يندفعون من حجرة الاجتماعات نحو مكتب وزيرة الخارجية.

«لديهم قائمة المدن التي تحوي حافلات رقمها ١١٩». قال أحد المعاونين.

«ما المدن؟»

دفع المعاون القائمة عبر المائدة.

ما إن قرأت القائمة حتى انعقد حاجبا آناهيتا، وقد استغرقت في التفكير. ثم ارتفع حاجباها ثانية مع اتساع عينيها.

«يا إلهي، فرانكفورت». تمتمت وهي تُخرج هاتفها.

أربع دقائق ونصف متبقية.

ضغطت على الهاتف بأصابع مرتعشة. فتحت الرسالة الخاطئة. ضغطت من جديد. ظهرت هذه المرة رسالة جيل التي وصلت هذا الصباح.

في طريقي إلى فرانكفورت.

كتبت، *أنت في فرانكفورت؟ على متن حافلة؟ الآن.*

ثم ضغطت على أيقونة «رسالة عاجلة».

أجاب جيل وهو يسترخي في مقعده، *أجل.*

كانت أربعًا وعشرين ساعة طويلة لكن كادوا يصلون.

كتبت آناهيتا، *لماذا.*

أتاها الرد: *أتبع دليلًا.*

أي ذليل؟

ضغطت على زر «إرسال» بأصابع مرتعشة قبل أن تلاحظ الخطأ اللغوي. شرعت تصحح الخطأ عندما رد جيل عليها: *لا أستطيع أن أتحدث عنه.*

أين أنت في ف؟

انتظرت، وهي تحدق إلى الشاشة. رجاء، رجاء.

ثلاث دقائق وعشرون ثانية..

على متن حافلة.

أي حافلة؟

هل يهم ذلك؟

!!!!

#119

دس جيل الهاتف في جيبه، واستقر في مجلسه ثانية، وراح يشاهد الأطفال أمامه يقرصون ويدفع بعضهم بعضًا. في الصف المقابل، كانت امرأة كبيرة في السن تراقبهم، وهي شاكرة بالتأكيد لأنهم ليسوا أطفالها أو أحفادها. كانت الحافلة ممتلئة. تساءل جيل إذا كان يجب عليه أن يعرض على أحدهم الجلوس مكانه لكنه يحتاج إلى إبقاء عينيه على الدكتورة بُخاري ليرى أين ستهبط من الحافلة، وإذا كان المُخبر محقًا.

***

اهبط من الحافلة! قنبلة!!

لكن لم تتلق أي رد.

حدقت آناهيتا إلى الشاشة. هيا. هيا.

نهضت، وركضت إلى مكتب وزيرة الخارجية. مع أن الأمن قد حاول إيقافها، دفعت بجسمها لتتجاوزهم.

«صديق». صاحت. «صديق لي على متن الحافلة رقم 119 في فرانكفورت. يتبع دليلًا. حاولت أن أخبره بوجود قنبلة لكنه لم يرد».

«دليل؟» قالت بيتسي. «صديقكِ صحافي؟»

«نعم».

التفتت بيتسي، وحدقت إلى إيلين.

ما إن أخرجت الوزيرة آدمز هاتفها حتى التفتت بيتسي إلى آناهيتا مجددًا. «ما اسمه؟»

نظرت إيلين إلى آخر رسالة شخصية تلقتها. من ابنها.

في فرانكفورت على متن حافلة. سأوافيك بالمزيد لاحقًا.

«جيل»، قالت آناهيتا. «جيل باهار». انتقلت نظراتها من وجه بيتسي المصدوم إلى وجه إيلين التي فغرت فاها وجحظت عيناها.

ضغطت إيلين، وجسمها يرتجف، أيقونة «اتصال»، وعيناها تلتقيان عيني بيتسي.

«ماذا؟» سألت آناهيتا.

«جيل باهار هو ابنها». قال تشارلز بوينتون.

انسحب الهواء كله من الحجرة.

ثلاث دقائق وخمس ثوانٍ متبقية.

الأعين كلها على إيلين.

دلفت كاثرين إلى الحجرة قبل أن تتوقف وتسأل: «ماذا حدث؟»

ذهبت بيتسي إليها. «جيل على متن الحافلة رقم 119 في فرانكفورت. تتصل أمكِ به الآن».

«يا إلهي!» قالت، ولم تقو على التماسك أكثر من ذلك.

***

توقفت الحافلة.

أخذ الأطفال يهبطون منها، وهم يهتفون ويقفزون. نهض الرجل الجالس أمام نسرين ليغادر. لكنه ترك شيئًا وراءه.

صعدت عائلات قليلة. بعض المراهقين وزوجان طاعنان في السن.

شعر جيل بهاتفه يهتز معلنًا عن مكالمة واردة لكنه تجاهله. يحتاج إلى التركيز على الدكتورة بُخاري عند كل توقف للحافلة

حتى يتأكد من أنها لن تغادر في آخر لحظة. ما إن تحركت الحافلة حتى أخرج هاتفه.

«اللعنة». قال، وضغط على زر «رفض» الأحمر.

***

«رفض استقبال المكالمة». قالت إيلين.

«استعملي هاتفي». قالت كاثرين. اتصلت بالرقم، وناولته إلى أمها.

دقيقة وعشر ثوانٍ متبقية.

***

اهتز هاتفه مرة أخرى. بعد رنات قليلة، أخرجه جيل متوقعًا رؤية صورة أمه. بدلًا من ذلك شاهد صورة أخته غير الشقيقة، كاثرين.

«مرحبًا، كاثي...»

***

«أنصت إليّ جيدًا»، قالت أمه بصوت صارم وهادئ.

«اللعنة»، قال جيل، وتحركت يده لتضغط على «إنهاء المكالمة».

«توجد قنبلة»، قالت إيلين، وقد علا صوتها.

«ماذا؟»

«توجد قنبلة على متن حافلتك».

تبدد الهدوء. ارتفع صوتها إلى ما يقرب من الصياح. «أمامك دقيقة تقريبًا. غادر!».

استغرق جزء من الثانية حتى يستوعب الكلمات، والذعر المصاحب لها، ومعناها.

نهض، وصاح: «أوقف الحافلة! توجد قنبلة!»

نظر الركاب الآخرون إليه ثم أشاحوا بأعينهم بعيدًا عن المجنون الأمريكي.

مد يده نحو نسرين مُمسكًا ذراعها. «انهضي! غادري الحافلة!»

دفعته بعيدًا، وهاجمته بحقيبة أمير الجلدية وهي تصرخ طلبًا للمساعدة.

إذًا هذه خطته لإجباري على مغادرة الحافلة. فكرت والأدرينالين يندفع في دمها.

أفلت جيل ذراع نسرين، وركض إلى المقدمة، وصاح في السائق: «توقف! اخلِ الحافلة من الركاب».

التفت، ونظر عبر الحافلة الطويلة، في الوجوه المحدقة إليه. في الرجال والنساء والأطفال المرعوبين ليس من وجود قنبلة لكن منه هو.

«أرجوكم». توسل.

***

تيك. تيك.

راقبوا جدار الساعات في المكتب البديع وهو يعد الزمن المتبقي. في الخلفية يسمعون صوت جيل خافتًا فيما يصيح، ويتوسل.

تسع عشرة ثانية.

ثماني عشرة ثانية.

***

«جيل!» هتفت أمه. «غادر الحافلة».

اهتزت الحافلة وهي تتوقف أخيرًا. انفتح بابها ونهض السائق.

«شكرًا»، شرع جيل يتحدث قبل أن يشعر بيدي الرجل تُمسكان معطفه. قذفه السائق خارج الحافلة.

***

عشر ثوانٍ.

تسع ثوانٍ.

جحظت أعينهم وتجمدت أنفاسهم.

«ثماني ثوانٍ». همست آناهيتا.

***

ما إن هبط جيل بجسمه فوق الرصيف الصلب وهو يلهث وقد أصابته الكدمات حتى رفع عينيه ليرى الحافلة تنطلق مبتعدة.

نهض جيل مترنحًا، واندفع وراءها قبل أن يلتفت إلى المارة مدركًا أنه لن يستطيع اللحاق بها أبدًا.

***

ثلاث ثوانٍ.

ثانيتان.

***

«تراجعوا. انبطحوا. إنها...»

***

تيك... توك.

***

ابيض وجه إيلين مع انطلاق رنين المنبه في هاتف آناهيتا.

***

الفصل التاسع

انزلق الهاتف من بين يدي إيلين وارتطم بالأرض. مدت يدها وراءها وقد شعرت بالدوار، في محاولة للمحافظة على ثباتها. حتى تُبقِي نفسها منتصبة. سقطت من فوق المكتب صور مؤطرة وتذكارات وأباجورة ثم انحنت إيلين مذعورة لتستعيد الهاتف.

«جيل؟» هتفت عبر الهاتف: «جيل؟»

لكن الخط قد انقطع.

«جيل؟» همست إلى الصمت المهول.

«ماما؟» قالت كاثرين، وهي تخطو نحوها.

«لقد انفجرت». غمغمت، وعيناها الجاحظتان تحدقان إلى ابنتها ثم بيتسي. سادت لحظة من الهرج والمرج فيما يتحرك جميع من في الحجرة وهم يعطون الأوامر قبل أن تصرخ إيلين: «توقفوا!»

توقف الجميع، والتفتوا إلى الوزيرة آدمز. وقفت بيتسي إلى جانبها، وكاثرين إلى جانبها الآخر.

مرت عشر ثوانٍ منذ الانفجار.

«هل نعرف موقع الحافلة بالتحديد؟» سألت إيلين.

«أجل، نستطيع تتبعها عن طريق الهاتف». قال بوينتون.

أمسك الهاتف، وضغط على بعض الأزرار قبل أن يومئ برأسه. «حصلت عليه».

«أرسله إلى الألمان». أمرته الوزيرة آدمز. «واتصل بجهاز الطوارئ في فرانكفورت. الآن!»

«أجل، سيدتي الوزيرة».

أُعطِيت الأوامر للمعاونين لإعلام كل أجهزة المخابرات بما حدث للتو، وبالاتصال بالقنصل الأمريكي في فرانكفورت وإرسال بعض الرجال إلى هناك.

«وأخبروهم بأن يعثروا على جيل». هتفت إيلين إليهم. «جيل باهار». تهجت اسمه. الحروف تلاحق المعاونين المهرولين عبر الردهة. التفتت إلى كاثرين التي كانت تحاول الوصول إلى جيل عبر الهاتف. هزت كاثرين رأسها. نظروا إلى آناهيتا التي كانت تحاول بدورها. عيناها متسعتان، وهاتفها فوق أذنها. لا شيء.

«اتصل الآن بمكتبنا في فرانكفورت. يستطيعون الوصول إلى هناك سريعًا». قالت كاثرين، وإصبعها ينقر على شاشة الهاتف. «أنتِ»، قالت لآناهيتا، «واصلي الاتصال بأخي».

أومأت آناهيتا.

بدأت الهواتف ترن وتقرع وتنبِّه.

شغَّلت بيتسي شاشات العرض، وحدقت إلى الدكتور فيل، وهو يحاور امرأة كان زوجها يتحول نفسيًا إلى امرأة، وكان عليه أن يصارحها بحقيقة أنها نفسها كانت تتحول إلى رجل.

كليك.

كانت القاضية جودي تنظر في دعوى قضائية حيث لا يكف أحد الجيران عن سرقة منشفة أطباق من حبل غسيل.

كليك. كليك.

لا أخبار عما حدث بعد. لقد مرت أكثر قليلًا من دقيقة.

كليك.

«سيدتي الوزيرة، لقد أبلغت المستشارة الألمانية، وأرسلت إحداثيات الموقع إلى جهازي المخابرات والطوارئ هناك». أبلغها بوينتون. «هل نُعلِم الرئيس؟»

«الرئيس؟» سألت إيلين.

«رئيس الولايات المتحدة».

«يا إلهي، أجل. سوف أتولى ذلك».

جلست إيلين بتثاقل، وقد انهارت بجسمها فوق مقعدها وأحاطت رأسها بيديها. أصابعها تلامس فروة شعرها.

كانت عيناها محتقنتين بالدماء حينما رفعت رأسها، غير ذلك لم يكن هنالك أي إشارة إلى أنها ربما قد سمعت للتو أن ابنها يُقتل.

«رجاء، ضع الرئيس وليامز على الخط».

كانت التقارير تتوافد سريعًا فيما يتناقل المعاونون ما يعرفونه.

«سيدي الرئيس، لقد وقع تفجير آخر».

«لحظة». أخبر دوجلاس وليامز مديرة مكتبه أن عليها أن تنهي الاجتماع مع ممثلي إدارة الأعمال الصغيرة، وتُخلي المكتب البيضاوي.

ما إن صار بمفرده حتى التفت وليامز وشخص ببصره نحو العشب في الخارج.

«أين؟» قال أخيرًا.

«فرانكفورت. حافلة أخرى».

«اللعنة». لم يستطع منع نفسه من التفكير، *على الأقل ليس هنا*.

جلس فوق مكتبه، ووضع المكالمة معها على مكبر الصوت، وكتب بسرعة في محرك البحث الآمن في كومبيوتره الشخصي.

«لا أرى أي شيء على الإنترنت». عادت باربرا ستينهاوزر، ولغة جسمها مستفهمة لكن كل ما حصلت عليه هو إيماءة سريعة، فهمتها فهمًا صحيحًا. كان يطلب منها تفقد القنوات التلفزيونية على شاشات العرض. «تفجير آخر». هتف إليها عبر المكتب البيضاوي. «فرانكفورت».

«اللعنة» قالت. ثبتت شاشة العرض على قناة CNN الإخبارية قبل أن تلتقط هاتفها.

«متى حدث هذا؟» سأل إيلين.

نظرت إلى الساعة، وتفاجأت حالما رأت أنه لم يمض سوى دقيقة ونصف. «قبل تسعين ثانية». بدا لها أن التفجير قد حدث منذ دهر بعيد. «لقد أخطرنا الحكومة الألمانية، ومجتمع الاستخبارات الدولي»، قالت الوزيرة آدمز، «وأرسلنا التحذيرات عبر قنوات اتصال آمنة».

«انتظري دقيقة. نحن من أخبرنا الألمان؟ وليس العكس؟ كيف عرفتِ بهذه السرعة؟»

سكتت إيلين، وهي لا ترغب في إخباره. مع هذا عرفت أنه يجب عليها ذلك.

«كان ابني على متن الحافلة».

كان الصمت ردة فعل وليامز على ما قالته. ثم قال، وهو يكاد يعني ذلك: «أنا آسف».

«ربما يكون قد هبط من متن الحافلة». قالت. «يبدو...» تمالكت نفسها، «أنه ربما قد فعل ذلك».

«كنتِ تتحدثين إليه؟ في وقت التفجير؟»

«هل أستطيع القدوم ورؤيتك، سيدي الرئيس حتى أشرح لك تسلسل الأحداث؟»

«أعتقد أنه يجدر بكِ ذلك».

***

كان مدير المخابرات الوطنية ومدير المخابرات المركزية واللواء وايتهيد رئيس هيئة الأركان المشتركة في المكتب البيضاوي بالفعل عند وصول إيلين إلى البيت الأبيض وهي تقبض على هاتفها وترفض تسليمه إلى جهاز الأمن السري تحسبًا لأن يتصل جيل بها.

«سينضم وزيرا الأمن الداخلي والدفاع إلينا قريبًا». قال الرئيس وليامز. «لكننا لن ننتظر وصولهما».

لم يذكر جيل، وهو ما كان مصدر ارتياح لإيلين. مع أن إيلين شككت في أن دافعه وراء ذلك هو أن يجنبها الألم. فعل ذلك غالبًا بسبب جبنه العاطفي أو ربما قد نسي الأمر فحسب.

حكت إيلين بسرعة واقتضاب ما حدث. ما إن انتهت، كان العالم برمته يعرف بأمر التفجير. اجتاحت الصور الأخبار كلها. كان مقدمو التلفاز في حالة شبه هستيرية إما بسبب التوتر وإما الإثارة. كان الصحافيون في موقع الحدث، ويقتربون منه أكثر مما يُفترض فيما يحاول رجال الشرطة الألمان الأكفاء في الظروف الطبيعية أن يستعيدوا السيطرة على المنطقة. سيارات إسعاف وشاحنات إطفاء تحاول الوصول إلى موقع التفجير.

«هـل تقوليـن إن موظفـة مبتدئـة فـي إدارة الشـؤون الأجنبيـة قـد تلقـت تحذيـرًا؟» سـأل تيـم بيتشـام، مديـر المخابـرات الوطنيـة. «لا أحـد آخـر فـي العالـم، ولا شـبكة مخابراتنـا المتطـورة، ولا كل عملائنـا المحنكيـن. لا أحـد آخـر التقـط التحذيـر. وبـدلًا مـن ذلـك، أرسـل شـخص مـا الرسـالة إليهـا؟»

«أجـل». قالـت إيليـن التـي أخبرتهـم بذلـك منـذ لحظـات وجيـزة.

«لكـن مـن المرسـل؟» سـأل الرئيـس.

«لا نعـرف. لقـد محـت الرسـالة».

«محتهـا؟»

«إنه إجراء روتيني. لقد ظنت أنها رسالة غير مرغوب فيها».

«هـل كانـت مـن أميـر نيجيـري؟» سـأل مديـر الأمـن الداخلـي الـذي وصـل الآن. لـم يضحـك أي أحـد.

«لماذا هـي بالتحديد؟ سـأل الرئيس. «المدعوة آنا ...»

«آناهيتا ضاهـر. لا أعرف...» قالت إيلين.

«آناهيتـا ضاهـر». تمتـم مديـر المخابـرات المركزيـة، وهـو يتبـادل النظـرات مـع مديـر المخابـرات الوطنيـة.

«لـم يسـنح لـي الوقـت لأسـألها». قالـت الوزيـرة آدمـز. «أنـا شـاكرة فقـط لأنهـا تعاملـت مـع الأمـر».

«بعـد فـوات الآوان». قـال وزيـر الدفـاع. «لقـد انفجـرت كل القنابـل».

صمتت إيلين. كان ما قاله صحيحًا في نهاية المطاف.

اسـتأذن مديـر المخابـرات الوطنيـة بالمغـادرة ثـم عـاد بعـد دقيقـة. راقـب اللـواء وايتهيـد مديـر المخابـرات الوطنيـة بريبـة، وهـو يميـل

برأسه قليلًا. أومأ برأسه نحو الوزيرة آدمز، وابتسم لها ابتسامة صغيرة كانت من المفترض أن تكون مطمئِنة. مع هذا كان لها تأثير عكسي. راحت الآن تتفحص بدورها تيم بيتشام.

«كل شيء على ما يرام؟» سأل دوجلاس وليامز.

«أجل، سيدي الرئيس» قال بيتشام. «كنت أحتاج فقط إلى تحذير بعض رجالي».

تساءلت إيلين آدمز لماذا أقلقَ ذلك الغياب المقتضب رئيس هيئة الأركان المشتركة؟. اعتقدت أنها تعرف. لم يكن تيم بيتشام في حاجة إلى أن يغادر الحجرة حتى يجري المكالمة. السبب الوحيد لذلك أنه أراد أن يخفي مضمونها عن البقية. السؤال الآن: لماذا سيريد ذلك؟

حدقت إيلين مجددًا إلى اللواء وايتهيد غير أنه قد ركز انتباهه على الرئيس من جديد.

أجابت الوزيرة آدمز عن أسئلتهم فيما تعطي ظهرها بوصفها والدة جيل إلى شاشات العرض وهي لا تجرؤ على أن تنظر إليها في حالة...

كان اللواء وايتهيد من سأل أخيرًا.

«ماذا عن ابنكِ؟»

«لم أسمع عنه أي شيء». كان صوتها حادًا وباردًا. عيناها تتوسلان إليه حتى لا يسأل المزيد من الأسئلة. أومأ إليها إيماءة مقتضبة، ولم يسأل أي أسئلة أخرى.

«ولا يزال لم يتحمل أي أحد المسؤولية؟» سأل الرئيس.

«لا، إن هذا يتجاوز تجاوزًا واضحًا حدود نظرية الذئب المنفرد». قال وزير الدفاع. «إنه قطيع من الذئاب».

«أحتاج إلى إجابات، وليس كليشيهات». طاف الرئيس بعينيه في أنحاء الحجرة محدقًا إلى مستشاريه بوجوههم الخالية من أي تعبير. امتدت اللحظة.

«لا شيء؟» صاح. «لا شيء؟ هل تمزحون معي؟! نحن أعظم أمة في العالم. نمتلك أفضل أجهزة مراقبة، وأفضل شبكة استخباراتية، وكل المعلومات التي تُحضِرونها لي تفاهات؟!»

«مع احترامي الشديد، سيدي الرئيس...» شرع مدير المخابرات المركزية يتحدث.

«فلتذهب هذه الرسميات إلى الجحيم. أخبرني فحسب». ثبت عينيه عليه.

دار مدير المخابرات المركزية بعينيه في الحجرة بحثًا عن الدعم. استقرت عيناه على وزيرة الخارجية. تنهدت إيلين. لأنها كانت على شقاق مع الرئيس بالفعل، فهي أقل من يمتلك شيئًا ليخسره. إلى جانب أن إيلين لم تعد تهتم بتلك الرسميات.

«أنت خارج الصلاحية منذ أربع سنوات يا دوج».

انزلق اسمه الأول من فيها دون أن تدرك ذلك.

«ماذا يفترض أن يعني ذلك؟»

«تعرف جيدًا». انفعلت، ونظرت بعيدًا نحو مديرة مكتبه باربرا ستينهاوزر. «وتعرفين أنتِ أيضًا ذلك. لا أمتلك وقتًا لأهدره لذا ها هي الخلاصة. الإدارة السابقة أفسدت كل شيء لمسته. سممت البئر، سممت علاقاتنا. نحن قادة العالم الحر اسمًا فقط. شبكة الاستخبارات الفعّالة التي تفتخر بها بشدة لم يعد لها وجود.

حلفاؤنا لا يثقون بنا. أولئك الذين يريدون بنا شرًا يحومون من حولنا. وقد سمحنا بحدوث هذا. سمحنا لهم بالتغلغل إلينا. روسيا. الصينيون. ذلك الرجل المخبول في كوريا الشمالية. وهنا داخل الإدارة في مواقع تأثير. وحتى الموظفون في المستويات الأدنى. هل نستطيع أن نثق حقًا بأنهم يؤدون عملًا جيدًا؟»

«الدولة العميقة». قال مدير المخابرات الوطنية.

هاجمته إيلين قائلة: «ليس العمق ما نحتاج إلى أن نقلق بشأنه، بل الاتساع. إنه في كل مكان. أربع سنوات من تعيين أشخاص وترقيتهم ومكافأتهم سيقولون ويفعلون أي شيء لدعم رئيس مجنون تركتنا ضعيفين وعرضة للخطر». ألقت نظرة سريعة إلى هاتفها. لا شيء جديد بعد. «ليس الجميع غير أكفاء. وأولئك غير الأكفاء ليسوا أشرارًا. ولا يقوضون قوتنا. هم فقط لا يمتلكون أي فكرة حقيقية عن كيف يؤدون عملهم أداء جيدًا. انظروا، لقد أتيت من القطاع الخاص، ويمكنني أن أميز إذا كان الأشخاص متحفِّزين ومُلهَمين أم لا. لقد ورثنا آلاف الموظفين الذين قضوا أربع سنوات من الخوف، ويريدون الآن أن ينكسوا رؤوسهم فقط. يشمل ذلك وزارتي. ويمتد ذلك إلى...»، نظرت إلى باربرا ستينهاوزر، «البيت الأبيض نفسه».

«هل يشملني ذلك؟» سأل اللواء وايتهيد. «لقد عملت في الإدارة السابقة».

«ومما سمعت فقد قضيت معظم الوقت، تضحي بنفسكَ»، قالت إيلين، «في محاولة لإيقاف أو على الأقل تقليص تأثير القرارات الاستراتيجية والعسكرية الأكثر جنونًا».

«لم أنجح تمامًا في ذلك». اعترف رئيس هيئة الأركان المشتركة. «لقد توسلت إلى الرئيس ومؤيديه حتى لا يشجعوا المزيد من الانتشار النووي، وتعرفين ماذا قال؟»

ظلت إيلين صامتة، وهي مرعوبة من أن تسأله.

«قال: «ما جدوى القنابل النووية إنْ لم تستطع استخدامها؟»» قال وايتهيد وقد علا الشحوب وجهه.

«لو كنت قد صرحت برأيي بقوة أكبر...»

«لقد حاولت على الأقل»، قالت إيلين.

أصدر وايتهيد شخيرًا قصيرًا قبل أن يقول بمرارة. «سأكتب ذلك على شاهد قبري: «لقد حاول على الأقل»...»

«ما فعلته مهم»، قالت إيلين. «معظم الأشخاص لم يحاولوا حتى. آسفة، سيدي الرئيس. أحتاج إلى أن أعود إلى الوزارة. في الحقيقة أحتاج إلى أن أسافر إلى ألمانيا. هل تحتاج مني إلى أي شيء آخر؟»

«لا يا إيلين»، قال الرئيس بتردد. «رحلة إلى ألمانيا. هل هذه زيارة شخصية؟»

حدقت إليه، وهي بالكاد تصدق ما قاله. ما رمى إليه.

خطا اللواء وايتهيد إلى الأمام. «يمكنني أن أجد لكِ مكانًا في إحدى الطائرات الحربية المخطط لها الإقلاع من قاعدة أندروز في غضون ساعة».

«لا»، قال الرئيس وليامز، «لا بأس. حتى لو لم يكن عملًا رسميًا، يمكنكِ أن تستقلي طائرتك الوزارية. أنا متأكد من أن

المستشارة الألمانية ستتفهم الطبيعة العاجلة للرحلة، ولن تعدّها خرقًا للبروتوكول. هي أمٌّ أيضًا».

«بل هي إنسانة». حدقت إيلين إلى ويليامز. «عليك أن تجرب أن تكون واحدًا ذات يوم».

مكتبة
t.me/soramnqraa

الفصل العاشر

«لا شيء جديد؟» سألت إيلين، وهي تندفع داخل مكتبها.

تعرف أنه لو كان ثمة أخبار عن جيل، لكانت قد علمت بها. مع هذا كان عليها أن تسأل.

«لا». قال بوينتون.

غادرت كاثرين وبيتسي لحزم الأمتعة من أجل رحلة فرانكفورت.

مشت إيلين بخطوات واسعة إلى داخل حجرة الاجتماعات. بعد أن أجابت عن الأسئلة العاجلة التي طرحها نظراؤها الدوليون. جلست وحدقت إلى مدير مكتبها وكبار المعاونين والمحللين الأمنيين.

«أي أخبار؟»

«الألمان يقولون إنه من الواضح أن المنظمة نفسها وراء التفجيرات الثلاثة كلها». قال أحد كبيري المعاونين. «لكن لا يعرفون أي منظمة».

«قد تكون القاعدة»، قال محلل أمني. «أو داعش...»

«أو تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام».

«توقفوا»، رفعت إيلين يدها. «ثمة ساعات عدة تفصل بين التفجيرات الثلاثة. أعتقد لو كان الهدف هو الإرهاب، لكانوا قد جعلوا توقيتات انفجار القنابل بحيث تحدث التفجيرات في اللحظة نفسها تقريبًا. مثل 9/11». نظرت حول المائدة في مجموعة الخبراء أمامها. كان ثمة هزات كتف رافضة وصمت.

«الحقيقة، سيدتي الوزيرة»، قال كبير المحللين، « هي أننا لا نعرف ماذا كان الهدف. أو ماذا يكون».

«يكون؟ لم ينته الأمر بعد؟»

يمكنها أن تشعر بهستيريا تتصاعد بداخلها. رغبة طائشة تكاد تكون طاغية في أن تبدأ بالضحك. أن تركض مغادرة الحجرة وهي تلوح بذراعيها وتندفع صارخة عبر الممر خارجة من الباب الرئيس ثم في وسط الشارع، ولا تتوقف حتى تبلغ الطائرة.

تبادل الخبراء النظرات كأنهم لا يجرؤون على أن يتكلموا.

«قلها فقط». قالت.

قُوبل ذلك بالمزيد من الصمت. لم تستطع إيلين قراءة هؤلاء الناس بعد؛ لقد لُقنوا دروسًا في إخفاء مشاعرهم الحقيقة، وبالطبع أفكارهم الحقيقية. كان هذا بسبب تدريبهم الدبلوماسي والاستخباراتي، وبسبب أربع سنوات من العقاب على البوح بأي شيء يشبه الحقيقة، ناهيك بالحقيقة نفسها.

«نعتقد أن ثمة هدفًا أكبر». قالت المعاونة التي بدا أن عليها أن تأخذ المبادرة. «نعتقد أن تلك القنابل قد أُرسلت بوصفها تحذيرًا أوليًا». ضيَّقت عينيها، وأدارت رأسها بعيدًا قليلًا. هيّأت نفسها حتى تُلام على تقديم أخبار سيئة، لكن الوزيرة آدمز استوعبت ما سمعته قبل أن تومئ.

«شكرًا لكم». طافت بعينيها حول المائدة. «وماذا كان ذلك التحذير باعتقادكم؟»

«أن ثمة شيئًا أكبر يُخطط له. إن هذا كان مجرد ذرة مما يستطيعون فعله». قال أحد المحللين الأمنيين.

«إنهم يستطيعون فعل، وسيفعلون أيّ شيء يريدونه». قال آخر. «في أي مكان، وفي أي وقت يريدون».

«إنهم مستعدون لقتل رجال ونساء وأطفال أبرياء في أي مكان من العالم». قال ثالث.

«إنهم محترفون». قال رابع.

شعرت إيلين الآن بالندم على تشجيعهم على الحديث بمثل هذه الصراحة.

«لا قنابل مخفية في الألبسة الداخلية. لا قنابل مخفية في الأحذية. لا قنابل في حقائب الظهر. أيًا كان من فعل ذلك فهو في مستوى مختلف تمامًا».

«سينجحون، سيدتي الوزيرة، أيًا كان ما سيختارون أن يفعلوا». وافق خامس.

«هل انتهيتم؟» سألت إيلين.

نظر بعضهم إلى بعض، وتنهدوا معًا تنهيدة طويلة تحمل سنوات من الإحباط، وسلسلة طويلة من المخاوف.

«ماذا نعرف عن الرسالة التي تلقتها الآنسة ضاهر؟» سألت إيلين.

«لقد وجدناها على الخادم server»، قال أحد ضباط المخابرات. «لكن، لا وجود لعنوان البروتوكول IP address. لا شيء يُظهر من أين خرجت».

«أين الآنسة ضاهر؟» سألت الوزيرة آدمز. «سأغادر إلى ألمانيا في غضون خمس وثلاثين دقيقة، وأريد التحدث معها قبل أن أذهب».

نظروا حولهم كما لو كانوا يتوقعون أن تتجسد أناهيتا أمامهم.

«حسنًا؟» سألت إيلين.

«لم أرها منذ برهة»، قال بوينتون. «ربما عادت إلى مكتبها. سأحضرها إلى الأعلى هنا».

بعد دقيقة أفاد أنها لم تكن هناك.

شعرت إيلين بقشعريرة تسري من قاعدة جمجمتها إلى أسفل عمودها الفقري. «اعثر عليها».

هل اختفت بمحض إرادتها؟ أم تعرضت للإخفاء؟

لم يكن أيٌّ من الاحتمالين جيدًا.

تذكرت إيلين الهمس باسم «آناهيتا ضاهر»، والنظرة بين مدير المخابرات المركزية وبين تيم بيتشام، مدير المخابرات الوطنية في حجرة الاجتماعات داخل البيت الأبيض.

تعرف تلك النظرة. نظرة محفوظة لشخص لا يُدعى جين أو ديبي. أو بيلي أو تيد. لقد أغضبتها في حينها غير أنها وجدت نفسها الآن تفكر في الشيء نفسه.

آناهيتا ضاهر. من أين أتت؟ وما خلفيتها؟

ولمن كان ولاؤها؟

وأين هي؟

سمعت إيلين مجددًا، تلك الإشارة البسيطة إلى الحقيقة. رغم التحذير المبكر، انفجرت القنابل لأن أناهيتا ضاهر قد أحضرت الرسالة إليهم متأخرة جدًّا.

رن هاتفها. الخط الشخصي. كانت كاثرين.

«إنه على قيد الحياة». صرخ صوتها المبتهج عبر الخط.

«يا إلهي»، تأوهت إيلين، ومالت إلى الأمام حتى لامس رأسها مائدة الاجتماعات.

«ماذا؟» سأل بوينتون، وعيناه واسعتان من القلق. «ابنكِ؟»

نظرت إيلين إلى أعلى، والتقت عيناها عينين -على عكس عيني الرئيس- مهتمتين حقًا. فكرت في تلك اللحظة أنها تحب بوينتون.

تحب الجميع.

«إنه حي». قالت قبل أن تعاود الحديث عبر الهاتف. سألت كاثرين: «كيف حاله؟ وأين هو؟»

«إنه مصاب لكن إصابته ليست حرجة. يقولون إنه سيتعافى. أنه في زوم *هيليجين... جيست...*»

«ليس مهمًا». قالت إيلين. «سنكون هناك قريبًا جدًا. قابليني في قاعدة أندروز».

بينما تُغلق الخط، أغمضت أم جيل عينيها واستنشقت نفسًا عميقًا، ثم فتحت الوزيرة آدمز عينيها ونظرت إلى وجوه معاونيها المبتسمة.

«إنه بخير. سيتعافى. سأتوجه إلى هناك. وأنت ستأتي معي». قالت لمدير مكتبها. «هل يوجد أي شيء آخر؟»

هزوا رؤوسهم.

«أي شيء نشك فيه؟»

«هذه كانت هجمات إرهابية منسّقة بكل تأكيد، سيدتي الوزيرة». قال كبير المحللين الاستخباراتيين في الحجرة. «لكن لصالح من، هذا ما لا نستطيع تحديده. كما قلنا، قد يكون أي أحد من مجموعة يمينية متطرفة حتى خلية دولة إسلامية جديدة. لحسن الحظ، لو صدقنا الرسالة التي استلمتها موظفة

الشـؤون الأجنبيـة، فمـن المرجـح أن يكـون التفجيـر الأخيـر».

«فـي الوقـت الراهـن»، قـال أحـد المعاونيـن. «الشـيء الـذي لا أفهمـه لمـاذا حذرونـا بشـأن القنابـل؟ لمـاذا يرسـلون تلـك الرسـالة أصـلًا؟»

«لـم يفعلوا»، قـال المحلل. «أيًـا كان مَـن خطّـط لتلك التفجيـرات فقـد أراد لهـا أن تنفجـر».

«إذًا مـن أرسـل التحذيـر؟» سـألت إيليـن. مـا إن ران الصمـت حتـى قالـت: «توقعوا».

«مجموعـة منافِسـة؟» قـال محلـل المخابـرات الأعلـى. «ربمـا جاسـوس مـزدوج داخـل المنظمـة. شـخص لا يؤمـن بأيديولوجيتهـم، ويرغـب فـي إيقـاف التفجيـرات. نحـن نعمـل بشـكل أعمـى».

«لا، أنتـم تفكـرون فـي كل الأماكـن المتوقعـة». قالـت إيليـن. «استخدموا مخيلاتكم. لا يمكـن أن يوجد الكثيـرون ممن يسـتطيعون أن يجمعـوا الأفـراد والخبـرات اللازمـة لتنفيـذ هـذه الخطـة. أريـد قائمـة». نهضـت. «نحتـاج إلـى أن نعـرف مَـن وراء هـذه الخطـة، ونحتـاج إلـى أن نجهضهـا».

«لا نمتلـك أدنـى فكـرة لمـاذا تلـك الحافـلات بالـذات؟» سـأل بوينتـون. «ولمـاذا تلك المـدن بالتحديـد؟ هـل كان الاختيار عشـوائيًا؟»

اهتـزت الـرؤوس مـرة أخـرى مثـل دمـى الـكلاب فـوق لوحـة عـدادات السـيارة.

وقفـت إيليـن، وحـذا الجميـع حذوهـا. «أرغـب فـي الحديـث إلـى الآنسـة ضاهـر قبـل أن أرحـل. اعثـر عليهـا».

توقفـت أمـام البـاب وقـد تذكـرت مـرة أخـرى تلـك النظـرة التـي

تبادلها مدير المخابرات المركزية وتيم بيتشام.

«صلني بمدير المخابرات الوطنية». قالت لبوينتون.

ما إن وصلت إلى مكتبها حتى كانت المكالمة قد أُجريت.

«تيم».

«سيدتي الوزيرة».

«هل موظفتي في الشؤون الأجنبية بحوزتكم؟»

«لماذا سأفعل ذلك؟»

«لا تعبث معي. قد تمتلك تقارير مخابراتية لكن كل السفارات تحت إمرتي».

«عمليًا...»

«أخبرني فحسب».

«أجل، سيدتي الوزيرة. هي بحوزتنا».

***

لم تحلم آناهيتا بأن هذا ممكن.

ليس هنا. وليس في بلد متحضر.

ليس في بلدها.

جلست إلى طاولة معدنية أمام رجلين في زي عسكري لكن دون شارات أو بطاقات هوية. مخابرات عسكرية. وقف اثنان آخران أضخم حجمًا أمام الباب في حال حاولت الهروب. لكن إلى أين ستهرب حتى لو تخطت ذلك الجدار من اللحم البشري الصلب.

أدركت أن شكهم فيها ينبع من المكان الذي أتت منه. كأنها لم تأتِ من كليفلاند. تستطيع أن تميز ذلك من الطريقة التي يكرروا بها اسمها؛ آناهيتا. يتلفظون به كأن اسمها يُترجم إلى

معنى قبيح. إرهابية. كائن فضائي. عدوة. تهديد. آناهيتا، قالوا باستهزاء. آناهيتا ضاهر.

«لقد ولدت في كليفلاند». شرحت. «يمكنكم أن تتحققوا من ذلك».

«لقد فعلنا». قال الأصغر سنًا بين الضابطين. «لكن السجلات قابلة للتزييف».

«حقًا؟» لم تقصد أن تبدو جاهلة كما بدت. أمكنها أن تدرك أن ذلك قد زاد من شكوكهم. من واقع خبرتهم، لا يمكن أن يوجد شخص ساذج أو بريء إلى هذه الدرجة. وبالتأكيد ليس شخصًا اسمها آناهيتا ضاهر.

ضاهر مشتقة من كلمة «دابر». كلمة عربية تعني «مُدرس» أو «معلم». و«آناهيتا» من المرادف الفارسي لكلمة «شافي» أو «حكمة». لكن إخبارهم بذلك سيكون عديم الفائدة. سيكفون عن الاستماع بعد كلمة «فارسي» التي تُترجم إلى «إيراني». وهو ما يعني «عدوًا». لا، من الأفضل ألا تقول شيئًا. مع هذا تساءلت آناهيتا بداخلها إذا لم يكونوا محقين، وإذا لم يكونوا في الحقيقة في نفس الجانب. من الصعب أن تؤمن أنها كانت تدين بالولاء لأشخاص مثلهما.

«ما خلفيتكِ العرقية؟» سأل الأصغر سنًا بين الاثنين.

«والداي من لبنان. من بيروت. لقد هربا في أثناء الحرب الأهلية، وأتيا إلى هنا لاجئين. أنا أمثل الجيل الأول».

«مسلمة؟»

«مسيحية».

«وديانة والديكِ؟»

«مسيحيان. أحد الأسباب التي أجبرتهما على مغادرة لبنان. كان المسيحيون مستهدفين».

«من أرسل إليكِ الرسالة المشفرة؟»

«لا أعرف».

«أخبرينا».

«أنا أخبركم. لا أعرف بكل صراحة. ما إن وصلت الرسالة حتى عرضتها على مشرفي. يمكنكم سؤاله».

«لا تخبرينا كيف نؤدي عملنا. ردي على الأسئلة فحسب».

«أحاول...»

«هل أخبرتِ مشرفك ماذا عنت الرسالة؟»

«لا، لم أفعل».

«لماذا لم تفعلي؟»

«لأنني لم...»

«انتظرتِ حتى انفجرت قنبلتان، وفات الأوان على إيقاف الثالثة».

«لا، لا!» شعرت بالارتباك، وصارعت حتى تستعيد السيطرة على أفكارها.

«ثم مسحتِ الرسالة».

«اعتقدتُ أنها رسالة غير مرغوب فيها».

«رسالة غير مرغوب فيها؟» سأل أكبرهما. صوته أكثر عقلانية، وأكثر رعبًا بكثير. «أرجوكِ، اشرحي ذلك».

«نصـادف ذلـك أحيانًـا. تجـوب البوتـات[21] Bots عبـر عناويـن مختلفـة، وترسـل رسـائل عشـوائية. تصلنـا جميعًـا مثـل هـذه الرسـائل إلـى بريدنـا الإلكترونـي الشـخصي. يعتـرض الجـدار النـاري لـوزارة الخارجيـة معظمهـا، لكـن بعضهـا يتسـلل عبـره...» مـا إن قالـت «يتسلل» حتـى ندمـت علـى اسـتخدامها هـذه الكلمة لكنها اسـتطردت: «يحـدث ذلـك مـرة تقريبًـا فـي الأسـبوع». كانـت علـى وشـك أن تقـول، *تستطيعون سؤال أي موظف آخـر فـي إدارة الشؤون الأجنبية* لكنهـا ألجمـت نفسـها. كانـت تتعلـم. «عندمـا تعبـر بعـض الرسـائل، يمكـن أن تبـدو عديمـة المعنـى. مثل هـذه الرسـالة. إنْ لـم أفهمهـا، أسـأل».

«هل تلومين مشرفكِ إذًا؟» سأل الأصغر سنًا.

«لا، بالطبـع لا. أنـا أجيـب عـن الأسـئلة فحسـب». اندفعـت قائلـة. بـات غضبهـا الآن أقـوى مـن خوفهـا. اسـتدارت إلـى الضابـط الأعلـى رتبـة. «إذا علمنـا أن رسـالة مـا رسـالة عشـوائية غيـر مرغـوب فيهـا، نسـتطيع مسـحها أو عرضهـا علـى مشـرفنا حتـى يبـدي رأيـه ثـم نمسـحها. وهـذا مـا فعلتـه».

سـكت ضابـط المخابـرات الأعلـى رتبـة هنيهـة ثـم مال إلـى الأمام. «لـم يكـن ذلـك كل مـا فعلتِـه. لقـد دونـت الأرقـام. لماذا؟»

صمتـت آناهيتـا سـاكنة فـي مكانهـا، وهـي تتسـاءل كيـف تشـرح الأمـر.

«بدت الرسـالة غريبة فحسب».

21- البوتـات أو روبوتـات الويـب: برامـج تـؤدي مهـامّ تلقائيـة علـى الإنترنـت. وتعمـل علـى جلـب وتحليـل المعلومـات مـع خـوادم الويـب تلقائيًـا وبسـرعة فائقـة. (المترجـم).

هبطت الكلمات داخل الغرفة الصغيرة المغلقة بدوي. هز العميل الأصغر رأسه، ومال إلى الوراء لكن الضابط الأكبر استمر يراقبها.

«أعرف أن ذلك بالكاد تفسير لكنه الحقيقة». قالت، وهي توجه كلامها إلى الرجل الأكبر رتبة فقط.

«لست متأكدة تمامًا لماذا فعلت ذلك».

بدا ذلك أسوأ حتى. استطاعت أن تميز ذلك لأن الضابط الأعلى رتبة لم يبدِ أي ردة فعل على الإطلاق. لا شيء. شعرت آناهيتا بأنه لا يتنفس حتى. ثم كان أمام الباب ضجيج. مع هذا لم يتحرك ضابط المخابرات الأعلى رتبة. كان يثق بأن الحراس سيؤدون عملهم بينما يؤدي هو عمله الذي بدا في تلك اللحظة أنه التحديق إليها.

«تنح جانبًا».

التفت الضابط الأعلى رتبة لينظر إلى الباب. فعلت آناهيتا الشيء نفسه. كان صوتًا مألوفًا لها. بعد لحظة، دخل تشارلز بوينتون تتبعه وزيرة الخارجية. انتفض الجميع واقفين مع أن الضابط الأعلى رتبة قد نهض أبطأ من الآخرين.

«سيدتي الوزيرة». قال، وعندما شرعت آناهيتا تقول شيئًا لإيلين، أخرسها بنظرة.

«موظفتي في إدارة الشؤون الأجنبية بحوزتك». قالت إيلين، وهي تلقي نظرة مقتضبة إلى آناهيتا لتتأكد من أنها بخير. بدت الشابة متوترة لكنها لم تصب بأذى.

«نعم. لدينا بعض الأسئلة لها».

«وأنا كذلك. أخبرني باسمك، رجاء».

تردد لحظة قبل أن يقول: «جيفري روزين. عقيد في جهاز استخبارات الدفاع».

مدت إيلين يدها، وهي تقول: «إيلين آدمز، وزيرة خارجية الولايات المتحدة».

صافحها روزين، وهو يبتسم ابتسامة طفيفة.

«هل يمكننا الحديث، أيها العقيد؟ على انفراد، رجاء».

أومأ إلى الضابط الأصغر سنًا الذي قاد آناهيتا خارج الحجرة لكن ليس قبل أن تقول: «سيدتي الوزيرة، جيل؟ هل هو...»

«في المستشفى. سوف يتعافى».

أومأت آناهيتا إيماءة قصيرة، وكتفاها تتمايلان وقد تحررت من ساعات من القلق.

«تعرفين أنني... لم أكن متورطة».

تجاهلت إيلين ذلك، وهي تومئ برأسها إلى الآخرين حتى يتركوها والعقيد بمفردهما. مكث تشارلز بوينتون فقط، واقفًا بجوار الباب.

«ما الذي أخبرتكم به؟»

«فقط أشياء كثيرًا ما تعرفينها بالفعل». لخص سلسلة الأحداث بداية من اللحظة التي ظهرت فيها الرسالة في صندوق الرسائل الواردة الخاص بموظفة إدارة الشؤون الأجنبية إلى أن انفجرت القنبلة.

«ما لا نعرفه هو...»

«لماذا دونت الأرقام؟» قالت إيلين.

حاولت ألا تعدّ حاجبيه المرتفعين إهانة. كانت إيلين آدمز معتادة على استهانة الناس بها. كثيرًا ما يقلل رجال صغار من قدر نساء متحققات في منتصف أعمارهن. مع أنها لا تعدّ هذا العقيد من ضمنهم. كان ليتفاجأ بالقدر نفسه لو أن اللواء وايتهيد قد وصل إلى تلك الإجابة سريعًا أيضًا.

«وماذا كانت الإجابة؟» سألت.

«لا تمتلك تفسيرًا».

«ألا تظن، أيها العقيد، أنها لو كانت عميلة أجنبية، أنها لو كانت متورطة في هذا لامتلكت تفسيرًا؟»

فاجأه ذلك، وفكر فيه مليًا. «تبدو بريئة».

«وذلك يجعلها مذنبة من وجهة نظرك؟ كنتَ لتبلي بلاء جسنًا في محاكمة الساحرات». مشت إيلين نحو الباب. «سأذهب إلى ألمانيا». تبعها. «أتمنى أن تحصلي على أجوبة، سيدتي الوزيرة. أشعر بالراحة لسماع أن ابنكِ بخير. إنه رجل شجاع».

أوقف ذلك إيلين. تمهلت لتنظر إلى هذا العقيد في المخابرات العسكرية، وتساءلت إن كان يعرف حقًا كم كان ابنها شجاعًا. ليس اليوم فحسب. لكن في أثناء تلك الأيام الرهيبة في أفغانستان. كان وجه روزين أشبه بشيفرة، لا يشي بأي شيء.

«سنواصل العمل من هنا. آناهيتا ضاهر تعرف شيئًا».

«إذا كانت تعرف فأتمنى أن أنتزعه منها على متن الطائرة إلى ألمانيا».

عرفت إيلين أنه ربما ما كان عليها أن تستمتع إلى هذه الدرجة بنظرة الدهشة التي علت وجه العقيد روزين لكنها فعلت.

«سيكون ذلك خطأ». لم يقل «*سيدتي الوزيرة*» هذه المرة. مجرد تصريح جريء وفظ. «الآنسة ضاهر متورطة في هذا. لا أعرف كيف لكنها كذلك. حتى أنتِ يجب أن تري هذا».

«حتى أنا؟» كانت عيناها قاسيتين مثل نبرة صوتها. «أنا وزيرة خارجيتكَ. قد تخالفني الرأي. من الواضح أنك تفعل. لكنك ستُظهِر احترامك لي».

«آسف». سكت لكنه لم يتراجع. «أعتقد أنكِ ترتكبين خطأ، سيدتي الوزيرة». تفحصته إيلين مليًا. لقد عبّر عن رأيه. عن حقيقته. وهو ما كان أكثر مما سيفعله الأغلبية في هذا الخواء الذي استحالت إليه المستويات العليا من الحكومة.

«لأخبركِ بشيء آخر، سيدتي الوزيرة. آناهيتا ضاهر شخص لا يمكن الوثوق به».

«أجل، لقد وضحت ذلك أيها العقيد، وصدقني، لقد أخذت ما قلته جديًا. مع هذا لا تزال الآنسة ضاهر ستأتي معي».

ما لم يرَه العقيد هو النظرة التي علت وجه موظفة إدارة الشؤون الأجنبية المبتدئة، وهي تحاول أن تقنع الوزيرة آدمز أن هجومًا ثالثًا وشيك. كانت عيناها تعكسان ذعرًا خالصًا. كانت امرأة شابة متلهفة لإيقاف التفجير. تعرف إيلين أنه لولا آناهيتا لكان ابنها ميتًا. تدين لها. لكن هل تثق بها؟ ليس تمامًا. قد تكون النظرة على وجه موظفة إدارة الشؤون الأجنبية وهي تتوسل إلى إيلين حتى تصدقها، حتى تفعل شيئًا مجرد تمثيلية، حيلة للوصول إلى الدائرة الداخلية. للتلاعب بهم فيما يُخطط لهجوم أضخم بكثير. تعرف إيلين أن العقيد روزين يعتقد أنها أكثر

سذاجة مما كانت. وذلك يناسب إيلين في الوقت الراهن إلى أن تستطيع التفريق بين الحليف والعدو.

ولو كانت آناهيتا متورطة، فإيلين تريد أن تبقيها قريبة لتراقبها. أن تعطيها إحساسًا زائفًا بالأمان يدفعها لارتكاب خطأ. إلا إذا، فكرت إيلين وهي تتقدم الطريق نحو الليموزين المنتظرة لتأخذهم إلى قاعدة أندروز، كانت هي من ترتكب الخطأ.

***

حاولت آناهيتا في أثناء رحلة الطيران أن تعبِّر للوزيرة آدمز عن شكرها على إنقاذها وعلى ثقتها بها وعلى إحضارها معهم إلى ألمانيا حيث ستستطيع رؤية جيل. أرادت أن تشرح لها أنها لا تعرف شيئًا ولا تخفي أي شيء، لكن لو قالت ذلك، لكان ذلك كذبة.

***

الفصل الحادي عشر

كان الفجر يدنو حين استعاد جيل باهار وعيه. شعر بأطرافه ثقيلة ومتشنجة كأنه مقيد. استدعى ذلك ذكريات مبهمة. ثم فجأة سرى الذعر داخله، ولم تعد مبهمة أو مجرد ذكريات. يستطيع الشعور بالحبال القذرة تمزق معصميه وكاحليه. ويشم الرائحة النتنة للبراز والبول، وطعام ولحم متعفن. استنشاقه التراب وهو يرقد، ووجهه يلامس الأرض. العطش. *العطش*. والرعب. ثم انتفض مستيقظًا، واستعاد وعيه سريعًا وهو يصارع حتى يجلس وقد غمره خوف مفاجئ.

«كل شيء على ما يرام». أتاه صوت مألوف مصحوبًا برائحة مألوفة مطمئِنة ومقلقة. «أنت في أمان».

صارع حتى استطاع التركيز أخيرًا. «*ماما؟» ماذا تفعلين هنا؟ هل اختطفوكِ أيضًا؟*

«لا بأس». قالت برقة. وجهها قريب منه لكن ليس قريبًا جدًّا.

«أنت في المستشفى. يقول الأطباء أنك ستكون بخير في غضون أيام قليلة». ثم عادت إليه الذكريات. راح عقله المصاب بالكدمات يعمل. يقفز ويتعثر إلى الوراء. فرانكفورت. الناس. المارة. الحافلة. وجوه الركاب تحدق إليه. الأطفال.

المرأة مع الحقيبة الجلدية. ماذا كان اسمها؟ اسمها...

«ما اسمك؟» [22]

22- وردت بالألمانية في الأصل. (المترجم).

توهـج ضـوء سـاطع فـي عينيـه. وُضِعـت يـد فـوق رأسـه، وثبتتـه إلـى أسـفل فـي مكانـه. وأبقـت جفونـه مفتوحـة.

«مـاذا؟» قـال جيـل وقـد بـدأ يتقلـب فـي مرقـده بهيجـان. تقهقـرت امـرأة، طبيبـة إلـى الـوراء.

«آسفة. اسمك. ما اسمك، رجاء؟»

كان عليه التفكير لحظة. «جيل».

««جيم» كما في جيلبرت؟»

سـكت هنيهـة قبـل أن يتفـق معهـا، وهـو عاجـز عـن النظـر إلـى عينـي أمـه.

«اسـم عائلتـك؟» صـوت الطبيبـة رقيـق غيـر أنـه صـارم بنبرتـه الألمانيـة الثقيلـة. اسـتغرق ذلـك مـدة أطـول. لمـاذا لا يسـتطيع التذكـر؟

«بُخاري»، اندفع قائلًا. «نسرين بُخاري».

نظرت الطبيبة إليه ثم التفتت إلى أمه. كلتاهما تبدوان قلقتين.

«لا، لا». قـال وهـو يحـاول أن يجلـس. «اسـمي جيل باهـار. اسـمها الدكتـورة نسـرين باهـار».

«اسمي الدكتورة جيرهاردت». صححت له.

«لا أقصـدكِ، بـل المـرأة فـي الحافلـة». تجـاوز بعينيـه الدكتـورة إلـى أمـه. «كنـت أتتبعهـا».

كانـت إيليـن تقـف جانبًـا علـى مسـافة قصيـرة فقـط. طلبـت مـن الآخريـن أن ينتظـروا فـي الخـارج فـي أثنـاء جلوسـها مـع جيل. مـا إن اهتـاج حتـى سـارعت إلـى الضغـط علـى زر اسـتدعاء الطبيـب.

تقدمت الآن إلى الأمام.

«اترك الدكتورة تفحصك ثم سنتحدث».

ثبتت عينيها على عيني جيل حتى تُعرِّفَه أنه من الأفضل أن يتفوه بالقليل في وجود شخص آخر. اتفق مع ذلك. بالإضافة إلى أن ذلك سيمنحه الوقت حتى يفكر مليًا، ويعيد ترتيب الفوضى داخل عقله، ويستخرج أشياء محددة منها.

لماذا ذلك الاسم، نسرين بُخاري، يوتره ويخيفه؟

من هي؟

***

أنهت الدكتورة جيرهاردت فحصها وبدت راضية. أخبرتهما بأنه يعاني ارتجاجًا في المخ وكسورًا في ضلوعه وكدمات. «ويوجد جرح غائر في فخذك. أنت محظوظ. كان الجرح ليكون خطِرًا لولا أن المارة قد ضغطوا عليه سريعًا، وأوقفوا النزيف. لقد خِطناه بالغرز، ومع هذا تحتاج إلى الراحة بضعة أيام».

ما إن غادرت الدكتورة حتى حصل جيل على إجابته. لم تكن الدكتورة بُخاري من تُخيفه، بل الشخص الواقف وراءها في الظلال.

***

شاهدت إيلين الباب الثقيل ينغلق وراء الدكتورة قبل أن تلتفت إلى ابنها من جديد. مدت يدها نحو يده لكنه سحبها بعيدًا. لم يكن ذلك تصرفًا حادًا، بل عفويًا. وهو ما جعل الأمر أسوأ لديها.

«أنا آسفة» شرعت تتحدث لكنه قاطعها، مشيرًا إليها حتى تنحني نحوه. فكرت لحظة مقتضبة أنه ربما سيلثم خدها لكنه همس إليها: «بشير شاه».

أدارت رأسها، وحدقت إليه.

لم تسمع إيلين آدمز بذلك الاسم منذ أعوام. ليس منذ تلك الاجتماعات الطويلة مع محامي الشركة عندما حذروها ألا تذيع وثائقيًا استقصائيًا عن تاجر الأسلحة الباكستاني الذي وُلِد في إسلام آباد لكن تربى في لندن. صار راديكاليًا في أثناء دراسته الفيزياء في كمبريدج. تطلب الأمر من صحافيها أكثر من سنة من أجل التنقيب عن المعلومات، وأدى الموضوع إلى تلقيه تهديدات بإيذاء عائلته. واختفى أكثر من مصدر من مصادره من الوجود. كان من المستحيل بعد كل ذلك أن يتراجعوا عن إذاعة القصة. أنكر الدكتور شاه الاتهامات الموجهة إليه بالاتّجار في السلاح، وأصدر بيانًا نادرًا يشجب فيه الهجمات على مواطن باكستاني محترم. وأن تلك الاتهامات من نوعية الاتهامات الكاذبة نفسها التي وُجِّهت إلى أسلافه ومعلميه: علماء الفيزياء النووية الباكستانيون الذين مهدوا الطريق له. أشخاص مثل عبد القدير خان[23]. شرح الدكتور شاه إن باكستان حليفة الغرب في الحرب على الإرهاب.

الحقيقة أن كونه مصدرًا لذلك الإرهاب كان غاية الوثائقي. وبكل تأكيد كان ثمة حقيقة أعمق مدفونة في نفيه الفاتر. أراد بشير شاه العالم أن يعرف أنه أحد تجار الموت.

أدركت إيلين آدمز مرعوبة أنها قد صنعت دعاية له دون قصد،

23- عبد القدير خان (1936-2021): عالم باكستاني في الفيزياء النووية. يُعدّ الأب الروحي للبرنامج النووي الباكستاني. فهو مؤسسه وأدى الدور الأبرز في وجود أول قنبلة نووية باكستانية. (المترجم).

وعلى حساب الكثير من الأرواح. لقد أرشد الفيلم الاستقصائي الفائز بجائزة الأوسكار الإرهابيين من أين يحصلون على أسلحتهم البيولوجية؛ غاز السارين المثير للأعصاب والكلور والأسلحة الخفيفة وقاذفات الصواريخ. وما هو أسوأ من ذلك.

«هل كان على متن الحافلة؟» سألت بريبة.

«لا، لكنه من وراء الأمر».

«التفجيرات؟»

هز جيل رأسه نافيًا. «لا، ليس قنابل الحافلات، بل شيء آخر. لا أعرف من وراء القنابل».

«قلت إنكَ كنت تتبع امرأة. نسرين...» حاولت إيلين أن تتذكر اسمها الأخير.

«بُخاري». قال جيل. «أخبرني أحد المخبرين أن شاه قد جند ثلاثة علماء فيزياء نووية باكستانيين. دكتورة بخاري واحدة منهم. أردت أن أرى أين ستذهب. وأن أعرف ما يخطط له شاه ومكانه».

«لكننا نعرف مكانه». قالت إيلين. «إنه تحت الإقامة الجبرية في بيته في إسلام آباد منذ سنوات».

اتخذ الباكستانيون إجراء احترازيًا بمراقبة منفذ الإنترنت الخاص بدكتور شاه. بخلاف تجار الأسلحة الآخرين، كان بشير شاه رجل أعمال ومُنظِّرًا أيضًا. والآن في أواخر الأربعينيات، كان متأثرًا تأثرًا عميقًا بالمواقع الجهادية على الإنترنت. مع أنه كان معجبًا بالجيل السابق من علماء الفيزياء النووية، غير أنه قد صار مع الوقت مؤمنًا بأنهم لم يأخذوا الأمر إلى البعد الكافي. لكنه سيفعل. وفي سبيل ذلك لن يتورع عن تجاوز أي خط.

«لقد أطلق الباكستانيون سراحه العام الماضي». قال جيل.

«لـن يفعلـوا ذلـك». قالـت، وهـي ترفـع صوتهـا ثـم تخفضـه ثانيـة علـى إثـر نظـرة تحذيـر مـن ابنهـا. «لا يسـتطيعون ذلـك». همسـت بصـوت أشـبه بالفحيـح. «كنـا لنعـرف عـن الأمـر. لـن يفعلـوا شـيئًا كهـذا أبـدًا مـن وراء ظهورنـا. لقـد كانـوا عمـلاء أمريكيـن مـن عثـروا عليـه فـي المقـام الأول».

«لـم يفعلـوا ذلـك مـن وراء ظهورنـا. لقـد أعطـت الإدارة السـابقة موافقتهـا».

ارتـدت إيليـن إلـى الـوراء، وهـي تحـدق إلـى ابنهـا فيمـا تحـاول أن تسـتوعب مـا قالـه. كانـت حائـرة لمـاذا يتحدثـان همسًـا. عرفـت الآن. لـو كان مـا قالـه حقيقيًـا...

جالـت بعينيهـا فـي أنحـاء الحجـرة الخاصـة كأنمـا تتوقـع رؤيـة بشـير شـاه يقـف فـي أحـد الأركان يراقبهمـا.

اندفعـت أفكارهـا وهـي تجمـع القطـع المختلفـة معًـا فـي محاولـة لمـلء الشـقوق والفراغـات.

عرفـت إيليـن آدمـز مـن قراءتهـا البيانـات الموجـزة فـي وزارة الخارجيـة أن فـي العالـم الكثيـر مـن الممثليـن السـيئين. رجـال ونسـاء لا يعبـؤون بـأي شـيء وأي شـخص فـي سـعيهم وراء أهدافهـم: الأسـد فـي سـوريا، أبـو إبراهيـم الهاشـمي القرشـي فـي تنظيـم الدولـة الإسـلامية، كيـم جونـج-أون فـي كوريـا الشـمالية. ومـع أن الدبلوماسـية لا تسـمح لهـا بقـول هـذا رسـميًا، كانـت إيليـن آدمـز تضيـف سـرًا «إيفانـوف» الرئيـس الروسـي إلـى تلـك القائمـة.

لكن لا أحد يُقارن ببشير شاه. لم يكن شخصًا سيئًا أو خبيثًا فحسب، كما كانت لتقول جدتها. كان بشير شاه شريرًا شرًا خالصًا. مصممًا على أن يخلق جحيمًا على وجه الأرض.

«كيف عرفت يا جيل بشأن شاه وعلماء الفيزياء؟»

«لا أستطيع إخباركِ».

«يجب عليك ذلك».

«إنه مصدر. لا أستطيع». سكت متجاهلًا الغضب في عينيها. «كم عددهم؟» سألها.

فهمت ما يرمي إليه. «لا توجد أرقام مؤكدة بعد لكن يبدو أنه كان على متن الحافلة ثلاثة وعشرون قتيلًا، وخمسة قتلى كانوا في الشارع».

تدفقت الدموع من عيني جيل الداكنتين وهو يتذكر وجوههم. تساءل لو كان بإمكانه أن يفعل أكثر مما فعل. كان بوسعه على الأقل أن ينتزع ذلك الطفل من بين ذراعي أمه، و...

«لقد حاولت». قالت أمه.

لكن هل كانت محاولته جيدة بالقدر الكافي؛ وجد نفسه يتساءل. أم أن تلك الفكرة المُطمئِنة في الحقيقة مجرد حجر عثرة في الطريق إلى الجحيم؟

***

اتخذت كاثرين مكان أمها بجانب فراش جيل، وجلست برفقة أخيها غير الشقيق في أثناء نومه ثم استيقاظه المفاجئ من كابوس ما، ثم استغراقه في النوم ثانية.

دخلت آناهيتا إلى الحجرة لتلقي التحية على جيل. ابتسم لها، ومد لها يده.

«سمعت أنكِ قد أنقذتِ حياتي».

«أتمنى لو كنت أستطعت إنقاذ المزيد من الأرواح».

التقطت يده. كانت مألوفة لها بشدة. يد عرفت جسدها ربما أكثر مما تعرفه هي. تحدثا هنيهة، وعندما تثاقلت عيناه تركته. كادت تنحني لتطبع قبلة على خده لكنها منعت نفسها. ليس فقط لأن كاثرين موجودة لكن لأن فعل هذا لن يكون لائقًا. لم يعودا «ذلك الذي كاناه في السابق».

ما إن أصبحت خارج الحجرة حتى أشار بوينتون إليها. «ستأتين معنا».

***

«رجاء، خذنا إلى موقع التفجير». قالت الوزيرة آدمز إلى سائق سيارة الأمن الدبلوماسي ما إن صارت وبوينتون وآناهيتا وبيتسي داخل العربة. «وبعد ذلك إلى القنصلية الأمريكية».

تبعتهم سيارة أخرى تضم المعاونين والمستشارين، وقد أحاطت عربات الشرطة الألمانية بالسيارتين من جميع الاتجاهات.

«لقد أخبرت القنصل بأنكِ ستكونين هناك في غضون ساعة». قال بوينتون. «هو ورجاله يجمعون أكبر قدر ممكن من المعلومات عمَّا حدث هنا. ستعقدين اجتماعًا معه ثم مع أرفع رجال الأمن والمخابرات الأمريكية في ألمانيا. بعدها، سيُعقد اجتماع فيديو مع نظرائكِ. هنا قائمة بالحضور اقترحها الفرنسيون».

ألقت إيلين نظرة إلى الدول والأسماء، وهي تشطب بعضًا وتضيف دولًا أخرى. أرادت أن لا ترتكب أي أخطاء.

سألت وهي تناول بوينتون قائمة الأسماء: «هل العربة محمية؟»

«محمية؟»

«هل فُتِّشت العربة؟»

«فُتِّشت؟» سأل بوينتون.

«توقف عن تكرار كل شيء أقوله، وأجب فحسب».

«نعم، إنها محمية، سيدتي الوزيرة». قال ستيف كواليسكي، مدير أمنها الدبلوماسي الذي كان يركب معهم العربة في مقعد الراكب الأمامي.

نظر بوينتون إليها من كثب. «لماذا؟»

«ماذا يمكنك أن تحدّثني عن بشير شاه؟»

خفضت صوتها رغم التطمينات السابقة.

«شاه؟!» سألت بيتسي هذه المرة.

ما إن تجاوزت إمبراطورية إيلين الإعلامية كل التوقعات حتى طلبت من بيتسي أن تستقيل من وظيفتها بصفة معلمة وتنضم إليها. في ذلك العالم المملوء بالتستوستيرون؛ احتاجت إيلين إلى حليفة ومستشارة مقربة. ساعد في ذلك أن بيتسي كانت شرسة، سواء أتعلق ذلك بذكائها أم تعلق بولائها. كانت بيتسي من أشرفت على إعداد الوثائقي عن تاجر الأسلحة بشير شاه.

«هو ليس من وراء هذا، أليس كذلك؟» سألت. «أخبريني أنه ليس وراء هذا».

لاحظت إيلين أن بيتسي لم تكن متفاجئة فقط، بل متشككة أيضًا. ثم مع عبورهم شوارع فرانكفورت تحول تعبير وجه بيتسي من الشك إلى القلق قبل أن يستقر في النهاية على شيء أقرب إلى الخوف.

«من؟» سأل تشارلز بوينتون.

«بشير شاه». كررت إيلين. «ماذا تعرف عنه؟»

«لا شيء. لم أسمع عن الرجل مطلقًا».

نظر إلى الوزيرة آدمز، ثم إلى بيتسي قبل أن يعاود النظر إلى وزيرة الخارجية. لم يهتم بالنظر إلى آناهيتا ضاهر، لكن إيلين فعلت. وما رأته هو تعبير مشابه للتعبير على وجه بيتسي. مشابه لكن ليس مماثلًا. لم تكن آناهيتا عند ذكر بشير خائفة فحسب بل مرعوبة. أما ما شاهده بوينتون فقد كان تعبير مديرته الموجه إليه. كانت إيلين آدمز غاضبة أكثر من أي مرة شاهدها فيها مع اعتبار أنه لم يعرفها من سوى شهر.

«أنت تكذب قطعًا».

«آسف؟» قال، وهو بالكاد يصدق ما سمعه للتو.

«لا بد من أنك تعرف شاه». انفجرت بيتسي. «إنه...»

لكن إيلين سارعت إلى وضع يدها على ساقها لتُوقِفها. «لا، لا تقولي المزيد».

«هذا سخيف». انفجر بدوره. ثم أضاف سريعًا: «سيدتي الوزيرة. لا أعرف صدقًا من تتحدثين عنه. أنا جديد في وزارة الخارجية أيضًا».

هذا صحيح. لقد عينت باربرا ستينهاوزر بموافقة من الرئيس تشارلز بوينتون مديرًا لمكتب إيلين. كان ذلك مفاجئًا لكليهما. فبدلًا من أن تختار إيلين مدير مكتبها أو تعيِّن أي أحد في الوزارة بعد، زرعوا أحد كبار المعاونين السياسيين من حملتهم الانتخابية في الوظيفة الإدارية الأبرز في وزارة الخارجية. اشتبهت إيلين في

أن هـذا كلـه جـزء مـن جهـود الرئـيس وليامـز للتقليـل منهـا. لكـن الآن تسـاءلت إن كان ثمـة غايـة أكثـر قتامـة. أمـن الممكـن أن يكـون تشـارلز بوينتـون جاهـلًا بهـذا القـدر حقًـا؟ كيـف لا يعـرف بشـير شـاه؟ مـع أن شـاه قـد عـاش فـي الظـلال، لكـن أليسـت وظيفتهـم أن يـروا مـا وراء تلـك الظـلال؟

«لقـد وصلنـا، سـيدتي الوزيـرة». قـال كواليسـكي مـن المقعـد الأمامـي.

تجمـع المئـات ليلقـوا نظـرة غيـر أن حواجـز خشـبية تمنعهـم مـن الوصـول إلـى موقـع الانفجـار. التفـت المتفرجـون ليشـاهدوها فـي أثنـاء ترجلهـا مـن السـيارة. سـرى صمـت غريـب كسـرته التكـة الخافتـة لبـاب السـيارة وهـو ينغلـق.

اسـتقبلها ضابـط الشـرطة الألمانيـة المسـؤول وعميـل رفيـع المسـتوى فـي المخابـرات الأمريكيـة فـي ألمانيـا. سـكوت كارجيـل، مديـر مكتـب جهـاز المخابـرات المركزيـة فـي ألمانيـا.

«لا يمكننا الاقتراب كثيرًا»، شرح الأمريكي.

مضـت اثنتـا عشـرة سـاعة تقريبًـا علـى الانفجـار. أخـذت الشـمس تشـرق فوق مـا بـدا أنـه يـوم آخـر بـارد ورطـب ورمـادي مـن أيـام فبرايـر. كئيـب وغيـر مُرحّـب. بـدت فرانكفـورت، تلـك المدينـة الصناعيـة، فـي أسـوأ حالاتهـا. فرانكفـورت المدينـة التـي لـم تكـن فـي أفضـل حـال فـي أغلـب الأوقـات. معظـم ثِقلهـا التاريخـي قـد قُصـف فـي أثنـاء الحـرب. مـع أنهـا تعدّ «مدينـة عالميـة»؛ عـادت إلـى مكانتهـا بوصفهـا محـورًا اقتصاديًـا، فقـد كانـت تفتقـد سـحر مـدن عـدة أصغـر منهـا، وتفتقـد الإثـارة وطاقـة الشـباب فـي برليـن.

نظـرت إيليـن وراءهـا إلـى النـاس الصامتيـن الذين راحـوا يتجمعون أمـام الحـواجز.

«أقارب في الأغلب». شـرح الضـابط الألمـانـي.

كانـت الأرض مغطـاة بالفعـل بسـجادة مـن الزهـور ودمـى دببـة وبالونـات، كأنهـا تسـتطيع طمأنـة المـوتـى. وممـا تعرفـه إيليـن، فقـد كانـت متأكـدة مـن أنهـا تسـتطيع ذلـك.

طافـت بعينيهـا فـي الدمـار: المعـادن الملتويـة، الطـوب والزجـاج، المـلاءات الملطخـة بالأحمـر والموضوعـة فـوق الأرض مسـتوية تقريبًـا. تعـرف أن الصحـافـة ترصدهـا وتسـجل تحركاتهـا. مـع هـذا واصلـت التحديـق إلـى حقـل المـلاءات الممتـد إلـى مسـافة بعيـدة، وزواياهـا ترتفـع قليـلًا بفعـل النسـيم تـكاد تبـدو جميلـة، تـكاد تبـدو مسـالمة.

«سيدتي الوزيـرة؟» قـال سـكوت كارجيـل، مـع هـذا اسـتمرت إيليـن تحـدق. ربمـا كانـت تلـك المـلاءات لتغطـي جثـة جيـل الآن.

كل مـلاءة تغطـي ابنًـا أو أمًـا أو أبًـا أو زوجًـا أو زوجـة أو صديـق أحدهـم.

سـاد الصمـت. بالـكاد يُسـمع أي صـوت. فقـط نقـرات الكاميـرات المألوفـة الموجهـة إليهـا.

«نحـن المـوتـى». فكـرت وهـي تتذكـر قصيـدة الحـرب، *«قبـل أيـام قليلـة، عشـنـا، وأحسسـنـا بالفجـر، ورأينـا توهـج الغـروب. أحببنـا وكنـا محبوبيـن...*[24]»

24- مـن قصيـدة «فـي حقـول الفلانـدرز» للشـاعر الكنـدي جـون ماكريـه الـذي كان طبيبًـا وشـاعرًا ورسـامًا وضابطًـا خـلال الحـرب العالميـة الأولـى. (المترجـم).

نظـرت إيليـن وراءهـا إلـى الأقـارب وهـم يشـاهدونها. ثـم عـادت لتحـدق إلـى المـلاءات الأشـبه بحقـل مـن زهـور الخشـخاش.

«إيليـن؟» همسـت بيتسـي، وهـي تخطـو لتفصـل بينهـا وبيـن الصحافييـن، وتُشـكل درعًـا يحمـي صديقتهـا ولـو لحظـة. التقـت عينـا إيليـن عينيهـا، وأومـأت برأسـها.

ابتلعـت ريقهـا وأخمـدت الرعـب بداخلهـا قبـل أن تحـول الوزيـرة آدمـز الاشـمئزاز والمقـت اللذيـن تشـعر بهمـا إلـى عزيمـة.

«ماذا تستطيع أن تخبرني به؟» سـألت الضابط الألماني.

«القليـل جـدًّا، سـيدتي. كان انفجـارًا هائـلًا كمـا تسـتطيعين أن تـري. أيًـا كان مـن فعـل هـذا فقـد أراد أن يتأكـد مـن أن يحقـق هـذا التفجيـر هدفـه».

«وما ذلك الهدف؟»

هــز رأســه. لـم يكـن يبـدو عليـه الإنهـاك البدنـي لكـن لا بـد مـن أنـه مسـتنزف ذهنيًـا فهـو يؤدي عملـه الآن منـذ أربـع وعشـرين سـاعة متواصلـة تقريبًـا.

«أفتــرض أنــه هــدف التفجيريــن الآخريــن نفســه. فــي لنــدن وباريــس». التفــت حولــه ثــم عــاود النظــر إليهــا.

«إذا كان لديـك أي رؤيـة للموقـف، أرجـوك، أخبرنـي». تفحصهـا، ثـم حيـن سـاد صمـت تـام، اسـتطرد،

«وفقًـا لمـا نعـرف، لا يوجـد أي شـيء هنـا، فـي هـذه البقعـة، قـد تعـدّه أي منظمـة هدفًـا اسـتراتيجيًا»

استنشقت إيلين نفسًا عميقًا، وشكرته.

لقـد سـألت عـن الهـدف لكنهـا تعـرف بالفعـل جـزءًا مـن الإجابـة

على الأقل، غير أنها لا تستطيع أن تخبرهم بالدكتورة نسرين بُخاري: عالمة الفيزياء النووية التي كانت على متن الحافلة. ليس بعد. ليس قبل أن تعرف أكثر. وأرادت أن تُبقي أمر بشير شاه لنفسها إلى أن تتحدث إلى نظرائها.

ألقت إيلين نظرة أخيرة طويلة قبل أن ترجع إلى السيارة. هل ارتُكِب كل هذا من أجل قتل شخص واحد؟

وقد ذكر الضابط الألماني باقتضاب شديد أنه يكاد يُجزِم أن الهدف من التفجير هنا مشابه للتفجيرين في لندن وباريس. وهو ما كان يعني أن...

«نحتاج إلى الذهاب إلى القنصلية». قالت لبوينتون. مع هذا، توقفت إيلين أمام الحاجز للحديث إلى الأقارب، وإلقاء نظرة إلى الصور التي يحملونها لأبنائهم وبناتهم وأمهاتهم وآبائهم وأزواجهم وزوجاتهم الذين يفتقدونهم.

« ... لو نقضتم العهد معنا، نحن الموتى، فلن ننام..»

لم يكن لدى إيلين أي نية في أن تنقض العهد.

مع هذا وجدت نفسها تتساءل فيما تنظر وهي تجلس في العربة التي تُسرع عبر شوارع فرانكفورت في بواكير الصباح إلى تشارلز بوينتون وآناهيتا ضاهر. تتساءل إن كانت قد نقضت بالفعل العهد دون قصد.

الفصل الثاني عشر

تلقت التأكيد ما إن عُقِد الاجتماع.

شاهدت إيلين على شاشتها وزراء الخارجية من الدول المنتقاة بصحبة أرفع معاونيهم وضباط أجهزة مخابراتهم.

«كانت معلوماتكِ صحيحة، سيدتي الوزيرة». قال وزير الخارجية البريطاني، ولم تعد نبرته متعالية بشدة كما كانت. «لقد تعرفنا على الدكتور أحمد إقبال بصفته أحد الركاب الذين كانوا على متن حافلة لندن. إنه مواطنٌ باكستاني يعيش في كامبريدج ويُدرِّس في مختبر كافنديش في قسم الفيزياء بجامعة كامبريدج».

«أكان عالم فيزياء نووية؟» سأل وزير الخارجية الألماني هينريش فون باير.

«أجل».

«مسيو بيجو؟» سألت إيلين وهي تلتفت إلى وزير الخارجية الفرنسي أعلى يمين الشاشة. بدا لها منظر الشاشة أشبه بهوليوود سكويرز[25] لكن لم تكن لعبة.

«أجل، الأمر مبدئي الآن. نحتاج إلى أن نتأكد مرتين وثلاث مرات، لكن يبدو أن من بين الموتى على متن حافلة باريس الدكتور إدوارد مُونبِتيت، في عمر...» تفقد أوراقه، «السابعة والثلاثين. متزوج. ولديه طفل واحد».

25- هوليوود سكويرز: برنامج ألعاب تلفزيونية أمريكي شهير، دام عرضه لما يقرب من الخمسين سنة. (المترجم).

«ليس باكستانيًا؟» سألت الوزيرة الكندية جوسلين تارديف.

«أم باكستانية، وأب جزائري فرنسي». شرح بيجو. «كان يعيش في لاهور، وسافر إلى باريس قبل يومين».

«ومن هناك؟» سألت إيلين. «أين كان سيذهب؟»

«لا نعرف بعد». أقرَّ وزير الخارجية الفرنسي. «لقد أرسلنا عملاءنا للتحدث إلى أسرته».

«أفهم من ذلك أنكم قد تعرفتم عليهما عن طريق نظام «التعرف الوجهي؟» قال وزير الخارجية الألماني.

«أجل»، أجاب البريطاني. «لقد لمحنا الدكتور إقبال عبر كاميرات المراقبة الآلية، وهو يصعد على متن الحافلة أمام محطة قطار أنفاق نايتسبريدج».

«إذًا لماذا لم تتعرفوا عليهما من قبل؟» سأل الألماني. «أقصد عندما كنتم تبحثون من قبل عن مشتبه فيهم وأهداف محتملة؟»

مالت إيلين إلى الأمام. كان سؤالًا جيدًا.

«حسنًا»، قال البريطاني. «إن خوارزميات مخابراتنا لا تعد الدكتور إقبال هدفًا».

«الشيء نفسه ينطبق على باريس». قال الفرنسي. «في أول مرة تجاهل برنامجنا للتعرف الوجهي الدكتور مونبِتيت».

«لماذا؟» سأل وزير خارجية إيطاليا، «علماء الفيزياء النووية بالتأكيد هدف طبيعي أو على الأقل سيكونون ضمن القائمة القصيرة للأهداف المحتملة».

«يُعد الدكتور مونبِتيت عالم فيزياء مبتدئًا». شرح الفرنسي. «يعمل في برنامج باكستان النووي لكن في منصب متدني المستوى، على الهامش. في التعبئة أغلب الوقت».

«الشحن؟» سأل الألماني.

«لا، التغليف فحسب».

«وماذا عن الدكتور إقبال؟» سأل الإيطالي.

«حسب ما نعرفه حتى الآن، لم يكن الدكتور إقبال مرتبطًا بالبرنامج النووي الباكستاني أو أي برنامج نووي آخر». قال البريطاني.

«لكنه كان عالم فيزياء نووية». قالت الكندية، وهي تؤكد الكلمة المحورية.

كانت تمتلك أسوأ ذوق في الثياب شاهده أي منهم في حياته، أو أنها ترتدي غالبًا معطفًا (روبًا) منزليًا خفيفًا مزخرفًا بصورة أيل ودببة. شُدَّ شعرها إلى الوراء وكانت لا تضع أي مكياج. كانت الساعة قد تجاوزت الثانية صباحًا فقط في أوتاوا بكندا، ولا بد من أنها قد انتُزعت من نوم عميق. ومع أن كل شيء آخر يتعلق بها يشي بعدم الاستعداد، فقد كان التعبير على وجهها يعكس قصة أخرى. كانت يقظة ورابطة الجأش وفي قمة تركيزها وعابسة.

«كان الدكتور إقبال أكاديميًا». قال البريطاني. «عالم نظريات. وحتى في ذلك المجال لم يكن متحقِّقًا جدًا. مرة أخرى هذا كله مبدئي لكن البحث الأولي يظهر فقط...» التفت إلى معاونه الذي عرض عليه وثيقة ما، «عشرة أبحاث منشورة باسمه. كلها بصفته كاتبًا ثانيًا».

خلع وزير الخارجية البريطاني نظارته. عندما مال إليه المعاون وبدأ يقول شيئًا، انفعل، «أجل، أجل، أعرف». التفت إلى

الكاميرا مُجددًا، وقال: «نفتش حجراته في كامبريدج، وسنتحدث إلى مشرفه. لم نتصل بالباكستانيين بعد».

«ونحن أيضًا». قال الفرنسي. «من الأفضل أن ننتظر».

استشاط وزير الخارجية البريطاني غضبًا. لم يتلقّ برحابة صدر أن يخبره نظيره الفرنسي بما يجب أن يفعل. أو الألماني. أو الإيطالي. أو الكندي. أو حتى معاونوه. أو ربما -فكرت إيلين- أمه. فكرت إيلين مليًا أن هذا تحالف هشٌ قد يتمزق في أي لحظة. الشيء الذي يُبقِيه متماسكًا ليس الاحترام المتبادل، بل الحاجة المشتركة. أدركت أن الأمر لا يشبه لعبة «هوليوود سكويرز» بل هو أقرب إلى قارب نجاة. وبالطبع لا تريد أن تتشاحن مع راكب زميل على متن قارب نجاة، وتخاطر بأن ينقلب القارب على الجميع بمن فيهم أنت.

«أي شيء عن نسرين بُخاري؟» سألت الكندية.

«كل ما نعرفه حتى الآن أنها عملت في مصنع كاراتشي للطاقة النووية مدة. لا نعرف إن كانت لا تزال تعمل هناك أم لا». قال الألماني. «هل ساعدت كندا في إنشاء ذلك المصنع، لا؟»

كان هذا دور الألماني ليكون مخادعًا في تلميحاته.

«كان ذلك قبل عشرات السنين». قالت الكندية بصلابة. «ولقد سحبنا الدعم ما إن أدركنا نيّات باكستان الحقيقية».

«كان ذلك متأخرًا قليلًا...» قال الألماني.

فتحت الكندية فاها ثم أغلقته ثانية.

مالت إيلين برأسها، وفكرت أنها تود احتساء كأس شاردونيه مع تلك المرأة. يا لها من قدرة على ضبط النفس!

كل ما قالته وزيرة الخارجية الكندية كان: «مصنع كاراتشي مصنع لإنتاج الطاقة. وليس جزء من برنامج أسلحتهم النووية».

«حسنًا...» قال الألماني، «ذلك ما نعتقد. وما نتمنى. لكن استهداف الدكتورة بُخاري قد يشير إلى شيء آخر».

«اللعنة»! تمتم الفرنسي.

«أمامنا الكثير لنصل إليه». قال البريطاني. «وهو ما يتضمن بكل تأكيد، لماذا قُتِل هؤلاء الثلاثة وفي أي شيء كانوا متورطين. ومن قد يريد إيقافهم.»

«إسرائيل». قالوا جميعًا في نَفَس واحد. كانت الإجابة التقليدية كلما كان هنالك اغتيال.

«طلب الرئيس وليامز الحديث إلى رئيس وزراء إسرائيل»، قالت إيلين. «قد نعرف شيئًا قريبًا لكن مع أن الموساد قد يستهدف هؤلاء العلماء غير أنني أشكك في أنهم قد يفجرون حافلات برمتها حتى يفعلوا ذلك».

«صحيح». اعترف البريطاني.

«ثمة بعض الأخبار الجيدة». قال الإيطالي. «مع موت هؤلاء الثلاثة، يمكننا أن نفترض أنه أيًا كان الشيء الذي خططوا له فقد مات معهم؟ لا؟»

«لا نعرف في ما كانوا متورطين». قال الفرنسي. «ربما عرفوا شيئًا خطيرًا بالخطأ، وكانوا قادمين لإخبارنا به».

«ثلاثتهم؟» سألت الكندية. «في التوقيت نفسه؟ تبدو مصادفة غريبة إلى حدٍّ ما».

غيرت إيلين من وضعية جلوسها. لم تخبرهم بعد بأمر بشير شاه، وأنه قد جند هؤلاء العلماء للعمل لصالحه.

«لا أعتقد أنهم كانوا يخططون لتحذيرنا». قالت.

حدق وزير الخارجية الألماني إليها. «هل تعرفين شيئًا يا إيلين. لقد أخبرناكِ بما نعرفه حتى الآن لكنك لم تفعلي ذلك. أخبرتِ مستشارتنا بأن في فرانكفورت تفجيرًا. لقد عرفتِ حتى خط سير الحافلة والتوقيت بالضبط. كيف حدث ذلك؟»

«وكيف عرفتِ بأمر نسرين بُخاري، وأن علينا أن نتفقد وجود علماء فيزياء نووية باكستانيين على متن الحافلات الأخرى؟ أعتقد أنكِ تدينين لنا بالأجوبة». قال الفرنسي.

بدا لأذني إيلين أن أسئلتهم تحمل بطريقة ما شُبهَة اتهام. لكن، بمَ قد يتهمونها؟ لا، فكرت. لا يتهمونها شخصيًا، بل يتهمون الأمريكيين. مع أن هؤلاء الرجال والنساء يميلون إلى الثقة بالولايات المتحدة، يريدون ذلك، وربما متلهفون لفعل ذلك بالنظر إلى ما كان على المحك، إلا أن إيلين أدركت أنهم في الحقيقة لا يثقون بأمريكا. ليس بعد الآن. ليس بعد كارثة السنوات الأربع السابقة. وأدركت أن جزءًا هائلًا من وظيفتها بصفتها وزيرة الخارجية هو استعادة تلك الثقة.

تذكرت مشهد أمها وهي تنحني أمام مدخل فناء المدرسة في أول يوم دراسي وتقول: «إيلين، إذا أردت أن تحصلي على صديق، فعليكِ أولًا أن تكوني صديقة». قابلت بيتسي ذلك اليوم. بيتسي التي كانت تشبه -حتى في عمر الخامسة- جون كليفر، مع أنها بدت بزيها أشبه ببحارة ضئيلة الجسم في الأسطول

التجاري. والآن بعد نصف قرن كانت إيلين آدمز، وزيرة الخارجية الأمريكية في حاجة ماسة إلى تكوين صداقات.

نظرت إلى وجوه زملائها القلقة والمنهكة، وعرفت ما يجب عليها أن تفعله. يجب أن تخبرهم بالحقيقة. أن تخبرهم بالرسالة التي وردت إلى موظفة الشؤون الأجنبية المبتدئة. يجب أن تخبرهم بما قاله جيل عن بشير شاه. يمتلكون الحق في أن يعرفوا. لكن ربما ليس الآن.

***

ما إن وصلت إلى القنصلية الأمريكية في فرانكفورت قبل عشرين دقيقة حتى توجهت مباشرة إلى حجرة آمنة، واتصلت برئيس هيئة الأركان المشتركة في واشنطن. أجاب اللواء وايتهيد بعد أول رنة.

«أجل؟»

«أنا إيلين آدمز. هل أيقظتك؟»

يمكنها أن تسمع في الخلفية زوجته وهي تسأله بصوت غافٍ، من ذا الذي يتصل في الخامسة صباحًا؟

«إنها الوزيرة آدمز». قال بصوت مكتوم عبر يده التي لا بد وضعها فوق سماعة الهاتف ليخاطب زوجته. «لا بأس، سيدتي الوزيرة». لا يزال -من صوته- يبدو ناعسًا لكنه يستعيد قوته مع كل كلمة.

«كيف حال ابنكِ؟» كان أول سؤال سيفكر في طرحه رجل خسر عددًا هائلًا من الشبان والشابات في ساحة المعركة.

«يتعافى. شكرًا لك. أحتاج إلى أن أسألك سؤالًا. إنه يتعلق بأمر سري».

«هـذا الخـط مؤمَّـن». كان مـن الواضـح أنـه قـد غـادر حجـرة نومـه، وذهـب إلـى مكتـب خـاص. «واصلـي الحديث».

نظـرت إيليـن عبـر نافـذة القنصليـة المحصنـة السـميكة، إلـى الحديقـة الممتـدة فـي جسـينير شتراسـه، غيـر أن شـمس الصبـاح الواهنـة كشـفت لهـا أنهـا لـم تكـن حديقـة فـي الواقـع. بـدت فقـط أشـبه بواحـدة. تمامًـا كمـا أن المبنـى الـذي توجـد فيـه هـو بيـت للدبلوماسـيين الأمريكييـن لكنـه يبـدو مـن الخـارج أشـبه بمعسـكرٍ لأسـرى الحـرب.

الأشياء ليست كما تبدو.

لـم تكـن تنظـر إلـى حديقـة. بـل كانـت تنظـر إلـى مقبـرة. لقـد بُنيت القنصليـة الأمريكيـة فـي الجهـة المقابلـة لمقبـرة هائلـة بسـبب بعـض الضـوء السـاطع الـذي يغمـر المـكان.

«مـاذا يمكنكَ أن تخبرنـي بـه عـن بشـير شـاه؟ »

انهـار بيـرت وايتهيـد فـوق مقعـده بـدوي مسـموع، وحـدق عبـر مكتبـه إلـى الصـور فـوق الجـدار البعيـد.

عـرف أن هـذه سـتكون مرحلـة خدمتـه الأخيـرة. لـم يعـد يمتلـك القلـب ولا الشـجاعة لذلـك بعـد الآن.

بشير شاه. هل ذكرت حقًا ذلك الاسم للتو؟!

«أعتقد، سيدتي الوزيرة، أنكِ تعرفين كل ما أعرفه عنه بالفعل».

«أعتقـد، أيهـا اللـواء وايتهيـد»، أتـاه صوتهـا واضحًـا وضوحًـا مدهشًـا عبـر الخـط مـن فرانكفـورت، «أن ذلك قـد لا يكـون صحيحًـا».

«لقـد شـاهدت الوثائقـي الـذي أعـده صحافيـوكِ عـن الدكتـور شـاه».

«كان ذلك منذ مدة».

«صحيح. لقد قرأت أيضًا الملف الذي أعدته المخابرات عند توليك الوزارة. أعرف بشأن البطاقات أيضًا».

ضحكت إيلين ضحكة قصيرة تخلو من الدهشة. «بالطبع تعرف».

«كنتِ حكيمة بأن أبلغت عنها ما إن وصلت».

بدأت البطاقات التي يشير إليها تظهر بعد مدة مقتضبة من إذاعة الوثائقي. كل سنة كانت إيلين تستلم بطاقة تصل إلى بيتها عبر البريد. بطاقة غير مُوقّعة، تتمنى لها عيد ميلاد سعيدًا. كانت مكتوبة باللغتين الإنجليزية والأردية. وتتمنى لها أيضًا حياة مديدة. أعطت إيلين مكتب التحقيقات الفيدرالية البطاقة ثم نسيت أمرها. حتى وصلت أخرى في عيد ميلاد جيل. ثم في عيد ميلاد كاثرين. ثم حين مات كوين زوج إيلين الثاني ووالد كاثرين ميتة مفاجئة على إثر أزمة قلبية، وصلت بطاقة أخرى في غضون ساعات قليلة، وقبل الإعلان الرسمي عن الوفاة. بطاقة تعزية باللغتين الإنجليزية والأردية. كانت بطاقة تُسلم باليد. كان من المستحيل أن تثبت الأمر، ولم تصل الشرطة الفيدرالية إلى شيء. مع هذا عرفت إيلين. فيما تصبح أصابع يدها باردة كالثلج وهي تمسك البطاقة، وفيما تندفع الدماء من قلبها المنفطر؛ عرفت إيلين. كانت البطاقات من ب. ر. شاه.

أجروا اختبار سموم. مع هذا لم توجد أي إشارة إلى أن موت كوين لم يكن طبيعيًا. موت مأساوي لكنه طبيعي. أرادت إيلين أن تؤمن بأن شاه قد استغل ببساطة هذه المأساة ليزرع الشك في

قلبها. ليضيف القسوة إلى الحزن. ليكون القط لفأرها. لكن آدمز لم تكن فأرًا مرتعشًا. حدقت إلى وجه الحقيقة مباشرة.

لقد قتل ب. ر. شاه زوجها.

وكان ثمة حقيقة فظيعة أخرى.

لقد فعل ذلك انتقامًا من الوثائقي الذي أذاعته والذي قاد إلى مجموعة من التقارير الصحفية التي قادت بدورها إلى ضغط الإدارة الأمريكية آنذاك على الحكومة الباكستانية شهورًا طويلة. ضغط أفضى في النهاية إلى القبض على شاه ومحاكمته.

والآن بات شاه في مرمى بصرها ثانية.. لكنها تحتاج إلى معلومات. الكثير منها.

«تظاهر أنني لا أعرف أي شيء». قالت للواء وايتهيد.

«هل يمكنني أن أسأل لماذا تريدين أن تعرفي معلومات عن الدكتور شاه؟»

«أرجوك، أخبرني فحسب. ساورتني رغبة ملحة للاتصال بتيم بيتشام لكنني قررت أن أتصل بك أولًا».

كانت هنالك هنيهة صمت أخرى قبل أن يتحدث.

«أعتقد، سيدتي الوزيرة، أن ذلك كان قرارًا موفقًا». ومع تلك العبارة، حصلت آدمز على إجابتها. معنى نظرة القلق تلك التي علت وجهه في المكتب البيضاوي قبل ما يبدو أنه مليون سنة عندما غادر مدير المخابرات الوطنية الحجرة حتى يجري اتصالًا، ومشاهدة رئيس هيئة الأركان المشتركة ذلك بحاجبين مقطبين.

«الدكتور شاه عالم فيزياء نووية باكستاني». بدأ وايتهيد يتحدث، وهو يفتح ببطء باب الخزانة ليكشف عما يقبع بداخلها.

«إنه أحد أبناء برنامجهم النووي، وقد ورثه عن الجيل الأول. لكن أسلحته أقوى بكثير، وأكثر تطورًا بكثير. إنه ذكي. عبقري بلا شك. شيد مؤسسته. مختبرات أبحاث باكستان التي كانت غطاء لجهود باكستان لتطوير برنامج أسلحتهم النووية حتى تتنافس مع الهند».

«جهود تكللت بالنجاح». قالت إيلين.

«نعم. نحن نعرف أن باكستان لا تزال توسع ترسانتها. على حد معرفتنا، تمتلك باكستان مئة وستين رأسًا نوويًا».

«بكى يسوع!» [26]

«سيذرف يسوع الدموع قريبًا من جديد. يقول لنا مخبرونا أنه بحلول ٢٠٢٥، سوف تمتلك باكستان مئتين وخمسين رأسًا نوويًا».

«يا إلهي!» تنهدت إيلين.

«يجعل ذلك الوضع خطِرًا خطورة استثنائية في منطقة غير مستقرة، وهم عازمون على الإبقاء على الوضع بتلك الصورة».

«تمتلك إسرائيل أسلحة نووية أيضًا، أليس كذلك؟» قالت إيلين. سمعت قهقهة على الجانب الآخر من الخط.

«لو استطعتِ أن تجعليهم يعترفون بذلك -سيدتي الوزيرة- فسوف يعينك فريق اليانكيز لتلعبي في صفوفهم، لأنكِ حينها ستثبتين قدرتك على صنع المعجزات».

«أشجع فريق بايرتس».

26- بكى يسوع (Jesus Wept): آية مشهورة لكونها أقصر آية في الأناجيل بما فيها أنجيل يوحنا (اصحاح 11 الآية 11). وتُستخدم عادة في الأحاديث العامة للتعبير عن شيء سلبي: ألم أو خيبة أمل أو كارثة أو خسارة فادحة. (المترجم).

«أهه، أجل. لقد نسيت أنكِ من بيتسبرج».

«أخبرني أيها اللواء، في ما بيننا فقط. تمتلك إسرائيل رؤوسًا نووية، أليس كذلك؟»

«بلى، سيدتي الوزيرة. إنه السر الوحيد الذين يسعدهم تسرُّبه إلى الخارج. غير أن ذلك في الحقيقة يعطي برنامج باكستان النووي مبررًا. يصممون على أنهم يزيدون مخزونهم النووي تمامًا كالبرنامج النووي الإسرائيلي. يريدون أن يخلقوا ما يسمى توازن الرعب[27] في مواجهة الهند».

«لطيف!» قالت بتهكم.

بدا أن إيلين على دراية بالمفهوم، منذ زمن الحرب الباردة بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي حين لم يكن أي من الطرفين يرغب حقًا في الضغط على الزر، وهو يعرف أنه قد يمحي الجنس البشري برمته لو فعل. منع «توازن الرعب» كلا الطرفين من التصرف تصرفًا سيئًا على نحو خاص. كانت تلك هي النظرية. لكن في الحقيقة لم يخلق ذلك توازن رعب، بل خلق حالة دائمة من الإرهاب.

«وبرنامج الأسلحة النووية الإيراني؟» سألت.

تكاد تستطيع سماعه وهو يهز رأسه. «لدينا شكوكنا لكن لا نستطيع الجزم بذلك. لكن أجل، سيدتي الوزيرة، أعتقد أننا نحتاج إلى افتراض أن إيران تمتلك أسلحة نووية أو ستمتلكها قريبًا».

27- توازن الرعب: مصطلح ساد في مرحلة السباق النووي المحموم في أعقاب الحرب العالمية الثانية. ويعني انتشار الأسلحة النووية بين الأمم حتى لا تستطيع الدولة بدء هجوم نووي خوفًا من ردة الفعل الانتقامية. (المترجم).

«كل هذا يعرفه العامة». قالت إيلين. «ماذا يمكنك أن تخبرني عن صفقات الدكتور شاه السرية. لقد أسس تجارته الخاصة عند نقطة ما، أليس كذلك؟»

«بلى. بدأ الاتّجار في اليورانيوم والبلوتونيوم المستخدمين في صناعة الأسلحة النووية، لكن لم يقتصر الأمر على ذلك. آخرون يتاجرون في ذلك السوق، خاصة المافيا الروسية. لكن ما يجعل شاه خطِرًا جدًّا أنه صار بمثابة متجر خدمات شاملة. شيء أشبه بسوبر ماركت للأسلحة، حيث يبيع ليس فقط المواد بل التكنولوجيا اللازمة لصناعة الأسلحة النووية: المعدات والخبرات البشرية ونظم التسليم».

«يتاجر في البشر؟»

«نعم. يستطيع العملاء أن يذهبوا إليه، وفي عملية تجارية واحدة، يمكنهم شراء كل شيء يحتاجون إليه من أجل تطوير قنابلهم النووية. من الإبرة حتى الصاروخ كما يقولون».

«العملاء. تقصد دولًا أخرى؟» سألته إيلين.

«نعم، في بعض الحالات. نعتقد أنه يزوّد الكوريين الشماليين بالمكونات اللازمة من أجل برنامج أسلحتهم النووية».

«من حسن الحظ أن أفغانستان لا تمتلك رؤوسًا نووية. هل تستطيع تخيل هذا؟»

«أتخيل هذا كل يوم، سيدتي الوزيرة».

وكانت تفعل ذلك بدورها. كان ذلك ما يوقظها في الثالثة صباحًا.

«والحكومة الباكستانية على علم بهذا؟»

«أجل، لم يكن ليستطيع أن ينجو من هذا دون ذلك. دون موافقتهم، ودون استعدادهم لغض الطرف عمَّا يفعله. لقد تسامحوا مع صفقاته. لماذا؟ لأن أهدافه تتفق اتفاقًا مثاليًا مع أهدافهم».

«أهدافهم التي هي؟»مكتبة سُر مَن قرأ

«أن تبقي المنطقة غير مستقرة، أن تكون لهم الأفضلية على الهند، أن يقلِّلوا من شأن الغرب. لقد جنى شاه المليارات عن طريق إمداد من يدفع أعلى ثمن بأي شيء، وكل شيء يريده. ليس فقط التكنولوجيا النووية لكن الأسلحة النووية والكيماويات والعوامل البيولوجية أيضًا. وحتى أسلحة أكثر تقليدية. تسألين إن كان عملاؤه دولًا أخرى. لا يكمن الخطر في ذلك. لدينا بعض النفوذ على الحكومات. التهديد الحقيقي أن تقع الأسلحة النووية بين يديّ المجرمين والمنظمات الإرهابية. بصراحة، حقيقة أنهم لا يمتلكونها بعد صادمة لي».

صمتت إيلين لحظة حتى تستوعب ذلك، والأفكار تتدافع داخل رأسها. «من يزود شاه بهذه المكونات، بتلك الأسلحة؟ هو لا يصنعها؟»

«لا، هو الوسيط. توجد أنواع شتى من اللاعبين في هذا المضمار لكن يبدو أن أحد أهم مزوديه بالأسلحة هم المافيا الروسية».

«وتسمح باكستان بذلك؟» احتاجت إيلين إلى أن تكون متأكدة تمامًا من هذه النقطة. «هم حلفاؤنا».

«هم يلعبون لعبة خطرة. سمحت لنا الحكومة الباكستانية بأن نُشغل قواعد عسكرية في الشمال في أثناء وجودنا العسكري

الطويل في أفغانستان لكنهم أعطوا أيضًا «بن لادن» ملاذًا آمنًا، والقاعدة والبشتون وطالبان. حدودهم مع أفغانستان ملأى بالثغرات. وتعج البلاد بالمتطرفين والإرهابيين الذين تدعمهم وتحميهم الحكومة».

«أما شاه فيمدهم بالسلاح؟»

«صحيح. مع أنكِ لو قابلتِه، فلن تشتبهي فيه أبدًا. يتصرف كما لو كان أخوكِ. صديقكِ المقرب. أكاديمي ولطيف».

«لكن الأشياء ليست كما تبدو».

«نادرًا ما تكون كما تبدو». قال اللواء وايتهيد. «لقد كنت حاضرًا في تلك اللقاءات مع الجيش الباكستاني، غير أنني كنتُ أيضًا داخل تلك الكهوف. شاهدت الأسلحة مخبأة هناك. أسلحة زودهم بها شاه. لو أن أيًا من هؤلاء الجماعات تمكنت يومًا من الحصول على قنبلة نووية...»

«لماذا لم يتمكنوا بعد إذا كان يزودهم بالأسلحة منذ عشرات السنين؟»

«لسببين»، قال بيرت وايتهيد. «معظم تلك المنظمات آكل بعضها لبعض. يتحاربون في ما بينهم. ويقتل بعضهم بعضًا. ثمة القليل من التنظيم، ولا توجد استمرارية. يتطلب البناء الفعلي لقنبلة نووية سنوات وسنوات، ويتطلب استقرارًا. ولا يمكنكِ فعل ذلك داخل كهف في سفح الجبل. والسبب الآخر أن وكالات الاستخبارات الغربية تردعهم. شبكة مخابراتنا وشرطتنا تُفشِل عشرات الجهود لبيع أو شراء مواد وفضلات نووية منذ انهيار الاتحاد السوفيتي. وتذكري، لا يتطلب الأمر سوى كمية محدودة منها لبناء قنبلة مُدمِّرة».

لم تكن الوزيرة آدمز في حاجة إلى من يذكِّرها. لم تكن تلك الفكرة بعيدة عن ذهنها مطلقًا.

«كما تعرفين»، تابع اللواء، «الإدارة الأمريكية قبل السابقة ضغطت على باكستان من أجل معاقبة شاه. كان فيلمكِ الوثائقي أحد أسباب ذلك. فُرِض ضغط علني على الباكستانيين. كنا نأمل في حكم قضائي بالسجن لكن كل ما حصل عليه شاه هو إقامة جبرية في منزله. مع هذا افترضنا أن ذلك أفضل من لا شيء. أن ذلك يحدُّ من تأثيره».

«ليس بعد الآن».

«ماذا تعنين؟»

«ألم تعرف؟ لقد خرج. أطلق الباكستانيون سراحه العام الفائت».

«بحق المسيح... عذرًا، سيدتي الوزيرة». تنهد اللواء وايتهيد. «بشير شاه قد خرج. هذه مشكلة».

«أكبر مما تعتقد. يبدو أنه خرج بمباركة منا».

«منا؟!»

«من الإدارة السابقة».

«ذلك غير ممكن. من هذا الغبي جدًا حتى... لا تهتمي». الرئيس إيريك دَن. كان هو الإجابة. ذلك الشخص المعروف حتى -وربما خاصة- بين أقرب مساعديه باسم إيريك الأحمق. لقد تجاوز الآن بإطلاق سراح شاه وصف «أحمق» إلى «مخبول».

«حدث ذلك بعد الانتخابات مباشرة». قالت الوزيرة آدمز.

«بعد الانتخابات؟ بعد أن خسروا؟» سأل اللواء وايتهيد. «لماذا سيفعلون ذلك؟» تمتم لنفسه. «كيف تعرفين كل هذا؟»

«أخبرني ابني. كان يتتبع عالمة فيزياء نووية تدعى نسرين بُخاري التي أستأجرها شاه للعمل لصالحه».

شرحت إيلين ما تعرفه.

ساد صمت عبر الخط في أثناء استماع اللواء وايتهيد واستيعابه كل كلمة. وماذا تعني.

قال أخيرًا: «لكن لماذا سيقتل شاه شعبه؟»

«لن يفعل».

«إذًا من سيقتل؟»

«كنت أتمنى أن تخبرني أنت».

لم تتلق وزيرة الخارجية سوى الصمت.

الفصل الثالث عشر

«ينكر رئيس الوزراء الإسرائيلي تورطهم في أي شيء يتعلق بالتفجيرات». همس بوينتون في أذن إيلين بعد نصف ساعة، وهي تجلس في الاجتماع الافتراضي مع وزراء الخارجية الآخرين ومديري المخابرات والمعاونين.

«شكرًا لك». قالت، ثم التفتت إلى الآخرين عبر مكالمة الفيديو، وأخبرتهم.

كانت مقاطعة بوينتون للاجتماع أمرًا مُرحَّبًا بها. جنبها ذلك الإجابة فورًا عن سؤال كيف عرفت بتوقيت انفجار القنبلة بالتحديد والهدف والمدينة. وأعطاها بذلك المزيد من الوقت لتفكر مليًا في إجابتها.

«هل تصدقون رئيس الوزراء الإسرائيلي؟» سأل وزير فرنسا.

«هل كذب الإسرائيليون علينا من قبل؟!» سأل الإيطالي.

حصد السؤال بعض الضحكات.

يعرفون مع إمكانية أن لا تكون إسرائيل صادقة تمامًا معهم، إلا أنه من غير المحتمل أن يكذب رئيس وزرائها على الرئيس الأمريكي. أمريكا صديق تحتاج إسرائيل إلى الحفاظ عليه. وبدء كذبة لن يساعدهم في ذلك.

«أضف إلى ذلك»، قال وزير خارجية بريطانيا، «ومع أن الموساد سيكونون سعداء بقتل علماء فيزياء نووية باكستانيين لكن ليس بمثل هذه الطريقة الفوضوية والوحشية. يتفاخر أفراد الموساد بدقتهم المتناهية. «نظافتهم» في مثل هذه العمليات. لا

يمكن وصف هذه التفجيرات بأي من هاتين الصفتين».

بدا أنه نسي أن إيلين قد قالت ذلك بالضبط قبل دقائق قليلة فحسب.

«سيدتي الوزيرة»، قالت الوزيرة الكندية، «لم تجيبي عن سؤالنا. كيف عرفتِ بشأن هجوم فرانكفورت، والدكتورة بُخاري؟»

فكرت إيلين في أنها والوزيرة الكندية قد لا تصلحان لأن تكونان صديقتين في نهاية المطاف.

«وكيف عرفتِ أنه من المحتمل أن يكون الهدفان اللذان على متن الحافلتين الأخريين عالمي فيزياء نووية باكستانيين؟!» سأل الإيطالي.

«كما تعرفون، فقد كان ابني على متن حافلة فرانكفورت. هو صحافي، وأحد مصادره أخبره بأن مؤامرة تتضمن علماء فيزياء نووية باكستانيين. الاسم الذي أُعطِي له هو نسرين بُخاري. كان يتتبعها. لم يكن من الصعب بعد ذلك الربط بين الأشياء كلها».

«من كان مصدره؟» سألت الكندية.

فكرت إيلين في أن المرأة التي ترتدي معطف الأيل والدببة قد أصبحت مُزعِجة حقًا.

«لن يخبرني».

«لن يخبر أمه؟!» سأل الألماني.

«لن يخبر وزيرة الخارجية». نبرتها الحازمة قطعت الطريق على أي سؤال تالٍ عن علاقتها الشخصية بابنها.

«ما المؤامرة؟ ما الذي خُطِّط له؟» سأل الفرنسي، وهو يميل نحو الشاشة حتى أن أنفه بدا ضخمًا، ويمكنهم رؤية مسام بشرته.

«ابنكِ لا يعرف». علا الشك وجه الفرنسي.

«لقد اختطف البشتون ابنكِ منذ سنوات قليلة». قال وزير الخارجية الألماني.

«ذلك صحيح». قال الفرنسي.

«كن حذرًا في ما تقول». حذرته الكندية.

لكنّ فرنسا نادرًا ما تنصت إلى كندا.

«غير أنه قد تمكن من الهروب...»، قال الفرنسي.

«كليمونت»، انفعلت الكندية، «يكفي ذلك».

لكن لم يكن ذلك كافيًا.

«والآن أفهم أن ابنك قد تحول إلى الإسلام. إنه مسلم».

«كليمونت!» قالت الكندية. «ذلك يكفي[28]. ذلك يكفي». لكن الأوان قد فات. فات كثيرًا.

«ما الذي ترمي إليه؟» صوت إيلين ينضح بالتحذير. مع أنها تعرف بالضبط الذي يقصده وزير الخارجية الفرنسي، والذي يفترضه الآخرون. مع هذا لم يمتلكوا الجرأة على قول هذا في وجهها قطّ.

«لا يرمي إلى أي شيء». قال الإيطالي. «إنه ساخط. فرنسا عانت للتو هجومًا إرهابيًا. انسي ما قاله، سيدتي الوزيرة».

بات وجه الوزير الفرنسي الآن ملاصقًا للشاشة حرفيًا. «كيف تعرفين أن ابنكِ ليس جزءًا من هذه المؤامرة؟ كيف نعرف أنه لم يزرع القنبلة؟»

28- وردت بالفرنسية في الأصل. (المترجم).

ها هو السيف قد سبق العذل.

«كيف تجرؤ»، زأرت إيلين. «كيف تجرؤ على أن تقترح أن لابني أي علاقة بهذا؟ لقد حاول إيقاف الانفجار. وخاطر بحياته من أجل هذا. وكاد يموت في التفجير».

«كاد»، قال الألماني، صوته هادئ هدوءًا مزعجًا، ورزينًا على نحو مستفز. «لكنه لم يمت. لقد نجا».

التفتت إليه، بالكاد تصدق ما سمعته. «لا يمكن أن تكون جادًا».

نظرت إليهم جميعًا.

حتى الكندية بمعطفها الصوفي الخفيف برسوم الأيل والدببة السخيفة، كانت تنتظرها حتى تجيب عن السؤال. سؤال يراودهم جميعًا، لكن فقط الفرنسي امتلك الجرأة حتى يسأله.

كيف هرب جيل باهار من خاطفيه الإرهابيين الإسلاميين مع أن كل الآخرين قد أُعدِموا؟ كان سؤالًا طرحته هي نفسها في أثناء مقابلتها له في ستوكهولم بعد هروبه مباشرة. لم تقصد أن تلمِّح إلى أي شيء لكن جيل قد سمع في سؤالها اتهامًا. دائمًا ما يفعل. ساءت علاقتهما المتأزمة بالفعل أكثر بعد ذلك، فيما لا يزال ذلك السؤال غير المُجاب مُعلقًا بينهما كجُرح متقيح. والآن أصبحا نادرًا ما يتحدثان. مع أن إيلين حاولت كثيرًا من خلال كاثرين، ومن خلال بيتسي، وعبر المكالمات الهاتفية والرسائل.. أن تشرح له أنها تحبه وتثق به. وأنها سألت فقط لأنها ظنت أنه يود الحديث عن الأمر. كان اختطاف جيل أساس الخلاف بين إيلين آدمز والسيناتور آنذاك -الرئيس حاليًا- دوجلاس آدمز. احتدم ذلك الخلاف وتعمق بدوره.

نظـرت إلـى زملائهـا. كلهـم متوتـرون. كلهـم خائفـون. لـم تسـتطع الوزيـرة آدمـز أن تخبرهـم بعدُ بالرسـالة المشـفرة التـي وصلـت، ولـن تفعـل حتـى لا يعرفـوا المزيـد عنهـا وعـن آناهيتـا ضاهـر. لكـن عليهـا أن تقـذف لهـم شـيئًا. وكانـت تعـرف مـاذا بالتحديـد.

«لقـد أخبـره المصـدر بهويـة مَـن وراء المؤامـرة». قالـت. «اسـتطاع أن يخبرنـي هـذا الصبـاح، وهـو يرقـد علـى سـرير المستشـفى»، فكـرت أن تـدس العبـارة الأخيـرة وسـط كلامهـا. جيـل *لـم يهـرب دون أن يتـأذى، شـكرًا جزيـلًا لكـم.*

«ومن هو؟»

«ب. ر. شاه».

بـدا كأن ثقبًـا أسـود قـد تمـزق مُنفتحًـا وامتـص الحيـاة، كل الضـوء وكل الصـوت مـن حجراتهـم وتركهـم مجرديـن مـن أي إحسـاس.

ب. ر. شاه.

ثـم بـدؤوا جميعًـا فـي نفَـس واحـد يتحدثـون باندفـاع، ويهتفـون بالأسـئلة. تجمعـت الأسـئلة كلهـا فـي سـؤال واحـد طُـرِح بصـور متنوعـة.

«كيـف يمكـن أن يكـون شـاه؟ إنـه تحـت الإقامـة الجبريـة فـي بيتـه فـي إسـلام آبـاد منـذ سـنوات».

حكـت لهـم بالضبـط مـا ناقشـته مـع اللـواء وايتهيـد. قُوبـل كلامهـا مـرة أخـرى بصمـت مشـوب بالصدمـة.

«اللعنة»!»

«اللعنة !»[29].

«اللعنة!»[30].

«اللعنة»[31].

«بحق الجحيم». قالت الكندية.

أعادت إيلين التفكير في احتساء زجاجة من الشاردونيه برفقة هذه المرأة الكندية بعد انتهاء كل هذا.

«هل تقولين إننا لا نمتلك أي فكرة أين يوجد شاه؟» قال الفرنسي.

«أجل». تفرست في وجوههم، واستنتجت أنهم جميعًا جاهلون بمكان شاه، وأنهم جميعًا حانقون تمامًا، وأنهم جميعًا غاضبون منها.

«سمحتم بحدوث هذا؟» سأل الألماني. «تركتم أخطر تاجر أسلحة يهرب... لا، ليس «يهرب»، بل يخرج من الباب الأمامي؟»

«أعتقد أنه ربما خرج من الباب الخلفي»، قال الإيطالي، «حتى لا يراه أي أحد».

«الباب هنا مجاز». انفعل الألماني. «النقطة هي أنه طليق بمباركة من الحكومة الأمريكية».

«ليس بمباركة هذه الإدارة، وليس بمباركتي». قالت إيلين. «أكرهه بقدر ما تكرهونه. إنْ لم يكن أكثر».

كان ذلك حقيقيًا؛ اشتبهت إيلين آدمز في أن شاه قد قتل كوين.

29- وردت بالفرنسية في الأصل. (المترجم).

30- وردت بالألمانية في الأصل. (المترجم).

31- وردت بالإيطالية في الأصل. (المترجم).

رجلًا أحبته من كل قلبها انتقامًا من ذلك الوثائقي. وببساطة لأنه يستطيع. ثم سخر منها حتى هذا اليوم بتلك البطاقات الساخرة.

لقد أصبح حرًّا منذ أربعة أشهر ليفعل ما يحلو له، تحت حماية الحكومة الباكستانية، وبمباركة رئيس أمريكي واهم وقروده الطائرة[32] في الحكومة الذين كان من ضمنهم -شكت إيلين آدمز في ذلك الآن- تيم بيتشام، مدير مخابراتهم الوطنية المؤقت. لهذا لا يثق به اللواء وايتهيد.

كان تيم بيتشام أحد بقايا الإدارة السابقة، وواحدًا من ضمن سلسلة من الترشيحات السياسية التي أُرسلت إلى مجلس الشيوخ في الأيام الأخيرة من رئاسة دَن. لم يصوت مجلس الشيوخ على بقائه في منصبه من عدمه، وأبقاه الرئيس الجديد بصفته مدير المخابرات الوطنية المؤقت حتى يستطيع أن يقرر بشأن بقائه في منصبه من عدمه. من المدة التي قضاها في مجلس الشيوخ، عرف الرئيس ويليامز بيتشام بصفته رجلَ مخابرات محترفًا وسياسيًّا محافظًا يمينيًا. هذا كل شيء.

لم يتبق لدى الرئيس ويليامز سوى أمل أن يكون مدير مخابراته الوطنية مخلصًا. وقد كان مخلصًا قطعًا. لكن لمن؟

«ما الذي يدبر شاه له؟» سألت الكندية. «ثلاثة علماء فيزياء نووية. لا يمكن أن يبشر ذلك بالخير».

«ثلاثة علماء فيزياء موتى». صحح الإيطالي لها. «هل يعني ذلك أن أحدهم قد قدم لنا معروفًا بقتلهم؟»

32- القرود الطائرة: مصطلح شعبي يُستخدم في علم النفس للإشارة إلى أشخاص يعملون من أجل إرضاء شخص نرجسي أو مختل نفسيًا. والمصطلح مستوحى من «ساحرة إوز». (المترجم).

تـراءت أمـام إيليـن مـرة أخـرى وجـوه العائـلات والصـور التـي يحملونهـا، ودمـى الدببـة والبالونـات والزهـور الذابلـة فـوق الرصيـف. معروفًـا!؟ ومـع هـذا فـي كلام الإيطالـي وجهـة نظـر وجيهـة.

«مـا لا أفهمـه هـو لمـاذا جنّـد علمـاء فيزيـاء نوويـة مـن الدرجـة الثانيـة؟» سـألت الكنديـة. «بافتـراض أنـه يسـتطيع شـراء أي أحـد تقريبًـا».

كان ذلك يُقلق إيلين أيضًا.

«يجب أن تضغطي على ابنكِ، سيدتي الوزيـرة». قـال الإيطالـي. «يحتـاج إلـى أن يخبرنـا بهويـة مصـدره. يجب أن نعـرف مـا يدبـر شـاه لـه».

***

طـارت بيتسـي عائـدة إلـى واشـنطن العاصمـة بنـاء علـى طلـب إيليـن.

مـا إن جلسـت فـي مقعدهـا المجـاور للنافـذة فـي رحلـة الطيـران التجاريـة المغـادرة فرانكفـورت، حتـى فتحـت الرسـالة التـي أعطتهـا إياهـا إيليـن. مكتوبـة بخـط يدهـا المتعجـل الـذي يسـهل التعـرف إليـه.

مـع أن إيليـن نفسـها قـد أعطتهـا إياهـا مدسوسـة داخـل نسـخة مـن مجلـة «بيبـول People»، وأنـه لـم يكـن فـي هويـة صاحبـة خـط اليـد أدنـى شـك، إلا أنهـا قـد اسـتهلت الرسـالة بعبـارة:

«*استعارة مختلطة* Mixed Metaphor [33] *تدلف إلى حانة...*»

أضيئَـت إشـارة ربـط حـزام الأمـان، وأعلـن الطيـار ضـرورة وضـع

33- اسـتعارة مختلطـة: سلسـلة مـن الاسـتعارات لا علاقـة لهـا بعضهـا ببعـض؛ مـا يخلـق حيـرة قـد يكـون لهـا تأثيـر مضحـك. (المترجـم).

الهواتف في «وضع الطائرة». وهو ما فعلته بيتسي مباشرة بعد أن أرسلت رسالة إلى إيلين.

«... وهي تشاهد كتابة بخط اليد على الجدار، وتتمنى لو كان قد قضى عليها في مهدها».

بعد ذلك استرخت في مجلسها، وقرأت بقية الرسالة المقتضبة.

في تلك الأثناء كان رجل عادي الملامح يجلس وراءها مباشرة، على يمينها، في مقعد درجة رجال الأعمال في منتصف القمرة. أخذ يقرأ جريدة. لا بد من أنه يعتقد أن بيتسي لم تلمحه.

دست بيتسي الورقة في جيب بنطلون بدلتها بعد أن فرغت من قراءتها. قد يسرق أحدهم حقيبة يدها لكن احتمال أن يجعلها تخلع بنطلونها أقل. ستكون الرسالة في أمان هناك.

طوال الطريق عبر الأطلنطي، وبينما يتناول الركاب الآخرون طعامهم وينامون على أسرّة قابلة للطيّ، شخصت بيتسي جيمسون بعينيها خارج النافذة، وفكرت مليًا كيف ستنفذ ما طلبته إيلين منها.

***

«سأراها الآن». قالت إيلين.

كانت داخل مكتب أعارها إياه القنصل الأمريكي. راقبت تشارلز بوينتون فيما يغادر الحجرة ويرجع وبرفقته آناهيتا ضاهر.

«شكرًا يا تشارلز. تستطيع أن تتركنا بمفردنا».

تردد أمام الباب. «هل أحضر لكِ شيئًا لتأكليه أو تشربيه، سيدتي الوزيرة؟»

«لا، شكرًا. ماذا عنكِ، آنسة ضاهر؟»

مع أن آناهيتا كانت تتضور جوعًا فقد هزت رأسها. كانت متأكدةً من أنها لن تستطيع تتناول سندوتش سلطة بالبيض أمام وزيرة الخارجية.

أغلق بوينتون الباب ونظرة قلق تعلو وجهه. لقد أُقصِي إلى الخارج، وعليه أن يجد طريقه إلى الداخل مرة ثانية.

انتظرت إيلين حتى أُغلق الباب بتكة خفيفة ثم أشارت إلى آناهيتا حتى تجلس على مقعد بذراعين في الجهة المقابلة للمكان الذي تجلس فيه.

«من أنتِ؟»

«عذرًا، سيدتي الوزيرة؟»

«لقد سمعتني. لا نمتلك وقتًا لنهدره. لقد مات أناس. وثمة أسباب كثيرة للاعتقاد أن الأسوأ قادم. وأنت متورطة. لذا فلتجيبيني الآن. من أنتِ؟»

في أثناء مراقبة آناهيتا لها، أنزلت إيلين يدها ببطء، ومررتها فوق الغطاء المغلق لملف يرقد فوق ركبتيها. عرفت آناهيتا أنه تقرير استخباراتي مختصر. مثل ذلك الذي كان بحوزة المحققين اللذين استجوباها في قبو وزارة الخارجية. رفعت عينيها عن الملف إلى وزيرة الخارجية.

«أنا آناهيتا ضاهر. موظفة في إدارة الشؤون الأجنبية. يمكنكِ أن تسألي أي أحد. كاثرين تعرفني. جيل يعرفني. أنا بالضبط من أقول إنني أكون».

«الآن ذلك غير صحيح، أليس كذلك؟» قالت إيلين. «أصدق أن ذلك اسمكِ، وتلك وظيفتكِ، لكنني أعتقد أيضًا أنه يوجد المزيد.

لقد أتت الرسالة إليكِ بالتحديد. والآن نعرف أن بين الأحداث رابطًا، وباكستان. علماء الفيزياء النووية الثلاثة جميعًا من هناك. لقد قضيت عامين تعملين في سفارتنا في إسلام آباد. وأنت تعملين الآن في مكتب باكستان. من أرسل الرسالة إليكِ؟»

«لا أعرف».

«بل تعرفين». انفجرت إيلين. «انظري، لقد أخرجتكِ من ذلك التحقيق. ربما لم يكن يجدر بي ذلك، لكنني فعلت. وقد أحضرتكِ معي إلى هنا حتى تكوني في أمان. ربما لم يكن عليّ فعل ذلك أيضًا، لكنني فعلت. لقد أنقذتِ حياة ابني وأنا مدينة لكِ بذلك. لكن هنالك حدًا معينًا، وقد وصلنا إليه. عملاء الأمن ينتظرون خارج ذلك الباب مباشرة». لم تهتم بالنظر إلى ذلك الاتجاه. «إذا لم تجيبيني الآن فسوف أستدعيهم، وأسلمكِ إليهم».

«لا أعرف». خرج صوت آنا مرتفعًا ومجهدًا عبر حلقها المخنوق. «يجب أن تصدقيني».

«لا، ما يجب أن أفعله هو معرفة الحقيقة. لقد نسختِ الرسالة قبل أن تمسحيها. أتفعلين ذلك عادة؟»

هزت آناهيتا رأسها نافية.

«إذًا لماذا فعلتِ ذلك مع هذه الرسالة بالذات؟»

عرفت إيلين من النظرة اليائسة على وجه موظفة الشؤون الأجنبية أنها قد وصلت إلى طرف الخيط. حتى لو لم تحصل على الإجابة فقد عرفت السؤال على الأقل.

لكن عندما أتت الإجابة، كانت على خلاف ما توقعته إيلين تمامًا.

«عائلتي لبنانية. مُحبَّة غير أنها صارمة. تقليدية. تعيش الفتاة اللبنانية الصالحة في المنزل إلى أن تتزوج. منحني والداي حرية أكبر بكثير من التي حصلت عليها صديقاتي. سمحا لي بأن أنتقل من منزلنا، أن أرحل من البلاد حتى من أجل العمل. كانا فخورين بأنني أعمل لصالح وزارة الخارجية، وأخدم بلدي. وثقا بأنني لن أتجاوز خطًا معينًا».

أنصتت إليها إيلين من كثب، وأفكارها تتدافع قبل أن تتوقف أخيرًا، «ظننتِ أن الرسالة من جيل؟»

أومأت آناهيتا.

«أجل، عندما وردت تلك الرسالة، اعتقدت حقًا أنها رسالة غير مرغوب فيها. لهذا عرضتها على مشرفي ثم مسحتها. لكن قبل أن أفعل ذلك مباشرة، تساءلت إن كانت ربما من جيل».

«لماذا ظننتِ أنها منه؟»

سرت هنيهة صمت، وأدركت إيلين أن وجه هذه المرأة البالغة يتورد خجلًا.

«كنا نلتقي دائمًا في شقتي الصغيرة في إسلام آباد. عندما كان يريد أن نلتقي، كان يرسل رسالة عبر الهاتف بالموعد. لا شيء آخر. الموعد فحسب».

«طريقة جذابة». قالت إيلين، ورأت آناهيتا تبتسم قليلًا.

«كانت كذلك حقًا. قولي ذلك الأمر يجعل الأمر يبدو سيئًا لكنه سحرني حقًا. مع هذا أردت الاحتفاظ بعلاقتنا سرًا حتى لا يعرف والداي أي شيء عنها. وقد كانت...»

ممتعة.

طائشة.

مثيرة.

التسلل في أنحاء مدينة تعج بالخداع والازدواجية. تلك الأيام والليالي الماجنة والمتقدة بالأهواء في إسلام آباد. الجميع في عز شبابهم وحيويتهم وعزمهم ويقينهم. الحياة تتجسد في كل مكان من حولهم بينما الموت ينتظر في الأسواق. العمل الذي قاموا به بدا شديد الأهمية باعتبارهم مترجمين ورجال أمن وصحافيين وجواسيس. شعروا بأنهم مهمون جدًّا.. خالدون في مكان يضرب فيه العنف والموت بالآخرين. لكن، لا يضرب بهم أبدًا.

وتلك الرسائل النصية 1945 أو 1330.

والمفضلة لديها 0615.

الاستيقاظ على الرسائل. على جيل.

مشاهدة ردة فعل آناهيتا الجسدية على الذكريات أجبرت إيلين على أن تقمع ابتسامة. يمكنها أن تقول إنها شعرت بالإحساس نفسه حيال والد جيل. كان كال، والد جيل حبها الأول. لم يكن توأم روحها؛ كان ذلك كوين، والد كاثرين. لكن يا إلهي، كم كان كال باهار مُمتعًا وقويًا. وحتى الآن عندما تفكر فيه...

توقفت. لو كان لتلك الخواطر وقت غير مناسب أكثر من الآن، فهي لا تعرفه.

تنحنحت إيلين فاحمر وجه آناهيتا مجددًا.

«كنت على وشك أن أمسح الرسالة»، شرحت آناهيتا، وقد عادت بأفكارها إلى الحجرة الباردة والرمادية والمجردة من أي معالم في فرانكفورت. «لكنني ظننت أنها ربما كانت من جيل».

«ظننتِ؟» سألت إيلين.

سرت مدة أخرى من الصمت.

«تمنيت، ربما هو التعبير الأدق. بدت الرسالة أنها ترمز إلى الوقت. لذا دونتها ثم مسحت الرسالة. لاحقًا تلك الليلة، أرسلت رسالة إلى جيل لأسأله إذا كان من أرسلها».

«هل كنت تعرفين أين كان؟»

«لا، لم نكن على تواصل منذ مدة طويلة. ليس منذ عودتي إلى واشنطن العاصمة».

أومأت إيلين، وقد شكت في أنه لو أخبرت آناهيتا ضاهر ضابطي المخابرات اللذين استجوباها بكل هذا لما صدقاها. ما كانا سيفهمان الاشتياق والحرقة اللذين قد تشعر بهما امرأة شابة تجاه عشقها الأول. وكيف قد يقودها هذا إلى المبالغة في تأويل رسالة معينة وإساءة تأويلها وإعادة قراءتها ثم إعادة تأويلها من جديد.

كم يستطيع الأمل أن يُعمِي حتى أكثر الناس ذكاء!

مع هذا بدا ذلك منطقيًا جدًّا لإيلين آدمز. لقد كانت مبهورة تمامًا بوالد جيل لدرجة أنها كانت عمياء عمَّا رآه الآخرون جميعًا بوضوح شديد، وعمَّا لاحظته بيتسي، وحاولت برقة أن تخبرها به. كل الأسباب التي كانت تجعل نجاح علاقتها وكال مستحيلًا.

«بهذه الطريقة عرفت أنه في فرانكفورت؟» سألت.

«أجل».

«لكن لو لم يكن جيل من أرسل الرسالة، فمن أرسلها إذاً؟»

«لا أعرف. لكنني لا أعتقد أن من أرسلها -أيًا كان- قد أراد للرسالة أن تصل إليّ أنا بالتحديد، بل إلى أي أحد يتصادف وجوده في المكتب».

«ماذا تعرفين عن بشير شاه؟» شاهدت إيلين وجه موظفة الشؤون الأجنبية يتجمد. «تعرفين شيئًا. لاحظت ردة فعلكِ في السيارة. كنت مرعوبة».

ساد صمت طويل، وأخذت آناهيتا تتململ بعصبية.

«لقد عملت على قضايا الانتشار النووي في أثناء عملي في إسلام آباد. وبعض الباكستانيين الذين كنت على اتصال بهم كانوا يتحدثون عنه بانبهار تقريبًا. كان أسطوريًا بالمعنى السيئ للكلمة. مثل أحد آلهة الحرب. هل هو من وراء هذا؟»

نهضت إيلين عوضًا عن الإجابة. «هل هنالك أي شيء آخر تحتاجين إلى أن تخبريني به؟»

وقفت آناهيتا بدورها، وهزت رأسها. «لا، سيدتي الوزيرة. ذلك كل شيء».

رافقتها إيلين حتى الباب. «سوف أرجع إلى المستشفى لرؤية جيل قبل أن نغادر. أتودين القدوم؟»

ترددت آناهيتا ثم رفعت ذقنها، وأرخت كتفيها إلى الوراء. «شكرًا لكِ، لكن لا».

تساءلت إيلين بينما تغلق الباب إن كان جيل يمتلك أي فكرة عما خسره.

***

فكرت آناهيتا مليًا في أثناء سيرها عبر الممر، إلى أي مدى يمكنها الوصول لو واصلت المضي. كم من الوقت سيمضي قبل أن يلاحظوا أنها تخدعهم؟

قبل أن يدركوا أنها كذبت عليهم. مجددًا.

الفصل الرابع عشر

تساءلت بيتسي جيمسون في أثناء الانتظار أمام خط سيارات التاكسي بمطار دالاس إنْ كان عليها سؤال ذلك الشاب اللطيف إنْ كان يود الانضمام إليها وركوب سيارة التاكسي معها. كان من الواضح أنه يتبعها لدرجة أن ذلك قد بدا لطيفًا. تمنت أن لا يكون جاسوسًا فذلك يعني أنه سيمتلك مشوارًا مهنيًا قصيرًا، وربما حياة قصيرة لو كانت هي حتى قادرة على أن تلمحه. مع هذا شكت بيتسي في أنه لا يتبعها، بل يحرسها.

أرسلته إيلين وراءها حتى تتأكد من أنها في أمان.

كان ذلك مُريحًا، لكن مُربكًا أيضًا. لم يخطر ببال بيتسي أن ما ستُقدِم على فعله قد يكون خطِرًا. كان في نظرها صعبًا، أجل، غير أنه ليس خطِرًا.

كانت بيتسي معتادة على الصعب. نشأتها في الجانب الجنوبي من بيتسبرج صنعت منها مقاتلة. كانت المشقة تكمن في أنها قد كبِرت وهي تعتقد أن الحياة صراع، والناس فظيعون، ولا أحد يمكن الوثوق به، والعائلة موجودة لإيذائها، والرجال مغتصبون، والنساء عاهرات، والقطط ماكرة، والكلاب مقبولة، باستثناء الجراء الوديعة. ولا حاجة إلى أن تبدأ في الحديث عن الطيور.

وفقًا لتجربتها الشخصية، لا يخرج الوحوش من الخزانة، بل يأتون عبر الباب الأمامي، وقد وُجِّهت إليهم الدعوة للدخول.

لقد تعلمت بيتسي جيمسون في عمر الخامسة في فناء مدرستها الجديدة أن لا تسمح لأي أحد بالنفاذ داخلها.

تقوقعت داخل كهفها الخاص بجوار جبل عاطفي حيث لا أحد ولا شيء يستطيع العثور عليها أو يستطيع أن يؤذيها.

لم تدعُ أي أحد للانضمام إليها في أثناء لعبة ريد روفر. وتعلم الأطفال الآخرين فيما يتسابقون تجاه الخط، أن لا يحاولوا اختراق قبضة بيتسي جيمسون.

مع هذا، في يومها الأول في المدرسة وفي أثناء جلوسها وظهرها للجدار شاهدت بيتسي فتاة صغيرة شقراء لها ركبتان ملتصق بعضهما ببعض، وتضع نظارة سميكة ضخمة، وترتدي كنزة صوفية دافئة لا تناسب طقس ذلك اليوم، وتقف أمام مدخل الفناء. كانت أمها تنحني بجسمها وتهمس إليها بشي ما.

نظرت الفتاة الصغيرة إلى أمها وأومأت قبل أن تتبادلا القبلات. لا تتذكر بيتسي آخر مرة قبّلها أحدهم بتلك الطريقة، قبلة سريعة على الخد برقة وطيبة. ثم خطت الفتاة الشقراء الصغيرة التي تبدو هشة جدًّا فوق العتبة إلى الفناء، وعميقًا بشكل غير متوقع ولا رجعة فيه إلى داخل الكهف حيث خبأت بيتسي جيمسون قلبها.

أصبحت إيلين وبيتسي متلازمتين تقريبًا منذ ذلك اليوم. علَّمت إيلين بيتسي أن الخير موجود، وعلَّمت بيتسي إيلين كيف تركل المهاجمين في الخصية. التحقت إيلين وبيتسي بالجامعة معًا حيث درست إيلين الحقوق والعلوم السياسية، ونالت بيتسي درجة علمية في الأدب الإنجليزي، وأصبحت بعد ذلك معلمة. كان ذلك انجازًا حققته دون أن تحتفل عائلتها به، لكن حينها لم يعد الأمر يهم. لقد خلفت بيتسي كهفها وراءها، وعاشت في عالم حيث لا يزال الخطر كامنًا، لكنّ للخير وجودًا أيضًا.

تذكرت الآن في برودة فبراير خارج مطار واشنطن العاصمة، عناق إيلين الطويل لها في ردهة القنصلية الأمريكية في فرانكفورت، وهمسها لها. «احترسي». لم تكن قد فتحت رسالتها بالطبع في ذلك الوقت.

الرسالة التي لا تزال في جيب بنطلونها.

الرسالة التي تطلب فيها منها أن تبحث بهدوء وسرية في شأن تيم بيتشام، مدير المخابرات الوطنية المؤقت لدى الرئيس وليامز. كان -على الأقل رسميًا- مستشارًا أعلى للأمن الوطني في الإدارة السابقة. لكن، ماذا يخبئ وراء ذلك؟ ذلك ما أرادت إيلين، واحتاجت إلى أن تعرفه، وبسرعة. كان ما طلبته إيلين منها واضحًا على السطح وضوحًا تامًا.

لكن لم يكن السطح ما يثير اهتمامها.

حدقت بيتسي إلى الرجل الشاب الذي كان لا يزال يتصفح الجريدة نفسها التي قضى ساعات الرحلة الثمانية يقرؤها. كادت تقترب منه وتنقذه من مأساته لكنها قررت أنها ستشعره بالإحراج فحسب لو اقتربت منه، وعرضت عليه توصيلة. كما أنها أرادت أن تفكر في الطريق إلى القاع الضبابي.

كانت سيارة التاكسي التالية لها.

شاهدت بيتسي في أثناء انطلاق سيارة التاكسي العميل وهو يقفز فوق الحبال، ويركب سيارة كانت تنتظر بالفعل أمام الرصيف في المنطقة المحظورة. لم يكن مسموحًا للعربات عادة أن تنتظر هناك إلا لو كانت تحمل شارات حكومية.

استرخت بيتسي في مقعدها وفكرت مليًا في خطوتها التالية.

«هل تناولت أي شيء؟» قالت إيلين آدمز لابنتها.

«ليس بعد». قالت كاثرين.

«اذهبي، واشتري شيئًا لتتناوليه. سوف أجلس أنا معه». قالت إيلين.

كان من المقرر أن تُقلع رحلتهم إلى إسلام آباد بعد أقل من ساعة.

رتبت إيلين الأمر مع الرئيس ونظرائها من وزراء الخارجية. كان هنالك بعض الممانعة. لكن مع أن بريطانيا وفرنسا وألمانيا كانوا أهداف التفجيرات، كان من الواضح أن أمريكا تمتلك الفرصة الأفضل لانتزاع الأجوبة من الباكستانيين. قرروا أيضًا أن لا يخبروا أي أحد آخر بما في ذلك إسلام آباد بالوصول الوشيك لوزيرة الخارجية الأمريكية إلى أن يصبحوا في السماء.

اضطرب تنفس جيل. صدر عنه تأوه طفيف في أثناء تقلبه فوق سرير المستشفى وقد بدأ يستفيق. التقطت إيلين يده التي بدت لها مألوفة وغريبة في الآن نفسه. لقد مضت مدة طويلة على آخر مرة أمسكت يده فيها. شاهدت وجهه الوسيم والمملوء بالكدمات فيما يصارع للنهوض عبر مستنقع مسكنات الألم. ركز على أمه وهو يفتح عينيه ويبتسم. لكن ما إن استعاد كامل وعيه حتى اختفت الابتسامة.

«كيف حالك؟» همست، وهي تميل مقتربة لتُقبل خده لكنه تراجع مبتعدًا. كانت حركة غير ملحوظة تقريبًا لكنها كافية.

«حسنًا». خفّض حاجبيه، وذكرى ما حدث ترجع إليه. «ماذا عن المصابين الآخرين؟»

كان المـارة السـبعة عشـر الذيـن أُصيبـوا فـي الانفجـار فـي المستشـفى أيضًـا. تحدثـت الوزيـرة آدمـز إلـى بعضهـم باقتضـاب. أولئـك الذيـن أصيبـوا بإصابـات طفيفـة. حـذر الأطبـاء مـن إزعـاج الآخريـن؛ الكثيـر منهـم لا يزالـون تحـت التخديـر. والكثيـرون يصارعـون مـن أجـل الحيـاة فيمـا يجلـس أفـراد عائلاتهـم فـي ردهـة المستشـفى يترقبـون.

لقـد تغيـر كل شـيء فـي لحظـة فـي أثنـاء مشـيهم أو قيادتهـم السيارة أو ركوبهـم الدراجـة فـي طريـق يسـلكونه كل يـوم. لقـد تغيـر كل شـيء فـي طرفـة عيـن. أطـراف فُقِـدت وأدمغـة دُمِّـرت دمـارًا لا يمكـن علاجـه. وأُصيـب بعضهـم بالعمـى أو التشـوه أو الشـلل، وتكونـت ندبـات مرئيـة وغيـر مرئيـة لـن تلتئـم أبـدًا.

انفتـح بـاب المستشـفى، وأطـل تشـارلز بوينتـون برأسـه إلـى الداخـل.

«سيدتي الوزيرة، يريدونكِ».

«شكرًا، تشارلز. سأكون معك خلال دقيقة».

تسـمر مديـر مكتبهـا فـي مكانـه لحظـة قبـل أن ينسـحب. التفتـت إيليـن إلـى جيـل مجـددًا. «أنـا فـي طريقـي إلـى إسـلام آبـاد».

«هل الباكستانيون متعاونون؟»

«هـذا هـو سـبب ذهابـي إلـى هنـاك. لأتأكـد مـن أنهـم سيتعاونون معنـا. أشـك فـي أنهـم يعرفـون مـكان شـاه بالتحديـد».

«أشك في ذلك أيضًا».

«يجـب علـيّ أن أسـألك ثانيـة يـا جيـل». ثبتـت عينيهـا فـي عينيـه. «نحتـاج إلـى معرفـة مصـدرك».

ابتسم. «وها أنا كنتُ أفكر في أن أمي تزورني حتى تتأكد من أنني على ما يرام. لم أدرك أنني أتحدث إلى وزيرة الخارجية».

قمعت إيلين عددًا من الردود التي ظهرت في ذهنها، وتشكلت تشكلًا كاملًا، وكادت تفلت من بين شفتيها. كانت ضربة رخيصة، وجيل يعرف هذا.

«لا أستطيع أن أخبركِ». قال، وصوته أكثر نعومة. «تعرفين ذلك. لقد أدرتِ إمبراطورية إعلامية. لقد ذهبت إلى المحكمة حتى من أجل الدفاع عن صحافيين رفضوا كشف مصادرهم، والآن تطلبين مني كشف مصدري؟!»

«ثمة أرواح...»

«لا تخبريني أن ثمة أرواحًا على المحك»! انفعل.

بعض الذكريات ستعيش واضحة إلى الأبد في ذهنه. صور تطفو على نحو غير متوقع في الليالي الكئيبة والأيام المشمسة على حد سواء. في أثناء المشي وتناول الطعام والاستحمام، في أثناء اللحظات الأكثر بساطة، صورة قطع رأس صديقه الصحافي الفرنسي الذي تأكد خاطفو جيل من أنه يراه، وأن يعلم أنه التالي. لقد نظر جان جاك إليه مباشرة، وحدق إلى عينيه فيما يُمزِّق النصل حنجرته. وهنالك أيضًا صورة المرأة الشابة السوداء البشرة في اللحظة التي اصطدمت فيها الشاحنة التي يقودها متطرف يميني في تكساس، بحشد المتظاهرين السلميين الذين كان يغطي أخبارهم. صورة آخر لحظة في حياتها. هنالك صور أخرى لكن هاتين هما أكثر الزوار المتكررين. الضيوف غير المدعوين. الأشباح غير المرحَّب بهم. والآن قد احتلت صورة

مكانها بجانب الأهوال الأخرى. صفوف الركاب على متن الحافلة، ووجوههم تشرئب إلى أعلى، وتحدق إليه. خائفة منه. كانوا على وشك أن يموتوا، ولم يستطع أن ينقذهم.

«السبب الوحيد في أننا نمتلك أملًا في منع إزهاق المزيد من الأرواح»، قال، «هو أن مصدري قد وثق بي. سوف يتوقف ذلك في اللحظة التي أخبركِ فيها من هو. لا يا إيلين. لن أخبرك».

استخدامه اسمها بدلًا من «ماما» أو حتى «أمي» يجرحها دائمًا. شكت في أن هذا هو السبب الذي من أجله استخدمه. ليؤلمها، لكن أيضًا ليحذرها، *لا تحاولي أكثر من ذلك*.

مع هذا كانت علاقتها بابنها أقل أهمية من حياة ربما عشرات الآلاف من الأبناء والبنات والأمهات والآباء. لو أن هذا قد يمزق شمل عائلتها تمامًا، فليكن ذلك. سيكون ذلك أقل فظاعة من الخسارة التي عانتها الكثير من العائلات في الساعات القليلة المنصرمة.

«نحتاج إلى المزيد من المعلومات، ومصدرك لا بد من أنه يمتلكها. لا يحتاج إلى أن يعرف أنك أخبرتنا».

«هل تمزحين؟» حدق إليها. «سيعرف ذلك عندما يقتلونه».

«يقتلونه؟»

«شاه، ورجاله».

«هل يعمل لصالح شاه؟»

مكتبة
t.me/soramnqraa

«انظري، أرغب في المساعدة. أرغب في العثور على شاه أيضًا. في ردعه. لكنني لا أستطيع إخبارك بأكثر من ذلك».

استنشقت إيلين نفسًا عميقًا، وحاولت أن تهدأ من روعها. أعادت ترتيب أوراقها.

«هل تعتقد أن مصدرك يعرف ما خطط له شاه؟»

«لقد طرحتُ هذا السؤال بالتأكيد. وقال المصدر أنه لا يعرف».

«وهل تصدقه؟»

زرع كال باهار، والد جيل، في ابنه يقينًا بأن الصحافيين والصحافيين الاستقصائيين ومراسلي الحرب أبطالٌ. أن الصحافة هي السلطة الرابعة التي تضغط من أجل حماية الديمقراطية. لقد تربى جيل باهار وهو يعرف أن الصحافة ما يريد أن يقوم به، وأنها قَدَره. لم يرغب في أن يكون جزءًا من صراع، بل أن يغطي واحدًا. سواء أكان الصراع في أفغانستان أم في واشنطن. أن يكون شاهدًا عليه وينقل الأخبار عنه. أن يكتشف «لماذا»، و«كيف»، و «من». أن يقول الحقيقة مهما كانت قبيحة أو خطِرة.

والدته على الجانب الآخر كانت دومًا سيدة أعمال. إنسانة بيروقراطية أدارت الإمبراطورية. امرأة عقلانية لا تتجاوز النظر إلى ما هو أبعد من الأرقام في جدول البيانات.

كان أبوه ينعتها بـ«عداد فاصولياء»، شخص لا تشغلها سوى الأرقام، باستهزاء، وأحيانًا بحب أيضًا. كان يضيف ضاحكًا، إنه يحب الفاصولياء. كان جيل، الصحفي الصاعد، يستطيع رؤية الحقيقة وراء الدعابة حتى وهو طفل.

مع هذا يفكر الآن في أنه ربما قد تغير شيءٌ. إمّا أن والده كان مخطئًا طيلة هذا الوقت، وربما لم يعرف أمه كما يظن، وإمّا أنها قد طورت مهارة أن لا تسأل الناس عمّا يعرفونه فحسب، بل أيضًا، وهو الأهم، أن تسألهم ماذا يعتقدون.

والآن ها هي تسأله أخيرًا، ماذا يعتقد.

«أعتقد أنه ربما يعرف ما يخطط له شاه». قال جيل. «لكن ذكر اسم شاه كان كل ما استطعت انتزاعه من مصدري. إنه خائف، ولسبب مقنع. ربما يندم الآن على إخباري بما أخبرني به».

«لو أنه لن يخبركِ بخطة شاه، فهل تستطيع على الأقل أن تحاول أن تعرف إذا كان موت الفيزيائيين قد وضع نهاية لخطة شاه أم أنها لا تزال سارية؟»

«هل تتعقبين رسائلي؟» باغتها بالسؤال.

ترددت. «لا، لا أتعقبها. أثق بأنك ستخبرني بأي شيء مهم ستكتشفه غير أن الآخرين...»

أومأ برأسه.

«إذًا لا أستطيع في تلك الحالة أن أتصل بمصدري». تحدث بصوت مرتفع، يخالف طبيعته، قبل أن ينخفض صوته إلى حد الهمس. «لكن قد يكون هنالك طريقة أخرى».

«يحتاجون إليكِ، سيدتي الوزيرة». أتى صوت بوينتون.

نظرت إيلين نحو بوينتون الذي لا يزال يقف أمام الباب، وتساءلت عن مقدار ما سمعه من محادثتها مع جيل.

«يمكن للطائرة أن تنتظر». قالت.

«هل آنا هنا؟» حدق جيل باتجاه الباب.

بدا لحظة أشبه بولدها الصغير مُجددًا. خائفًا من أن يسأل سؤالًا مؤلمًا لكنه مثل صحافي جيد في منطقة نزاع، قد قرر أن الحاجة إلى المعرفة تطغى على الخوف.

«لا، لقد دعوتها لكن...»

أومأ. يكفيه هذا القدر من الحقيقة.

«سيدتي الوزيرة». صوت بوينتون أكثر حدة الآن، «لا يتعلق الأمر بالطائرة».

***

ما إن خطت إيلين خارج الليموزين أمام القنصلية الأمريكية في فرانكفورت حتى قابلها رجل في منتصف العمر، الشخص نفسه الذي تحدث إليها في موقع التفجير. مدير مكتب المخابرات الأمريكية في ألمانيا. كان برفقته امرأة أصغر سنًا منه بقليل.

«أجل، أتذكركَ، سيد كارجيل». استدارت إيلين إلى المرأة، وهما يهرولان برفقتها إلى داخل المبنى.

«هذه هي فراو فيشر. إنها تعمل لدى المخابرات الألمانية». شرح كارجيل، ورجال الأمن يُبقون الباب مفتوحًا.

«لدينا مشتبه فيه». قالت فيشر بإنجليزية متقنة. يتردد صدى خطوات أقدامهم فوق الأرضية الرخامية وهم يعبرون الردهة إلى المصاعد، أحدها كان مفتوحًا في انتظارهم.

«في حوزتكم؟» سألت إيلين.

«ليس بعد». قالت فراو فيشر، وأبواب المصعد تتحرك منغلقة. «كل ما نملكه حتى الآن هو صور التقطتها كاميرات الأمن المنتشرة بطول الطريق والكاميرا داخل الحافلة».

اقتادت فيشر وكارجيل، إيلين وبوينتون إلى داخل حجرة خالية من النوافذ لها طابع مخزن محصن. تفاجأت من رؤية وزير الخارجية الألمانية هناك شخصيًا وقد طار من برلين.

«إيلين»، قال وهو يمد يده إليها.

«هاينريش».

أشار إلى مقعد دوار مريح بجانبه. «تحتاجين إلى رؤية هذا الفيديو الذي عثرنا عليه». ما إن جلست حتى ابتسمت ابتسامة صغيرة على «نا». شككت في أن لهاينريش فون باير أي دور في ذلك الاكتشاف مثلها تمامًا.

أعطى إشارة، وظهر فيديو على الشاشة المعلقة في مقدمة الحجرة.

يُظهر الفيديو الحافلة رقم ١١٩، وهي تتوقف، ورجلًا يهبط منها. ثم تجمدت الصورة بضغطة واحدة.

«هذا الفيديو»، قال سكوت كارجيل، «قبل الانفجار بمحطتين».

«وهذا مفجر القنبلة خاصتنا». قال فون باير. ابتسمت إيلين، هذه المرة على «نا» في «خاصتنا» للتأكيد ثانية أنهم من تمكنوا من اكتشافه. تساءلت إلى متى ستستمر ملكيتهم له لو اتضح أنهم مخطئون.

شاهدت على الشاشة رجلًا شابًا ضئيل الحجم يرتدي بنطلون جينز ومعطفًا وكوفية مربعة النقش حول رقبته. التفتت إلى كارجيل.

«كيف تعرفون أنه هو؟ يبدو الأمر لي تنميطًا عنصريًا».

«لا، لم نشتبه فيه بناءً على لون بشرته فقط. نعرف ذلك بسبب دليلين آخرين». قال كارجيل.

ظهر فيديو آخر مُلتقط من داخل الحافلة هذه المرة. وتجمدت الصورة على الشاشة ثانية.

شاهدت جيل يجلس باسترخاء تام ظاهريًا قرب مؤخرة الحافلة.

«تلك هي»، قالت فراو فيشر، وهي تشير إلى المرأة وراء جيل على يساره. «نسرين بُخاري».

«الفيزيائية».

«حسنًا، سيدتي الوزيرة. تتعرفين بالطبع على ابنكِ، وذلك»، إصبعها تشير إلى راكب يجلس أمام الدكتورة بُخاري مباشرة. «هو المشتبه فيه. راقبي ما سيحدث بعد ذلك».

دار الفيديو من جديد. شاهدوا الرجل ينحني حتى تحجبه المرأة الشابة على المقعد أمامه. ثم يعتدل في جلسته، وينهض، ويسير إلى مقدمة الحافلة. المشهد التالي كان المشهد الذي رأوه قبل قليل، والذي التُقِط في أثناء مغادرته الحافلة.

تجمدت الصورة مُجددًا، ثم كبّرت فيشر وجهه. كان داكن البشرة، وحليق اللحية، ويبدو أنه ينظر مباشرة إلى كاميرا المراقبة الآلية.

«من شكل الانفجار، نعرف أنه قد انطلق من آخر الحافلة جهة اليسار»، قالت فيشر، «مكان جلوس هذا الرجل».

حدقت إيلين إلى الوجه. فيمَ كان يفكر وهو يغادر الحافلة ويترك هؤلاء الناس لمصيرهم؟ فيمَ كان يفكر وهو يجلس هناك ويراقب الأطفال تتلوى في مقاعدها، والمراهقين منشغلين بهواتفهم، والعمال المنهكين في طريقهم إلى بيوتهم؟ كيف شعر وهو يعرف أن...؟

ما الذي يفكر فيه أي مفجر قنبلة وهو يعرف أن أبرياء سوف يلقون حتفهم بسببه؟

لم تكن إيلين غافلة عن الواقع. عن حقيقة أن رجال جيش أمريكيين، بناء على تعليمات من قادتهم، قد ضغطوا على أزرار ليُنهوا حياة رجال ونساء وأطفال أبرياء.

مالت الآن إلى الأمام وحدقت إلى الرجل الشاب عن قرب.

«لماذا لا يزال على قيد الحياة؟»

«حسنًا، لقد غادر الحافلة، سيدتي الوزيرة». قال فون باير.

«نعم، فهمت ذلك. لكن، أليسوا عادة انتحاريين؟»

ساد الصمت والسؤال معلق في الهواء. أجاب كارجيل أخيرًا.

«ذلك صحيح عادة، لكن ليس دائمًا».

«متى يكون صحيحًا؟» سألت إيلين.

«عندما يكون الأشخاص المنخرطون في الأمر متعصبين دينيين راديكاليين». أجاب. «وعندما يريد قادتهم الذين أصقلوا مهاراتهم، أن يتأكدوا تمامًا من أن القنبلة ستنفجر».

«تقصد في حال كان جهاز التفجير بدائيًا؟» سألت إيلين، وهي تنظر إلى ضابطي المخابرات. «ربما مصنوعًا منزليًا على يد هواة. في هذه الحالة قد تفشل القنبلة في الانفجار إلا إذا ضُغط على زر التفجير يدويًا».

«أجل».

«ومتى لا يكون صحيحًا؟ متى يكتفون بترك القنبلة هكذا كما فعل هو؟» أشارت إلى الرجل على الشاشة.

أومأ ضابطا المخابرات -الأمريكي والألمانية- برأسيهما وهما يفكران ويقيّمان الموقف.

«إذا كانوا متأكدين من فعالية جهاز التفجير». قالت الألمانية.

«وفي حالة لم يكونوا متعصبين». قال الأمريكي.

«استمرا». قالت إيلين.

«وإذا كان مفجر القنبلة عالي القيمة. ثروة مهمة لهم. شخصًا لا يمكن التفريط فيه من أجل فعل أخرق من تدمير الذات».

حدق الجميع إلى الشاشة. إلى الوجه. إلى القاتل الذي لا يزال على قيد الحياة، في مكان ما في الخارج.

«سوف نرسل هذه الصورة إلى شبكة المخابرات الدولية». قال وزير الخارجية الألماني. «إذا كان قد جُنِّد، وخضع لتدريب من أجل صقل مهاراته، فسوف يكون في مكان ما من شبكة المعلومات».

«لكن التعرف الوجهي لم يتعرّفه؟» قالت إيلين.

«بلى، ذلك صحيح». قال كارجيل. «ربما يكون عنصرًا مهمًا، كانوا يبقونه «نظيفًا» من أجل عملية بهذا الحجم. سوف ننذر المطارات ومحطات القطار ومواقف الحافلات ووكالات تأجير السيارات».

«وضعها على منصات التواصل الاجتماعي، وشبكات الإنترنت». قالت فراو فيشر. «فحتى لو لم نستطع التعرف إليه، فسوف يقيد نشر صورته من تحركاته. وقد يتعرّفه أحدهم، ويبلغ عنه».

أومأ كارجيل إلى أحد عملائه الذي غادر الحجرة مسرعًا.

«هنالك شيء آخر...» قال كارجيل. انتظرت إيلين، وفون باير ضابط المخابرات الأمريكية الذي كان يبحث عن الكلمة الصحيحة. «غير مألوف قليلًا».

«عظيم». تمتمت إيلين في حين تمتم فون باير المُوقر بجانبها، «اللعنة!»

«في الحقيقة أكثر من «قليلًا»». قالت فيشر. «انظرا».

أشارت إلى الشاشة، والصورة التي كانوا ينظرون إليها منذ دقائق عدة الآن.

«ماذا؟» سألت إيلين.

«إنه لا يرتدي قبعة».

نقلت إيلين نظراتها بين الضابطة الألمانية وفون باير الذي كان حائرًا مثلها بشأن ما ترمي إليه. من غير المحتمل أن تكون هذه المرأة الشابة قلقة من أن يُصاب مفجر القنبلة بالبرد في فبراير فرانكفورت القارس دون قبعة...

ثم فهمت الأمر في اللحظة نفسها التي فهمه فيها فون باير. تقوس حاجباه، واتسعت عيناه الزرقاوان.

«لا يحاول إخفاء هويته». قالت إيلين.

«بالضبط». قالت فيشر. «إنه يتلكأ عمليًا حتى تلتقط الكاميرا صورة واضحة له».

صمتت إيلين، وهي تحدق إلى الوجه. وتلقي نظرة جيدة إليه. هل كانت مخيلتها أم أن في تلك العينين حزنًا؟ وتوسل حتى من أجل أن يُفهم؟ من أجل المساعدة؟ بالطبع لا. لا أحد يفجر قنبلة حتى يقتل الكثير من الأبرياء، ويتوقع أن يُفهَم.

«أي نظريات؟»

«قد يكون هذا شيئًا جيدًا»، قال كارجيل. «قد يكون متحذلقًا. واثقًا بنفسه ثقة زائدة. ربما لا يعتقد أننا سنكتشف أنه قد وضع القنبلة أو يريدنا حتى أن نعرف».

«لماذا؟» سأل فون باير.

«حسنًا، ذلك ما لا نعرفه». اعترف كارجيل. «غرور؟ طيش؟»

«انظروا إلى تعبير وجهه». قالت إيلين. أكانت الوحيدة التي شاهدت ذلك؟ «إنه آسف».

«هيا، سيدتي الوزيرة. لا يمكنكِ تصديق ذلك». قال فون باير. «إنه على وشك أن يقتل مدنيين أبرياء. إنه ليس آسفًا على الإطلاق».

نظرت إيلين بعيدًا نحو كارجيل الذي يتفق بوضوح مع وجه نظر وزير الخارجية الألماني. ثم نقلت نظرتها إلى فراو فيشر التي كانت تحدق إلى وجه المفجر، وحاجباها مقطبان. ثم نظرت إلى إيلين. هزت رأسها. من الواضح أنها تخالفها المشاعر.

والمشاعر تقود الأفكار. والأفكار تقود الأفعال. لهذا تستطيع النساء أكثر من الرجال عادة أن يتوقعن الخطوة التالية المحتملة لشخص معين.

«أعتقد أنه خائف»، قالت فراو فيشر أخيرًا.

تفحصت إيلين الوجه الشاب ثانية، وأومأت. «أعتقد أنكِ محقة».

«بالطبع خائف»، قال فون باير. «من أن تُفجِّره قنبلته، ويلتقي ربًا لن يكون سعيدًا جدًا بشأن ما اقترفه».

«لا، شيء آخر»، قالت إيلين ثم صار وجهها صافيًا. «لم يكن من المفترض أن ينجو».

«ربما لذلك لم يُصر قائده على أن يحاول إخفاء هويته». قالت فراو فيشر. «لأن ذلك غير مهم. لأنه كان يفترض به أن يموت».

اندفعت أفكار إيلين. «نحتاج إلى أن نُوقف نشر صورته حالًا».

«لماذا؟» قال كارجيل. ثم استوعب الأمر بعد جزء من الثانية. «اللعنة!»

لو كان يُفترض به أن يموت، فمن الأفضل أن يعتقد قائده أنه قد مات بالفعل.

«اللعنة!» انفجرت فيشر. «نحتاج إلى أن نعثر عليه. سريعًا. قبلهم».

«اتصل بتومسون». صاح كارجيل في هاتفه. «أخبره أن يتوقف. لا تضعوا صورة المشتبه فيه...» انهار كارجيل جالسًا بدوي مسموع. «حسنًا، حدّوا من انتشارها». أغلق الخط. «لقد فات الأوان. لقد نُشرت الصورة بالفعل. لكن قد نستطيع أن نقيد انتشارها».

«لا»، قالت فراو فيشر. «لقد حدث الضرر بالفعل. علينا أن نستخدمه لصالحنا لو استطعنا. انشر الصورة على أوسع نطاق. سوف يتعرّفه أحدهم. سوف أتصل بمديري المخابرات في الدول الأخرى تحسبًا لأن يعبر الحدود». توجهت إلى الباب. «سوف نجده».

شرعت إيلين تنهض. «إذا لم يكن هنالك أي شيء آخر، فإنني أحتاج إلى الاتصال بالرئيس وإطلاعه على المستجدات قبل أن أستقل طائرتي...»

«ثمة فيديو آخر نود أن نُريك إياه، إيلين». قال هاينريش فون باير.

جلست مجددًا، ونظرت إلى الشاشة، والحافلة من الداخل تظهر ثانية. كان مفجر القنبلة قد غادر بالفعل. مقعده خالٍ.

شـاهدت إيليـن جيـل وهـو يـرد علـى هاتفـه، ويسـتمع إليـه قبـل أن يقـف، ويبـدأ الصـراخ.

شـاهدت، ويداهـا تنقبضـان فـي أثنـاء محاولـة جيـل المسـتميتة لإيقـاف الحافلـة. لإنـزال الـركاب. يـكاد يبكـي مـن الفـزع والحنـق. يُمسـك بالنـاس فـي محاولـة لحثهـم علـى النهـوض مـن أماكنهـم، بمـن فيهـم نسـرين بُخـاري التـي أبعدتـه بحقيبـة جلديـة. شـاهدت إيليـن، وقـد تشـنجت كل عضلـة فـي جسـمها حتـى توقفـت الحافلـة أخيـرًا. نهـض السـائق، وقـذف جيـل خـارج الحافلـة. ومـض الفيديـو ثـم شـاهدوا المشـهد فـي الشـارع حيـث ارتطـم جيـل بقـوة بالرصيـف، واندفعـت الحافلـة مبتعـدة.

مالـت إيليـن إلـى الأمـام، يدهـا تُغلـق فمهـا، وهـي تشـاهد ابنهـا يسـتجمع قوتـه وينهـض، ثـم يركـض وراء الحافلـة. لـم يكـن هنالـك صـوت ومـع هـذا كان جليًـا أنـه يهتـف. يصـرخ. ثـم يتوقـف، ويسـتدير، ويحـاول أن يُبعـد النـاس عـن الرصيـف. ثـم الانفجـار. أغمضـت عينيهـا.

«سـيدتي الوزيـرة». نهـض هينريـش فـون بايـر، والتفـت إليهـا. وجهـه جـاد، ويتصـرف برسـمية.

«أدين لـكِ باعتـذار. لقـد كنـت مخطئًـا فـي اقتراحـي أن ابنـك قـد يكـون متورطًـا. لقـد بـذل قصـارى جهـده حتـى ينقـذ تلـك الأرواح، وكان ليمـوت بـدوره، لـولا أن قذفـه السـائق خـارج الحافلـة». خفـض رأسـه فـي انحنـاءة طفيفـة معترفًـا بخطئـه. وفـي سـرها اعترفـت بخطئهـا لأنهـا قـد قللـت مـن نزاهتـه. فقـد كان فـي النهايـة شـخصًا يعتـرف بمسـؤوليته عـن أخطائـه.

«شكرًا لك»، قالت، وهي تقف على قدميها، وتمد كلتا يديها نحو الدبلوماسي الذي أمسكهما، وضغط عليهما برقة. «كان خطأ عفويًا». قالت. «خطأ ربما كنتُ لأرتكبه أيضًا».

«شكرًا لكِ»، قال مع أن كليهما قد شكك في صحة ذلك. خفض فون باير صوته، وهو يقول، «حظًا موفقًا في إسلام آباد. كوني حذرة. لا بد من أن شاه يراقب الأمر».

«أجل»، التفتت إلى بوينتون الذي كان يجلس في هدوء، ويشاهد كل ما يجري. «سوف أتصل بالرئيس من على متن الطائرة إير فورس 3».

«لا يزال أمامك اجتماع».

«ألم يكن هذا هو الاجتماع الذي قصدته؟»

«لا، سيدتي الوزيرة. هنالك اجتماع آخر».

الفصل الخامس عشر

«تحتاج إلى أن تكرر ذلك على مسامعي ثانية، رجاء». قالت إيلين.

قادها بوينتون إلى حجرة أخرى عديمة الملامح. معتمة وبلا نوافذ. كانت تقع في الطابق تحت الأرضي، وكان عليهما اجتياز الكثير من نقاط التفتيش الأمنية والأبواب المحصنة كي يصلا إلى هناك.

ما إن صارا في الداخل حتى ضغط تقنيٌّ على لوحة مفاتيح، ثم قال: «أرجو أن تدخلي شيفرتكِ الأمنية، سيدتي الوزيرة».

«ألا يستطيع مدير مكتبي استخدام شيفرته الأمنية؟»

«لا، أخشى أنه لا يستطيع ذلك. يحتاج هذا إلى تصريح أمني أعلى».

أدخلت إيلين سلسلة الأرقام غير متأكدة ماذا يقصد بـ«هذا»، وانتظرت.

أضاءت شاشة ضخمة، وظهر عليها مدير المخابرات الوطنية تيم بيتشام.

بعد تبادل تحية رسمية تخلو من أي علامة على الدفء، بدأ بيتشام يشرح. لكن ما إن صار موضوع هذا اللقاء واضحًا حتى أوقفته إيلين، والتفتت إلى تشارلز بوينتون.

«أحضر سكوت كارجيل إلى هنا. سيحتاج إلى الاستماع إلى هذا».

«سيدتي الوزيرة، كلما قلّ...» شرع بيتشام يتحدث لكنها أوقفته بنظرة.

«نعم، بكل تأكيد». قال بوينتون.

عاد بعد دقائق قليلة برفقة كارجيل الذي سحب مقعدًا بجانبها. لم يكن هنالك داعٍ للتقديمات. يعرف مدير المخابرات الوطنية مدير مكتب المخابَرات الأمريكية في ألمانيا جيدًا.

«أي مستجدات؟» همست. هز كارجيل رأسه نفيًا.

كرر بيتشام ما قاله آنفًا بناء على طلب إيلين.

«لقد عثرنا على الرسالة التي أتت إلى الآنسة ضاهر. الرسالة التي مسحتها».

لم يفُت إيلين اختياره للكلمات.

«لا بد من أنها قد مسحتها إذا كنت قد وجدتها مدفونة في ملف المهملات. ألم تكتشفها هناك؟»

«أجل».

«ولا بد من وجود شيفرة زمنية متصلة بها، تُظهر متى أُلقيت في ملف المهملات؟»

«أجل».

«ويتوافق ذلك التوقيت مع الجدول الزمني للأحداث الذي شرحته الآنسة ضاهر».

«صحيح».

«إذًا فقد كانت آناهيتا ضاهر تخبرنا بالحقيقة». فكرت إيلين أنه من الأفضل توضيح الحقائق، وفرض السلطة مبكرًا دون مواربة. لم تحب هذا الرجل الماكر، وشكت في أن اللواء وايتهيد يبادلها الشعور. فكرت إيلين، بينما يتشنج بيتشام على الشاشة، في بيتسي، وفي تكليفها صديقتها بأن تكتشف المزيد

عن مدير المخابرات الوطنية. لم تسمع أي شيء من بيتسي منذ رسالتها النصية المقتضبة التي تبلغها فيها بوصولها إلى واشنطن العاصمة، وأنها في طريقها إلى وزارة الخارجية.

«إذًا ماذا لديك، تيم؟»

«لقد اكتشفنا مصدر الرسالة». قال.

«حقًا؟» مالت مقتربة جدًّا من الشاشة حتى أنها استطاعت الشعور بالحرارة المنبعثة منها. «من أين أتت؟»

«إيران».

ارتدت إيلين إلى الوراء كما لو أن نارًا قد لسعتها، واستنشقت نفسًا عميقًا وبطيئًا ثم زفرته في زفرة طويلة. سمعت كارجيل بجوارها يقول، «هاه»، ذلك الصوت الخفيف الذي يُصدره شخص عندما يُضرب في أحشائه.

إيران، إيران.

تسارعت أفكارها. إيران.

لو كان شاه يبيع الأسلحة النووية وعلماء الفيزياء النووية فسترغب إيران في إيقاف ذلك. لدى إيران برنامجها النووي الذي تنكره علانية مع أنها تحرص على أن تعرف الحقيقة كل قوة في المنطقة وما أبعد منها.

ربطت إيلين النقاط معًا. الطريق الدموي للتفجيرات والاغتيالات الذي يمتد عبر كل أنحاء الشرق الأوسط. كلها من أجل إيقاف أي دولة أخرى في المنطقة من امتلاك القدرة النووية.

«سترغب إيران بكل تأكيد في إيقاف علماء فيزياء شاه من الوصول إلى وجهتهم». قالت.

«ذلك صحيح». قال بيتشام. «باستثناء أن...»

«أنَّ أيًا كان من أرسل الرسالة إلى موظفة الشؤون الأجنبية في وزارتكِ ليس من زرع القنابل»، قال كارجيل مُذكِّرًا وزيرة الخارجية. «كانت الرسالة تحذيرية. لقد كانوا يحاولون إيقاف القتلة».

اتسعت عينا إيلين أكثر. ذلك صحيح. انتقلت عينيها منه إلى الشاشة.

مع أن بيتشام قد بدا أكثر انزعاجًا من أن لحظة كشفه العظيم قد سُرقت منه بعد تدخل كارجيل، إلا أنه قد بدا قلِقًا أيضًا.

«ذلك ما لم نفهمه». قال بيتشام. «لماذا سيحاول الإيرانيون إيقاف التفجيرات؟ ولماذا سيرغبون في إنقاذ أولئك الفيزيائيين؟ لقد فكرنا مليًا في احتمال أنهم من اشتروا علماء الفيزياء من الدكتور شاه لكننا استبعدناه».

«من المستحيل أن تثق الحكومة الإيرانية في الباكستانيين، فكيف تستأجرهم؟» وافق كارجيل. «وبالطبع لن يتعاملوا مع بشير شاه.

«ولن يتعامل بشير مع إيران من جهته، أليس كذلك؟» سألت إيلين.

«أمر مستبعد». قال بيتشام. «لن يحتاجوا إلى ذلك. لديهم علماء فيزياء نووية على مستوى عالٍ من المهارة، ولديهم برنامجهم النووي الخاص. لا، لا يبدو ذلك منطقيًا».

«إذًا ما الذي يتبقى لنا؟»

لا شيء.

«هـل نحـن واثقـون أن الرسـالة قـد أرسـلت مـن إيـران؟» سـألت. «أليـس مـن المحتمـل أن يحـدث تلاعـب، وتُوجـه الرسـالة توجيهًـا خاطئًـا؟ وتكـون قـد أُرسِـلت مـن أبـراج ومـزودي عناويـن بروتوكـول مختلفـة؟ لا بـد مـن أن أيًـا كان وراء التفجيـرات فإنهـم يمتلكـون مـن التكنولوجيـا مـا يُمكِّنهـم مـن إخفـاء مكانهـم». سـكتت. «اللعنـة. أسـتمر فـي ارتـكاب الخطـأ نفسـه. احتمـال أن تكـون إيـران وراء التفجيـرات منطقـيٌ أكثـر بكثيـر مـن محاولتهـا إيقافهـا».

«لقـد أتـت الرسـالة قطعًـا مـن إيـران». أكـد بيتشـام. «مـع أنـه يبـدو أن وراء الرسـالة شـيئًا طارئًـا وإلا أعتقـد أنهـم كانـوا ليبذلـوا جهـدًا أكبـر لإخفـاء مـن أيـن أتـت. وهنالـك شـيء آخـر».

بـدا سـمِجًا، وشـعرت إيليـن بشـيء يزحـف بطـول عمودهـا الفقـري كمـا لـو أن عنكبوتًـا ضخمًـا يصعـد فـوق ظهرهـا.

«تابـع».

«نعـرف مـن أيـن أتـت الرسـالة».

«نعـم، لقـد ذكـرت ذلـك. مـن إيـران».

«لا، أكثـر دقـة. لقـد تتبعنـا الرسـالة حتـى كومبيوتـر فـي طهـران يمتلكـه...» تفقـد أوراقـه. «الأسـتاذ بهنـام أحمـدي».

«أنـت تمـزح؟» قـال كارجيـل غيـر أنـه لـم يقصـد ذلـك حرفيًـا. يعـرف -ويعـرف الجميـع- أن مديـر المخابـرات الوطنيـة أبعـد مـا يكـون عـن المـزاح.

«تعرفـه؟» سـألت إيليـن كارجيـل.

أومـأ، وهـو يـرتـب أفكـاره، «إنـه عـالـم فيـزيـاء نـوويـة».

«هـل مـن الممكـن أنـه يعـرف هـؤلاء الأشـخاص، وأراد أن ينقذهـم؟» سـألت.

«هذا ممكن». قال بيتشام. «لكنه مستبعد».

«لماذا؟»

«الدكتور أحمدي أحد مهندسي البرنامج النووي الإيراني. قال كارجيل. «ذلك ما نعتقد على الأقل. من الصعب الحصول على معلومات دقيقة عن برنامج أسلحة ينكرون امتلاكه من الأساس».

«نعرف أنهم يمتلكون واحدًا. ما لا نعرفه هو إذا كانوا قد تمكنوا من تطوير قنبلة بعد». قال بيتشام.

«إذًا ماذا يعني هذا؟» انتقلت إيلين بنظراتها بين الرجلين، وهي تتأمل وجهيهما. «لماذا سيحاول الدكتور أحمدي إيقاف قتل هؤلاء الفيزيائيين؟»

«لقد فكرنا مليًا في احتمال أنه عميل أجنبي يخدم دولة أخرى». قال بيتشام. «الإسرائيليون مثلاً. لقد قتلوا من قبل علماء إيرانيين يعملون في البرنامج النووي الإيراني».«لكن الدكتور أحمدي لن يعمل أبدًا مع الإسرائيليين، أليس كذلك؟» سألت إيلين.

«يعتمد ذلك على المبلغ الذي سيدفعونه ومدى يأسه. لا يمكننا استبعاد أي شيء».

راح كارجيل يهز رأسه. «لا أصدق هذا. من المستحيل أن يتعاون أحمدي مع دولة أخرى».

«لماذا تقول هذا؟ أي نوع من الرجال هو، ذلك المدعو الأستاذ أحمدي؟» سألت إيلين.

«ربمـا تتذكريـن عندمـا احتـل الطـلاب السـفارة الأمريكيـة فـي طهـران، وأخـذوا رهائـن أمريكييـن؟» سـأل بيتشـام. «سـنة ١٩٧٩؟» حدقت إيلين إليه. «أجل، أعتقد أن أحدهم قد ذكر ذلك».

«حسـنًا، لقـد كان بهنـام أحمـدي أحـد أولئـك الطلبـة. لدينـا صـور لـه، وهـو يُمسـك بندقيـة موجهـة إلـى رأس دبلوماسـي أمريكـي».

«أود رؤية تلك الصور؟»

«سـأرسـلها لـكِ، سـيدتي الوزيـرة». قـال بيتشـام. «بهنـام أحمـدي مؤمـن حقيقـي. تابـع للخُمينـي، ومخلـص لأفـكار رجـل الدين المتشـدد محمـد يـزدي».

«كلاهمـا ميت». قالت إيلين.

«صحيـح، لكـن هـذا يثبـت ولاءات ومعتقـدات الدكتـور أحمـدي». قـال بيتشـام. «والآن يصطـف بوضـوح وراء آيـة الله العظمـى الحالـي، خسـروي».

«لكن ألـم يصـدر خسـروي فتـوى ضـد أي برنامـج أسـلحة نـووي؟» قالـت إيليـن. شـعرت ببعـض الرضـا مـا إن رأت الدهشـة علـى وجـه بيتشـام مـن أنهـا تعـرف الكثيـر جـدًّا.

«نعـم»، قـال كارجيـل. «لكننـا لا نعتقـد أنـه صـادق فـي هـذا. طالمـا كانـت إيـران جـزءًا مـن اتفاقيـة خطـة العمـل الشـاملة المشـتركة[34]، وتسـمح بدخـول مفتشـي الأمـم المتحـدة، فقـد كنـا متأكديـن تمامًـا

34- اتفاقيـة خطـة العمـل المشـترك 2013: اتفاقيـة كانـت تنظـم الحـوار بيـن إيـران حول برنامجهـا النـووي، والـدول الخمـس زائـد واحـد؛ أمريـكا والصيـن وفرنسـا وبريطانيـا وألمانيـا وروسـيا. وقـد وافقـت إيـران بمقتضاهـا أن تتخلـى عـن جـزء مـن خطتهـا النوويـة مقابـل رفـع العقوبـات المفروضـة عليهـا. (المترجـم).

من أن برنامجهم النووي قد توقف. لكن منذ طردتها إدارة دَن من الاتفاقية...»

«أصبحت إيران حرة لمواصلة العمل في برنامجها». قالت إيلين.

«لقد جعل ذلك التأكد من صحة أي شيء أكثر صعوبة بكثير». قال بيتشام.

ظل السؤال بلا إجابة.

«لماذا سيحاول متشدد إيراني إنقاذ ثلاثة علماء فيزياء نووية باكستانيين قد يضر عملهم دولته؟» سألت إيلين.

ساد الصمت. لا يمتلكان أدنى فكرة بكل وضوح. اعتقدت إيلين لحظة أن الشاشة قد تجمدت.

«هنالك معلومة أخرى مهمة، سيدتي الوزيرة». قال مدير المخابرات الوطنية أخيرًا. «قد لا تعجبكِ».

«لم يعجبني أي شيء تقريبًا يتعلق بالأربع والعشرين ساعة الأخيرة. لتخبرنا بها يا تيم».

«ما إن غادرت العاصمة، وأخذتِ موظفة الشؤون الأجنبية برفقتكِ، حتى بحثنا بحثًا عميقًا في خلفية آناهيتا ضاهر». زحف العنكبوت حتى قاعدة جمجمة إيلين بالفعل. «لقد أخبرتنا بأن والديها لبنانيان، وأنهما قد أتيا إلى هنا بصفتهما لاجئين فرا من بيروت في خضم الحرب الأهلية. لقد تحققنا من الأمر، وذلك ما تؤكده استمارتا لجوئهما».

لكن، فكرت إيلين. *لكن*...

«لكن في ذلك الوقت، في أثناء الحرب، كان من المستحيل التحقق بدقة من صحة البيانات، غير أننا نستطيع أن نتأكد منها

الآن. وقد فعلنا. والدة الآنسة ضاهر مسيحية مارونية من بيروت. أستاذة تاريخ».

لكن، واصلت إيلين التفكير. *لكن...*

«لكن والدها ليس لبنانيًا»، قال بيتشام. «إنه اقتصادي... من إيران».

«هل أنت متأكد؟»

«ما كنتُ لأخبركِ إن لم نكن متأكدين».

واعتقدت إيلين أن ذلك صحيح غالبًا.

«هل هذه هي موظفة إدارة الشؤون الأجنبية التي تسافر برفقتك؟» سأل كارجيل. «ما مدى الصلاحيات التي أعطيتها إياها؟»

التفتت إيلين إلى تشارلز بوينتون الذي التزم الصمت، وبدا غير مرئي طيلة الاجتماع. لاحظت أنه يتمتع بقدرة نادرة على الاختفاء مع هذا يظل وجوده محسوسًا. ليست سمة عظيمة في المواقف الاجتماعية، لكن امتيازًا هائلًا في حال الرغبة في كتمان أسرار الدولة.

«لا تمتلك موظفة الشؤون الأجنبية أي تصريح رفيع المستوى من الأمن السري أو أي شيفرات دخول». قال بوينتون.

«مع هذا لديها آذان ودماغ». قالت إيلين. «لقد استطاعت أن تجد طريقها إلى اجتماعي البارحة. اعثر عليها، وأحضرها إلى هنا».

ما إن غادر بوينتون حتى التفتت مجددًا إلى الشاشة في اللحظة المناسبة لتشاهد إحدى المعاونات تهمس إلى بيتشام، وتعرض عليه شيئًا. كان قد وضع صوت شاشته على الوضع الصامت لكنهما يستطيعان أن يريا أنه مهتم ومتضايق.

استدار إليها من جديد، وقد أعاد الصوت إلى الشاشة. «متى كنتِ تخططين إلى أن تخبريني بأن لديكم مشتبهًا فيه في تفجير فرانكفورت».

«كنت سأتطرق إلى الأمر».

«حسنًا، لا داعي الآن، فقد أخبرتني معاونة مبتدئة بذلك للتو. لقد علمت بالأمر من السي إن إن».

«هلا عذرتنا، رجاء؟» طلبت إيلين من كارجيل، وقد علمت أن الأمر سيزداد قُبحًا.

ما إن غادر حتى هاجمها بيتشام، «هل تعرفين أن الرئيس أيضًا سيعرف هذا من التلفزيون، وليس عن طريقنا».

«كفى يا تيم». قالت إيلين، وهي ترفع يدها. «أتفهم سخطكَ لكن الحقيقة أننا قد اكتشفنا ذلك قبل قليل، وقد أتيت مباشرة إلى هنا. ولم تعطني الفرصة لأقول أي شيء».

تعرف أن هذا قد يكون غير عادل لكن الحقيقة أن إيلين لم تكن متلهفة لإخبار هذا الرجل بأي شيء خشية أن يكون مدير المخابرات الوطنية «البعبع الخائن».

تساءلت مرة أخرى كيف تتصرف بيتسي الآن، وهل كان إرسال معلمة مدرسة متقاعدة لتنقب عن معلومات بشأن خائن محتمل، خطأ. تساءلت أيضًا لماذا لم تسمع أي شيء من بيتسي حتى

الآن. مع أن هاتفها بحوزة عميل الأمن الدبلوماسي خارج الحجرة، وربما حاولت بيتسي الاتصال بها بالفعل.

«أخبرني الآن». انفعل تيم بيتشام.

أخبرته إيلين، وختمت كلامها قائلة: «نعتقد الآن أنه من المحتمل أن يكون مُفجِّرًا انتحاريًا. لقد راجعت لندن وباريس التسجيلات. ويعتقدون أنهم قد تعرفوا على هوية المُفجِرين من الكاميرات داخل الحافلة. كلاهما مات في التفجيرات».

«إذًا لماذا لم يمت هذا المُفجِّر؟»

«نعتقد أنه خالف الأوامر».

«وهو ما يجعله مهمًا جدًا لنا». قال بيتشام. «وخطرًا جدًا على من خطط لكل هذا».

«أجل».

شاهدت إيلين معاونًا عالي الرتبة يمرر ورقة إلى تيم بيتشام الذي قرأها. عبرت وجهه نظرة سريعة تعكس حيرة صادقة.

«لقد اكتشفنا المزيد عن موظفة الشؤون الأجنبية في وزارتك، وعن عائلتها».

نقر على الورقة أمامه بإصبعه.

«لقد غير والدها اسمه عند وصوله إلى بيروت من إيران بعد الثورة، إلى «ضاهر». قبل ذلك كان يُدعى أحمدي».

حان دور إيلين لتتجمد في مكانها. «أحمدي؟ مثل «بنهام أحمدي؟»»

«إنه شقيقه».

عم آناهيتا ضاهر يدير برنامج الأسلحة النووية الإيراني.

الفصل السادس عشر

«سكوت؟»

رفـع كارجيـل عينيـه عـن الرسـائل المتدفقـة. كان التعامـل مـع فيض المعلومـات يـزداد صعوبـة. فصـل المهـم عـن التافـه. الحقائـق عـن الأخبـار الكاذبـة. وفقًـا للمعلومـات الـواردة فقـد شُـوهِد المُفجّـر فـي أنحـاء أوروبـا كلهـا، وحتـى روسـيا.

«أجل، ما الأمر؟»

«قرية باد كوتستينغ في ألمانيا».

«أنتِ متأكدة؟»

«تمامًـا. لقـد تعرفـت الشـرطة المحليـة إليـه. وأرسـلت بطاقـة هويتـه».

أظهرتها لمديرها.

هـا هـو. أرام وانـي. العمـر سبع وعشـرون سنة. وعنوانـه فـي باد كوتسـتينغ، القريـة البافاريـة الصغيـرة.

«لديه زوجة وطفلة».

«هل هو هناك؟»

«لا نعـرف. لقـد أرسـلنا رجـال وحـدات الشـرطة التكتيكيـة إلـى منزلـه. إنهـم فـي طريقهـم مـن نورمبـرغ لكـن وصولهـم سيسـتغرق مـدة. أمـرتُ الشـرطة المحليـة بـأن ترسـل أحـد أفرادهـا إلـى هنـاك فـي أثنـاء ذلـك ليتفقـد الأمـر بهـدوء».

«جيد. نحتاج إلى الوصول إلى هناك».

«طائرة مروحية تنتظرنا».

«أجل؟»

فتحت امرأة شابة الباب قليلًا.

«فراو واني؟»

«أجل».

كانت تُمسك طفلة بين ذراعيها، وتبدو مُنهكة لكن لم يبد عليها الخوف.

كانت ضابطة الشرطة ترتدي ثيابًا مدنية، وكبيرة في السن لدرجة أنها قد تكون والدة فراو واني. أو حتى جدتها.

«جيد. أتمنى لو أنكِ لا تمانعين قدومي دون اتصال مُسبق».

«لا، لكن من أنتِ؟»

فتحت الباب أكثر.

«أُدعى نعومي. يوم بارد». رفعت الضابطة كتفيها وحركت مرفقيها إلى الداخل لتعبر عن شعورها بالبرودة. انفتح الباب أكثر، ودعتها المرأة الشابة إلى الدخول.

«شكرًا لكِ».

«عفوًا».

«في الحقيقة الرطوبة أسوأ من البرد، أليس كذلك؟»

ابتسمت نعومي بدفء ونظرت في أرجاء البيت. منزل صغير ونظيف. الطفلة، فتاة في عمر الثمانية عشر شهرًا، جميلة جمالًا شبه مستحيل، بالبشرة البنية الفاتحة والعينين الزرقاوين لطفلة مولودة لأم ألمانية وأب باكستاني.

تعرف الضابطة التي أجرت بحثًا سريعًا قبل أن تأتي إلى هنا أن فراو واني قد ولدت، ونشأت في ألمانيا بتراثها الأوروبي العريق.

«ألم يُخبركِ زوجكِ؟» سألتها.

«لا». هزت المرأة رأسها لتعبر عن جهلها.

«كما تعرفين، فقد نُظِّمت مسابقة يانصيب إقليمية بهدف منح مواطنة سريعة ومُيسَّرة للمهاجرين. ولأن زوجكِ قد تزوج ألمانية»، ابتسمت بدفء أكبر. «ولديه طفلة، ظهر اسمه شخصًا مؤهلًا للفوز بالمسابقة». سكتت، وقد بدت قلقة. «زوجكِ يُدعى أرام واني، أليس كذلك؟»

«بلى». أشرق وجه فراو واني عن ابتسامة عريضة. تنحت جانبًا تمامًا وأغلقت الباب بعد أن دخلت نعومي قبل أن تشير إلى زائرتها باتجاه المطبخ.

«لم أسمع قط عن هذا اليانصيب. هل هو حقيقي؟»

«أجل. لكنني أحتاج إلى أن أسأله أسئلة قليلة. هل هو موجود؟»

***

جلس أرام واني متراخيًا في مؤخرة الحافلة. لو أنه لاحظ أي غرابة في ذلك، فلم يُظهر أي شيء يعكس ذلك. لأنه سيحترق لو باح بأي شيء.

عليه أن يعود إلى بيته. أن يجتمع بعائلته ويُخرِجهما من هناك، ويعبر بهما الحدود إلى التشيك. تمنى أن يستطيع فعل ذلك قبل أن يكتشف أي أحد حقيقة أنه لا يزال على قيد الحياة.

في محطة الحافلة شاهد وجهه يُعرض على كل الشاشات. إنهم يعرفون. الشرطة وشاه والرُوس. فكر في تسليم نفسه. حينها سيمتلك على الأقل فرصة في النجاة. ويمكنه أن يتوسل إلى السلطات الألمانية حتى تحمي أسرته. لكن الوقت ليس في صالحه. يجب أن يصل إليهما أولًا.

سارت بيتسي جيمسون عبر ردهة الماهوجني، وهي تحمل علبة تحوي سلطة دجاج فوق قطعة كرواسون. كانت مجرد تمثيلية لإعطاء انطباع أن كل شيء طبيعي. توقف القليل من الموظفين في أثناء اندفاعهم هنا وهناك، وسألوا إذا كانت قد سمعت أي شيء من وزيرة الخارجية آدمز، ولماذا رجعت بمفردها.

«تريدني الوزيرة أن أكون هنا في حال طرأ أي شيء». قالت.

لحسن الحظ، كان أفراد وزارة الخارجية مشغولين جدًّا ليهتموا بأجوبتها المُبهمَة. وعرف معظمهم أنه من الأفضل عدم طرح الكثير من الأسئلة. كان المكان صاخبًا. انتشرت أخبار صور المُفجِّر في كل المكاتب، تبعث الأمل في أنه ربما ثمة انفراجة قريبة.

وزارة الخارجية في واشنطن العاصمة اعتادت الأزمات. هنالك دائمًا مكان واحد على الأقل في العالم يمر بمرحلة عصيبة تتطلب ردة فعل عاجلة. غير أن الأمر هذه المرة مختلف. لا لأن الهجمات الإرهابية قد نجحت ببساطة نجاحًا منقطع النظير، لكن لأن لا أحد أيضًا في ذلك المبنى، ولا أحد في المجتمع الاستخباراتي الدولي في أي مكان قد سمع تحذيرًا هامسًا حتى.

لا شيء.

وعدم سماع أي شيء عن تلك الهجمات يعني أنه من غير الممكن التكهن بما هو على وشك الحدوث. كان ذلك هو الكابوس الذي يعيش معه أولئك الأشخاص.

أصدر النظام الاستشاري الوطني لمواجهة الإرهاب إنذارًا، يحذر فيه المواطنين أن هجومًا آخر، هذه المرة داخل الأراضي

الأمريكية، قد يكون وشيكًا. في كل مكتب، وفي كل طابق، يتصل رجال ونساء وزارة الخارجية بزملائهم ومخبريهم. يفتشون عن المعلومات. يحفرون عميقًا. وعندما يعثرون على قطعة ذهب خام يحاولون أن يميزوا الذهب الحقيقي من المزيف.

ما إن استخدمت بطاقة مرورها حتى سمعت الأقفال في الباب السميك لجناح مكاتب وزيرة الخارجية تخشخش، ثم رأت الباب ينفتح سريعًا.

سمعت أحدهم قبل أن تستطيع الدخول، يقول: «السيدة جيمسون». استدارت، وشاهدت امرأة تدنو منها، وهي ترتدي زيًا عسكريًا أخضر غامقًا وشارة نقيب في القوات الخاصة بسلاح الصاعقة.

«أجل؟»

«لقد سمع اللواء وايتهيد أنكِ قد عدتِ، وأرسلني إليكِ. يقول إن عليك الاتصال به إذا احتجتِ إلى أي شيء. اسمي دينيس فيلان». شعرت بيتسي بشيء يُدس في جيب معطفها. «لا تترددي».

ابتسمت النقيب فيلان، وسارت عائدة إلى المصعد، وقد تركت بيتسي تتساءل لماذا قد تحتاج إلى مساعدة من ضابطة صاعقة.

ما إن دخلت جناح مكاتب الوزيرة حتى استقبلها رجال ونساء يدعمون الوزيرة. يعرفون جميعًا أنها مستشارة الوزيرة آدمز. يعتقدون أنه منصب شرفي من أجل دعم وزيرة الخارجية معنويًا لكن دون فعل أي عمل جاد. كانوا دمثين وودودين وسلبيين سلبية مبهمة في تعاملهم معها.

ثرثرت بيتسي معهم، وتحدثت أحاديث قصيرة، واستندت حتى إلى ركن أحد المكاتب، جاهزة ظاهريًا لمحادثة ودية طويلة.

أصبحت بيتسي بعد عشرات السنين من التدريس في المدرسة الثانوية بارعة في قراءة لغة الجسد، خاصة لدى الأشخاص الذين فقدوا الاهتمام كليًا بموضوع ما.

ما إن تأكدت من أنها قد أزعجت كل شخص إلى حد الانفجار تقريبًا، ذهبت إلى مكتب إيلين الخاص، وأغلقت الباب، وقد تيقنت أن أولئك القابعين في الخارج يفضلون قضم أصابعهم على المخاطرة بمزيد من الحوارات التافهة مع امرأة يبدو جليًا أنها لا تستوعب حقيقة أنهم في منتصف أزمة.

عرفت بيتسي جيمسون أن لا أحد سيزعجها.

جلست فوق أريكة صغيرة في مكتب إيلين، والتقطت قطعة الكوراسون من علبتها، ووضعتها فوق بعض الأوراق. ثم شغلت لعبة كاندي كراش على هاتفها. وبعد أن لعبت مرة، ولم تنه الثانية، أغلقت خاصية «شاشة التوقف» حتى تستمر الشاشة في عرض اللعبة. وهكذا سيري أي أحد يدخل الحجرة، اللعبة على شاشة الهاتف، ويعتقد أنها لا تمتلك شيئًا أفضل من أن تلعب، وتملأ بطنها بالطعام. لن يشُكُّوا مطلقًا في أنها تجمع المعلومات عن مدير المخابرات الوطنية.

بعد ذلك توجهت عبر باب يصل بين الحجرتين، إلى مكتب تشارلز بوينتون. شغلت كومبيوتره، وأدخلت رمز الدخول. لو تعقب أحدهم ما تفعله، فسيقوده إلى ذلك «النمس» بوينتون. ليس إليها ولا إلى إيلين. شعرت في أثناء جلوسها على المقعد بشيء صلب ومستطيل في جيبها. عرفت طبيعة ذلك الشيء قبل أن تُخرجه. هاتف كانت النقيب فيلان قد دسته في جيب معطفها. ضغطت

علـى زر التشـغيل. لاحظـت أنـه مشـحون شـحنًا كامـلًا، ولا يحـوي سـوى رقـم واحـد خُـزّن مسـبقًا. أعادتـه إلـى جيبهـا ثـم نظـرت ثانيـة إلـى شـاشـة كومبيوتـر بوينتـون. اسـتنشـقت نفسًـا عميقًـا، وشـرعت تعمـل.

أولئـك الذيـن يسـتهينون بالمعلميـن، يجازفـون علـى مسـؤوليتهم الشـخصية.

«حسـنًا أيهـا الحقيـر»، تمتمـت وهـي تكتـب علـى لوحـة المفاتيـح، «أنـا قادمـة وراءك».

ضغطـت زر «إدخـال»، فظهـرت علـى الشاشـة ملفـات سـرية عـن تيموثـي ت. بيتشـام.

***

جلسـت آناهيتـا علـى المقعـد الـذي حُـدِّد لهـا فـي المكتـب الأشـبه بمخـزن داخـل قنصليـة فرانكفـورت.

انضم تشـارلز بوينتون إليها ووزيرة الخارجية.

تيـم بيتشـام، مديـر المخابـرات الوطنيـة، وضابطـا المخابـرات اللـذان اسـتجوباها علـى الشاشـة مـن واشـنطن العاصمـة. شـرع الضابـط الأعلـى رتبـة يتحـدث لكـن سـرعان مـا أسـكتته وزيـرة الخارجيـة بلباقـة وحـزم.

«إن لـم تمانـع فسـأتولى أنـا قيـادة دفـة الحـوار. وإذا كان لا يـزال لديـك أسـئلة حيـن أنتهـي، فيمكنـك بالطبـع أن تطرحهـا».

سـمته عمـدًا حـوارًا وليـس اسـتجوابًا. أرادت أن تُشـعِر آناهيتـا ضاهـر بالارتيـاح. وتسـتطيع أن تشـعر بـأن الأمـر ينجـح؛ تبـدو موظفـة إدارة الشـؤون الأجنبيـة أقـل توتـرًا بالفعـل، وهـي تـرى الوزيـرة آدمـز، وليـس الآخريـن، مـن توجـه الأسـئلة.

تعتقد أنني صديقتها. إنها مخطئة.

أجبرت آناهيتا وجهها وجسمها على التراخي حتى تُعطي انطباعًا أن الأمر قد انطلى عليها لكنها لم تنخدع بهذه التمثيلية. لقد أصبحت الحراسة المفروضة على موظفة إدارة الشؤون الأجنبية أعلى من أي وقت مضى. مع أنها تشك في أنها ليست عالية بالقدر الكافي. هم يعرفون أن الأوان قد فات على ذلك.

ما لا تعرفه آناهيتا فقط هو مقدار ما اكتشفوه عنها. لقد كانوا ينبشون في ماضيها. كان ذلك جليًا لكن إلى أي عمق نجحوا في أن يصلوا إلى داخل حياتها؟

***

حامت يد بيتسي فوق لوحة مفاتيح كومبيوتر بوينتون بمسافة إنش.

لقد سمعت شيئًا. أحدهم في المكتب الخارجي.

حدقت إلى الباب. كان مغلقًا غير أنه ليس مقفلًا. أدركت، وهي تلعن نفسها، أنها لا تمتلك الوقت لتسجيل الخروج، وإغلاق الكومبيوتر. مدت يدها وراءها، وأمسكت سلك الكهرباء، وانتزعته من الجدار. لم تنتظر في مكانها حتى تشاهد الشاشة تسود، وسارعت وهي تلتقط أوراقها، عبر الباب إلى مكتب إيلين. وصلت إلى الأريكة في اللحظة التي ظهرت فيها باربرا ستينهاوزر.

توقفت مديرة مكتب البيت الأبيض في مكانها، وحدقت إلى بيتسي.

«السيدة جيمسون؟ لقد اعتقدت أنكِ في فرانكفورت برفقة الوزيرة آدمز».

«أوه، مرحبًا»، أنزلت بيتسي الساندويتش فوق المائدة، «لقد كنتُ هناك، لكن...»

«أجل؟» *لكن ماذا؟ ماذا؟*

بحثت بيتسي في رأسها. لم تتوقع أن تصادف باربرا ستينهاوزر. كان من غير المعتاد بشدة أن تأتي مديرة مكتب البيت الأبيض إلى القاع الضبابي.

كانت ستينهاوزر تنتظر ردها.

«حسنًا، هذا مُحرِج...»

بحق *الرب*، توسلت بيتسي في رأسها، *أنكِ تجعلين الأمر أسوأ. ماذا يمكن أن يكون مُحرِجًا؟ اختلقي شيئًا.*

«لقد تشاجرنا، أنا وإيلين». اندفعت قائلة.

«أوه، هذا مؤسف. لا بد أن الأمر كان سيئًا إلى حدّ ما. ما الذي تشاجرتما بشأنه؟»

أوه، بحق المسيح، فكرت بيتسي. *ما الذي تشاجرنا بشأنه؟؟*

«بشأن ابنها، جيل».

«حقًا؟ ماذا عنه؟»

هل كان ذهن بيتسي المحموم أم أن نبرة صوت باربرا ستينهاوزر قد تغيرت من دهشة طفيفة إلى شكٍ متنامٍ؟

«عذرًا؟»

«الشجار، ما سبب الشجار؟»

«حسنًا، ذلك شخصي».

«فليكن»، قالت مديرة مكتب البيت الأبيض وهي تخطو أكثر داخل الحجرة. «أود أن أسمع. يمكنكِ أن تثقي بي».

«أعتقد أن بوسعكِ تخمين السبب».

أرجوكِ. أرجوكِ، خمني.

حدقت باربرا ستينهاوزر إليها بتركيز. أدركت بيتسي لدهشتها أنها تحاول حقًا أن تُخمن. لم تكن مديرة مكتب البيت الأبيض ترغب مُطلقًا في أن تبدو جاهلة. نقطة قوتها هي أن تعرف كل شيء. وكعب أخيل خاصتها هو أنها لا تستطيع أن تعترف في حالة كانت لا تعرف.

«موضوع الاختطاف». قالت ستينهاوزر بثقة حتى أن بيتسي قد صدقت الأمر لحظة.

لقد أصابت باربرا بيتسي في الحقيقة الشيء الوحيد الذي قد يُحطم صداقة بيتسي بإيلين.

اختطاف جيل باهار قبل ثلاث سنوات.

ثم أصابت بيتسي الشيء الوحيد الذي دائمًا ما أرادت ستينهاوزر حقًا أن تسمعه. الكلمات التي أطلقت السهم. الشيء الوحيد الذي قد يُثبط دفاعات مديرة مكتب البيت الأبيض.

«أنتِ محقة». رأت بيتسي ستينهاوزر تسترخي مثل مدمن عند إعطائه الجرعة في اللحظة التي أخبرتها فيها أنها محقة.

بالطبع كانت ستينهاوزر مخطئة لكن بيتسي قد نجحت في تمهيد الطريق أمامها.

«لقد أخبرت إيلين بأنني أعتقد أن السيناتور وليامز آنذاك كان له الحق في أن لا يتفاوض من أجل إطلاق سراح جيل».

«حقًا؟» قالت ستينهاوزر وهي تخطو مقتربة أكثر من بيتسي، وتلقي نظرة إلى لعبة كاندي كراش فوق شاشة الهاتف. أطفأته

بيتسي سريعًا بإحراج واضح.

«أيدتِ موقف السيناتور؟» قالت مديرة مكتب الرئيس.

«لقد فعلت. اعتقدت أنها وقفة شجاعة».

«كانت تلك فكرتي أنا، تعرفين ذلك؟»

«أهـه. كان يجب أن أُخمن ذلك». دهشت بيتسي من قدرتها على إخفاء نبرة الامتعاض في صوتها.

تراءت أمامها الأسابيع الطويلة التي كان فيها جيل مفقودًا في أفغانستان. ثم تلك الصورة له وهو قذر وممزق الثياب وشعره أشعث ولحيته متلبدة. كان في حالة لا يمكن أن يتعرف إليه فيها أي أحد تقريبًا. ربما باستثناء أمه وأمه الروحية. تلك الأعين الملأى بالخوف. الأعين الخاوية. كان جيل المتألق والنابض بالحياة والقلق بطبعه يركع في الصورة على ركبتيه فيما يقف وراءه مقاتلان من طالبان البشتون. وبندقيتا إيه كيه-٤٧ تتدليان فوق صدريهما، كما لو أنه ظبي جريح وهما الصيادان.

«أراد السيناتور ويليامز أن يتفاوض في بادئ الأمر غير أنني أشرت له أن حملة ناجحة من أجل الوصول إلى البيت الأبيض تعتمد على إظهاره القوة والحزم».

أجبرت بيتسي نفسها على رسم ابتسامة رفيعة على وجهها، وهي تحاول أن تُبقي عينيها على المنظر البعيد وليس على قطعة الحثالة هذه.

«رأي سديد».

لقد كان كابوسًا.

عُرِضت صور لرؤوس مقطوعة في نشرات الأخبار على

القنوات التابعة لإيلين كل ليلة، وصور لجيل باهار الصحافي المعروف، والرهينة الأمريكية الوحيدة، وهو ما جعله غنيمة ثمينة للخاطفين. كانوا يهددون بقتله كل يوم.

توسلت إيلين -ركعت على ركبتيها حرفيًا – إلى السيناتور وليامز لاستخدام طرائق خلفية لتحرير ابنها. لا يمكن أن تُرى أمريكا وهي تتفاوض علانية مع إرهابيين، خاصة البشتون، الفرع الأكثر ضراوة لطالبان. لكن ذلك يحدث سرًا طيلة الوقت. وحتى بنجاح أحيانًا.

لكن هذه المرة رفض السيناتور وليامز، مدير لجنة المخابرات في مجلس الشيوخ في ذلك الوقت، غير عابئ بركوع إيلين بنفسها أمامه.

لم تتعاف إيلين قطّ تمامًا من رعب تلك المدة. ولم تسامح وليامز قط. ولن تسامحه. ولن تسامحه بيتسي جيمسون أيضًا.

ولن يسامح دوج وليامز إيلين مطلقًا على الحملة الشرسة التي شنتها إمبراطوريتها الإعلامية لمنعه من الفوز بترشيح الحزب.

«في ذلك الوقت أخبرتُ إيلين بأنني أتفق معها عندما نعتت السيناتور وليامز بأنه مجنون ومتعجرف أثملته السلطة».

لقد طاردته إيلين بعد ذلك بكل الموارد التي تمتلكها، وهي مصممة على أن تقطع رأسه «سياسيًا».

لسوء الحظ، لم ينجح الأمر، وصار خصم إيلين السياسي وعدوها اللدود، الرئيس المنتخب للولايات المتحدة. ثم اختار وليامز لدهشة الجميع إيلين آدمز حتى تكون وزيرة خارجيته. مع هذا عرفت إيلين السبب. وعرفته بيتسي أيضًا. يمتلك الرئيس وليامز خطة خاصة لإعدام إيلين معنويًا.

أولًا، سيجرد إيلين من ظهيرها الإعلامي ويضعها في حكومته حيث ستصبح الوزيرة آدمز «رهينته»، ثم سيسحب السيف فوق عنقها.

إنْ كان لدى إيلين أو بيتسي أي شكوك حول دوافعه، فقد أكدتها الرحلة إلى كوريا الجنوبية. كانت إخفاقًا ما كان عليه أن يحدث. كان إعدامًا عامًا أشرف على تنفيذه الرئيس الأمريكي الذي يبدو أنه لن يتورع عن فعل أي شيء حتى يدمر وزيرة خارجيته.

«على متن الرحلة إلى فرانكفورت»، قالت بيتسي لمديرة مكتب البيت الأبيض. «شربتُ أكثر من المفترض، وأخبرت إيلين بأنني أعتقد أن الرئيس وليامز لم يكن أحمقَ فارغًا بلا عقل. وأنه بالتأكيد ليس شخصًا مُخادعًا هرب من حقيبة الحمقى. وأنه بكل تأكيد ليس المغرور بالغ السذاجة الذي حصل على درجة في القانون بطرائق ملتوية».

كانت بيتسي تُمتِع نفسها. لقد مضت مدة منذ أخرجت روح السيدة كليفر اللئيمة بداخلها.

مع هذا فقد حان الوقت لإنهاء ذلك.

نظرت بيتسي إلى عيني باربرا ستينهاوزر مباشرة وهي تكاد تضحك من الشيء الذي تعرف أن عليها أن تقوله بعد ذلك.

كذبت بيتسي. «لقد أخبرتها بأنه قد فعل الشيء الصحيح بأن لا ينقذ جيل. لم يكن لديه خيار».

«وكانت ردة فعلها أن أعادتكِ إلى هنا».

«كنت محظوظة لأنها لم تقذفني خارج الطائرة. وها أنا هنا أجلس الآن، وأتناول ساندويتش وألعب كاندي كراش، وأحاول

استجماع الشجاعة حتى أتصل بها وأعتذر. حتى لو كنتُ أعتقد أن دوج وليامز مخبول نرجسي».

حسنًا، جعلها قول ذلك تشعر شعورًا جيدًا.

«تعتقدين أم لا تعتقدين؟»

«عذرًا؟»

«لقد قلت أنكِ تعتقدين أنه نرجسي و...»

«ماذا؟»

«لا تهتمي».

«ماذا تفعلين أنتِ هنا؟» سألت بيتسي. «هل أستطيع مساعدتكِ؟»

«لا، لقد أرسلني الرئيس إلى هنا لأنظر إذا كانت الوزيرة آدمز أو مدير مكتبها قد تركا وراءهما أي ملاحظة من اجتماعهما قبل السفر. يبدو أن الكاتب من حماسته الشديدة قد نسي تسجيل بعض النقاط».

«حظًا موفقًا في ذلك. يمكنك أن تري أن مكتبها مزيلة. ومكتبه مرتب جدًا بحيث يستحيل وجود أي عمل حقيقي». ترددت بيتسي. «لقد عملتما معًا من قبل، أليس كذلك؟ أنتِ وبوينتون؟»

«بلى، مدة قصيرة».

«في اللجنة الاستخباراتية في مجلس الشيوخ في أثناء رئاسة السيناتور وليامز».

«صحيح. وفي حملته الانتخابية».

كان ذلك مجرد تخمين من بيتسي لكن الربط بين الأشياء لم يكن صعبًا جدًا، لأن ستينهاوزر نفسها كانت من عيَّنت تشارلز

بوينتـون مديـرًا لمكتـب إيليـن. تسـاءلت، وهـي تشـاهد سـتينهاوزر تسـير إلـى مكتـب بوينتـون، وتغلـق البـاب، كـم كانـت حقيبـة الحمقـى مـزدحمـة. ومـن تمكـن أيضًـا مـن الهـروب منهـا؟

أرسـلت بيتسـي إيميـلًا مقتضبًـا إلـى إيليـن، تذكـر فيـه أنهـا قـد وصلـت إلـى الـوزارة، وتشـكرها علـى العميـل الشـاب الـذي أرسـلته لحراسـتها.

«صيغة شرطية[35] Subjunctive *كانت لتدلف إلى حانة...»*

حاولـت بيتسـي بعـد عشـرين دقيقـة أن تفتـح بـاب مكتـب بوينتـون. كان غيـر مغلـق وخاليًـا. لقـد رحلـت باربـرا سـتينهاوزر.

جلسـت بيتسـي علـى مكتـب بوينتـون، ومـدت يدهـا وراءهـا بحثًـا عـن سـلك الكهربـاء الـذي انتزعتـه مـن الجـدار. توقـف قلبهـا لحظـة. لقـد أُعيـد توصيـل كومبيوتـر تشـارلز بالكهربـاء بالفعـل.

***

ربـط سـكوت كارجيـل حـزام الأمـان، وأشـار إلـى الطيـار أن يُقلـع بالمروحيـة.

ناولتـه معاونتـه الأولـى هاتفهـا. قـرأ الرسـالة بسـرعة دون أن يشـي وجهـه بـأي شـيء، «ومـاذا عـن الآخريـن؟»

«نتحقق منهم الآن. سنمتلك أخبارًا جديدة في غضون دقائق».

أومـأ لهـا إيمـاءة مقتضبـة، وأرسـل رسـالة إلـى وزيـرة الخارجيـة. ثـم أطـل بعينيـه إلـى الخـارج علـى فرانكفـورت فيمـا تميـل المروحيـة

35- الصيغـة الشـرطية: هـي مجموعـة مـن الأفعـال التـي تُسـتخدم مـن أجـل التعبيـر عـن مـزاج المتكلـم تجـاه شـيء مـا سـواء أكان رغبـة أم تمنيًـا أم اقتراحًـا، إلـخ. (المترجـم).

في الهواء وتتجه شرقًا. نحو بافاريا حيث تقع قرية باد كوتستينغ الساحرة التي يعود تاريخها إلى القرون الوسطى.

القرية التي اتخذها إرهابيٌ بيتًا.

***

ناول عميل الأمن الدبلوماسي إيلين هاتفها. لقد وصلت رسالة عاجلة من سكوت كارجيل.

عُثر على زوج نسرين بُخاري مقتولًا. نتفقد أمر العائلات الأخرى. لقد تتبعنا أثر المشتبه فيه إلى بافاريا. في الطريق إلى هناك.

***

ألقى كارجيل نظرة إلى الرد.

حظًا موفقًا. أعلمني بما ستصل إليه.

***

أعادت إيلين الهاتف إلى عميل الأمن والتفتت إلى آناهيتا.

«لا نمتلك الكثير من الوقت، آنسة ضاهر». قالت الوزيرة آدمز. صوتها فظ ورسمي. «لقد كذبتِ علينا مرات عدة. يجب أن تُخبرينا بالحقيقة الآن».

جلست آناهيتا منتصبة الظهر في مقعدها، وأومأت بصمت.

«ما دورك في التفجيرات؟»

كانت دهشة آناهيتا جلية. «سيدتي الوزيرة؟»

«كفى. نعرف حقيقة والدكِ».

«ماذا؟» حافظت على صوتها هادئًا.

كان سخيفًا أن لا تُخبرهم بكل شيء. من الواضح أنهم يعرفون، وإنكار الأمر سيزيد الطين بلة.

مع هذا وجدت آناهيتا نفسها عاجزة عن قول الحقيقة. كان الشيء الوحيد الذي طلب منها والداها أن تكتمه، والشيء الوحيد الذي وعدت بأن لا تبوح به أبدًا.

قالت لها أمها التي تؤمن بالأرواح، «لا تخبري أي أحد، ولا حتى روحًا حية واحدة». وأجلسها أبوها الذي لا يؤمن بالأرواح، فوق ركبته، وأخبرها بأن لا تخاف. وأن كل شيء سيكون على ما يرام إنْ كتمت هذا السر الوحيد. ثم أخبرها بأنه يحبها أكثر من الحياة نفسها.

لقد آمن والدها بالحياة وبقدسيتها.

أخبرها بعد أن أصبحت كبيرة بدرجة تسمح لها بأن تفهم، لماذا لا يمكن أن يغادر سرهم الكبير أبدًا حدود بيتهم الصغير في أحد ضواحي واشنطن العاصمة.

شرح لها بصوت رزين أن عائلتهم بالكامل قد قُتلت. قُضِي عليهم في حملة جنونية دموية قادها المتشددون الإيرانيون في أثناء الثورة لأن عائلته -عائلتها- كانوا مُفكرين، ومن ثم لا يمكن الثقة بهم. لأن التعليم يقود إلى التساؤل الذي يقود بدوره إلى التفكير المستقل، والذي يقود إلى التوق إلى الحرية. الحرية التي لا يستطيع آيات الله التحكم فيها.

«كنت الوحيد الذي هرب».

صوته قوي. عمليّ تقريبًا، غير أن عينيه فضحتا حزنه.

«أنت خائف يا بابا من أن يطاردك الإيرانيون؟» قالت.

«لا، أخشى أنهم لن يضطروا إلى ذلك. فلو اكتشف الأمريكيون أنني زيفت الحقيقة في استمارة لجوئي. لو اكتشفوا أنني إيراني في الحقيقة...»

«سوف يُرحِّلونك إلى إيران؟» في ذلك الوقت كانت كبيرة حتى تفهم معنى ذلك. «لن أخبر أي أحد أبدًا». وعدت.

ولم تفعل. ولن تفعل.

«هذا سخيف». قال تيم بيتشام. «يمكنكِ أن تشاهدي أنها لن تتعاون. من الواضح لصالح من تعمل؛ أنها لا تعمل لصالحنا. اقبضوا عليها. اتهموها».

سار عميل الأمن في الحجرة خطوة نحوها.

«نتهمها بماذا؟» سألت إيلين، وقد أوقفت العميل بحركة من يدها.

«بالتحريض والقتل الجماعي والإرهاب والتآمر». قال بيتشام. «إنْ لم تعجبكِ هذه التهم، فلدي المزيد».

«لقد نسيت يا تيم»، انفعلت إيلين. «أن الغرض من الرسالة الإيرانية كان محاولة إيقاف القنابل. لو بالإمكان فهم أي شيء من ذلك، فهو أن الإيرانيين قد ساعدونا».

«الرسالة خرجت من إيران؟» سألت آناهيتا.

«انظري»، قالت إيلين، وقد نفد صبرها كله. «كفاكِ تظاهرًا. نعرف أن والدكِ إيراني. لقد كذب في استمارة لجوئه. نعرف أن اسمه أحمدي...»

«لماذا أرسل عمكِ الرسالة؟» قاطعها بيتشام.

انتقلت نظرات آناهيتا بينهما.

«ماذا؟»

ضربت إيلين الطاولة بيدها ضربة قوية حتى أن الصوت المدوي قد جعل آناهيتا تقفز، وأفزع بيتشام في مكانه في الجهة الأخرى من المحيط.

مالت إيلين إلى الأمام حتى التصق وجهها بوجه آناهيتا.

«كفى. الوقت قصير. نحتاج إلى أجوبة».

«لكنكَ مخطئ. لا عم لي».

«بالطبع لك عم»! انفجر بيتشام. «إنه يعيش في طهران. يُدعى بنهام أحمدي، وهو عالم فيزياء نووية. لقد ساعد في تأسيس البرنامج الإيراني للأسلحة النووية».

«هذا غير ممكن. لقد قُتِلت عائلتي بكاملها في أثناء الثورة. كان أبي الوحيد الذي...»

سكتت غير أن الأوان قد فات. لقد باحت بالسر.

انتظرت آناهيتا.

انتظرت أزي دهاكه[36] أن ينقض عليها. كم كانت الصورة مطبوعة بقوة شديدة في ذهنها. وكم كان وعدها لوالديها عميقًا حتى أن آناهيتا البالغة العقلانية قد صدقت أنها لو أفشت السر، فإن كارثة سوف تعقب ذلك مباشرة.

انتظرت، وعيناها جاحظتان، وتنفسها مضطرب. لكن شيئًا لم يحدث. مع هذا لم تنخدع آناهيتا. لقد خرج الوحش من قمقمه،

36- أزي دهاكه أو الملك الضحاك: مخلوق شرير في الميثولوجيا الفارسية والقصص الشعبية الفارسية القديمة، ويجسد عادة في صورة رجل يحمل ثعبانين على كتفه. (المترجم).

وهو آت من أجلهم. يتقدم مسرعًا نحو بيت أسرتها المتواضع في بيثيسدا بماريلاندا.

احتاجت إلى أن تتصل بهما. أن تحذرهما. أن تقول لهما، اهربا، اختبئا، لكن أين؟

آنا؟ أتاها الصوت من بعيد. آنا؟

عادت آناهيتا إلى حجرة المخزن في قبو القنصلية الأمريكية في فرانكفورت.

«أخبرينا». قالت الوزيرة آدمز بنعومة.

«لا أفهم».

«إذًا أخبرينا بما تعرفينه».

«لقد أخبرني أبي بأنهم جميعًا قد ماتوا. عائلة أبي بكاملها. قتلهم المتطرفون. إنني لا أمتلك أي عائلة متبقية». ثبتت آناهيتا عينيها في عيني إيلين.

«هراء». قال ضابط المخابرات الأعلى رتبة على الشاشة من واشنطن العاصمة.

«لقد وصلت الرسالة إلى مكتبها. لقد عرف عمها أين، وكيف يجدها. لا بد من أنها تعرفه».

«لكنني لا أعرفه»، قالت آناهيتا، وهي تنظر إليهم.

«إذًا تحتاجين إلى الاتصال بوالدكِ». قالت إيلين. صوتها قوي وحازم.

«هل تعتقدين أن تلك فكرة جيدة، سيدتي الوزيرة؟» سأل ضابط المخابرات الأعلى رتبة.

«بل هي فكرة سيئة جدًا». قال بيتشام. «لماذا لا ندعو الإرهابيين للانضمام إلى مجموعتنا. تفضلوا بالدخول»، لوح بذراعيه. «سوف نريكم ما نمتلكه، وما لا نمتلكه».

حدق إلى إيلين التي حدقت إليه بدورها.

«إنهم في الطريق». أعلن ضابط المخابرات الأصغر سنًا، وهو يرفع عينيه عن هاتفه، «سيصلون إلى بيثيسدا في أي لحظة».

«من؟» سألت آناهيتا، وقد شعرت بالذعر يتنامى بداخلها. كانت تعرف الإجابة. الوحش الذي أطلقته.

«جيد». قال بيتشام وهو ينهض. «سوف أذهب بنفسي إلى هناك».

***

حدقت بيتسي جيمسون إلى الشاشة داخل مكتب تشارلز بوينتون في وزارة الخارجية. عيناها جاحظتان، ويدها فوق فمها.

«اللعنة»!

لاحظت صديقات وأفراد عائلة بيتسي منذ سنوات أن لغتها تصبح بذيئة عندما تصبح الأمور سيئة. لكن ما إن تصبح الأشياء كارثية تعود لغتها إلى رصانتها.

«يا إلهي». همست بيتسي من بين أصابعها، وهي تحدق إلى الشاشة.

لقد شاهدت باربرا ستينهاوزر ما كانت تقوم به. على الشاشة كان بحثها عن السجلات المتعلقة بتيموثي ت. بيتشام.

كانت ملفات مُقتطعة[37] اقتطاعًا مُريبًا.

37- اقتطاع ملف: إزالة محتوى ملف دون حذف الملف نفسه.

ثم بدأت بيتسي تضحك.

ما تظن ستينهاوزر أنها قد عرفته هو أن تشارلز بوينتون كان ينبش وراء مدير المخابرات الوطنية، وليس بيتسي جيمسون التي كانت منشغلة بلعب كاندي كراش، وتلتهم الطعام حتى تُسكِّن غضبها بعد «شجارها» مع الوزيرة آدمز.

جلست في المقعد مجددًا، واستنشقت نفسًا عميقًا وهي تهدّئ من روعها، ثم مالت إلى الأمام، وشرعت تعمل مجددًا. كان الغوص أعمق من المعتاد ضروريًا جدًّا في هذه الحالة.

بعد ساعة، خلعت بيتسي نظارتها، ودعكت عينيها، وحدقت إلى الشاشة. لم تصل إلى أي شيء. ما إن تعتقد أنها وراء دليل واعدٍ حتى تصطدم بطريق مسدود. كان الأمر أشبه بمتاهة، يقف تيم بيتشام في مركزها لكن دون أي سبيل للوصول إليه.

مع هذا لا بد من سبيل. إلا أن بيتسي لا تعرفه بعد.

بحثت في سجلات الجامعة. عرفت أنه ارتاد كلية الحقوق بهارفرد لكن لا شيء هناك. فقط تأكيد أنه قد تخرج.

كانت سجلاته العسكرية مطموسة بصورة مشابهة.

متزوج ولديه طفلان. كان في السابعة والأربعين من عمره. أسرة جمهورية من يوتا.

لا يمكن إبقاء ذلك القدر الكبير من المعلومات سرًا.

تعرف بيتسي أن العثور على معلومات عن ساعي بريدها أسهل بالطبع من مدير المخابرات الوطنية. لكنها لم تستطع أن تعرف حتى إلى ماذا يشير الاختصار «ت T» في «تيموثي ت. بيتشام».

ما احتاجت إليه لم يكن الطريق الصحيح إلى قلب المتاهة بل منشارًا يقطع عبرها.

ارتدت معطفها وخرجت لتتمشى من أجل تصفية ذهنها.

راحت تفكر وتفكر.

شاهدت وهي تجلس فوق دكة حديقة قلة من المهرولين العشاق يعبرون أمامها قبل أن تلمح الرجل الشاب من الطائرة. حارسها. كان يقف مستترًا قرب مستودع صغير.

أخرجت بيتسي هاتفها وشاهدت الرد من إيلين.

«صيغة شرطية» دلفت إلى حانة... لو كانت فقط تعرف».

هكذا بدأت الرسالة.

«..تتطور الأمور هنا»، تابعت رسالة إيلين. *«شاكرة أنك قد وصلتِ.»*

(ملاحظة: أي حارس تقصدين؟)

جمعت بيتسي أغراضها، ودون أن تنظر نحو المستودع، شرعت تسير مبتعدة بلا مبالاة. لكن قلبها كان يخفق بقوة؛ يكاد يلحق بأفكارها المتسارعة.

كان يمكنها الشعور بالأعين المسلطة على ظهرها، وهي تمشي في هذا اليوم المرير.

***

توقفت الحافلة في المحطة الضيقة في باد كوتستينغ.

«هل ستغادر؟» قال السائق. صوته منزعج، ونافد الصبر.

انتظر أرام حتى هبط الجميع. ثم انتظر أطول قليلًا ليرى إن كان أحدهم يتسكع في المحطة. لم يلمح أحدهم.

«آسف»، قال. سحب القبعة الصوفية التي اشتراها في فرانكفورت أسفل وجهه أكثر في أثناء عبوره متجاوزًا السائق. «آسف؛ كنت نائمًا».

لم يهتم السائق. أراد فقط أن يصل إلى الحانة ليحظى بطعام ساخن وبيرة دافئة.

***

«رسالة أخرى يا سيدي». هتفت معاونة كارجيل فوق ضجيج المحرك.

أرته هاتفها، والنص المقتضب.

زوجات المفجِّرين الآخرين وعلماء الفيزياء وأطفالهم وآباؤهم وأمهاتهم قد قُتِلوا جميعًا.

«بحق المسيح». همس. «شاه يمحو آثاره». مال إلى الأمام، وقال للطيار: «أسرع. نحتاج إلى أن نصل إلى هناك بأقصى سرعة». ثم قال إلى معاونته الأولى.« حذّري الشرطة في باد كوتستينغ».

***

تعالى صوت الباب الأمامي وهو يُفتح.

«لا بد أن هذا هو أرام».

ما إن نهضت فراو واني حتى لحقت بها نعومي وهي تُخرِج مسدسها.

الفصل السابع عشر

رد عرفان ضاهر على هاتفه بنبرة سرور.

«درود، آناهيتا، شيتوري؟»

لحظة صمت لكنه يعرف أن ابنته في فرانكفورت، وقد يكون في الاتصالات عبر البحار تأخير أحيانًا.

***

ظهرت كلمة «فارسي» في أسفل شاشة إيلين داخل حجرة المخزن في فرانكفورت، وقد كتبها المترجم.

ثم أعقبها سريعًا المزيد من الكلمات تُمثل الترجمة.

مرحبًا، *آناهيتا. كيف حالكِ؟*

نظرت إيلين إلى آناهيتا، وأومأت لها بأن عليها الرد. مع هذا كانت المرأة الشابة مصعوقة. مشلولة.

«آنا؟» أتى عبر مكبر الصوت صوت دافئٌ وعميق يشوبه الآن درجة طفيفة من القلق.

«حالت خوبه؟»

أنت بخير؟ كتب المترجم.

أومأت إيلين إلى آناهيتا حتى تقول شيئًا. أي شيء.

«سلام»، قالت أخيرًا.

مرحبًا.

***

شعر عرفان بقلبه يتوقف ثم يُلقي بنفسه مقابل قفصه الصدري في محاولة للهروب. «سلام»، الكلمة البسيطة التي علّمها ابنته

حين كانت في سن صغيرة لكنها تستطيع الكلام، ومع هذا كبيرة في العمر حتى تفهم معناها. «مرحبًا»، لكن بالعربية. شرح لابنته الصغيرة الوحيدة أنها ستكون شيفرتهما. لو كان هنالك مشكلة، لو اكتشف أي أحد، فعليها أن تستخدم الكلمة العربية لـ «مرحبًا»، لا الفارسية.

نظر إلى نافذة حجرة المعيشة التي تطل على شارع هادئ. كانت سيارة سوداء غير مميزة تتوقف، وأخرى مركونة بالفعل بمحاذاة الرصيف.

«عرفان؟» قالت زوجته وهي تدخل قادمة من المطبخ، وقد أحضرت معها رائحة النعناع والكمون والكزبرة للكفتة التي تطهيها.

«هنالك رجال في الفناء الخلفي».

زفر نفسًا كان يكبحه عشرات السنين.

أعاد الهاتف إلى أذنه، وقال بإنجليزية ذات لكنة مُخففة.

«أفهم. هل أنتِ بخير يا آناهيتا؟»

«بابا»، قالت، وقد تجعدت ذقنها، «أنا آسفة».

«لا بأس. أحبكِ. وسيكون كل شيء على ما يرام. أعرف ذلك».

شعرت إيلين وهي تستمع إلى هذا الأب الوقور وتشاهد ابنته المحطمة بغصة عار، لكنها تذكرت أيضًا الملاءات الحمراء التي ترفرف في النسيم، وصور الأبناء والبنات والزوجات والأزواج والأطفال التي تُمسكها أيادٍ مرتعشة. لم تعد تشعر بالعار بعد الآن. شعرت بغضب جارف.

لن تنقض إيلين آدمز العهد مع أولئك الذين ماتوا.

سمعوا عبر مكبر الصوت الرنين البعيد لجرس باب.

أشار عرفان إلى زوجته التي تقف متسمرة في مكانها في منتصف حجرة المعيشة حتى تبقى هناك فحسب. ما إن أدار قفل الباب، وشرع يفتحه حتى دُفِع الباب فجأة مفتوحًا. أمسك رجال مسلحون بأسلحة ثقيلة به في أثناء تعثره إلى الوراء، ثم قذفوا به أرضًا.

«عرفان»! صرخت زوجته ملتاعة.

اتسعت عينا آناهيتا فزعًا.

«بابا!؟ ماما!؟» صاحت عبر الهاتف. «ماذا يحدث؟»

الركبة فوق ظهر عرفان دفعته دفعة قوية أخرى، وأجبرت الهواء على مغادرة رئتيه قبل أن ترتفع مبتعدة.

شعر بنفسه يُرفَع على قدميه، ويُجبَر على الوقوف مثل دمية قماشية. راح يترنح بسبب الدوار.

«أنت عرفان ضاهر؟»

التفت، وركز على رجل أكبر سنًا بثياب مدنية. ذقنه حليقة، وشعره رمادي قصير، ويرتدي بدلة وربطة عنق. بدا لعرفان في حالته المرتبكة قليلًا أشبه بناظر مدرسة ثانوية.

«أجل»، همس بصوت أجش.

«أنت رهن الاعتقال».

«بأي تهمة؟»

«القتل».

«ماذا؟»

ارتحلت دهشته عبر خط الهاتف، متجاوزة الأطلنطي، حتى

وصلت إلى القنصلية الأمريكية في فرانكفورت حيث التقطتها آذان ابنته ووزيرة الخارجية الأمريكية.

***

أخذت بيتسي جيمسون فنجان «دبل اسبريسو» إلى مائدة متجر القهوة المستديرة. اشترت أيضًا قطعة من حلوى المافن. شيء يبرر جلوسها إلى مائدة. مع أن المكان خالٍ تقريبًا، لكنه مكان عام على الأقل. لم يعد الرجل الشاب يتظاهر. كان من الجلي أنه يتتبعها.

تحسست الهاتف الذي لا يزال في جيب معطفها. أخرجته، وحدقت إلى الرقم. إنه بلا شك رقم خاص بالنقيب فيلان، ضابطة الصاعقة التي أرسلها اللواء وايتهيد. حامت إصبعها فوق زر الاتصال.

«لا تترددي». لقد قالت دينيس فيلان بعينين حادتين. مع هذا ترددت بيتسي الآن. كيف تعرف أن ضابطة الصاعقة قد أرسلها رئيس هيئة الأركان المشتركة؟ لا تمتلك سوى كلمات فيلان. واليوم بالتحديد تلك الكلمات ليست كافية. حسمت قرارها. أعادت الهاتف إلى مكانه، وأخرجت هاتفها، وأجرت اتصالًا. سمعت صوتًا رجاليًا عميقًا بعد أن تجاوزت الكثير من الأشخاص لاحتياطات أمنية.

«السيدة جيمسون؟»

«أجل، آسفة لإزعاجك أيها اللواء».

«ماذا يمكنني أن أفعل من أجلكِ؟»

«لم نلتقِ قط...»

«صحيح، مع هذا أعرف من أنتِ. هل حصلتِ على طردي؟»

زفرت بيتسي. تنفست الصعداء أخيرًا لكنها شعرت فجأة بأنها مُنهكة.

«إذًا كانت من طرفكَ».

«أجل، حكمة منكِ أن تتحققي من ذلك. هل ثمة مشكلة؟»

«حسنًا...» شعرت بالحرج. لكن ما إن نظرت عبر متجر القهوة إلى الرجل الذي يقعد وهو يراقبها حتى تخلصت من أي حرج.

«أتساءل إن كنت تود الانضمام إليّ من أجل مشروب؟»

«بكل تأكيد. متى وأين؟»

السرعة التي وافق بها طمأنت بيتسي وأزعجتها في الآن نفسه. كان قلقه واضحًا.

أخبرته.

ركبت سيارة تاكسي، وأعطته عنوان فندق عشوائي ثم ترجلت منه، ومشت إلى باب جانبي، وأوقفت سيارة تاكسي أخرى.

كان شيئًا قد شاهدته في المسلسلات التلفزيونية. «ماذا تفعل للهروب من شخص يراقبك».. شيئًا لم تعتقد قط أنها ستضطر إلى استخدامه في الحياة الواقعية. بدا أنه -لدهشتها- قد نجح.

بعد دقائق دلفت داخل حانة «أوف ذا ريكود». كانت الحانة في قبو فندق «هاي آدمز» مُلتقى العارفين بواشنطن، بضوئها الشاحب وبتنجيدها الأحمر المخملي الفخم. كانت الحانة الواقعة في الشارع المقابل مباشرة للبيت الأبيض، المكان الذي يتهامس فيه الصحافيون والساسة في الزوايا المعتمة. وحيث تُتبادَل المعلومات السرية وتُعقَد الصفقات. عُدّت الحانة في أوساط

واشـنطن العاصمـة أرضًـا محايـدة.

جلسـت بيتسـي فـي إحـدى المقصـورات نصـف الدائريـة، وراقبـت البـاب فـي انتظـار وصـول اللـواء، وربمـا متتبعهـا.

اسـتغرقت بيتسـي لحظـة مـن أجـل التعـرف إلـى اللـواء وايتهيـد عندمـا وصـل بالفعـل. مـع أنهـا يجـب أن تعتـرف أن حقيقـة أنـه انزلـق بجسـمه إلـى داخـل المقصـورة وقـدم نفسـه إليهـا كـان دليـلًا سـاعدها علـى ذلـك.

إنْ كانـت بيتسـي تشـبه «جـون كليڤـر»، فـإن هـذا الرجـل يشـبه شـخصية فريـد مـاك مـوري مـن «أبنائـي الثلاثـة»[38] إلـى حـد مـا. طويـل ونحيـل ودمـث، رجـل يتصـرف بـود دائمًـا كأنـه فـي المنـزل، مرتديًـا كنزتـه الصوفيـة لا زيًـا عسـكريًا.

مـع أن بيتسـي قـد شـاهدته فـي التلفـاز مـرات عـدة، وشـخصيًا مـن بعيـد، لـم يتقابـلا مطلقًـا فـي الحقيقـة. ومـا كـان لديهـا أي رغبـة فـي هـذا حتـى الآن.

ترتـاب بيتسـي جيمسـون مـن الرتـب العليـا فـي الجيـش، وقـد آمنـت بداخلهـا أنهـم دعـاة حـرب. ولا وجـود لأحـد أعلـى رتبـة مـن رئيـس هيئـة الأركان المشـتركة. ولا أحـد جديـر بشـكوكها أكثـر مـن اللـواء ألبيـرت وايتهيـد الـذي خـدم أيضًـا فـي إدارة دَن. مـع هـذا فـإن إيليـن تثـق بـه. وبيتسـي تثـق بإيليـن.

كمـا أنهـا لا تعـرف مـن تلجـأ إليـه سـواه.

***

38- أبنائي الثلاثة: مسلسل كوميدي أمريكي عُرض ما بين عام 1960 إلى 1972.

ما إن هبطت المروحية حتى أسرع كارجيل إلى السيارة المنتظرة.

أرسل رسالة سريعة إلى وزيرة الخارجية.

على الأرض في باد كوتستينغ. في طريقنا إلى المنزل. التطورات لاحقًا.

***

ثُبتت كاميرا داخل منزل عرفان ضاهر.

تستطيع آناهيتا الآن في فرانكفورت أن تشاهد والديها يجلسان متجاورين إلى مائدة حجرة الطعام في بيثيسدا. كانت حجرة تعرفها جيدًا حيث كانوا يحتفلون بأعياد الميلاد. وحيث تشاركت ولائم العطلات مع صديقاتها. وحيث كانت تؤدي واجبات المدرسة كل يوم لخمسة عشر عامًا. وحيث خربشت على المائدة الحروف الأولى من اسم صبي كانت منجذبة إليه. وبختها أمها على ذلك توبيخًا لاذعًا.

والآن ترى شيئًا لم تعتقد أنه ممكن في أثناء نشأتها في جنبات ذلك البيت. مدير المخابرات الوطنية الأمريكية وقد انضم إلى والديها على المائدة المتواضعة. لكن كان ذلك أبعد ما يكون عن مناسبة اجتماعية.

تفحص تيم بيتشام والوزيرة آدمز معًا الزوجين ضاهر. تُخفي أضواء الكاميرا الساطعة ملامح وجهيهما، لكنّ شيئًا واحدًا لم تستطع أن تحجبه. لقد كانا خائفين.. مرعوبين كأنما رئيس الشرطة السرية الإيرانية يجلس أمامهما.

حاولت إيلين أن تُنحي المقارنة جانبًا لكنها ظلت تزحف عائدة إليها عن طريق صور سجن أبي غريب وغواتيماليو ومجموعة من

الأماكن السوداء التي كانت قد بدأت تعلم حقيقتها للتو مع توليها وزارة الخارجية.

«أخبرانا ما تعرفانه عن التفجيرات؟» قال تيم بيتشام.

«التفجيرات في أوروبا؟» سألت مايا ضاهر.

«هل هنالك غيرها؟» سأل مدير المخابرات الوطنية.

بدت السيدة ضاهر حائرة. «لا، أقصد... لا أعرف».

«يوجد مئة واثنا عشر ميتًا حتى الآن، والعدد مرشح للزيادة». قال بيتشام، وهو يحول نظراته من مايا إلى عرفان. «ومئات آخرون مصابون. والأدلة تقود إليكَ».

«أنا؟» بدا عرفان ضاهر مصدومًا حقًا. «لا علاقة لي بها البتة. البتة».

التفت إلى مايا من أجل الدعم. بدت مصدومة وخائفة مثله تمامًا.

«لكن شقيقك، بنهام له علاقة بها»، قال بيتشام. «ربما عليك أن تسأله».

أغمض عرفان عينيه، وخفض رأسه. «به. برادر»[39]، همس. «ماذا فعلت؟»

***

في فرانكفورت؛ جلست آناهيتا بجوار وزيرة الخارجية، وحدقت إلى الشاشة. لا يبدو أي من هذا حقيقيًا.

***

39- به اختصار بهنام. برادر تعني أخ بالفارسية. (المترجم):

«حدّثنا عن عائلتك في طهران، سيد ضاهر».

بدأ عرفان يتحدث بعد لحظة لملم فيها شتات نفسه. شرع يقول كلمات حبسها بداخله بإحكام عشرات السنين.

«لدي شقيق وشقيقة لا يزالان يعيشان في طهران».

«بابا؟» قالت آناهيتا.

«شقيقتي طبيبة»، استطرد، وهو غير مستعد بعد، وغير قادر على مواجهة ابنته. «شقيقي، أخي الأصغر، عالم فيزياء نووية. كلاهما مخلصان للنظام».

«أكثر من مخلصين». قال تيم بيتشام. «لدينا صورٌ لشقيقكَ، وهو يوجه بندقية إلى رأس دبلوماسي أمريكي رفيع المستوى حين أُخِذوا رهائن».

«كان ذلك منذ أمد بعيد. وأنا وهو مختلفان جدًّا».

مال بيتشام إلى الأمام. «ربما لستما مختلفين إلى هذه الدرجة. هل تبدو هذه الصورة مألوفة؟»

رفع صورة جريدة قديمة، والعنوان أسفلها بالكاد يُقرأ.

طلبة يتخذون أمريكيين رهائن في طهران.

«حسنًا، سيد ضاهر؟»

لو كان عرفان ضاهر قادرًا على قول: «أنا في وضع ميؤوس منه»، لقال. والحقيقة فقد كان في وضع ميؤوس منه حقًّا.

قالها بيتشام بالنيابة عنه.

«أنت في وضع ميؤوس منه، سيد ضاهر. ذلك أنتَ في الصورة، أليس كذلك؟ بجوار أخيك».

حدق عرفان، وكتفاه متدليتان. لم يكن لديه أدنى فكرة أن

لهذه الصورة وجودًا. لقد تمكن من أن ينسى حتى أن ذلك الشاب الذي يرفع بندقية فوق رأسه بظفر قد كان له وجود يومًا.

«أجل، هذا أنا». استنشق أنفاسًا قصيرة وسريعة عدة كأنه قد أنهى سباقًا طويلًا جدًّا، وبعيدًا جدًّا.

«وفقًا لسجلاتنا، فلم تغادر إيران مدة عامين آخرين بعد الثورة. بالكاد يمكن اعتبار رحيلك من إيران فعل رجل كان يفر بحياته».

فكر عرفان مليًا لحظة قبل أن يقول بهدوء.

«هل سمعت بـ«معضلة السكرتيرة»، سيد بيتشام؟»

***

الفصل الثامن عشر

ما إن وصل مشروبيهما؛ بيرة زنجبيل لبيتسي جيمسون، وبيرة للواء وايتهيد حتى التفت إليها.

أحد الأسباب التي لم تجعلها تتعرف إليه مباشرة أنه لم يكن يرتدي زيًا عسكريًا؛ فقد أخذ بيرت وايتهيد وقته حتى يستبدل بزيه العسكري بدلة اعتيادية.

«أقل لفتًا للانتباه». شرح لها بابتسامة.

قدّرت بيتسي وجهة نظره. من الصعب أن يلفت أي شيء الانتباه أكثر من لواء بأربعة نجوم في زيه العسكري المغطى بالشارات والميداليات. فكرت بيتسي أنه يبدو أشبه بشخصية الرجل القصدير من ساحرة أوز، الذي كان يبحث عن قلب.

هل يفتقد هذا الرجل بدوره قلبًا؟ ترسانة من الأسلحة تحت إمرته دون قلب. كانت فكرة مروعة.

لكن دون زيه العسكري، يبدو بيرت وايتهيد مثل أيٍّ من آلاف البيروقراطيين الحكوميين، لو كان فريد ماك موري من عيَّن العاملين في الحكومة.

ومع هذا كانت تحيط به هالة لا يُمكن أن تخطئها العين، تعكس سلطة رزينة. يمكنها أن ترى لماذا قد يمتثل الرجال والنساء لهذا الرجل. ويفعلون ما يقوله دون تشكيك.

«ماذا أستطيع أن أفعله من أجلكِ، سيدة جيمسون؟»

«أنا مُراقَبة».

رفع رأسه مندهشًا لكنه لم ينظر حوله. مع هذا كان ثمة حس متنامٍ بالانتباه.

«هل هذا الشخص موجود هنا؟»

«أجل، لقد وصل قبلكَ مباشرة. اعتقدت أنني تخلصت منه لكن لا يبدو ذلك. إنه ورائي. قرب الباب».

«كيف يبدو؟»

ما إن وصفت بيتسي الرجل الشاب حتى استأذن بيرت وايتهيد منها، ومشى تحت أنظار بيتسي، نحو الرجل مباشرة. انحنى برأسه، وتفوه بكلمات قليلة إلى الرجل ثم غادرا معًا، ويد وايتهيد فوق ذراع الرجل. بدا الأمر وديًا لكن بيتسي عرفت أنه ليس كذلك.

بعد ما شعرت بأنه برهة طويلة مع أن ساعة هاتفها تُظهر مضي ما يزيد قليلًا على دقيقتين فحسب، رجع بيرت وايتهيد إلى المقصورة.

«لن يُزعجكِ مجددًا».

«من هو؟ من أرسله؟»

حين لم يجبها، أجابت نيابة عنه. «تيموثي ت. بيتشام».

نظر لحظة إليها.

«هل قالت الوزيرة آدمز أي شيء لكِ؟»

«لقد أعادتني إلى هنا لأرى ما يمكنني أن أجده عن بيتشام. أن أكتشف ما قد يكون منخرطًا فيه».

«لقد أخبرتها ألا تفعل أي شيء».

«حسنًا، أنتَ لا تعرف إيلين آدمز».

ابتسم. «لقد بدأت أعرفها».

«مـاذا يمكنـكَ أن تخبرنـي عـن بيتشـام؟ لا أسـتطيع أن أجـد أي شـيء فـي ملفاتـه. لقـد نُقِلـت كلهـا».

«أو مُحِيت».

«لماذا سيفعل أي أحد ذلك؟»

«أخمـن أن سـبب ذلـك هـو وجـود شـيء مـا لا يريـدون لأي أحـد أن يـراه».

«ما هذا الشيء؟»

«لا أعرف».

«لكنك تعرف شيئًا».

بـدا بيـرت وايتهيـد غيـر سـعيد. ربمـا حتـى منزعجًـا لأنـه قـد وُضِـع فـي هـذا الموقـف. لكنـه رضـح أخيـرًا.

«كل مـا أعرفـه أن إدارة دَن قـد انسـحبت رغـم نصائحـي الرشـيدة كلهـا، وحججـي المنطقيـة كلهـا، مـن الاتفـاق النـووي مـع إيـران. كان خطـأ جسـيمًا. قـد جعـل إيـران بمعـزل عـن أي تفتيـش أو تدقيـق فـي برنامـج أسـلحتها النوويـة».

«ما علاقة بيتشام بذلك؟»

«كان أحد الأشخاص الذين دفعوا الرئيس للانسحاب».

«لماذا سيؤيد بيتشام هذا؟»

«السؤال الأفضل، من الذي يستفيد من الأمر؟»

«حسنًا، لنتظاهر أنني طرحت السؤال الأفضل».

ابتسـم اللـواء ابتسـامة سـرعان مـا تلاشـت. «الـروس علـى سـبيل المثـال. مـا إن انسـحبنا، حتـى أطلـق ذلـك العنـان للتغلغـل الروسـي داخـل إيـران. لقـد فـات الأوان لتغييـر ذلـك الآن. لقـد انتهـى الأمـر».

خفض عينيه ونظر إلى أقراص الكوستر فوق المائدة وابتسم.

«لمّا فعلت، فأنت لم تفعل شيئًا، لأن لدي المزيد».[40]

رفع اللواء وايتهيد رأسه، وتلاقت نظراته نظرات بيتسي.

لقد اقتبس من دون سابق إنذار من قصيدة للشاعر الإنجليزي جون دن[41]. لماذا؟ ثم رأت ما كان ينظر إليه. أحد أقراص «أوف ذا ريكورد» المشهورة، المرسوم فوقها رسومًا كاريكاتيرية للقادة السياسيين. كان اللواء وايتهيد ينظر إلى كاريكاتير لإيريك دَن. ثم أدركت أنه لم يقل «تفعلDone »، بل قال «دَن Dunn».

إيريك دَن.

***

استمعت الوزيرة آدمز إلى بيتشام وهو يواصل استجواب عرفان ضاهر مع أنها صارت منشغلة أكثر بهاتفها.

التقطت هاتفها أخيرًا، وأرسلت رسالة إلى سكوت كارجيل.

أي أخبار؟

لا رد.

***

«ماذا تعني؟» سألت بيتسي. «ما الذي لا يزال لدى إيريك دَن؟ أحتاج إلى أن أعرف. تحتاج إيلين إلى أن تعرف».

40- When thou hast done, thou hast not done. For I have more.
بيت من قصيدة ترنيمة إلى الرب الأب لجون دن. وهي قصيدة يمدح فيها الشاعر الرب غير أنه يجد نفسه ينخرط من خلالها في جدال عن الذنوب والمغفرة والعقاب. (المترجم).

41- جون دن (1572-1631): شاعر وواعظ إنجليزي. يعدّ من رواد الشعر الميتافيزيقي. يتميز أسلوبه بحيوية اللغة وكثرة الاستعارات. (المترجم).

تتهد اللواء وايتهيد.

«لديه رغبة في العودة إلى السلطة على سبيل المثال».

«أي سياسي لا يمتلك هذه الرغبة؟!» أشارت بيتسي إلى أقراص الكوستر فوق المائدة. صور هزلية لرؤساء ووزراء عدة وبعض القادة الأجانب. الرئيس الروسي. القائد الأعلى لكوريا الشمالية. رئيس الوزراء البريطاني. كلها وجوه معروفة لها من مشاهدة نشرات الأخبار المسائية.

«صحيح»، قال وايتهيد. «غير أن الأمر أعمق من إيريك دَن. ثمة أفراد داخل الولايات المتحدة غير سعداء بالاتجاه الذي تسلكه الدولة. أفراد يستغلون إيريك دَن. أفراد يعدون إيريك الفرصة الوحيدة لإيقاف التآكل الذي يحدث لـ«الطريقة الأمريكية». ليس لأنه يمتلك رؤية معينة، بل لأنهم يستطيعون التلاعب به. لكنهم يحتاجون أولًا إلى إعادته إلى السلطة».

«كيف؟»

سكت هنيهة ليجد الكلمات، أو بالأحرى ليختارها.

«ماذا سيحدث لو وقعت كارثة داخل الأراضي الأمريكية؟ هجوم إرهابي مروع جدًّا لدرجة أن يتسبب في جرح هذه الأمة جُرحًا يمتد لأجيال؟ ماذا لو وقع الهجوم في أثناء ولاية هذه الإدارة بالتحديد؟»

«سيُلام دوج وليامز. وستتعالى الدعوات التي تطالب بتنحي إدارته».

«افترضي الآن أن الرئيس لم ينجُ من هذه الهجمات؟»

شعرت بيتسي بوزن فوق صدرها، ثقيلًا جدًّا لدرجة أنها بالكاد تستطيع التنفس.

«ماذا تقول؟ هل هذا على وشك الحدوث؟»

«لا أعرف».

«لكنكَ خائف».

لم يرد لكنّ شفتيه كانتا مضمومتين، ومفاصل أصابعه قد تلونت بالأبيض في محاولة للسيطرة على خوفه.

كان الإعلام اليميني المتشدد قد بدأ بالفعل لوم المخابرات الأمريكية، وبالتبعية هذه الإدارة الجديدة على قنابل الحافلة والفشل في إيقافها. وأخذ عدد أكبر من المنافذ الإعلامية المعتدلة يضخم المخاوف من وقوع هجوم آخر. هجوم أكبر داخل الأراضي الأمريكية.

ولو حدث مثل هذا الهجوم...

«هل تقول إن الرئيس السابق سوف يسمح عن دراية للإرهابيين بأن يضعوا أيديهم على سلاح نووي، وأن يستخدموه من أجل العودة إلى السلطة». سألت بيتسي.

«لا أعتقد أن هذا شيء سوف يوافق إيريك دَن عليه عن دراية ووعي. أعتقد أنه يتعرض للاستغلال. لا يستغله الروس فقط، بل أيضًا عناصر أخرى داخلية».

«عناصر في حزبه؟»

«أجل، ربما، لكن الأمر يذهب إلى ما هو أبعد من الانتماء الحزبي. هنالك أولئك الذين يكرهون تنوع أمريكا والتغيير الذي يجلبه هذا التنوع. يفكرون في أنفسهم، بل ويعدون أنفسهم وطنيين -لا بد من أنكِ قد شاهدتِهم في التظاهرات- المؤمنين الحقيقيين. النازيين الجدد. الفاشيين».

«لقد شاهدتهم أيها اللواء، ولا أعتقد أن أولئك الأشخاص الذين يحملون اللافتات من ينظم كل هذا».

«لا، هم العَرَض الظاهر. المرض أعمق. أقصد أولئك الذين يمتلكون السلطة والثروة. أولئك الذين يريدون حماية ما يمتلكونه. وأولئك الذين يريدون أكثر».

لأن لدي المزيد...

«لقد وجدوا في أيريك دَن أداة ثمينة. فرصة ذهبية لتحقيق مآربهم».

«باختصار، حصان طروادة». قالت بيتسي.

ابتسم وايتهيد.

«تشبيه جيد. شخص أجوف. وعاء فارغ يسكب فيه أولئك الرجال والنساء طموحاتهم وسخطهم وكرههم وانعدام ثقتهم بأنفسهم».

خطَر شيء لبيتسي، وهي تشاهد اللواء وايتهيد وتستمع إلى نبرته.

«هل أحببت إيريك دَن؟»

هز اللواء وايتهيد رأسه.

«لم أحبه ولم أكرهه. كان قائدي الأعلى. أشك في أنه كان رجلًا مُحترَمًا ذات يوم. معظم الناس محترمون بالفطرة. القليلون فقط هم من ينشؤون وهم يتمنون تدمير بلادهم».

«لكنك تقول إن من هم وراء هذا لا يعتقدون أنهم يدمرون الدولة. بل العكس تمامًا. يظنون أنهم وطنيون، ينقذون بلادهم».

«*بلادهم*. هكذا يرون الأمر. نحن، وهم. إنهم راديكاليون مثل القاعدة. إرهابيون محليون».

تساءلت إن كان هذا الرجل مجنونًا.

الكثير من الضربات المتتابعة على الرأس.

هل يرى مؤامرات لا وجود لها؟ لم تعرف ماذا عليها أن تتمنى. أن رئيس هيئة الأركان المشتركة معتوه واهم، أم أنه يقول ما يخشى الآخرون الاعتراف به. وجود تهديد حقيقي للدولة.

حرّكت بيتسي إصبعها أعلى وأسفل كأس بيرة الزنجبيل المُندى، وتمنت لو كان ويسكي.

«وماذا عن بيتشام؟ ما دوره في هذا؟»

ضاق فم وايتهيد إلى درجة أن شفتيه بالكاد كانتا مرئيتين.

«لقد وصلت إلى هذا الحد. أحتاج إلى أن أعرف. ما دوره في كل هذا؟» حثته بيتسي.

«لا أعرف. لقد حاولت أن اكتشف ذلك عبر طرائق خلفية، غير أنني لم أنجح في معرفة أي شيء بعد».

«لكن لديك شكوكَك».

«ما أعرفه هو أن تيم بيتشام هو المسؤول عن ملف التحليل الاستخباراتي للبرنامج النووي الإيراني. يعرف الكثير جدًّا عن حركة الأسلحة في تلك المنطقة. يعرف أشخاصًا».

«شاه؟»

«لماذا وافقت إدارة دَن على إطلاق سراح شاه؟» سأل وايتهيد.

«لا تنظر إليّ. لا أملك أي أجوبة».

«انسحبت الإدارة من الاتفاق في غضون أشهر قليلة، وأعطت إيران بموجب ذلك الحرية الكاملة في إدارة برنامجها في الخفاء. ثم سمحت بإطلاق سراح تاجر أسلحة نووية باكستاني».

«هل الأمران مرتبطان؟»

«إذا كنت تقصدين أن كلا الأمرين قد ساعد في زيادة الانتشار النووي في تلك المنطقة المضطربة، فالإجابة هي نعم. لكن ما الهدف النهائي بالضبط؟»

«مُجددًا»، قالت بيتسي. «أنا الشخص الخاطئ لتسأله. أعطني اقتباسًا آخر لجون دن، وسوف أستطيع أن أساعدكَ».

ابتسم وايتهيد ابتسامة لم تدم طويلًا.

«ما أعرفه هو أن الثابت في كلا القرارين هو تيم بيتشام».

«هل تعرف معنى ما تقوله؟»

«أخشى أنني أعرف». بدا اللواء وايتهيد خائفًا. «وهنالك المزيد».

«لأن لدي المزيد». قالت بيتسي بهدوء. وانتظرته.

«إنه ما يُطلق عليه مشكلة خبيثة[42]. لقد كان الشرق الأوسط بالفعل مرجلًا على صفيح ساخن، مع هذا فقد كان مستقرًا نسبيًا. ثم سحب الرئيس دَن كل قواتنا من أفغانستان دون أن يُطالب طالبان بأي خطة، أو يفرض عليهم شروطًا. ورث الرئيس وليامز ذلك القرار».

سكتت بيتسي هنيهة، وهي تتفحص الرجل العسكري.

هل كان انطباعها الأولي صحيحًا؟ هل هو أحد دعاة الحرب يتخفى وراء وجه فريد ماك مُوري؟

42- المشكلة الخبيثة wicked problem في علم التخطيط والسياسة هي مشكلة يصعب أو يستحيل حلها بسبب متطلبات غير مكتملة ومتناقضة ومتغيرة باستمرار بحيث يصعب تحديدها بالضبط. (المترجم).

«أعرف أنه قرار مثيرٌ للجدل، مع هذا كان علينا أن ننسحب من أفغانستان عاجلًا أم آجلًا». قالت. «إعادة قواتنا إلى الوطن. لقد اعتقدت أنها أحد الأشياء الجيدة القليلة التي فعلها دَن».

«صدقيني لا أحد يريد رؤية جنودنا خارج نطاق الأذى أكثر مني. وأتفق أن الوقت قد حان. ليست هذه هي المشكلة».

«إذًا ما هي؟»

«أن الأمر قد تمَّ دون خطة، ودون الحصول على أي شيء في المقابل. لم تؤخذ أي خطوة للتأكد من الحفاظ على كل المكاسب بما فيها الحفاظ على الاستقرار الذي تحقق هناك بصعوبة، والحفاظ على قدراتنا الاستخباراتية وقدراتنا في مكافحة التجسس والإرهاب. خلفت خطة دَن وراءها فراغًا. فراغًا سعدت طالبان بملئه».

استندت بيتسي بظهرها إلى المقعد.

«انتظر! أنت تقول إن طالبان قد عادت بعد أكثر من عشرين سنة من القتال للتحكم في أفغانستان؟»

«ستفعل. وسوف تجلب معها البشتون وحليفها القاعدة أيضًا. هل تعرفين البشتون؟»

«إنهم من اختطفوا جيل».

«ابن الوزيرة آدمز؟ أجل. إنهم جماعة ممتدة من المتطرفين، ولهم مخالب في كل منظمة شرعية وغير شرعية في المنطقة. لقد دعمنا الحكومة «الديمقراطية» الأفغانية في مواجهتهم. والآن، ما إن نخرج من هناك دون خطة...»، فتح يديه. «حتى تخرج كل الفئران المختبئة مندفعة من جحورها. لقد فقدنا السيطرة على

الأرض كلها. وكل الحقوق المُكتسبة قد ضاعت في مهب الريح».

«النساء، والفتيات...»

«اللاتي اعتقدن أنهن في أمان يتيح لهم فرصة الحصول على تعليم، ووظيفة؟» قال وايتهيد. «سوف يعاقَبن. لكن ثمة المزيد».

بدأت بيتسي تكره جون دن.

«تابع».

«ستحتاج طالبان إلى دعم. إلى حلفاء في المنطقة. ومَن أفضل مِن الباكستانيين الذين سيفعلون أي شيء بوسعهم لمنع الأفغان من اللجوء إلى الهند من أجل الدعم؟»

«لكن باكستان حليفتنا. لذا ألن يكون ذلك شيئًا جيدًا؟ أعرف أن في المنطقة الكثير من القطع المُتحركة مع هذا...»

«تلعب باكستان لعبة مُعقّدة». قال اللواء وايتهيد. «أين عُثِر على بن لادن؟»

«في باكستان». قالت بيتسي.

«ليس في باكستان فحسب بل داخل كهف في سفح جبل بعيد. كان يعيش في مجمع ضخم وفاخر خارج مدينة أبوتاباد. داخل الحدود بمسافة كبيرة. لا يمكنكِ أن تخبريني أن الباكستانيين لم يكونوا على دراية بمكانه. لقد حاولت أن أرى النسيج الضام الذي يربط بين تلك الأجزاء المتحركة». قال وايتهيد. «وشيء واحد يبدو منطقيًا. لقد اقتنع إيريك دَن أن سحب القوات من أفغانستان، سيحقق له فوزًا على الصعيد السياسي».

«أجل، فنحن جميعًا متعبون بسبب تلك الحرب».

«أتفق معكِ. إنه ذكي للدرجة التي لا تجعله يريد رؤية أفغانستان تدخل في فوضى مباشرة. ليس من الجيد رؤية كل

المكاسب والتضحيات التي قدمناها على مدار عقود تضيع هباء. لذا ماذا يفعل؟»

فكرت ثم ابتسمت ابتسامة باهتة.

«سوف يتقرب من باكستان لإقناعهم بمساعدة الأفغان».

«أو أن الباكستانيين هم من سيحاولون التودد إليه بهدوء. لقد وعدوا بأن يُبقوا أفغانستان تحت السيطرة غير أنهم أرادوا شيئًا في المقابل. شيئًا مخيفًا حقًا».

«شكرًا للرب. *مخيفًا حقًا*. كأنَّ كل شيء قد قلته حتى الآن ليس مخيفًا. حسنًا، ماذا أرادوا؟»

حدق إليها اللواء وايتهيد محاولًا أن يجعلها ترى ما رآه. فهمت بيتسي أخيرًا.

«أرادوا بشير شاه». قالت. «لقد أطلقوا سراح كلب الحرب».

«إنه المحور الذي يدور حوله كل هذا. سوف تنقذ باكستان إدارة دَن من ارتكاب خطأ سياسي فادح. حتى لو عادت طالبان، فسوف تُبقي باكستان المنظمة الإرهابية خارج حدود البلاد. كل ذلك بشرط أن توافق الولايات المتحدة على إطلاق سراح بشير شاه».

«ولم يعلم دَن أو يهتم بما يوافق عليه حقًا». قالت بيتسي، «لم يهتم بمن هو شاه. كل ما رآه واهتم به هو أن يُعاد انتخابه».

«وعندما لم يُعد انتخابه...» قال اللواء وايتهيد.

«ارتعب من هم وراء ذلك حقًا». قالت بيتسي. «ولا يزالون مرعوبين. يحتاجون إلى أن يُعيدوه إلى السلطة في أسرع وقت».

أومأ رئيس هيئة الأركان المشتركة.

بدا وحيدًا وحزينًا وهو يتأمل معلمة المدرسة التي تبدو في منتصف عمرها أشبه بربّة منزل من خمسينيات القرن الماضي.

قال وهو يُخفض صوته. «تحتاجين إلى أن تُوقِفي بحثك. هؤلاء أشخاص بغيضون، ولن يتورعوا عن فعل أشياء فظيعة».

«لستُ طفلة، أيها اللواء وايتهيد. لا حاجة إلى الحديث إليّ كما لو كنت واحدة».

ابتسم ابتسامة طفيفة.

«أنا آسف. أنتِ مُحقة. أنا لست معتادًا الحديث إلى المدنيين حول هذا الموضوع. إلى أي أحد في الحقيقة».

وجّه نظراته دون أن يحرك رأسه إلى منطقة البار. جلس هناك رجل مألوف لبيتسي لسبب لا تتذكره. ثم بدأ الرجل يثير ضجة، وراح الناس من حوله يتحركون بعيدًا عنه.

عادت نظرات وايتهيد إليها وهو يخفض صوته أكثر حتى.

«هؤلاء الأشخاص قتلة».

«أجل، لقد فهمت ذلك»، شاهدت بيتسي في ذهنها ثانية صور الدمار في شارع فرانكفورت الهادئ. «قلها فحسب. ما الكابوس؟»

«لقد أُطلِق سراح بشير شاه الذي يعرف أنه يستطيع بيع المعرفة والمواد النووية إلى دول أخرى. لديه حلفاء أقوياء داخل الحكومة الباكستانية وداخل الجيش. سوف يصبحون جميعًا أثرياء من وراء ذلك، لكن...»

«دعني أخمن ما ستقوله. ثمة المزيد».

«لكن الكابوس الحقيقي هو أن يبيع بشير شاه الأسلحة النووية للإرهابيين».

حام ذلك التصريح الصادم فوق المائدة المهترئة التي تفصل بينهما. مائدة استمعت إلى الكثير من الأسرار، والمؤامرات. الكثير من الأشياء الفظيعة. لكن لا شيء أفظع من هذا.

«هل يمكنكِ أن تتخيلي»، قال بهدوء. «منظمة إرهابية، القاعدة مثلًا أو داعش، وبحوزتها قنابل نووية؟ ذلك هو الكابوس».

«هل يتعلق كل ما حدث بذلك؟» صوت بيتسي يكاد يُسمَع. «علماء الفيزياء؟ وتفجيرات الحافلة؟» تأملت وجهه لحظة. «وهل تيم بيتشام جزء منه؟»

«لا أعرف. كل ما أعرفه أنه كان مشترِكًا في كل هذه القرارات التي قد تبدو غير مرتبطة لكنها في الحقيقة متشابكة. الانسحاب الأمريكي من الاتفاق النووي الإيراني، وإخراج القوات من أفغانستان دون خطة، ومن ثم ضمان عودة الإرهابيين إليها محتمين بطالبان، وإطلاق سراح شاه. أشك في أن ذلك هو سبب عدم عثورِك على أي شيء عن بيتشام. ثمة وثائق وإيميلات وملاحظات أُخِذت في أثناء الاجتماعات تُثبت هذا. كل شيء تحتاجين إليه مُخبأ».

«إذًا الأمر أعمق من مجرد تيم بيتشام؟»

«أعمق بكثير. لا بد من أنه كذلك. أشك في أن تيم بيتشام -إذا كان متورطًا حقًا- مجرد دمية. أداة. وراء هذا أشخاص أقوى بكثير».

«من؟»

«لا أعرف».

صدقته هذه المرة.

مع هذا ثمة المزيد. يمكنها أن ترى ذلك.

ظلت بيتسي جيمسون هادئة برهة حتى استطاع اللواء وايتهيد أن يتحدث أخيرًا.

«إنني أخشى من أن علماء الفيزياء النووية لم يُقتَلوا في بداية عملهم، بل في نهايته».

«يا إلهي»!

الفصل التاسع عشر

باب المنزل في باد كوتستينغ كان مُواربًا.

عرف سكوت كارجيل ما سيعثر عليه قبل أن يدخل. عرف ذلك من الرائحة اللاذعة لطلقات أسلحة آلية اندفعت إلى الخارج منذ قليل وجلبت معها شيئًا آخر لا لبس في حقيقته. رائحة الدماء.

أحكم قبضته حول مسدسه، وأشار إلى معاونته الأولى حتى تدور حول البيت وتدخل من الباب الخلفي، ثم دلف بهدوء وحذر. في الممر، عثر على جثتي امرأة وطفلة. خطا بحرص من حولهما، ونظر داخل الحجرة الأمامية. فارغة. ثم سار عبر الممر المظلم ثانية حتى دخل المطبخ. هناك عثر على جثة امرأة أكبر سنًا. لا يزال مسدس الشرطة الخاص بها في يدها. عيناها جاحظتان ولامعتان.

تسمر تمامًا في مكانه، وهو يصيخ السمع.

لقد حدث هذا منذ مدة وجيزة.

هل المسلحون لا يزالون داخل المنزل؟ لا يعتقد ذلك. وماذا عن أرام واني؟ المُفجِّر؟ هل قتلوه أيضًا؟

صعد كارجيل السلالم، ومسدسه في وضع الاستعداد. دخل، وخرج من حجرات النوم الصغيرة. لم تصل رائحة العنف إلى الأعلى بعد. كل ما استطاع شمه هو رائحة كريم للأطفال.

لمح في أثناء هبوطه الدرج، ظلًا يسقط أمام عتبة الباب الأمامي المفتوح. توقف، فتوقف الظل.

ثم سمع كارجيل ضجيجًا خافتًا. بكاء.

هبط السلالم مسرعًا. وصل إلى نهايته في اللحظة المناسبة حتى يلمح ظهر رجل شاب وهو يلوذ بالفرار. ركض خارجًا من الباب، وراءه، وهو ينادي معاونته الأولى. غير متأكد إن كانت تستطيع سماعه.

***

ركض أرام واني. ركض وهو يعرف أن حياته متوقفة على هذا. مع أنه يعلم أنه لم يعد مهتمًا إن كان حيًا أم ميتًا. كان الركض فعلًا غريزيًا فحسب. مع هذا ركض هاربًا من الموت. ومن الرجل الذي يحمل مسدسًا. من الرجل الذي قتل زوجته وطفلته.

ركض أرام واني.

***

طارد سكوت كارجيل أرام واني. ركض بكل ما أوتي من قوة. لم يضطر فعليًا بصفته مدير مكتب المخابرات المركزية في ألمانيا إلى الركض منذ مدة طويلة. مع هذا ها هو يركض الآن. ركبتاه تدفعانه إلى الأمام، وساقاه تدقان على الحصى. تلهث رئتاه في هواء فبراير البارد. واصل الركض.

انحرف واني عند الزاوية. أبطأ كارجيل من سرعته قليلًا ليتجنب السقوط في أثناء انعطافه. وحاول أن يحسب إذا كان بوسعه إصابة واني برصاصة دون أن يقتله. حتى يُوقِفه فقط. ويُعيده إلى داخل المنزل من أجل استجوابه. ومعرفة أي شبكة إرهابية وراء الهجمات. وربما معرفة حول ماذا يدور كل هذا.

ما إن انعطف عند الزاوية حتى انزلق بقدميه ليتوقف.

«اللعنة»!

صدر قرار بالقبض على والدي آناهيتا، وأصبحا رهن الاعتقال. لكن في أثناء اقتيادهما بعيدًا، أوقفتهما إيلين.

«سؤال واحد فحسب، سيد ضاهر. ما معضلة السكرتيرة؟»

«إنها مشكلة حسابية، سيدتي الوزيرة».

«أي نوع من المشكلات؟» كانت تقعد في فرانكفورت، وتنظر إليه فوق الشاشة.

«إنها عن متى يجب أن يتوقف المرء». قال عرفان.

«يتوقف عن ماذا بالتحديد؟»

«متى يجب أن يتوقف المرء عن البحث عن بيت أو زوجة أو وظيفة. أو سكرتيرة». قال. «متى يجب على المرء أن يعرف أنه قد عثر على الشيء الصحيح حقًا. الشيء الأفضل. وإلا لن يتوقف أبدًا عن السؤال إذا كان في الخارج شيء أو شخص أفضل؟ طالما استمر المرء يفعل ذلك، فلن يستطيع إحراز أي تقدم. عند نقطة ما سيجد المرء نفسه مضطرًا إلى أن يتخذ قرارًا حتى لو كان غير مثالي. في أثناء وجودي في طهران خلال الثورة، شاهدت الكثير. أشياء شتى لا تتماشى مع كل ما تعلمته عن الإسلام. لكن في أي مرحلة كان يجب عليّ الرحيل؟ كان اتخاذ القرار صعبًا. إيران وطني. كل أفراد عائلتي وأصدقائي هناك. أحببت إيران. إذًا متى بالتحديد أعدّ نفسي قد وصلت إلى أبعد مدى ولن أستطيع الاستمرار بعد الآن؟ متى ألتزم قرارَ الرحيل وأضعه موضع التنفيذ وأنا أعلم أن لا رجوع عنه؟»

«متى فعلت ذلك؟» سألت إيلين.

«ما إن أدركت أن النظام الجديد سيئٌ، إنْ لم يكن أسوأ من النظام القديم. وأنني لو بقيت في إيران، فسأصبح سيئًا مثله أيضًا».

شاهدت إيلين بزاوية عينيها تيم بيتشام يتململ كأنه متلهف لانتهاء هذه المحادثة.

«ثمة معادلة حسابية حقًا من أجل ذلك؟»

«نعم، في الكثير من الأحوال، يمكننا أن نجري الحسابات، وقد يكون ذلك مفيدًا لكن ما يحسم القرار في النهاية هو الغريزة»، سكت، وعيناه الداكنتان الحزينتان مثبتتان على عينيها. «والشجاعة، سيدتي الوزيرة».

فكرت إيلين، *معضلة السكرتيرة*. فهمت الآن.

***

ما إن اقتيد آل ضاهر بعيدًا، وانطفأت الشاشة، حتى التفتت آناهيتا إلى إيلين.

«لم يرتكبا أي جريمة. أجل، كذب أبي قبل ثلاثين سنة لكنه بعد ذلك أصبح أمريكيًا، ويفتخر بذلك. أصبح مواطنًا مثاليًا. تعرفين أن لا علاقة لهما بما يحدث».

«لا أعرف إن كان لهما علاقة أم لا». قالت إيلين. «ما أعرفه حقًا هو أن شخصًا في بيت عمكِ قد أرسل إليكِ رسالة. شخصًا يعرف هويتكِ حتى لو أنكِ لا تعرفينه».

زال عبوس آناهيتا.

«إذًا أنت تصدقينني. وتصدقينهما».

«لا يمكنني قول ذلك تمامًا، لكنكِ أنقذتِ حياة جيل. وحاولت

إنقاذ الآخرين. لا أعتقد أنكِ متورطة، لكن في ما يتعلق بوالديكِ...» تساءلت إن كان عليها قول البقية أم لا لكنها قررت أن تفعل. «جيل يهتم بشأنكِ. يثق بكِ، وهو لا يثق بسهولة».

«يهتم بشأني؟ هل قال ذلك؟»

«لا أعتقد أن تلك هي النقطة المهمة هنا، أليس كذلك؟»

***

في أثناء مغادرتها حجرة المخزن في قبو قنصلية فرانكفورت، تذكرت إيلين آدمز جيل.

لقد ثار عندما سألته عن المخبر. كان عنيدًا بشأن عدم إخبارها. مصممًا على حماية ذلك المخبر. ثم تذكرت همسه: «ربما توجد طريقة أخرى...» قبل أن يسأل إن كانت آناهيتا موجودة.

افترضت إيلين أنه قد سأل لأنه يكنّ مشاعر تجاه المرأة الشابة، لكنها تتساءل الآن، هل من الممكن أن تكون المخبرة هي المرأة الضئيلة النحيلة التي تسير وراءها بمسافة قصيرة، وتفوح منها رائحة الورد، وتدافع عن براءتها وجهلها؟ هل يمكن أن تكون المخبرة مع أن عائلتها متورطة بشكل ما في الأمر حتى أعناقهم وربما حتى قمم رؤوسهم؟

ظهرت رسالة عاجلة مظللة بعلامة حمراء على شاشتها.

سكوت كارجيل. أخيرًا.

فتحت الرسالة، وشاهدت أنها لم تكن من كارجيل، بل من تيم بيتشام.

لقد علمتُ للتو من مصادرنا في طهران. لدى بنهام أحمدي ابنة. زهرة أحمدي. ٢٣ سنة. طالبة جامعية، تدرس الفيزياء.

استدارت إيلين إلى بوينتون التي نسيت مجددًا أنه هناك.

«صلني بالرئيس عبر خط آمن».

ثم كتبت إلى بيتشام.

مكتبة
t.me/soramnqraa

هل هي الشخص المنشود؟

نعتقد هذا. تبدو أقل تشددًا.

تعتقدون أم تعرفون؟

لا يمكنني أن أجزم بذلك دون أن أُحضرها.

لا، لا تفعل. لدي فكرة أخرى.

التفتت إيلين إلى آناهيتا.

«عليكِ أن ترسلي رسالة إلى ابنة عمكِ؟»

«لديَّ ابنة عم؟»

«أجل».

«ابنة عم؟!» قالت آناهيتا.

«ركزي. تحتاجين إلى الاتصال بها».

حاز ذلك على انتباه آناهيتا.

«أنا؟ كيف؟ لم أكن أمتلك أدنى فكرة عن امتلاكي ابنة عم إلى أن أخبرتني للتو».

تغاضت إيلين عن هذا.

«لو كان بوسعها إرسال رسالة لكِ، فستستطيعين أن تفعلي الشيء نفسه. كارجيل سيساعد في ذلك». ثم تذكرت أنه قد غادر ليُمسك بالمفجِّر المشتبه فيه.

«نمتلك عنوان البريد الإلكتروني لمرسل الرسالة من طهران، سيدتي الوزيرة». تدخل بوينتون. «يمكننا أن نستخدمه».

فكرت إيلين مليًا.

«لا، ذلك الكومبيوتر قد يكون مُراقَبًا من الإيرانيين». أسكتت نفسها. لو كان ذلك صحيحًا، فسوف تعلم السلطات الإيرانية بأمر الرسالة التي أُرسِلت إلى وزارة الخارجية الأمريكية قريبًا. سيعتقدون أن العم من أرسلها. على الأقل في بادئ الأمر. وقد يحمي بنهام أحمدي ابنته بعض الوقت على الأقل. يجب أن يُوصِلوا رسالة إلى المدعوة زهرة أحمدي في أسرع وقت.

«سينضم الرئيس إليكِ في غضون ثلاث دقائق». قال بوينتون، وهو يناولها هاتفها.

«شكرًا. اصطحب الآنسة ضاهر إلى مقر عمل كارجيل». أخبرت بوينتون، «ابدأ البحث في أمر التواصل مع ابنة العم. أريد سماع خيارات أخرى خلال عشر دقائق».

وصلوا إلى الطابق العلوي الآن حيث أشعة الشمس، والإطلالة الجميلة على المقبرة.

تفقدت هاتفها مُجددًا.

لا رسالة جديدة من باد كوتستينغ.

***

«أكثر فوضى قليلًا مما أردت». قال الرجل قرب حمام السباحة. كان في أربعينياته، رفيعًا ولائقًا بدنيًا. وقد استغل وجوده تحت الإقامة الجبرية في منزله حتى يصبح في حالة بدنية أفضل. «لكن على الأقل العمل قد انتهى».

«أجل، سيدي. وربما يصب ذلك في مصلحتنا أكثر». أقترح مساعدة الذي أبلغه بالأخبار.

«وكيف ذلك؟» سأل بشير شاه.

«سوف يستحوذ على انتباههم».

«أعتقد أننا قد نلنا انتباههم بالفعل، أليس كذلك؟»

أشار إلى مساعده حتى يجلس ويحجب عنه بجسمه أشعة الشمس الساطعة، وهو يواصل الحديث.

«ثمة إخفاقان لا أريد أن أكررهما». مع أن صوت شاه كان دافئًا وودودًا إلا أن المساعد الخائف بالفعل بعد أن أبلغ شاه منذ قليل بخبر المفجِّر الانتحاري الذي لم ينتحر حقًا، قد شعر برغبة في أن يتحول إلى حجر. كان جسمه متصلبًا ومتأهبًا بينما جسم رئيسه مشدود ومقوس مثل حيوان مفترس يستعد للوثب.

«هل تعرف ما هما هذان الإخفاقان؟» سأل شاه.

«لقد هرب المفجِّر و...» اندفع المساعد قائلًا.

رفع شاه صوته. «وماذا؟»

«والابن لم يُقتل».

«أجل. لقد هرب الابن. الكثير من الجهد المبذول للتأكد من أن جيل باهار كان على متن تلك الحافلة. كيف هبط منها؟»

«ذلك هو الشيء الآخر يا سيدي. لقد أرسل مُخبرنا مقطع فيديو».

شاهد شاه مقطع الفيديو الذي التُقِط من داخل الحافلة رقم 119 في فرانكفورت. ما إن انتهى من مشاهدته حتى استدار إلى مساعده.

«كان معه هاتف محمول. لقد تلقى تحذيرًا. من اتصل به؟»

«أمه».

استنشق شاه نفسًا عميقًا.

كان الجواب الذي توقعه، والذي لم يرغب في سماعه.

«وكيف استطاعت وزيرة الخارجية أن تعرف بالقنبلة؟» صار صوته قاسيًا. الغضب ينضح من الكلمات. «من حذرها؟»

التفت المساعد حوله لكن الآخرين قد تراجعوا خطوة إلى الوراء.

«لا أعرف يا سيدي. نعتقد أنه شخصٌ من داخل وزارة الخارجية. موظف في إدارة الشؤون الأجنبية».

«وكيف عرف ذلك الشخص؟»

بدا المساعد حانقًا الآن.

«سوف نعرف قريبًا، سيدي. هنالك...»، أغمض عينيه، وتلا صلاة قصيرة، «هناك شيء آخر».

«استمر».

«يعرفون بأمرِكَ».

«تعرف إيلين آدمز أن علماء الفيزياء النووية كانوا يعملون لصالحي؟»

«أجل، سيدي».

تساءل بداخله كيف سيحدث الأمر. طلقة رصاصة؟ أم طعنة سكين؟ أم سيكتفي شاه بإلقائه في المستنقع طعامًا للتماسيح؟ *لا، ليس ذلك يا إلهي العزيز.*

مع هذا أبصر رئيسه يبتسم ويومئ برأسه.

نهض بشير شاه.

«سوف أحتسي الشراب في النادي، وأحتاج إلى أن أبدل ثيابي. أريد أجوبة عند عودتي».

شاهد المساعد الدكتور شاه يسير حول حوض السباحة، وإلى داخل منزله الضخم الذي استعاره من صديق مقرب في بالم بيتش.

***

أعار القنصل العام الأمريكي في فرانكفورت إيلين آدمز مكتبه.

جلست فوق المكتب. وجه الرئيس الأمريكي المكفهر على شاشة الهاتف الآمن بين يديها. بدا لها في لحظة طيش عابرة كما لو أنها تُمسك به شخصيًا في كفها. لو فقط...

لكنها تناست كل هذا ما إن ظهر وجه تيم بيتشام الأكثر اكفهرارًا على النصف الآخر من الشاشة المنقسمة، وقد بدا وجهه منبعجًا بجوار وجه الرئيس الذي احتل المساحة الأكبر من الشاشة. مع أن إيلين قد تفاجأت من دعوته للانضمام إلى المكالمة، اختارت أن لا تُظهر هذا أو تشكك فيه. لا شيء بوسعها فعله حيال الأمر على أي حال. لكن يجب عليها أن تحترس في كل خطوة تخطوها. أن تختار ما تقول وما لا تقول.

«حسنًا»، قال الرئيس وليامز. «ما المشكلة الآن؟»

«لا شيء، سيدي الرئيس»، قالت إيلين. «لقد حققنا في الحقيقة تقدمًا جيدًا».

أطلعت الرئيس على آخر المستجدات، وهي حريصة أن تخبره فقط بما يعرفه بيتشام بالفعل.

«إذًا تعتقدان أن الابنة زهرة أحمدي وراء التحذيرات». قال وليامز. «ماذا نعرف عنها يا بيتشام؟»

«تلقيت تقريرًا عنها للتو. تدرس الفيزياء في جامعة طهران».

«مثل أبيها؟»، قال الرئيس.

«ليس تمامًا. تخصصها هو الميكانيكا الإحصائية».

«تلك هي نظرية الاحتمالات، صحيح؟» قال وليامز.

فكرت إيلين أنه من الجيد أنها قد دربت نفسها على أن لا تُظهر دهشتها، فلولا ذلك لكانت قد سقطت من فوق مقعدها. بدا أن دوج وليامز أذكى مما اعتقدت.

«أجل، سيدي الرئيس. لكن الشيء المثير للاهتمام أنها عضوة في منظمة طلابية تقدمية تنادي من أجل انفتاح أكبر. من أجل التواصل مع الغرب. العلامة الحمراء الوحيدة في سجلها أنها تبدو متدينة جدًّا».

«أنا متدين جدًّا»، قال الرئيس وليامز. «هل ذلك سبب للشك؟»

«هو كذلك في إيران، سيدي».

«هل تنتمي إلى مسجد معين؟» سألت إيلين.

«أجل».

«المسجد نفسه الذي ينتمي إليه أبوها؟» سألت.

«لا. مسجدها ملحق بالجامعة. نتحرى أمر إمام المسجد لنرى إذا كان متطرفًا».

«فيمَ تفكرين، إيلين؟» سأل الرئيس وليامز.

«نحن متأكدون الآن من أن إيران وراء الهجمات، سيدي الرئيس. كان ذلك هو الاحتمال الأكثر منطقية منذ البداية. لقد عدوا

علماء الفيزياء الباكستانيين تهديدًا. وإذا كانت زهرة أحمدي من أرسلت الرسالة إلى موظفة الشؤون الأجنبية في وزارتي، فلا بد أنها قد أرادت أن تُوقِف التفجيرات. لماذا فعلت ذلك؟ لا يمكنني أن أجيب عن هذا السؤال حتى نتحدث إليها. رجالنا يحاولون العثور على طريقة لإيصال رسالة إليها».

وجب عليها أن تعترف بهذا القدر أمام بيتشام. كانت إدارته في نهاية المطاف، من تتولى العمل على الأمر، وقد كان جزءًا من ذلك القرار. حقيقة أنه يعرف عن زهرة، والجهود المبذولة للاتصال بها كانت أمرًا إشكاليًا على أقل تقدير مع هذا لا تستطيع إيلين أن تفعل أي شيء حيال هذا الآن.

«كيف عرفت زهرة أحمدي بأمر التفجيرات؟» سأل الرئيس قبل أن يصمت. «من أبيها؟ الفيزيائي؟»

«نعتقد أن هذا مُحتمل، سيدي الرئيس». قال بيتشام.

«تيم، هل تقول إن أباها قد أخبرها؟» سأل وليامز. «أي إنه بدوره أراد أن يُوقف التفجيرات؟»

«لا. أبوها متشدد وداعم للنظام. لكنها ربما اختلست السمع إلى شيء ما، أو شاهدت شيئًا ضمن أوراقه».

«نحن نخمن هنا. هذا غير مفيد. كيف يمكننا أن نُجزم بأي من هذا؟» سأل الرئيس وليامز وهو يميل إلى الأمام حتى أضحى وجهه مشوَّهًا. «إيلين؟»

«لقد حاولت بناء علاقة جيدة مع وزير الخارجية الإيراني منذ توليت الوزارة. لقد خلفت الإدارة السابقة الكثير من الضرر، غير أنه رجل مُتعلِّم ومثقف، ويبدو أنه يرى مزيّة في وجود تفاهم بيننا».

«لقد قتلوا أناسًا أبرياء على متن تلك الحافلات». قال الرئيس وليامز. «ليس فعلًا يُقدِم عليه رجل مثقف، يبحث عن السلام».

«لا»، اتفقت إيلين. «الأمر هو أننا إذا كنا قد اكتشفنا مصدر التحذير، فأشك في أن الإيرانيين ليسوا بعيدين عن اكتشافه أيضًا. من المحتمل أن والد زهرة سيحميها مدة، وربما لا. لو أنها...»

«إذًا نحتاج إلى أن نصل إليها أولًا»، قال وليامز. «كيف؟»

«إذا استطاعت ابنة عمها، موظفة الشؤون الأجنبية، أن تُوصِل رسالة إلى رجالي على الأرض»، قال بيتشام. «فقد يستطيعون الاقتراب منها. وتمرير الرسالة إليها حتى تعرف أننا على دراية بالأمر، وأننا سوف نحميها».

«لكن كيف نستطيع أن نعطيها ذلك الوعد؟» سأل وليامز. «لا نستطيع أن نخطفها حقًا، أليس كذلك؟»

«لدي فكرة أخرى». تدخلت إيلين. لم تشأ أن تقول هذا أمام مدير المخابرات الوطنية لكنها شعرت بأنها لا تمتلك خيارًا الآن. الأمور تتحرك بسرعة رهيبة. «أريد أن أذهب إلى طهران».

فغر دوج وليامز فاه قبل أن يُغلقه مُجددًا. «عذرًا؟»

«طهران. الطائرة إير فورس 3 جاهزة. الخطة كانت أن تطير بي إلى باكستان لكننا نستطيع تغيير وجهتنا في الجو. ونتجه سرًا إلى طهران».

«سرًا على متن طائرة إير فورس 3 الضخمة؟ سأل وليامز، «ألا تعتقدين أن أحدهم قد يلاحظ ذلك؟»

بدت عينا بيتشام الذي التزم الصمت حتى تلك اللحظة كأنَّهما على وشك أن تقفزا خارج محجريهما.

«أجل، لكننا نستطيع أن ندخل ونخرج من هناك قبل أن تكتشف الصحافة. لا توجد حرية معلومات حقًا في طهران. قد أستطيع حتى أن أجلب زهرة أحمدي معي».

«حقًا، وايل إي. كايوتي؟[43] تلك هي خطتكِ؟» سأل وليامز بتهكم. «لنفترض أنهم لن يسمحوا لكِ بالخروج؟ مع أن هذه قد تكون إحدى الطرائق للتخلص من وزيرة خارجيتي التي باتت مخبولة».

«ثمة متغيرات شتى». قال بيتشام منضمًا إلى وليامز في سخريته. «وقد لا يرغبون في الإبقاء عليها حية».

«ومن سيلومهم؟ ولو فعلوا، فقد يلاحظ أحدهم هنا أنها مفقودة. سيستغرق ذلك مدة لكن في النهاية...»

«حسنًا!» قالت إيلين. «لقد فهمت نقطتكَ. مع هذا أعتقد أنني يجب أن ألتقي وزيرَ الخارجية الإيراني وجهًا لوجه، وأناقش هذا. سيبني ذلك حلقة وصل إنْ لم تكن ثقة بيننا. وقد يساعد اللقاء في تشتيتهم مدة حتى تصل تلك الرسالة إلى زهرة أحمدي. لا يبدو حتى الآن أنهم يدركون أن أحدهم قد حاول إيقاف الهجمات».

«تيم؟» سأل الرئيس وليامز.

هز مدير المخابرات الوطنية رأسه.

«لو فعلت وزيرة الخارجية ذلك فسوف يعلم الإيرانيون أننا

43- شخصية كارتونية أمريكية مشهورة، ذئب يحاول اصطياد نعامة شديدة السرعة ويفشل في اصطيادها دائمًا. (المترجم).

نعلم أنهم من وراء الهجمات. أضف إلى أن اطلاعهم على مدى ما نعرفه من معلومات أو ما لا نعرفه فكرة ليست صائبة أبدًا».

«إذا كان الإيرانيون من قتلوا أولئك الفيزيائيين، فذلك يعني أنهم ربما يعرفون ما يحدث بالفعل». قالت إيلين. «يعرفون ما خطط له شاه. وربما مكانه حتى». التقت نظراتها عيني الرئيس وليامز. «أليس هذا جدير بالمخاطرة؟»

أومأ وليامز إيماءة مقتضبة.

«افعلي ذلك. لكن ليس في طهران. تقابلا في عُمان. إنها بلد محايد. سوف أتصل بالسلطان وأُبلغكِ إذا وافق. تيم، اعمل وإيلين معًا من أجل إيصال رسالة إلى الابنة».

«سيدي، أنا لا...» بدأ بيتشام يتكلم.

«كفى». انفعل وليامز. «يمكنني أن أرى أن كلًّا منكما لا يحب الآخر لكن لسوء حظكما، يبدو أن كليكما يستطيع الحصول على نتائج. مثل لينون ومكارثي[44]. لذا، استمرا. حلّا الأمر معًا. أريد أن أحصل على «آبي رود Abbey Road»[45] مع نهاية اليوم. حظًا موفقًا في عُمان يا إيلين. ولتُعلِميني ما إن يُمسك رجالنا بالمفجِّر في ألمانيا».

«سوف أفعل، سيدي». قالت إيلين.

اسودت شاشته، وتركت وراءها إيلين وتيم بيتشام اللذين راحا يتبادلان النظرات.

44- الإشارة هنا إلى جون لينون وبول مكارثي عضوي فرقة البيتلز المشهورة. كانا صديقين مقربين لا ينفصلان تقريبًا حتى قرر جون لينون ترك فرقة البيتلز وهو ما كان له تأثير كبير في صداقتهما. (المترجم).

45- آبي رود: أحد أنجح ألبومات فرقة البيتلز. (المترجم).

«سوف أكون مكارثي». قالت.

«لا بأس. كان لينون الموسيقي الأفضل على أي حال».

همت إيلين بأن تعترض على هذه النقطة غير أنها قد أدركت أن ثمة قضايا أخرى أكثر إلحاحًا الآن.

«أخمن أنه من الأفضل أن نتحد الآن»، قالت، وشاهدت ابتسامة رفيعة على وجهه.

إنه يفعل فقط ما يحلو له [46]. تمتمت إلى نفسها.

***

قررت إيلين أن تذهب إلى مقر كارجيل داخل القنصلية لتطلع على آخر التطورات لكن ما إن وصلت حتى أدركت أن ثمة خطبًا ما.

كانت الحجرة -التي كانت سابقًا خلية نحل- صامتة. لا أحد يتحرك ما عدا هؤلاء الذين أداروا وجوهًا مصدومة إليها.

«ماذا؟» سألت. «ماذا حدث؟»

خطا أحد كبار المحللين الاستخباراتيين إلى الأمام.

«إنهم موتى، سيدتي الوزيرة».

شعرت إيلين بنفسها وقد صارت باردة وجامدة فجأة.

«من؟»

مع أنها كانت تعرف الإجابة.

سكوت كارجيل. ومعاونته الأولى. وأرام واني.

أُطلِق الرصاص عليهم في زقاق خلفي في باد كوتستينغ.

46- He just does what he pleases. من كلمات أغنية come together لفرقة البيتلز. (المترجم).

الفصل العشرون

أجابت بيتسي على الهاتف مع أول رنة. «كيف تجري الأمور؟»

«ليست جيدة جدًا». أجابت إيلين.

بـدت منهكـة. وهـذا ليـس مفاجئـا. كانـت السـاعة قـد تجـاورت السادسـة مسـاء فـي واشـنطن العاصمـة، وهـو مـا يعنـى أن الوقـت مـا بعـد منتصـف الليـل فـي فرانكفـورت.

في الحقيقة كانت إيلين مُحبطة أكثر منها مُنهكة.

«احكي لي». قالت بيتسي.

جلسـت علـى الأريكـة فـي مكتـب إيليـن. كانـت تحـاول أن تغفـو قليـلًا قبل أن تواصـل البحـث وراء تيموثـي ت. بيتشـام مجـددًا. تمنـت لـو كان لديهـا بعـض الأخبـار، أي أخبـار مـن أجـل إيليـن.

قـررت بيتسـي مـا إن سـمعت صـوت صديقتهـا خائـر القـوى تقريبًـا أن لا تخبرهـا بالرجـل الـذي كان يتبعهـا. بالإضافـة إلـى أن اللـواء وايتهيـد قـد تعامـل معـه. وربمـا إيليـن قـد نسـيت المحادثـة القصيـرة بينهمـا التـي أنهتهـا بـ«أي حـارس تقصديـن؟»

«أولًا، أخبرينـي عـن أمـر الحـارس ذاك؟» قالـت إيليـن فابتسـمت بيتسـي. لـم تنـس بالطبـع.

«كانـت مزحـة. كان ثمـة رجل وسـيم يحـاول أن يلفـت انتباهـي. أنـا متأكدة على الأقل من ذلك. من غير المحتمل أنه كان ربما يحاول لفت انتباه المرأة الشـابة الجميلة التي جلسـت بجانبي على متن الطائرة».

«بالطبـع لا». تظاهـرت إيليـن بالضحـك لحظـة. «هـل سـارت الأمـور كمـا تريديـن معـه؟»

«للأسـف، يظـن الرجـال أن مـا أريـده الآن يقتصـر علـى قطعـة تشـيز كيـك كاملـة وزجاجـة شـاردونيه»،

«يا إلهي، يبدو ذلك جيدًا». قالت إيلين مازحة.

«لقـد قابلـت اللـواء وايتهيـد. لديـه بعـض الأفـكار عمّـا يحـدث. ومـا سـيحدث».

«أخبريني».

فعلت بيتسي.

«يعتقـد أن الباكسـتانيين مدعومـون مـن الـروس قـد أقنعـوا دَن بـأن يوافـق علـى إطـلاق سـراح شـاه باعتبـاره جـزءًا مـن اتفـاق». ختمـت كلامهـا.

«أي اتفاق؟» صوت إيلين يشي بالتخوف.

«أن يسـحب دَن قواتنـا مـن أفغانسـتان دون أي تنـازلات مـن الأفغـان أو طالبـان، فيمـا تعمـل باكسـتان علـى ضمـان الاسـتقرار هنـاك. وفـي المقابـل طلبـت باكسـتان مـن الولايـات المتحـدة إطـلاق سـراح أخطـر تاجـر أسـلحة فـي العالـم. وكان دَن غبيًـا جدًّا حتـى يعـرف مـا كان يوافـق عليه حقًـا».

فكـرت إيليـن أن إيريـك دَن كان غبيًـا وقصيـر النظـر؛ لا يـرى سـوى تقييمـات التأييـد أو الأربـاح الماليـة مـن وراء أي قـرار.

«وماذا عن بيتشام؟» سـألت إيلين.

«كان مشـتركًا في اتخاذ القرارين». قالت بيتسـي.

«أدى دور إياغو[47] الذي يهمس في أذن عطيل».

«أفضل أن أراه في دور الليدي ماكبث». قالت بيتسي.

47 -إياغـو: أحـد شـخصيات مسـرحية عطيـل لشكسـبير. يكـره إياغـو عطيـل كرهًـا شـديدًا، ويضـع خطـة لتدميـره بـأن يجعـل عطيـل يظـن أن زوجتـه فـي علاقـة غراميـة مـع ضابطـه، المـلازم مايـكل كاسـيو. (المترجـم).

«هل هناك أي دليل؟»

«لا دليل حتى الآن. وثمة المزيد». فكرت بيتسي، *لأن لدي المزيد*. «يعتقد اللواء وايتهيد أن بيتشام ليس بمفرده. أن ثمة مؤامرة كبرى يديرها أفراد يعدون أنفسهم وطنيين لأنهم سيُسقِطون حكومة يعدونها غير شرعية، ويعيدون دَن إلى السلطة. لأن دَن سيفعل ما يريدون».

أومأت وزيرة الخارجية على الجانب الآخر من الخط حيث لا يمكن أن تراها بيتسي. حقيقة أن هذا لم يكن مفاجأة كاملة لها، كانت صادمة بحد ذاتها.

كانت إيلين بمفردها في حجرة فندقها في فرانكفورت. كانت الساعة تدنو من الواحدة صباحًا، وهي مجهدة جدًا، ومتوترة بشدة لدرجة أنها لا تستطيع النوم مع أنها في أمس الحاجة إليه. كانت تنتظر رسالة تؤكد رحلة عُمان. حينها ستستطيع الاتصال بنظيرها الإيراني، وإنْ كانت قد أرسلت بالفعل بعض الرسائل الخاصة المقتضبة إليه لتجسَّ نبضه وتُمهد للقاء.

إذا كانت إيران مَن وراء تفجيرات الحافلات والمفجرين، فلا بد أنها أيضًا من وراء عملية قتل أرام واني في باد كوتستينغ. ومعه قُتِل سكوت كارجيل ومعاونته الأولى.

لهذا، كانت الوزيرة آدمز قلقة من الحديث إلى الإيرانيين.

«أحتاج إلى أن أعرف من أثق به». قالت إيلين. «ومن لا أثق به. أحتاج إلى دليل».

سمعت بيتسي الخوف في ذلك الصوت المألوف لها بشدة. كانت إيلين خائفة من الفشل. ومرعوبة مما سيبدو عليه ذلك الفشل.

«كوني حذرة، إليزابيث آن جيمسون». قالت إيلين.

«لا تقلقي. لقد كلف بيرت وايتهيد ضابطة صاعقة بحمايتي. لم أتصل بها بعد».

«أرجوكِ، عديني أن تتصلي بها».

«أعدكِ. الآن دوركِ. أخبريني ما حدث».

فعلت إيلين آدمز.

أخبرت أعز صديقاتها ومستشارتها بكل شيء.

وما إن انتهت حتى قالت بيتسي: «أنا آسفة. هل كان الإيرانيون من قتلوا سكوت كارجيل ومعاونته الأولى؟»

«والمفجِّر. أعتقد ذلك. وأنا متجهة إلى عُمان حتى أقابل وزير الخارجية الإيراني».

«هل أنتِ مجنونة؟» سألت بيتسي، وقد اعتدلت في جلستها. «لا تستطيعين فعل ذلك. قد يقتلونكِ. أو يختطفونكِ حتى».

انفجرت ضحكة غير متوقعة على الجانب الآخر من الخط. «لقد اقترح دوج وليامز ذلك عندما أعطى موافقته على الرحلة».

«الحقير».

«لا، كانت مزحة. سأكون على ما يرام. الإيرانيون ليسوا أصدقاءنا بالضبط لكنهم أذكياء. لن يكسبوا أي شيء من إيذائي أو اختطافي. لقد اقترحت في البداية طهران...»

«بحق الرب..»

«حتى يعرف تيم بيتشام أنني الحمقاء التي يعتقد أنني أكون». قالت إيلين. «وعرفت أيضًا أنني لو اقترحت عُمان أولًا، فسوف يرفض وليامز».

«انتظري لحظة. لقد لعبت اللعبة الذهنية نفسها مع زوجي الأول. هل هذه هي الطريقة...»

«لا، لم يكن زواجكِ منه فكرتي أبدًا».

«أتمنى لو سافرت معكِ».

«أتمنى ذلك أيضًا».

«من سيسافر معكِ؟»

«بجانب بوينتون وفريق الأمن الدبلوماسي، فقد قررت أن آخذ كاثرين وآناهيتا ضاهر موظفة إدارة الشؤون الأجنبية. تتحدث الفارسية. ووجود شخص يعرف ما يقوله وزير الخارجية الإيراني حقًا سوف يكون مفيدًا».

«هل تثقين بها بعد ما اكتشفتِه عن عائلتها؟»

سادت لحظة صمت.

«لا، ليس تمامًا. إنه سبب آخر يجعلني أرغب في وجودها قريبة مني. ونحن سنستفيد منها أيضًا. لقد اكتشفت المخابرات المركزية كيف نُوصل رسالة إلى زهرة أحمدي، ونحتاج إليها من أجل ذلك. لن تثق ابنة عمها بعميل أمريكي. لكنها قد تثق بآناهيتا. الإيرانيون يراقبون غالبًا الاتصالات من وإلى كومبيوتر الدكتور أحمدي. نحتاج إلى أن نصل إلى زهرة قبل الشرطة السرية الإيرانية».

«هل أنتِ متأكدة من أنها مَن أرسل الرسالة؟»

«لا، لكنها الإجابة الأكثر احتمالًا». تنهدت إيلين تنهيدة طويلة. «لقد وافقت على العملية. سوف يحاولون التواصل مع زهرة أحمدي ما إن تغادر البيت إلى الجامعة».

عرفت بيتسي منذ مدة طويلة أنه مع أنها من تتظاهر بالشجاعة، إلا أن إيلين هي الشُجاعة حقًا. كانت شاكرة لأنها ليست مضطرة إلى اتخاذ قرارات مشابهة.

«قبل أن أغلق الخط، أخبريني كيف حال جيل؟»

«اتصلت بالمستشفى قبل دقائق قليلة. كان نائمًا. والطبيب المناوب قال إنه قد تحسن كثيرًا. سوف أمرّ به في طريقي إلى المطار».

«لم تعرفي أي شيء عن مخبره؟»

«لا، لا شيء...»

سكتت إيلين هنيهة. لا تعرف بيتسي إذا كانت إيلين قد ترددت عمدًا أو أنه التعب. قررت ألا تسأل. كلما أنهت المحادثة أسرع، فستستطيع صديقتها أن تحظى ببعض النوم.

«كوني حذرة، إيلين سو آدمز».

***

بعد ساعة، خطر ببال بيتسي فجأة، وأيقظها من غفوتها، هوية الشخص الذي رأته في الحانة في قبو فندق «هاي آدمز». الشخص الذي لمحه اللواء أيضًا. الشخص الذي كان يثير الضجة.

لم ترَه منذ أعوام. كان يبدو أصغر سنًا حينها. غضًا تقريبًا.

لكن بعد ظهيرة اليوم في حانة أوف ذا ريكورد، كان من شبه المستحيل التعرف إليه. فكرت بيتسي وهي تقفز من فوق الأريكة متجهة إلى حوض الاستحمام، أنه في الحقيقة كان يبدو بمظهره الأشعث أشبه كثيرًا بمنشار كهربائي.

***

أتت المكالمة في الثالثة صباحًا بتوقيت فرانكفورت، وأيقظت إيلين من نومها المضطرب.

تأكّدت رحلة عُمان.

قفزت إيلين من سريرها. وفي غضون ساعة كانت قد حصلت على تعهد من وزير الخارجية الإيراني بأن يقابلها في منتصف النهار في مقر إقامة السلطان الرسمي في مسقط القديمة.

«يُمكنني أن أمنحكِ ساعة، سيدتي الوزيرة». قال.

كان يتكلم بإنجليزية جميلة مع أنه يُفضل الحديث عادة عبر مُترجم. تحدثا هذه المرة مباشرة دون مترجمين. أبسط. وأسهل. وأكثر سرية.

اتصلت بتشارلز بوينتون، وأخبرته أن يتصل بآناهيتا ضاهر، ثم أيقظت كاثرين.

«سوف نذهب إلى عُمان». قالت. «ارتدي ثيابًا مُحتشمة».

«حسنًا، سوف أترك واقي رعاة البقر الجلدي ورائي».

ضحكت أمها.

«سوف تُقلع الطائرة في غضون أربعين دقيقة. وستغادر السيارات الفندق بعد عشرين دقيقة من الآن».

«فهمت. وماذا عن آناهيتا؟» سألت كاثرين.

يبدو أن الشابتين قد صارتا صديقتين. لم تعرف إيلين إذا كان عليها أن تفرح بذلك أم لا.

«ستأتي معنا».

***

بعد عشرين دقيقة بالضبط، غادرت العربات المدرعة إلى المطار.

«هل يمكنك المرور بالمستشفى أولاً؟» طلبت إيلين من السائق.

بعد دقائق، كانت تقف بجوار سرير جيل. كان نائمًا. وجهه المغطى بالكدمات مُسالم.

«جيل؟» همست.

كرهت أن تفعل ذلك، غير أن ثمة الكثير من الأشياء المتعلقة بهذا الأمر تكرهها إيلين. وكان فعل ذلك مجرد شيء آخر يُضاف إلى القائمة.

«جيل».

انتفض، وهو يفتح عينيه المنتفختين.

«كم الساعة؟»

«بعد الرابعة صباحًا بقليل».

«ماذا تفعلين هنا؟»

صارع حتى يجلس. ساعدته بأن وضعت مخدة وراء ظهره.

«أنا في طريقي إلى عُمان من أجل الحديث إلى وزير الخارجية الإيراني. الإيرانيون وراء التفجيرات».

أومأ جيل برأسه.

«يبدو ذلك منطقيًا. لن يرغبوا في أن يبيع شاه أسرارًا نووية أو علماء لأي أحد آخر في المنطقة».

«ماذا عن مُخبرك؟»

«لقد أخبرتكِ أنني لن...»

رفعت يدها لتُوقِفه.

«أعرف. لا أسألك عن هويته». خفضت صوتها. «في آخر مرة كنتُ هنا، كنتَ على وشك أن تقول شيئًا. أخبرتني أنه ربما هنالك سبيل آخر لمعرفة المزيد من مُخبرك. المزيد عن شاه».

«لا يُمكنني إخبارك». همس.

«لكن كيف ستتواصل معه وأنت في المستشفى؟»

«لقد تدبرت الأمر. افعلي ما تحتاجين إلى فعله، ودعيني أقوم بعملي. أنا من تعرضت للتفجير. أنا من ستطاردني وجوههم إلى الأبد. لدي دور عليّ أن أؤديه. يجب أن تثقي بي».

«لا علاقة للأمر بعدم ثقتي بك. تعرف أنني أثق بك. الأمر أنني لا أريد أن أفقدك».

قررت أن تذكر الأمر. وأن ترى ردة فعله.

«سوف أصطحب آناهيتا معي إلى عُمان. إنها في الخارج الآن».

انتظرت إيلين حتى ترى ردة فعل جيل. لو كانت آناهيتا مُخبِرته...

لكن لم تبدر عنه أي ردة فعل سوى قوله: «قولي لها «مرحبًا» بالنيابة عني. هلا فعلتِ ذلك؟»

«سأفعل. يُفترض أن نرجع في وقت لاحق من اليوم. سأزورك عند عودتنا».

«حظًا مُوفقًا».

***

بعد خمس وعشرين دقيقة، انطلقت الطائرة إير فورس ٣ عبر المدرج وسط الظلام المخيم لتبدأ رحلة الساعات الست إلى الدولة الخليجية.

ما إن صاروا على ارتفاع ثابت، حتى توجهت إيلين إلى مكتبها من أجل الاستعداد للقاء. وجدت فيه باقة زهور جميلة التنسيق. كانت زهرتها المفضلة: زهرة البازلاء الجميلة. رقيقة وفواحة. لمحت إيلين بطاقة عندما مالت إلى الأمام لتشم رائحتها.

«هل طلبت هذه الزهور؟» سألت مدير مكتبها بوينتون، وهو يدخل برفقة مضيفة تحمل فنجان قهوة وإفطارًا خفيفًا.

أنزل بوينتون الملفات التي كان يحملها فوق المكتب، وألقى نظرة إلى الباقة.

«لا، لكنها تبدو جميلة. ربما من السفيرة الأمريكية في ألمانيا».

«أتساءل كيف عرفت أنها الزهرة المفضلة لدي».

«إنها دقيقة جدًا». قال بوينتون، الذي لم يكن يعرف أن لرئيسة عمله زهرة مفضلة غير أنه كان منشغلًا قليلًا باكتشاف أشياء أخرى أهم عن وزيرة الخارجية الجديدة. «لا بد أنها قد أجرت بحثها عنكِ».

«شكرًا لكِ». قالت إيلين للمضيفة التي سكبت لها فنجان قهوة كبيرًا ثم غادرت.

ما إن فضت إيلين البطاقة حتى شعرت بأن فنجان القهوة يكاد ينزلق من إصبعها. وازنته في آخر لحظة لكن ليس قبل أن تسقط قطرة صغيرة من القهوة على فخذها وتلسعها.

«ما الأمر؟» قال بوينتون، وهو يسير إليها.

«من أرسل هذه الزهور؟» سألت، وقد بات صوتها فظًا.

«لقد أخبرتكِ، سيدتي الوزيرة». قال. «لا أعرف». بدا حائرًا حقًا من ردة فعلها. «ما الخطب؟»

«أرجوك، اكتشف هوية مُرسِلها؟»

«سأفعل».

اندفع خارج الحجرة، وإيلين تضع البطاقة فوق مكتبها. كانت حريصة على أن لا تلمسها أكثر مما فعلت. لقد كانت صورة من الملاحظة التي أعطت بيتسي إياها قبل أن تطير صديقتها ومستشارتها عائدة إلى واشنطن العاصمة. الملاحظة التي طلبت فيها من بيتسي أن تتحرى عن تيم بيتشام. وأن لا تسمح لأي أحد مهما حدث أن يطلع عليها.

مع هذا، ها هي الملاحظة. في طريقها إلى عُمان. على متن الطائرة إير فورس ٢، مدسوسة داخل باقة من زهور البازلاء الجميلة التي لم تعد تبدو لها لطيفة قط.

لم يكن على البطاقة أي كتابة أخرى. ولا حتى توقيع، غير أنها تعرف من وراء هذا كما تعرف من كان وراء كل تلك البطاقات غير الموقَّعة طيلة تلك السنين. بطاقات أعياد الميلاد، وبطاقات الكريسماس، والرسالة التي أُرسِلت إليها بعد موت زوجها كوين.

رفعت سماعة الخط الآمن، واتصلت ببيتسي، وقلبها يخفق بقوة داخل صدرها.

الفصل الحادي والعشرون

الحانة ممتلئة الآن.

كانت الساعة قد تجاوزت العاشرة مساء بقليل، وقد خرج قاطنو واشنطن العاصمة للهو والتسلية. طافت بيتسي بنظراتها في أرجاء المكان، وعيناها تتأقلمان مع الضوء الخافت. ثم توجهت مباشرة إلى البار نفسه حيث شاهدت بِيت هاملتون آخر مرة. لم يكن هناك. مع هذا شعرت بإغراء أن تنظر أسفل البار وقد شكت لحظة أنه قد يكون هناك.

«ماذا يمكنني أن أُحضِر لكِ؟» قال البارمان.

فكرت صديقة إيلين آدمز المقربة، برميلًا *من الشاردونيه*.

«كأس بيرة زنجبيل دون سكر، رجاء». قالت مستشارة وزيرة الخارجية. «مع كرز مارشينو إذا أمكن». أضافت بيتسي.

شعرت بهاتفها يهتز في أثناء انتظارها.

«كيف رحلتكِ؟ لا بد...» سألت قبل أن تُقاطَع.

«يدلف «تشبيه» إلى حانة»، قالت إيلين. صوتها مُجهَد.

«ماذا؟ في الحقيقة، لقد دلفت للتو إلى حانة».

«بيتسي، تشبيه يدلف إلى حانة!» قالت إيلين بإصرار.

«ظمآن كالصحراء». ردت بيتسي قبل أن تُخفِض صوتها. «ماذا يحدث؟ أين أنتِ؟ وما تلك الضوضاء؟»

«أنتِ بخير؟»

«نعم. أنا في حانة «أوف ذا ريكورد». هل تعلمين أن لديهم بالفعل قرص كوستر مطبوعًا عليه كاريكاتير لكِ؟»

«أنصتي إلي يا بيتسي، الملاحظة التي أعطيتك إياها قبل أن تُغادري مباشرة، أين هي؟»

«في جيبي». وضعت يدها في جيبها. لم تجدها هناك. «انتظري! تذكرت. لقد أخرجتها، ووضعتها فوق المكتب عند وصولي إلى حجرة مكتبكِ. أردت أن أُبقيها بأمان». سكتت بيتسي. «لماذا؟»

«لأنه توجد نسخة منها هنا».

«في فرانكفورت؟ كيف...»

«لا، على متن إير فورس ٣».

«اللعنة». انطلق ذهنها يراجع أفعالها ذلك اليوم.

«لقد وضعتها على مكتبكِ قبل أن أذهب إلى مكتب بوينتون لأستخدم كومبيوتره في البحث عن بيتشام».

«هل دخل أي أحد؟»

«أجل. باربرا ستينهاوزر. بحق المسيح، إيلين».

فكرت إيلين، يا إلهي! لقد كان أمر مدير المخابرات الوطنية سيئًا بحد ذاته لكن مديرة مكتب الرئيس أيضًا؟

«لماذا ستأخذها وتصورها وترسلها إليكِ؟» سألت بيتسي.

«أيًا كان من أخذها فقد أرسلها إلى شاه. لقد وضعها في باقة من زهور البازلاء الجميلة على متن الطائرة».

«الزهور التي كان يحب كوين أن يرسلها إليكِ. على أنها تحذير؟»

«ليس تحذيرًا بل استهزاء. يريدني أن أعرف أنه قريب. قريب جدًا حتى أنه يستطيع أن يفعل أي شيء يحلو له. أن يصل إليّ في أي مكان».

«لكنهم يحتاجون إلى شخص في فرانكفورت. شخص مسموح له بدخول طائرتكِ».

«أعرف».

قد يكون أي أحد. أحد أعضاء فريقها الأمني. أو إحدى المضيفات. وحتى الطيار نفسه. أو... نظرت إيلين نحو الباب المغلق، مدير مكتبها. تشارلز بوينتون الذي بالكاد يلاحظ أي أحد وجوده.

«يا إلهي»! قالت بيتسي. «لو أن ستينهاوزر... هل ذلك يعني أن وليامز...؟»

«لا»، قالت إيلين. «أعتقد أنه أشياء كثيرة لكنه ليس شخصًا يتواطأ مع بشير شاه. ما أعرفه هو أننا نحتاج إلى الوضوح. نحن حتى الآن نشك في الجميع. يجب أن يتوقف ذلك».

«أتفق معكِ، لكن ماذا نفعل؟»

«مجددًا، نحتاج إلى حقائق وأدلة ومعلومات. هل أنتِ متيقنة أن لا أحد سوى باربرا قد دخل مكتبي؟»

«أنا متيقنة...» قالت بيتسي قبل أن تتابع، «لنفترض أن شخصًا قد دخل مكتبكِ عندما أتيتُ إلى هنا للقاء اللواء وايتهيد. هذا يعني أنه يعرف أنكِ وراء بيتشام».

«ويعني أنه يعرف أنكِ هناك للبحث عنه». قالت إيلين.

شعرت إيلين بسكون وهدوء تامّين يغمرانها.

كانت إيلين مثل معظم النساء، وبخلاف الخرافات السائدة، جيدة في الأزمات. وكانت هذه أزمة.

«وهو ما يعني أيضًا أن الوقت محدود. لا بد أنهم يحاولون أن يقرروا ماذا سيفعلون بخصوص ذلك. هل عثرت على أي شيء بعد؟»

«لا، ليس بعد. لذلك أنا هنا».

«في الحانة؟»

«مع كأس زنجبيل...»

«وكرز مارشينو؟» سألت إيلين.

«هذا هو الجزء الأفضل». قال بيتسي قبل أن تكتسي نبرة صوتها بالجدية. «استمعي إلي يا إيلين، في أثناء وجودي هنا بعد ظهر اليوم، لمحت بيت هاملتون».

«السكرتير الصحفي السابق لدَن؟»

«أجل».

«كان شابًا ومثاليًا وجذابًا إلى حد كبير»، قالت إيلين. «لقد أبلى بلاء حسنًا في بيع الرأي العام أكاذيب دَن».

«كان مُقنعًا بشدة». أيدتها بيتسي. «غالبًا لأنه آمَن حقًا بما يقول. كان مروج الأكاذيب أول زبائنه».

لإقناع الآخرين، عليك أن تقتنع أولًا.

كان ذلك شيئًا تردده على مسامع كل صحافي ناشئ تعينه إمبراطوريتها الإعلامية، مع نصيحة للراهبة البوذية ثوبتن شودرون، «لا تصدق كل ما تعتقد».

«كان هاملتون يقوم بعمل رائع»، قالت إيلين. «حتى حل محله نجل دَن».

«ذلك المعتوه». قالت بيتسي. «هل أعلنوا لماذا تخلصوا من هاملتون؟»

«لم يُبرَّر الأمر قط، لكن الشائعات انتشرت أنه يعاني إدمانَ الكحول. ولا يمكن الوثوق به للحفاظ على أسرار الدولة. لماذا ترغبين في لقائه؟»

«لأنني أحتاج إلى شخص من داخل إدارة دَن. شخص يستطيع أن يساعدنا في الوصول إلى المعلومات التي نحتاج إليها. الجميع خائف من أن يتحدث لكن هاملتون ربما يتكلم».

«من الصعب الوثوق بكلام مدمن حانق. لكن ربما هو أحسن حالًا الآن».

تذكرت بيتسي الصوت الشرس والهادر الذي صدر عنه، والرجال والنساء يبتعدون عنه.

«ربما لا»، قالت بيتسي. «لا أحتاج إلى شخص مفوَّهٍ أستشهدُ بكلامه. أحتاج إلى شخص يقدم لنا الدليل الذي نحتاج إليه. كما أنني الآن مهووسة بأن أكتشف ما ترمز إليه التاء في «تيموثي ت. بيتشام»»

«أرجوكِ، لا تعودي لذلك فحسب».

ضحكت بيتسي فشاركتها إيلين الضحك.

لم تعتقد أنها ستضحك بعد اليوم الذي مرت به لكن بيتسي تستطيع دائمًا أن تُبهجها.

«كوني حذرة»، قالت إيلين. «لقد قلتِ أن اللواء وايتهيد قد جعل ضابطة صاعقة تتواصل معكِ، صحيح؟ اتصلي بها. لو أن شاه قد قرأ ملاحظتي لكِ، فهو يعرف أنكِ وراء بيتشام. وفي حالة أنك اقتربت من الحقيقة...» صمتت إيلين. كان التفكير في الأمر صعبًا لكن عليها أن تفعل ذلك. «لن يفاجئني لو أنه...»

«أذاني؟»

«أرجوكِ، اتصلي بها من أجل راحة بالي. لم يتبق منها سوى القليل».

«حسنًا، سأفعل. لكنني أريد التواصل مع هذا المدعو بيت هاملتون أولًا. لا أحتاج إلى ضابطة صاعقة حتى تُخيفه. هل أنتِ في طريقكِ إلى عُمان؟»

«أجل».

«انقلي محبتي إلى كاثرين. أتمنى أنها قد تركت واقي رعاة البقر الجلدي وراءها».

ضحكت إيلين ثانية ثم فكرت مليًا. لقد اعتقدت أن ابنتها تمزح لكن ربما...

«أوه، إيلين؟»

«ماذا؟»

«كوني حذرة».

أغلقت إيلين الخط، ونظرت إلى زهور البازلاء الجميلة. غاية في الرقة وألوانها مُبهجة ورائحتها عذبة. ذكَّرتها دائمًا بحنان كوين. التقطت الباقة، وهمت بإلقائها في سلة القمامة لكنها توقفت، ووضعتها فوق مكتبها.

لن يأخذ شاه ذلك منها.

ولا تدعه يا إلهي العزيز، يأخذ بيتسي مني.

***

«أجل، ذلك كان هو». قال البارمان ردًا على سؤال بيتسي. «بيت هاملتون. يأتي مرة كل أسبوعين تقريبًا في حال...»

«في حال ماذا؟»

«في حال أراد أي أحد حقًا الحديث معه. أو توظيفه».

«هل يفعل أي أحد؟»

«لا، أبدًا». تأملها البارمان، هذه المرأة التي تشبه والدة بيفر.

«إذًا فقد غادر؟»

«لقد طلبت منه الرحيل. كان ثملًا أو مُخدَّرًا حين وصل. وبدأ يتحرش ببعض الزبائن لذا طُرِد من المكان». تفحصها مليًا. «لماذا تبحثين عنه؟»

«أنا عمته. لقد فقدت عائلته أثره بعد مغادرته البيت الأبيض. أمه مريضة، وأحتاج إلى الحديث إليه. هل تعرف أين يعيش؟»

«لا، ليس بالضبط. أعتقد في مكان ما في دانوود. لو كنت مكانكِ فلن أذهب إلى هناك الآن، ليس وقد حل الظلام».

دفعت بيتسي حساب مشروب بيرة الزنجبيل الخالي من السكر وجمعت أغراضها.

«لسوء الحظ والدته مريضة بشدة. أحتاج إلى أن أعثر عليه بسرعة».

لحق بها البارمان عند الباب.

«أنصتي إليّ، يجب أن لا تتسكعي بهذه الطريقة في أنحاء الحي». أعطاها بطاقة. «ترك هذه قبل أشهر قليلة في حال احتاج أحدهم إلى خبير في العلاقات العامة».

نظرت بيتسي إلى قصاصة الورق القذرة. من الواضح أنها طُبِعت باستخدام كومبيوتره المنزلي.

«شكرًا لكَ».

«لو قابلتِه، فأخبريه بأن لا يعود إلى هنا. الأمر مُحرِج فحسب».

***

توقفت سيارة التاكسي أمام العنوان.

تقع دانوود في شمال شرق واشنطن العاصمة على مبعدة عشرين دقيقة، وتختلف كل الاختلاف عن فندق هاي آدمز والبيت الأبيض.

وقفت بيتسي أمام باب المبنى السكني. لم يكن هنالك جرس؛ مجرد ثقب في المكان الذي ربما كان يوجد جرس فيه ذات يوم. جربت الباب. كان المقبض مكسورًا، وقد تُرك غير مُقفَل. ما إن دخلت، حتى استقبلت بيتسي رائحة تكاد تستطيع رؤيتها. فكرت أنها مزيجٌ من رائحة بول وبراز وطعام مُتَعفن وشيء أو شخص يتحلل.

صعدت السلالم المتهالكة.

***

الفصل الثاني والعشرون

«اغربي عن وجهي».

قربت بيتسي منديلًا من وجهها في محاولة لأن تصدَّ الروائح.

«السيد هاملتون؟»

صمت.

«بيت هاملتون؟ أنا ...» نظرت إلى البطاقة القذرة في يدها. «أحتاج إلى خبير في العلاقات العامة.

«في منتصف الليل؟! اغربي عن وجهي!»

«إنها حالة طارئة».

صمت آخر. ثم صرير مقعد فوق الخشب.

«كيف عثرتِ عليّ؟» كان الصوت الآن على الجانب الآخر من الباب مباشرة.

«لقد حصلت على عنوانكَ من بارمان حانة «أوف ذا ريكورد». لقد لمحتك هناك اليوم».

«من أنتِ؟»

تساءلت بيتسي في الطريق إلى هنا، كيف ستجيب عن هذا السؤال.

«اسمي إليزابيث جيمسون. يدعونني أصدقائي، «بيتسي»».

إذا أرادت واحتاجت إلى صراحته، فيجب أن تكون صريحة بدورها. لا شيء جيد يبدأ بكذبة.

سمعت قفلًا، قفلين، ثم ثلاثة أقفال تُدار ثم ترباسًا يُسحب، والباب المتداعي يتمايل مفتوحًا. هيأت بيتسي نفسها من أجل

موجة كريهة من الروائح. مع هذا أدركت بعد استنشاق الهواء مرات عدة أن المكان لا تفوح منه رائحة. أو تفوح منه بالتحديد رائحة ما بعد حلاقة الذقن. رائحة طفيفة لذكورية سارة. ورائحة خبيز أيضًا. بسكويت رقائق الشوكولاتة على وجه الخصوص.

توقعت أن يكون الرجل الواقف أمامها زائغ العينين وملطخًا بالقيء ويرتدي لباسًا تحتيًا قذرًا ومترهلًا. أعدت نفسها لذلك. في الحقيقة معظم طفولتها قد أعدتها لذلك.

مع هذا لم تكن بيتسي جيمسون مستعدة لهذا الذي رأته.

لقد وقف بِيت هاملتون أمامها بذقن حليقة، وعينين صافيتين، ومرتديًا كنزة صوفية يبدو أنها قد كُوِيت. شعره الأسود لا يزال مبللًا من الاستحمام. كان أطول منها قليلًا وتعلو جسمه طبقة من الدهون. ليست سميكة لكن ملساء. بدا بوجهه الريان كأن الطفل غيربر[48] قد تجسد داخل الشقة.

«أنتِ المستشارة؟»

«أجل. وأنت السكرتير الصحفي الأسبق».

تنحى جانبًا. «تفضلي بالدخول».

انفتح الباب على حجرة معيشة صغيرة، جدرانها مطلية بلون أزرق مائل للرمادي مُهدئ للأعصاب. بدا أن الأرضية الخشبية قد صُقِلت وأُعيد طلاؤها. توجد أريكة يمكن فردها لتصنع سريرًا، وما بدا أنه مقعد مريح بذراعين. فوق طاولة بجوار النافذة كومبيوتر محمول وأوراق بالإضافة إلى كأس ماء وقطعة بسكويت. ويوجد مطبخ صغير في إحدى الزوايا.

48- الطفل غيربر: العلامة التجارية لمنتجات غيربر للأطفال، وهو طفل ممتلئ الوجه وفاغر الفم. (المترجم).

في الثواني القليلة التي استغرقتها بيتسي لاستيعاب المكان، سمعت صوت الأقفال تُعاد إلى مكانها.

«ماذا تريدين؟» سأل. «يمكنني أن أخمن أنكِ لا تريدين خبير علاقات عامة».

«حسنًا، أجل، لا أريد خبير علاقات عامة. لأكن أكثر تحديدًا، أحتاج إليكَ».

حدق إليها، وابتسم.

«دعيني أخمن. هذا له علاقة بتفجيرات الحافلة». مال رأسه. «لا تشتبهون فيّ، أليس كذلك؟»

ابتسم لها الابتسامة الملائكية نفسها التي استغلها أحسن استغلال وهو فوق المنصة، يبيع أكاذيب دَن. كانت ابتسامة مُخدّرة؛ تجرد المرء من دفاعاته. صارعت بيتسي للمحافظة على دفاعاتها لكن مع الوجه الملكي ورائحة رقائق الشوكولاتة، كانت معركة خشيت بيتسي أنها لن تستطيع أن تربحها. ثم تذكرت وجوه العائلات في فرانكفورت، فظلت دفاعاتها في مكانها.

«أعتقد أنكَ تستطيع مساعدتي، سيد هاملتون».

«لماذا سأرغب في ذلك».

«نظرت حولها في أرجاء الشقة ثم استقرت عينيها على عينيه.

«تعتقدين أنني أكره المكان هنا، وأتوق إلى الهروب». قال. «قد لا يبدو ذلك كثيرًا لكنه بيت. وهذا فعليًا مجتمع من أناس مفلسين غير أنهم محترمون. يناسبني المكان على أكمل وجه».

«لكن من اللطيف أن تمتلك خيارًا، أليس كذلك؟ أعتقد أن ذلك ما تتوق إليه. ألا نتوق جميعًا إلى ذلك. يمكنك أن تختار

الحياة هنا لا أن تكون مضطرًا إلى ذلك. كما قلتُ، فقد لمحتك بعد ظهر اليوم في «أوف ذا ريكورد». لقد بدوت غائبًا عن الوعي. مشوشًا ومثيرًا للشفقة».

«تحتاجين حقًا إلى خبير علاقات عامة». قال فابتسمت.

«لماذا التظاهر؟»

لم يُجب.

مشت بيتسي حتى الطاولة، ونظرت إلى الأوراق بجانب كمبيوتره. حصلت على لمحة سريعة فقط قبل أن يفرد يده فوقها.

«أرجوكِ، ارحلي».

«أنتَ تكتب كتابًا عن دَن».

«لا. أرجوكِ، ارحلي. لا أستطيع مساعدتكِ».

تلاقت نظراتها عينيه الداكنتين. «لا يناسبك هذا المكان على الإطلاق».

شخر بامتعاض.

«أنتم -الديمقراطيين النخبويين- متشابهون جميعًا. تتظاهرون بالاهتمام بالمطحونين مع أنكم تمقتونهم في الحقيقة».

رفعت حاجبيها.

«لقد أسأت فهمي. لقد قلتَ إن جيرانك محترمون. لهذا لا تناسبك الحياة هنا. أنت غير مُحترَم. وأنا أعرض عليكَ فرصة لتساعد في اكتشاف هوية المسؤولين عن التفجيرات. وربما منع آخر. مع هذا كل ما تهتم به هو كتابك وانتقامك».

«ليس انتقامًا بل عدالة. لا أكتب كتابًا. أنا أحاول العثور على دليل. برهان».

«على ماذا؟»

«على ما ارتكبوه في حقي. وعلى من فعل ذلك بي»

***

«سيدتي الوزيرة؟» وقف تشارلز بوينتون داخل كابينة الطائرة إير فورس 3. «إنهم في طهران بالفعل. يحتاجون فقط إلى إذنكِ بالتحرك. هل تريدينني أن أتصل بالسيد بيتشام؟»

«لا، لن يكون ذلك ضروريًا».

«لكن..»

«شكرًا لك، تشارلز. هل يمكنك أن تطلب من الآنسة ضاهر وكاثرين الدخول؟»

التقطت الوزيرة آدمز الهاتف الآمن بعد رحيله.

كانت العميلة على الأرض في طهران متفاجئة بوضوح لسماع صوت وزيرة الخارجية الأمريكية.

«أنتما في الموقع المحدد؟» سألت.

«أجل، سيدتي الوزيرة. نستطيع رؤية بيت عائلة أحمدي. ينبغي أن تُغادر من أجل المحاضرات في الجامعة في أي وقت الآن».

«أواثقان من أن الأمن الإيراني لا يتتبعكما؟»

أطلقت المرأة على الجانب الآخر من الخط ضحكة ناعمة.

«متأكدان جدًا. ولذلك نحتاج إلى التحرك بسرعة. كلما طال انتظارنا، زادت فرصة أن يكتشفوا أمرنا».

سكتت إيلين، وهي تفكر في سكوت كارجيل وعميلة المخابرات الأخرى اللذين قُتلا رميًا بالرصاص قبل ساعات قليلة في باد

كوتستينغ. كم كان هـؤلاء الأشـخاص شـجعانًا فـي حيـن تُحلق هـي فـوق كل هـذا، مـع فنجـان قهـوة ومعجنـات وشـذا زهـور البـازلاء الجميلـة.

«افعلي ذلك. ليباركِ الله».

«إن شاء الله». قالت.

***

«هل يمكنني استعمال حمامكَ؟» قالت بيتسي.

مـا إن رجعـت حتـى وجدتـه فـي المطبـخ، يسـخن غلايـة شـاي، والبسـكويت موضـوع فـوق طبـق علـى منضـدة المطبـخ. أومـأ نحوهـا. فعلـت مـا أخبرهـا بـه بـأن حملـت الطبـق، وأخـذت قطعـة بسـكويت فـي أثنـاء سيرها إلـى المقعـد ذي الذراعيـن. كان هاملتـون قـد حـول السـرير إلـى أريكـة.

«هـلا صببتُ لـكِ الشـاي؟» سـألها مـا إن انضـم إليهـا، مشـيرًا إلـى غلايـة الشـاي. قـال وهـو يناولهـا فنجانهـا. «هـل وجـدتِ مـا تبحثيـن عنـه فـي الحمـام».

«في الحقيقة». أخذت الفنجان منه. «لم أجده».

لـم تجـد أي أدويـة سـوى الإسـبرين. لـم يفاجئهـا ذلـك. لـم يكـن هـذا الرجـلُ المدمـنَ السـكيرَ الـذي أراد النـاس أن يعتقـدوا أنـه هـو.

«أحتـاج إلـى شـخص مُطلِـع، سـيد هاملتـون. شـخص يعـرف أشـياء ويسـتطيع اكتشـافها. شـخص مسـتعد للكلام».

«عن تفجيرات الحافلة؟ لا أعرف أي شيء عنها».

«عن الأسرار الصغيرة القذرة لإدارة دَن».

قُوبِل ذلك بالصمت.

«لماذا سأفعل ذلك؟» قال أخيرًا.

«لأنك تحاول التنقيب عنها بنفسكَ».

«لا، أنا أحاول فقط العثور على دليلي الخاص».

«هل يمكنني؟ إنها شهية». قالت، وهي تومئ نحو البسكويت.

«أتودين سندويتشًا؟ هل أنتِ جائعة؟»

ابتسمت.

«لا، أنا على ما يرام. مع هذا، شكرًا». مالت باتجاهه، وسألته بغتة. «ماذا فعلوا بك؟»

لم ينبس بكلمة فقررت أن تساعده.

«لقد أقالوك دون سبب، لذا كان عليهم اختراعُ واحد. لقد لفقوا إيميلات ورسائل؛ شيئًا يُظهر أنك مُدمن». كانت تراقبه، وهي تتحدث.

خفض عينيه. فكرت، لا، ثمة المزيد. *لأن لدي المزيد*.

«وتسربت إشاعة أنك كنت تتاجر في المخدرات».

رفع عينيه، واستنشق نفسًا عميقًا طويلًا. «لم أفعل».

«لكنك كنت تتعاطى المخدرات؟»

«من لم يفعل ذلك؟ كنتُ طفلًا، وكانت المارتيني خاصتنا. لكنني لم...»

«تستنشقها؟»

ابتسم.

«لم أتاجر فيها. ما كنتُ لأفعل ذلك قطّ. ولم أتعاطَ شيئًا أقوى من الحشيش. مع هذا صوروا الأمر كأنني شخص عبثت المخدرات بقواه العقلية، وبات خطِرًا على الإدارة، أنني ربما

سوف أبيع أسرارًا لأنفق على عادتي الذميمة. أنني خطر على الأمن القومي».

عيناه تتوسلان إليها. لا، ليس هي. أدركت أنه ينظر إليها لكنه يرى من يتهمونه في اجتماع مُغلق وهم يضعون الدليل الدامغ الذي يُدينه أمامه. صدمته. وإنكاره. وتوسله. ودموعه. يجب أن يُصدقوه. والشيء المؤسف أنهم صدقوه.

«لماذا فعلوا ذلك بك؟» سألته.

أحضر كومبيوتره المحمول، وضغط على بعض المفاتيح ليفتح ملفًا مصحوبًا بصورة.

«ذلك أكثر شيء عثرت عليه يُمكن اعتباره سببًا. لقد تسرب قبل ثلاثة أيام من إقالتي».

كان تقريرًا صحفيًا. لا ليس تقريرًا، بل عمود شائعات سياسي يتناول الأحداث في واشنطن العاصمة. تعرض الصورة بيت هاملتون وهو يبدو أصغر بكثير من الشاب الجالس أمامها. كان يضحك مع بعض مراسلي البيت الأبيض. كانوا في «أوف ذا ريكورد». العنوان أسفلها يقول: *«بيت هاملتون، السكرتير الصحفي للبيت الأبيض، ومن الوضح أنه يستمتع بالمزحة»*.

رفعت بيتسي عينيها. «ذلك هو الأمر؟ لقد أقالوك بسبب لقائك بالمراسلين؟ أليس ذلك ما يُفترض أن تفعله».

«الولاء كان أهم شيء في البيت الأبيض. أي أحد يبدو كأنه يوجه نقدًا للإدارة كان مصيره الإقالة».

«لكنك تضحك فحسب. ربما كنت تضحك على أي شيء».

«ذلك ليس مهمًا. أولئك صحافيون من السي. إن. إن، اعتقد الرئيس أنني كنتُ أضحك على مزحة عنه. لقد غُرِست البذور. والعشب ينمو سريعًا. كان عليّ الرحيل».

«ترحل، حسنًا، كحد أقصى. لكنهم صوروك كما لو أنكَ تهديد للأمن القومي. تاجر مخدرات. لقد دمروك».

«حتى أكون أمثولة. حدث ذلك في وقت مبكر من مدة ولاية الإدارة، واحتاجوا إلى أن يُظهِروا للجميع ماذا سيحدث لأي أحد قد يشكوا حتى في أنه خائن. أنا محظوظ لأنهم لم يضعوا رأسي فوق خازوق».

«ربما فعلوا ذلك حقًا. لقد أصبحت شخصًا لا يمكن لأي أحد أن يوافق على توظيفه».

«أجل. لم يُصدِروا بيانًا قطّ، يتهمونني فيه علانية، لا شيء أستطيع الدفاع عن نفسي ضده أو أرفع دعوى قضائية بموجبه».

«هم؟ إيريك دَن؟»

يمكنها أن تلاحظ تردده.

«لا أتمنى هذا لكنني لا أعرف. الكثير من الأشياء حدثت في تلك الإدارة، ولم يكن دَن يعرف أي شيء عنها».

«والآن؟» نظرت إلى الطاولة والملفات. «أنت تحاول أن تُبرّئ اسمكَ. أن تجد دليلًا يثبت أن كل هذا كان مُلفَّقًا».

«لقد استغرقت وقتًا طويلًا حتى أصبح غاضبًا إلى هذا الحد. كنتُ مصدومًا في بادئ الأمر. ثم اعتقدت حقًا أنني أستحق ما حصل لي. لقد آمنت بإيريك دَن. بأهداف الإدارة. لكن مع مرور الشهور والسنوات، ورؤيتي الدمار الذي ألحقوه بي، غضبت».

«لديك فتيل طويل جدًا».

«متصلًا بقنبلة ضخمة».

«وماذا كان ذلك الأداء التمثيلي في «أوف ذا ريكورد» اليوم؟ لقد كنت تتظاهر أنك ثمل أو غائب عن الوعي. لماذا؟»

«تحتاجين إلى إخباري لماذا أنتِ هنا، سيدة جيمسون. وتحتاجين إلى أن تعرفي أنني -مهما حدث لي- مُحافِظ على مبادئه ومُخلص لها. ربما لم أعد من أشد المعجبين بدَن، لكنني أعتقد أن رجلكم أحمق».

فاجأته بيتسي بضحكة.

«لو أنك لا تزال تتابع السياسة، فلا بد أنك تعرف أنني ولا الوزيرة آدمز سنعترض على رأيك هذا». ثم أصبحت جادة. «رجلنا قد يكون أحمق لكنه على الأقل ليس خطِرًا».

«رئيس أحمق، بطبيعة الحال، خطِر».

«ما قصدته أنه لا يخطط بشكل صريح لأن يُطيح بالحكومة عن طريق مساعدته في دعم وربما حتى تسليح الإرهابيين. تسأل ماذا أفعل هنا؟ نعتقد أن إيريك دَن أو الأشخاص الموالين له متورطون في تفجيرات الحافلة، وما سيأتي بعد ذلك».

حدق بيت هاملتون إليها. فكرت أنه ربما كان مدهوشًا لكنه ليس مصدومًا.

«وما الذي يدفعك إلى أن تعتقدي ذلك؟»

«لأنه سمح بإطلاق سراح بشير شاه، الباكستاني...»

«أعرف من هو. هل خرج من إقامته الجبرية؟»

«واختفى».

«تعتقدون أن شاه وراء التفجيرات؟»

«لا، لم يُعلَن ذلك للعامة بعد. لكن عالم فيزياء نووية باكستاني جنده شاه للعمل لصالحه كان على متن كل حافلة تعرضت للتفجير».

رؤية وجهه في تلك اللحظة كان غريبًا. لا يزال يبدو ملائكيًا غير أنه ملاك قد ابتلع وحشًا.

«ماذا تعرف؟» سألته. «لا بد أنك تعرف شيئًا. أنك سمعت شيئًا».

«سألتني لماذا أذهب إلى «أوف ذا ريكورد»، وأتظاهر أنني ثمل. أذهب إلى هناك حتى أُثبِت لهم أنني لا أشكل تهديدًا، أنني ضائع إلى الآن حتى لا يحتاج أي أحد أن يقلق مني. وهم لا يفعلون. لذا أجلس بعينين زائغتين كالزجاج، وأتمتم إلى نفسي فيما يتبادلون أطراف الحديث. أسمع أشياء. لو أنهم سيجعلونني شخصًا تافهًا ثملًا، فربما أستغلُّ ذلك الوضع».

نظرت بيتسي إلى هذا الرجل الطفل، وأدركت أنها قد تكون في حضرة «موتسارت» العصر الحديث. عبقري صغير.

«وماذا سمعت؟»

«همسات. الناس لا يكفون عن التآمر والتهويل في واشنطن العاصمة. يعدون دائمًا وعودًا ضخمة لكن هذه الهمسات مختلفة. هادئة. لا تحوي أيًا من الهراء السياسي المعتاد ومحاولات الإبهار والتفاخر المتحذلقة. لقد حاولت أن أكتشف الحقيقة لكن مشكلتي أنني أعرف أين أنظر وكيف أنظر. لقد قضيت سنوات أستمع وأستمع إلى أشياء. أعرف أين يخبئون سجلاتهم السرية. لكن ما

لا أعرفه هو كيف أصل إليها. لا يمكنني اختراق الأمن السيبراني للبيت الأبيض».

ابتسمت بيتسي.

***

غادرت زهرة أحمدي بيتها بعد السابعة صباحًا بمدة وجيزة من أجل تمشية قصيرة إلى جامعة طهران. يؤطر حدود وجهها حجاب وردي اللون، ويمتد فوق جسمها حتى قدميها.

ارتدت أمها الأسود دائمًا، وأصر والدها أن ترتدي بناته الحجاب الأسود أيضًا احترامًا لزوجته. لكن ما إن صارت في عشرينياتها والتحقت بالجامعة، حتى انغمست زهرة التي تُحب أباها في حالة من التمرد الشخصي.

كان حجابها فاتح اللون ومُبهجًا لأن الإسلام -كما شرحت لأبيها- يجعلها سعيدة. والله يجلب لها الحبور والسلام. مع أن أباها يستطيع أن يرى صحة ذلك لكنه لم يعبر عن استحسانه أو موافقته. خشي أحمدي من أن ابنته التي يحبها، تفتقد الاحترام المناسب والتبجيل والرهبة من إلههم. ومن حكومتهم أيضًا. يعرف ما بوسع كل منهما أن يفعل إذا غضب.

أصبحت زهرة أحمدي في أثناء مشيها في الطريق المألوف واعية بوجود شخص وراءها. شاهدت في نافذة متجر أنه ليس شخصًا واحدًا، بل اثنان. رجل وامرأة. يرتدي كلاهما أسود غامقًا، والمرأة قد تلفعت ببرقع كامل.

تعرف زهرة عملاء الڤاجا، أفراد جهاز المخابرات السرية الإيرانية ما إن تقع عيناها عليهم. دأبوا على زيارة منزلها

وأبيها طيلة حياتها. يجلسون في مكتبه الفوضوي ويستجوبونه.. ويأمرونه. تقبَّل كل هذا وفعل ما يؤمر به. ليس لأنه مُجبَر، بل لأنه يريد ذلك.

لم تخف يومًا من هؤلاء البشر. تراهم زهرة كما يراهم أبوها. تفرعات لحكومة عازمة على حماية مواطنيها من عالم عدائي. لكنها باتت تعرف الآن أن ذلك غير حقيقي. منذ تلك الزيارة الأخيرة. المحادثة الأخيرة التي انجرفت عبر فتحة الهواء إلى حجرتها.

أسرعت الخطى.

الشوارع خالية باستثناء بعض الباعة المتجولين الذين بدؤوا يُخرِجون بضاعتهم. أسرع الرجل والمرأة بدورهما، خطوات أقدامهما تقترب. هرولت فهرولا. اندفعت راكضة. ركضا وراءها. تقلصت المسافة. كلما زادت من سرعتها، نما الرعب بداخلها. اعتقدت دائمًا أنها شجاعة. لكنها أدركت للتو أنها كانت ساذجة.

اندفعت زهرة في الزقاق حتى خرجت من النهاية الأخرى. عباءتها الوردية اللامعة والمُبهجة ترفرف وراءها، تُميزها. وتجعل اختفاءها عن الأنظار مستحيلًا.

«توقفي». صاحت المرأة. «لا نريد إيذاءك».

بالطبع، ماذا سيقولان غير ذلك؟ *توقفي حتى نستطيع قتلكِ؟ تعذيبكِ؟ إخفاءكِ؟*

لم تتوقف زهرة لكن ما إن استدارت عند الزاوية التالية حتى اصطدمت بالرجل. في الواقع ارتطمت به ارتطامًا قويًا حتى أنها قد تعثرت إلى الوراء، وكادت تسقط لولا أن التقطتها المرأة القادمة من الخلف بين ذراعيها.

قاومت زهرة لكن الرجل أحكم قبضته حولها، ووضع يده الأخرى فوق فمها. مدت المرأة يدها داخل جيب برقعها.

«لا»، حاولت أن تترجاهما. صوتها خافت بسبب اليد فوق فمها. «لا، لا تفعلا». لامس شيء وجهها.

«زهرة؟» أتى صوت.

توقفت زهرة عن التلوي ببطء، وحدقت إلى الهاتف المحمول بذهول؛ فالصوت تكلم إليها بفارسية ذات لكنة غربية. كان صوت امرأة شابة. صوت أمريكي.

«أنا آناهيتا. ابنة عمكِ. هذان الشخصان هنا لمساعدتكِ».

***

في مكتب الطائرة إير فورس ٣ التي تُحلق باتجاه عُمان، راحت الوزيرة آدمز ومترجم وكاثرين وآناهيتا يحدقون جميعًا إلى الهاتف فوق المكتب.

في انتظار رد.

الثواني تمضي بصوت مسموع.

«آناهيتا؟» أتى الرد بصوت رقيق جدًا.

تبادل الأشخاص المجتمعون النظرات، وابتسموا بارتياح.

«كيف أعرف أنها أنتِ؟»

كانوا متأهبين لهذا السؤال. طلبوا من عرفان ضاهر تحسبًا لذلك، أن يخبر ابنته بشيء لا يعرفه سواه وأخيه الأصغر.

أومأت إيلين إلى آناهيتا.

«كان أبي يدعو أباكِ بـ«التافه الصغير»، وكان أبوكِ يدعو أبي بـ«الأحمق» لأنه لم يدرس الفيزياء، والتحق بكلية الاقتصاد».

انطلقت آهة قصيرة من الارتياح مشوبة بالبهجة حتى من فم المتحدثة.

«هذا صحيح. أدعو الآن أختي الصغرى بذلك. إنها تدرس المسرح».

«لدي ابنة عم أخرى؟!» سألت آناهيتا، وهي تحدق إلى الصندوق الصغير فوق المكتب كما لو أنه يحوي عائلتها التي اشتاقت إليهم طيلة حياتها.

«لدي أخ أيضًا. إنه تافه حقًا».

ضحكت آناهيتا.

رسمت إيلين دائرة سريعة بإصبعها في الهواء. الوقت ضيق.

أومأت آناهيتا.

«لقد وصلتني رسالتكِ لكنني لم أستطع إيقاف التفجيرات. استمعي إليّ. هذان الشخصان هناك لمساعدتكِ إنْ وقعت في مشكلة. يمُكنهما إخراجكِ منها».

«لكنني لا أريد الرحيل. إيران وطني. لقد فعلت ذلك لمساعدة إيران، وليس لإيذائها. قتل الأبرياء ليس الوسيلة للتقدم».

«نعم، حسنًا، لكنكِ لا ترغبين في أن ينتهي بكِ الأمر بين يدي الشرطة السرية. أنصتي، يجب أن نعرف كيف علم والدكِ بأمر علماء الفيزياء. هل تعرفين بأمر بشير شاه؟ إلى ماذا يخطط؟ لو...»

قاطعتها صرخة. صوت عراك. ثم انقطع الخط.

الفصل الثالث والعشرون

«عذرًا، سيدتي الوزيرة»، قال وزير الخارجية الإيراني. «تفجيرات الحافلات؟ ليس لدي أدنى فكرة عما تتحدثين».

«كلامك يفاجئني، وزير عزيز. ألا يأتمنك الرئيس نصري على أسراره؟»

كانا يجلسان في حجرة استقبال ضخمة، وقد التقاهما السلطان بنفسه عند مدخل القصر.

قاد السلطان، رجل طويل وكريم، إيلين إلى الحجرة المطلة على خليج عمان، وهو يحادثها محادثة لبقة عن الفن والثقافة العُمانية في الطريق إلى هناك.

ثم تركهما بمفردهما.

كانت الحجرة مغطاة من الأرضية حتى السقف برخام أبيض يكاد يغشي الأبصار. تكاد إيلين تستطيع رؤية إيران عبر المياه خارج الأبواب المزدوجة التي تُفضي إلى شرفة واسعة. كان بوسع وزير الخارجية الإيراني القدوم إلى اللقاء مُبحرًا إن أراد ذلك.

ما إن مالت الوزيرة إيلين إلى الأمام حتى تراجع عزيز بجسمه. فعلت إيلين حتى تلك اللحظة كل شيء نصحها به الملحقون الثقافيون. لا تلامس عند لقاء وزير الخارجية الإيراني. استخدام لقبه الرسمي. وأن يكون شعرها مُغطى بوشاح رأس مُحتشم. وأخبروها بأن عليها أن لا تعطيه ظهرها، ولا تتفقد الوقت. ومئة تفصيل آخر صغير قد يتسبب في شعوره بالإهانة.

مع أنها قد تجنبت إهانته بكل تأكيد والتزمت كل تلك الأشياء، فإنها لم تصل إلى أي شيء. ومع أنها لا ترغب في التسبب بأي ضرر إضافي لعلاقة مُحتضرة على جهاز الإنعاش، غير أنها لا تمتلك أيضًا وقتًا للتظاهر.

«يمكنني أن أؤكد لكِ أنه إذا كان ثمة شيء أحتاج إلى أن أعرفه»، قال، «لكنتُ قد عرفته».

قيل كل هذا من خلال مترجم.

سألت إيلين الوزير الإيراني سابقًا إذا كان بوسعها مشاركته ما لدى أمريكا من معلومات.

«هذا فعل ينم عن الكثير من الثقة، سيدتي الوزيرة»، قال لها وزير الخارجية عزيز بإنجليزية متقنة في أثناء محادثتهما الهاتفية.

«ألا تعتقد أنه ربما ثمة احتمال أن مترجمك قد أخطأ في التعبير عن كلامي؟» قالت بصوت يعج بالدهشة.

«لو فعل ذلك، فسوف أجعل الصقور تُمزق لسانه. أذلك ما تقوله صحافتكم عنا؟ أننا برابرة؟»

«حقائقنا الخاطئة»، اعترفت إيلين. «ثمة الكثير الذي لا نعرفه فعليًا عن ثقافة وواقع بلد كل منا. ربما حان الوقت للصراحة». صمتت قبل أن تُضيف، «والشفافية».

عرف كلاهما المغزى من وراء ذلك.

كانا يجلسان متقابلين، وأشعة الشمس تلمع، منعكسة عن المحيط الهائل للرخام الأبيض لقصر العلم، وميناء السلطان قابوس يمتد أمامهما.

لـم تخبـره الوزيـرة إيليـن بالطبـع أن المعاونـة الشـابة وراءهـا تتحـدث الفارسـية. أمـرت إيليـن آناهيتـا أن لا تتفـوه بكلمـة، وأن لا تقـول بـكل تأكيـد أي شـيء بالفارسـية. أن تسـتمع فقـط، وتُعلمهـا لاحقًـا مـاذا قـال وزيـر الخارجيـة حقًـا.

تأمـل عزيـز آناهيتـا عندمـا وقعـت عينـاه عليهـا أول مـرة، ثـم تحـدث إليها بالفارسية، وهـو يسـألها مـن أيـن هـي. بـدا وجـه آناهيتـا جامـدًا. ابتسـم عزيـز لهـا. لـم تكـن إيليـن متأكـدة إذا كان قـد اقتنـع لكـن مـع تواصـل اللقـاء، اسـتطاعت أن تلاحـظ أنـه قـد نسـي وجـود آناهيتـا وتشـارلز بوينتـون الجالسـين وراءهـا بهـدوء، وقـد ركـز بـكل حواسـه علـى وزيـرة الخارجيـة الأمريكيـة.

«تقـول إن الرئيـس نصـري يخبـرك بـكل مـا هـو مهـم، ومـع هـذا»، قالـت إيليـن. «لا تعـرف شـيئًا عـن قنابـل الحافلـة؟ القنابـل التـي زرعتهـا حكومتـك؟»

كانت منبهـرة بهـذا الرجـل. يؤمـن إيمانًـا واضحًـا بأهـداف الثـورة الإيرانيـة، ومـع هـذا يبـدو أيضًـا أنـه يعتقـد أن إيـران معزولـة هـي إيـران ضعيفـة. وكان يُرسـل إشـارات ضمنيـة إليهـا بأنـه لـم يعـد يثـق بالـروس، جـارة إيـران وحليفتهـا، وأنـه قـد يكـون منفتحًـا لوجـود توافـق مـع الولايـات المتحـدة. لا علاقـات دبلوماسية كاملـة أو حتى متقاربة، إنمـا تبـدُّل طفيـف فـي شـكل العلاقـة، وهـو مـا سـيكون مزلـزلًا لإيـران بالنظـر إلـى الطريقـة التـي انسـحب بهـا دَن مـن الاتفـاق النـووي.

ومـع أن عزيـز قـد أوضـح أن علـى رئيـس الولايـات المتحـدة الجديـد أن يبـدأ مـن مُنطلـق وجـود أزمـة ثقـة قويـة لـدى الإيرانييـن. وأنـه سـيكون مـن الصعـب علـى إيـران أن تدخـل فـي اتفـاق آخـر

بسهولة لأن ذلك سيجعلها تبدو ضعيفة وسريعة الانقياد، فقد شعرت الوزيرة آدمز بوجود ثغرة صغيرة جدًا صنعتها روسيا المفترسة وغير المتوقعة، وأمريكا المنفتحة لفكرة أن تكون أقل مواجهة. وقد كانت وظيفتها أن تجد من خلال تلك الثغرة الحد الأدنى من المنفعة المشتركة. وربما مع الوقت، تمتد إلى تفاهم حقيقي بحيث لا تعود إيران تهديدًا دائمًا، ولا تعود أمريكا وحلفاؤها أهدافًا للهجمات.

لكنهما لم يصلا إلى ذلك بعد، بل لا يزالان بعيدين عن ذلك. وقد جعلت تفجيرات الحافلة الصدع بين البلدين أعظم. مع هذا أعطاها أيضًا الثغرة التي كانت تحتاج إليها.

«إذًا لا تفضل مناقشة مقتل علماء الفيزياء الباكستانيين؟» قالت وهي تنتقي ثمرة بلح ريانة من طبق الفاكهة والأطعمة الأخرى الوافرة التي قدمتها مطابخ السلطان. «هذا بخلاف مقتل كل أولئك الأشخاص على متن الحافلات».

«أنا سعيد بمناقشة الأمر، لكنني لست سعيدًا فحسب بتوجيه اللوم إلينا. ففي نهاية المطاف لماذا ستريد إيران أن تقتل الباكستانيين؟ وأن تقوم بذلك بتلك الطريقة الدموية؟ لا يبدو هذا منطقيًا، سيدتي الوزيرة. الهند الآن...»

فرد يده المُعبِّرة أمامه، وهو يدعوها حتى ترى نقطته.

«آهه»، قالت وهي تُرخي ظهرها إلى الوراء، وتمد يديها إلى الأمام. «الآن، بشير شاه...»

شاهدت، والرجل أمامها يشيح بوجهه إلى الرخام. الشمس تلمع منعكسة عن حبات العرق فوق حاجبيه. تبخرت ابتسامته،

ولـم تعـد عينـاه تبـدوان مسـرورتين ولـو قليـلًا حتـى. حـدق إليهـا، وقنـاع التحضـر ينـزاح عـن وجهـه.

«ربما»، قالت. «يمكننا الحديث على انفراد؟»

***

مـا إن غـادر الآخـرون حتـى مالـت إيليـن نحـو الوزيـر عزيـز الـذي مـال بـدوره مقتربًـا منهـا.

«*هافركرافت شماير از مارماهي است*». نطقت الكلمـات ببـطء وهـدوء وحـرص. شـاهدت حاجبيـه الرماديـن يرتفعـان.

«حقًا؟» قال.

انخفـض حاجبـا إيليـن. «مـاذا قلـتُ للتو؟ لقـد بحثـت معاونتـي عـن التعبيـر الفارسـي، وأعطتنـي إيـاه. لقـد كنـتُ أتـدرب عليـه».

«أتمنـى فقـط أن مـا قلتـه ليـس صحيحًـا. *عوامتكَ ملأى بثعابيـن البحـر*».

اِلتـوت شـفتا إيليـن عـن ابتسـامة كانـت تصـارع بوضـوح حتـى تحويهـا بداخلهـا. ضحكـت مستسـلمة أخيـرًا. «آسـفة. مـا أردت قولـه هـو أن عوامتـي لا تحـوي أي ثعابيـن بحـر».

جاء الدور عليه ليضحك.

«لـو كنـتُ مكانـكِ، لمـا جزمـت بذلـك. الآن مـاذا عنيـت أن تقولـي حقًـا، سـيدتي الوزيـرة؟»

«التعبيـر الإنجليـزي الـذي كنـت سـأسـتخدمه هـو «أوراق اللعـب علـى الطاولـة»».

«أتفق معكِ. وقت الصراحة».

ثبتت نظراتها على عينيه، وأومأت.

«لقد أُرسِلت رسالة من منزل أحد علماء الفيزياء النووية رفيعي المستوي في طهران، تُحذّرنا من قنابل الحافلة. لسوء الحظ فقد تغاضت عنها موظفة إدارة الشؤون الأجنبية باعتبارها رسالة مزعجة، وتجاهلتها حتى فات الأوان».

«يا للأسف». كان ذلك كل ما قاله.

إذا كان وزير الخارجية الإيراني قد تفاجأ من صراحتها، فإنه دبلوماسي مُتمرس جدًا حتى يُظهر ذلك.

الوقت محدود، وثمة الكثير من المواضيع لمناقشتها. لقد تمكنت من الانفراد به أسرع مما توقعت لكنها الآن تحتاج إلى اجتياز خط النهاية.

«عالم الفيزياء وعائلته الآن في حوزة شرطتكم السرية».

«لم يحدث أي من هذا». قال.

إجابة محفوظة من أجل آذان أي ثعبان ربما يتنصت على المحادثة.

تجاهلت إجابته.

«سوف تعد الولايات المتحدة إطلاق سراحهم برفقة الإيرانيين اللذين قُبض عليهما في التوقيت نفسه، معروفًا».

«حتى لو كانوا بحوزتنا، فإنني أشك في أن إطلاق سراحهم ممكن. هل تتركون الخونة والجواسيس يغادرون؟»

«أجل، لو كان ثمة منفعة أعظم».

«وماذا ستكون تلك المنفعة لإيران؟»

«امتنان الرئيس الجديد. اعتراف سري بالدَّين».

«لقد حظينا بامتنان الرئيس القديم بالفعل. وقد كان سخيًا. لقد انسحب من الاتفاق النووي؛ ما أتاح لنا الاستقلالية التي تستحقها إيران لتطوير برنامج الطاقة النووية المسالمة خاصتنا دون تدخل».

«صحيح. ولقد سمح أيضًا بإطلاق سراح بشير شاه. سيكون الدكتور شاه ثعبان كُوبرا في عوامتكم، أليس كذلك؟»

حدق إليها فبادلته التحديق وانتظرت. وانتظرت.

«ماذا تريدين حقًا، سيدتي الوزيرة؟»

«أريد أن أعرف كيف علمتم بشأن علماء الفيزياء الباكستانيين، وماذا تعرفون عن خطط شاه. وأريد أن تطلقوا سراح أولئك الأشخاص».

«ولماذا سنفعل كل ذلك؟»

«لأنك حتى تحظى بصديقك تحتاج إلى أن تكون صديقًا. لماذا وافقت على لقائي، وزير عزيز؟ لأنك تعرف أن روسيا غير ثابتة، ومتلونة. تزدادون عزلة. إنْ لم تكن جمهورية إيران الإسلامية تحتاج إلى أصدقاء فإنها قطعًا تحتاج إلى أعداء أقل. كان شاه بمعاونة باكستان على شفا إعطاء قدرة تطوير سلاح نووي إلى دولة أخرى على الأقل في المنطقة. ربما حتى إلى منظمات إرهابية. لذلك قتلتم العلماء. لكن ثمة المزيد من الفيزيائيين في العالم. لا تستطيعون قتلهم جميعًا. تحتاجون إلينا لإيقاف ذلك. ونحن نحتاج إليكم».

***

افترقت وزيرة الخارجية والوزير عزيز بعد دقائق قليلة.

توجه الوزير الإيراني إلى المطار مباشرة ليأخذ رحلة العودة القصيرة إلى الوطن في حين طلبت إيلين من جلالة السلطان أن يسمح لها بأن تمكث في قصره مدة أطول قليلًا.

أجرت وزيرة الخارجية مكالمة هاتفية، وهي تقف أمام درابزين الشرفة، وتنظر إلى الميناء التاريخي القديم.

«بارب؟ أحتاج إلى الحديث إلى الرئيس».

«إنه مشغول قليلًا».

«الآن».

***

تراجعت باربرا ستينهاوزر، وشاهدت الرئيس يتلقى المكالمة.

«إيلين، كيف جرى الأمر؟» كان ثمة نبرة توتر واضحة في صوته.

«أحتاج إلى الذهاب إلى طهران».

«حسنًا. وأنا أحتاج إلى ٩٠٪ في استطلاعات الرأي».

«لا، دوج، أنت تريد ذلك. أنا أتحدث عن ضرورة. عزيز قد اعترف تقريبًا بأنهم قد زرعوا القنابل، وأعتقد أن لدينا فرصة لإنقاذ عملائنا والحصول على معلومات عن شاه، لكن من المستحيل أن يعطينا ما نحتاج إليه. لا يستطيع. فقط الرئيس من يستطيع. وربما ليس نصري حتى. ربما يجب أن يكون آية الله نفسه».

«لن تحظي أبدًا بلقاء رسمي مع القائد الأكبر».

«لن أفعل إذا لم أحاول. لو أظهرت استعدادي للذهاب إليهم، فسيساعد ذلك».

«ما ستظهرينه هو اليأس. بحق الرب، ألا تمتلكين ذرة عقل، إيلين؟ كيف سيبدو الأمر لو كان أحد الأماكن الأولى التي تزورينها بصفتك وزيرة خارجية الولايات المتحدة هو عدو لدود يفجر ناقلات البترول، ويُسقط الطائرات، ويأوي الإرهابيين، والآن يقتل مدنيين أبرياء؟»

«لا أحد يحتاج إلى أن يعرف. أستطيع أن أدخل إلى إيران، وأخرج منها في غضون ساعة. يمكنني أن أستقل طائرة خاصة. هل يعرف أي أحد حتى أنني في عُمان؟»

«لا. لقد فسرنا غيابكِ بقول إنكِ تستجمين في حمام بخار فاخر في كوريا الشمالية».

أفلتت ضحكة من إيلين قبل أن تستطيع كبحها.

«ألا يمكن لهذا أن يحدث افتراضيًا؟» سأل الرئيس. «لا يمكننا أن نخاطر بأن يعتقد أي أحد أننا نتودد إلى الأعداء».

يستطيع أن يرى في الجهة المقابلة من الحجرة الشاشات والمتحدثين عبرها. من يدعون أنفسهم خبراء. أغلبهم -إن لم يكن كلهم- يتساءلون أين إدارة وليامز من كل هذا. وكيف لم يستطيعوا أن يعرفوا بشأن الهجمات؟ وما الذي لا يعرفونه أيضًا؟

كان وزير الخارجية السابق على قناة فوكس الإخبارية يشرح أنه في أثناء ولايتهم لم تحدث، وما كان من الممكن أن تحدث مثل هذه الكارثة. ومن يعلم ماذا قد يحدث بعد ذلك، على التراب الأمريكي، مع الضعف الشديد داخل البيت الأبيض.

«أعرف كيف قد يبدو الأمر». سلمت بذلك. «لكننا نمتلك فرصة أخيرًا حتى نصل إلى شاه، ونُوقف أيًا كان ما خطط إليه.

يجب أن أكون هناك شخصيًا. ويجب أن أُظهِر نية حسنة».

«هل نعرف حتى أن تلك المعلومات بحوزة الإيرانيين؟»

«لا»، اعترفت. «لكن ما لديهم أكثر مما لدينا. يعرفون عن الفيزيائيين. ما لا أفهمه هو لماذا شعروا بضرورة تفجير الحافلات برمتها. لماذا لم يطلقوا الرصاص على الإرهابيين؟ ذلك أسهل بكثير».

«استعراض عام؟» اقترح وليامز. «لقد فعلوا أسوأ».

«مع هذا لا يبدو منطقيًا. الأجوبة في طهران. لو أنهم لا يعرفون ما يخطط شاه إليه، وأين هو، فربما يعرفون من يعرف ذلك».

«لماذا سيخبروننا؟»

«لأنهم يريدوننا أن نُوقِفه».

«لو كانوا يريدون عوننا، فلماذا لم يخبروننا عن الفيزيائيين؟»

«انظر، لا أعرف. لذلك يجب أن أذهب إلى طهران».

«ولو انقلب الأمر ضدنا؟ لو قرر الإيرانيون نشر صور لكِ وأنت تنحنين أمام آية الله العظمى أو الرئيس نصري؟ أو قرروا أن يقبضوا عليكِ؟ ويتهمونكِ بالتجسس؟ إذًا ماذا؟»

«أعرف ماذا سيحدث»، قالت، وقد بات صوتها باردًا فجأة. «أعرف أنكَ لن تتفاوض من أجل إطلاق سراحي».

«إيلين...»

«هل ستعطيني موافقتك أم لا؟ لقد كان السلطان كريمًا حتى يعيرني إحدى طائراته النفاثة، ويحتاجون إلى أن يعرفوا. وأحتاج إلى أن أصل إلى هناك قبل أن يغير الإيرانيون رأيهم، واللجوء إلى روسيا من أجل المساعدة».

«حسنًا»، قال ويليامز. «اذهبي. لكن لو وقعت في مشكلة...»

«فأنا بمفردي. لقد فعلت ذلك بشكل فردي. ولم أستشرك».

جبان، فكرت، وهي تُغلق الخط.

مجنونة، فكر، وهو يغلق الخط.

«أحضري تيم بيتشام إلى هنا». انفعل في وجه باربرا ستينهاوزر.

«حسنًا، سيدي الرئيس».

حدق الرئيس مع مغادرة مديرة مكتبه إلى الشاشات، وشعر بجدران المكتب البيضاوي تدور. مثل جهاز الطرد المركزي الذي يفصل الجوامد عن السوائل بترسيبها في القاع ليخلف فقط المواد العالية الكثافة وراءه.

الفصل الرابع والعشرون

«حسنًا، أنا معكم»، قال بيت هاملتون. «ما الذي تحتاجون إلى العثور عليه؟»

كانت بيتسي قد أدخلته إلى مكتب بوينتون، وأعطته رمز دخولها، وكلمة السر حتى يُسمح له بالوصول إلى معلومات سرية لكن ليس قبل أن تقفل الباب الرئيس المؤدي إلى جناح حجرات وزيرة الخارجية ومكتب إيلين ومكتب مدير مكتبها. فعلت كل شيء ما عدا وضع الأريكة وراء الباب، وقد فكرت مليًا في ذلك.

«كل شيء تستطيع العثور عليه عن تيم بيتشام».

حامت أصابع هاملتون فوق لوحة المفاتيح، وهو يحدق إليها.

«بحق المسيح! مدير المخابرات الوطنية؟»

«أجل. تيموثي ت. بيتشام. وفي أثناء بحثك، اكتشف إلى ماذا ترمز التاء في اسمه».

بعد ساعتين ومع شروق الشمس، دفع هاملتون مقعده بعيدًا عن المكتب.

«هل عثرت على أي شيء؟» قالت بيتسي، وهي تمشي إلى أن تقف وراءه. «ما هذا؟»

دعك هاملتون وجهه بكلتا يديه. عيناه محتقنتان بالدم، ووجهه مشدود.

«ذلك كل ما استطعت العثور عليه عن بيتشام».

«في ساعتين؟!»

«أجل. شخص ما لا يريدنا أن نعثر على أكثر من ذلك. لا يمكن العثور على أي من تقاريره، أو رسائله الإلكترونية، أو ملاحظاته من الاجتماعات، أو أجندته. وثائق أربع سنوات كاملة قد تبخرت. لا شيء. الأشياء التي يجب أن يُحتفَظ بها بموجب القانون اختفت كلها».

«اختفت أين؟ مُحِيت؟»

«أو نُقِلت إلى مكان ما. في قسم آخر لن يُفكر أي أحد في أن ينظر إليه. قد يكون أي مكان. أو ربما قد دفنوا المعلومات عميقًا جدًّا حتى لا يستطيع أي أحد العثور عليها».

«لماذا؟»

«أليس الأمر واضحًا؟ ثمة شيء يريدون أن يخفوه».

«واصل التنقيب».

«لا أستطيع. لقد بلغت القاع».

أومأت بيتسي وهي تفكر. «حسنًا، لقد فتشنا حتى الآن وراء بيتشام. ربما نحتاج إلى النظر في مكان آخر. إلى التسلل من ورائه. إلى البحث عن باب خلفي».

«شاه؟ طالبان؟»

«بل ربطات العنق».

«عذرًا؟» قال هاملتون.

«يرتدي تيم بيتشام ربطات عنق. أتذكر قراءتي تحقيقًا صحفيًّا أجراه باب الموضة في جريدة واشنطن العاصمة التي كانت مملوكة لإيلين».

«إذًا؟»

«لا بد أنهم يؤرشفون كل القصص الصحفية. لا بد من وجود خدمة أرشيف للقراء، أليس كذلك؟ لم يكن تيم بيتشام مدير المخابرات الوطنية في إدارة دَن. كان مستشارًا استخباراتيًا رفيع المستوى. لن يُذكر اسمه في مقالات كثيرة. لا بد من أنه قد حرص على أن لا يحدث ذلك. لكن مقالة عن الموضة؟ مقالة خفيفة في صحيفة مشهورة بانتقادها كل شيء يفعله أفراد إدارة دَن؟ لا بد من أنهم قد نسوا أمرها مصادفة».

«ربطات عنق؟!»

«لقد أوقعوا بـ«آل كابوني» [49] بسبب التهرب الضريبي». قالت بيتسي، وهي تميل مقتربة أكثر من الشاشة. «لماذا لا نُوقع ببيتشام عن طريق ربطات العنق؟ *ونضع الأنشوطة حول عنقه*. لن يهتموا بدفن تلك المقالة عميقًا لو أنهم قد دفنوها على الإطلاق».

فهم بيت هاملتون. قد تكون ربطات العنق الجسر الذي فشلوا في إحراقه في وجود ثروة من المعلومات التي يمكنها أن تدينه، وكان عليهم إخفاؤها.

«سأحضر القهوة». قالت بيتسي.

«والمعجنات»، هتف بيت وراءها. «كعك القرفة».

ما إن تركت بيتسي مكتب بوينتون حتى تبعها إلى الخارج صوت الأصابع وهي تضرب على لوحة المفاتيح.

49- ألفونس غابريل كالوني: رجل أعمال وأحد أعتى رجال العصابات الأمريكية. قُبض عليه وحُوكِم سنة ١٩٢١ بتهمة التهرب الضريبي. كانت قصة حياته ملهمة للكثير من الكتب والأفلام. (المترجم).

تذكرت وعدها بأن تتصل بضابطة الصاعقة التي أرسلها اللواء وايتهيد وتطلب الحماية. بدا شيئًا سخيفًا، ومن المستحيل أن يُصدق، أن يكون ثمة تهديد على حياتهما في الأرجاء المريحة والآمنة والمألوفة لمكاتب وزيرة الخارجية عميقًا داخل مبنى الوزارة. مع هذا كانت تعرف أن ذلك بالضبط ما لا بد أن الأشخاص على متن الحافلات قد فكروا فيه قبل أن تنتهي حياتهم. لكن فلتحضر أولًا القهوة وكعك القرفة.

كانت بيتسي مرتاحة وهي تتجه إلى الكافيتريا في الطابق الأول، من معرفة أنهم قد اكتشفوا على الأقل إلى ماذا ترمز التاء في «تيموثي ت. بيتشام»، مع أنه كان غريبًا بشدة.

***

تراجعت المرأة الإيرانية الطاعنة في السن التابعة لحكومة طهران، وفحصت إيلين بعينيها قبل أن تقول بالإنجليزية، «سيؤدي ذلك الغرض».

كانوا في حجرة النوم داخل طائرة السلطان النفاثة، وقد توقفت في حظيرة طائرات داخل مطار الإمام الخميني الدولي بطهران. ما إن قالت ذلك، حتى حولت انتباهها إلى المرأتين الأخريين داخل الكابينة الواسعة. كانت كل من كاثرين آدمز وآناهيتا ضاهر متشحة بشكل مشابه وبحيث لا يمكن التعرف على أي منهما بالبرقع من قمة رأسها حتى قدمها.

اتصلت إيلين قبل الصعود على متن الطائرة النفاثة الخاصة في عُمان بالوزير عزير، وطلبت منه زيًا تقليديًا. فهم السبب فورًا. بعد ذلك تنحت بآناهيتا جانبًا، وهم لا يزالون في صالة المغادرة في عمان.

«أعتقد أنكِ يجب أن تبقي هنا. لو اكتشف الإيرانيون هويتك الحقيقية، وسوف يفعلون على الأرجح، فسنواجه مشكلة. وربما يعتقلونكِ حتى بصفتك جاسوسة».

«أعرف، سيدتي الوزيرة».

«تعرفين؟»

ابتسمت آناهيتا.

«لقد عشتُ طيلة حياتي خائفة مما سيحدث لو عثر الإيرانيون على عائلتي. يبدو دخولي الوشيك إلى عرين الأسد حقيقة لا يمكنني استيعابها، لكنني شاهدت والديّ وشاهدت ما فعلته بهم كل تلك السرية والخوف. الحياة التي عاشاها خائفين طوال الوقت. لقد سئمت من كوني خائفة. سئمت من تصغير نفسي بسبب خوفي من أن يلاحظني أحدهم. ومهما يحدث فلن يكون أسوأ بأي حال مما قد تخيلت».

«لا أعرف إذا كان ذلك صحيحًا». قالت إيلين.

«لا تعرفين أيضًا ما تخيلته. لقد تربيت على قصص الشياطين التي تأتي ليلًا. الخرافسترا.[50] كانت الـ«آل» أكثر وحوش تخيفني. وحوش غير مرئية. الطريقة الوحيدة التي تعرفين بها أنهم موجودون حين لا تكف أشياء فظيعة عن الحدوث لكِ».

فكرت إيلين في ذلك مليًا ثم في موظفة إدارة الشؤون الأجنبية في وزارتها لحظة قبل أن تتكلم.

«لقد شاهدت وجهكِ ما إن سمعتِ أول مرة أن بشير شاه

50- خرافسترا: أرواح شريرة وردت في الميثولوجيا الفارسية القديمة. (المترجم).

وراء التفجيرات. جميع من عرف كان قلقًا وغاضبًا. لكنكِ كنتِ مرعوبة. لماذا؟»

«لقد عملت في إسلام آباد سنتين. تتذكرين؟»

«لقد قابلتِ جيل هناك؟»

«وهناك قابلت بشير شاه أيضًا».

«لقد قابلت بشير شاه؟» سألت إيلين.

«حسنًا، ليس شخصيًا. قابلت شبحه. إنه في كل مكان. إنه بمنزلة بطل فلكلوري في باكستان لكنني اطلعت أيضًا على وثائق سرية، تحكي قصة مختلفة. القصة الحقيقية. الحقيقة التي يجهلها معظم الباكستانيين. الرجل وحشٌ».

«وحش «آل»؟»

«أتمنى ذلك. إنه أزي دهاكه. الشيطان الأقوى. إنه يقود جيشًا من الـ«آل»، ويعيث الفوضى والإرهاب والموت. لقد خُلِق أزي دهاكه من رحم الأكاذيب، سيدتي الوزيرة».

تبادلت المرأتان النظرات.

«أفهم». قالت إيلين.

تنحت جانبًا، وراقبت آناهيتا، وهي تصعد على متن الطائرة إلى طهران.

اتصلت إيلين بالمستشفى في فرانكفورت قبل أن تهبط الطائرة مباشرة لتتحدث إلى جيل.

«ماذا تعني بأنه قد غادر؟!» سألت.

«أنا آسف، سيدتي الوزيرة. قال إنكِ تعرفين».

فكرت إيلين، *المزيد من الأكاذيب*، وهي تنظر خارج النافذة إلى إيران القابعة في الأسفل. بلاد فارس. تساءلت إذا كانت ستلمح أزي دهاكه لو أمعنت في النظر وهو يندفع إلى طهران حتى يستقبل الطائرة، أم أنه مشغول في مكان آخر؟ هل يزحف نحو شواطئ الولايات المتحدة، وهو يزداد قوة حتى بسبب كل الأكاذيب التي قِيلت، ولا تزال تُقال؟

«لكن إصاباته؟» قالت لرئيس الأطباء.

«ليست خطيرة، وهو إنسان بالغ. يمكنه أن يوقع على قرار خروجه».

«هل تعرف أين ذهب؟»

«آسف، لا أعرف، سيدتي الوزيرة».

أغلقت الخط وحاولت أن تتصل به عبر هاتفه الخاص لكن أجاب عليها شخص آخر. ممرضة. شرحت الممرضة إنه أعطاها هاتفه، وطلب منها أن تحتفظ به.

عرفت إيلين أنه فعل ذلك حتى لا يستطيع أي أحد تعقبه.

«هل أخبركِ بأي شيء آخر؟» سألت.

«لا».

«ما الأمر؟ هنالك المزيد للحكاية، أليس كذلك؟» عرفت من نبرة صوتها.

«لقد طلب مني إقراضه مئتي يورو».

«وهل أعطيته إياها؟»

«أجل، سحبت المبلغ من البنك البارحة».

أدركت إيلين أن ذلك يعني أنه كان يفكر في شأن الهروب منذ آخر مرة قابلته فيها لكنه لم يخبرها.

«لماذا أعطيته المال؟»

«لأنه كان يائسًا». قالت. «وهو ابنكِ. وأردت أن أساعد. هل ارتكبت خطأ؟»

«لا، شكرًا لك على محاولتك أن تساعديه، وأنا متأكدة من أنها ستساعده حقًا. سأحرص على أن تستردي مالكِ. لو تحدث إليكِ، رجاء، أخبريني. شكرًا».

ما إن أغلقت الخط حتى رن هاتفها.

«مُعدِّل في غير محله[51] Misplaced modifier يدلف إلى حانة...»

بيتسي! ترتاح إيلين دائمًا ما إن تسمع ذلك الصوت.

«... يمتلكه رجلٌ بعين زجاجية يُدعى رالف. ما الأمر؟ هل عثرتِ على أي شيء؟»

«لم نعثر على أي شيء عن تيم بيتشام. كل المعلومات مُخبأة عميقًا. وهو أمر كاشف جدًا، ألا تعتقدين ذلك؟»

«بيتسي، يجب أن نعثر على شيء. يجب أن نمتلك دليلًا على أنه وراء كل هذا. سيدعي فقط أنها مكيدة.. أن شخصًا آخر يُحاول أن يورطه. أحتاج إلى تحذير الرئيس لكنني لا أستطيع فعل ذلك دونما دليل».

51- المعدل في اللغة هو كلمة تغيّر كلمة أخرى أو توضحها أو تحددها، سواء بالتأكيد أم بالتفسير أم بإضافة تفاصيل. وهي عادة وصفية أو ظرفية. وإحدى أكثر المشكلات شيوعًا في اللغة هو المعدل في غير محله. أي وضع المعدل في مكان في الجملة ينجم عنه ارتباكًا أو حيرة. وقد يُوضع المعدل في غير محله عن قصد بغرض الدعابة أو السخرية. مثل الجملة «رجل بعين زجاجية يُدعى رالف»، فهل المعدل «يدعى رالف» عائد إلى الرجل أم العين الزجاجية؟ (المترجم).

«أعرف. أعرف. نحن نحاول. وأعتقد أننا ربما قد وجدنا طريقًا إلى الداخل عبر باب خلفي بفضلكِ».

«بفضلي؟!»

«حسنًا، ليس أنتِ بل جريدتك، جريدة العاصمة. لقد أجرت من قبل تحقيقًا صحفيًا عن صنّاع القرار السياسي الذين يرتدون ربطات عنق».

«فعلنا ذلك؟ لا بد أنه كان شهرًا خاليًا من الأخبار».

«ربما نكتشف أنها كانت أهم قصة صحفية نشرتها منافذكِ الإعلامية. لقد دُفِنت كل الوثائق عن بيتشام في ملف آخر حيث لن نستطيع العثور عليها أبدًا. لقد خبؤوا قصة ربطة العنق أيضًا، الحوار الصحفي الوحيد الذي أعطاه في أثناء عمله لصالح دَن، لكن في مكان قد نستطيع الوصول إليه».

«إن عثرتم عليها فقد تعثرون على بقية المعلومات». سمعت بيتسي تنهيدة عميقة على الجانب الآخر من الخط. «أعلميني إذا قادكما التحقيق الصحفي إلى أي مكان».

«ستكونين أول من يعلم. لقد وجدنا شيئًا واحدًا عن بيتشام. عرفنا إلى ماذا ترمز التاء في اسمه. لن تصدقي هذا أبدًا».

«ماذا؟»

«اسمه الكامل هو تيموثي ترابل Trouble[52] بيتشام».

«اسمه الأوسط هو ترابل؟» سألت إيلين، وقد وجدت صعوبة في أن لا تضحك.

52- تعني الكلمة مشكلة؛ ومن هنا تأتي المفارقة. (المترجم).

«من يُسمي طفله بذلك الاسم؟»

«إمّا أنه اسم عائلة قديم أو أن والديه امتلاكا حدسًا...» *حدسًا بأنهما قد أنجبا وحشًا، وحش «آل»*، فكرت إيلين.

«أوه، اتصلت بالنقيب فيلان، ضابطة الصاعقة»، قالت بيتسي. «إنها في الطريق».

«شكرًا لكِ».

«أين أنتِ؟»

«لقد هبطنا للتو في طهران».

«أعلميني...»

«سأفعل. وأنتِ أيضًا».

دارت الطائرة في سماء مطار الإمام الخميني الدولي بطهران.

عكَّرت أنفاس إيلين النافذة، وهي تُدندن دون وعي لحنًا نصف منسي. ثم أصبحت وزيرة خارجية أمريكا واعية بالأغنية التي تُدندنها. كانت أغنية لفرقة «هورسليبس Horslips».

«ترابل، ترابل»، تمتمت كلمات الأغنية. «ترابل بحرف تاء كبير».

***

ما إن توقفت الطائرة النفاثة في حظيرة الطائرات حتى صعدت المرأة الإيرانية على متنها، وهي تحمل البراقع التي طلبتها وزيرة الخارجية.

غادروا الطائرة بعد دقائق قليلة. النساء هبطن السلالم، يتبعهن تشارلز بوينتون.

كانت النساء الغربيات حريصات على أن لا يتعثرن في البراقع الطويلة التي تُغطيهن من الرأس حتى القدم باستثناء نافذة شبكية صغيرة مكان العينين.

النسـاء فـي إيـران لا ترتديـن عـادة البرقـع الكامـل، كان ذلـك غالبًـا فـي أفغانسـتان، لكـن عـددًا كافيًـا منهـن فعلـن ذلـك لـذا لـم تبـد تلـك النسـوة الثـلاث شـاذات تمامًـا عـن المـكان. ولـن يسـتطيع مراقـب عابـر أو عامـل مطـار أو سـائق أن يميـز أن وزيـرة الخارجيـة الأمريكيـة قـد وضعـت قدميهـا للتـو داخـل إيـران.

لـم تسـتطع كاثريـن أو آناهيتـا أو مرافقتهـن الإيرانيـة أن تلمـح التعبيـر علـى وجـه إيليـن، وهـو ربمـا شـيء جيـد.

سـرحت إيليـن بأفكارهـا فـي بشـير شـاه. وتيموثـي ترابـل بيتشـام حتـى وصلـت إلـى آخـر درجـة فـي سـلم الطائـرة، ثـم خطـت فـوق الأرض.

كانـت أول مسـؤول أمريكـي رفيـع المسـتوى تطـأ قدمـه إيـران منـذ الرئيـس كارتـر سـنة 1979.

***

«اللعنـة»! قـال بيـت هاملتـون، وهـو ينظـر مـن فـوق الشاشـة إلـى بيتسـي. «أنـا فـي الداخـل».

«فـي الداخـل أيـن؟» سـألت دينيـس فيـلان، وهـي تُبعـد كعكـة القرفـة عـن فاهـا.

ابتسمت بيتسـي ابتسامة عريضة.

«فلأخبر رئيسكِ أولًا».

اتصلت باللواء وايتهيد، وأخبرته.

«ربطات العنق؟» قال رئيس هيئة الأركان المشتركة ضاحكًا.

«أنتِ امرأة خطيرة. سآتي إليكِ حالًا».

***

«دكتور شاه، لم تهبط طائرة وزيرة الخارجية في إسلام آباد كما كان مخططًا لها». قال المساعد.

«إذًا أين هي؟»

«نعتقد أنها في طهران».

«ذلك غير ممكن. لن تكون متهورة إلى هذا الحد. اكتشف حقيقة الأمر».

«حسنًا، سيدي».

ارتشف بشير شاه الليمونادة، وحدق في الفراغ.

لقد صار مُعجبًا تقريبًا بإيلين آدمز مع مرور السنين. لقد أصبح يعرفها معرفة حميمية، وولّد ذلك بينهما رابطة فضول عجيبة.

«إلى ماذا تخططين؟» همس إلى نفسه.

يعرفها جيدًا حتى يدرك أنها تفكر في تحركاتها بحذر وروية قبل أن تتصرف. مع هذا من الممكن أن يكون قد أفقدها صوابها، ودفعها إلى هذا الخطأ. أو ربما لا. ربما هو من يرتكب الخطأ. كانت فكرة غريبة عليه بشدة، وغير متوقعة. إدراكه أنه ربما من فقد صوابه، ويُدفَع إلى ارتكاب الخطأ. كانت شوكة ضئيلة من الشك. لكنها كانت هناك.

عاد المساعد بعد دقائق قليلة، ووجد الدكتور شاه يعدِّل من وضعية أدوات المائدة فوق الطاولة التي أُعِدت من أجل ضيفه على الغداء.

«إنها في طهران، سيدي».

استوعب بشير شاه تلك المعلومة، وهو ينظر بعيدًا عبر الشرفة إلى المحيط. منظر مختلف تمامًا عن كل تلك السنوات التي قضاها تحت الإقامة الجبرية في إسلام آباد حيث حدَّدت حديقته المزدهرة حدود عالمه. لن يسمح لنفسه بأن يُسجن مرة أخرى أبدًا مهما كان سجنه مريحًا.

«والابن؟»

«تمامًا حيث توقعت أن يكون».

«لم أتوقع. لم يكن تخمينًا. ولم تكن إرادة حرة. لم يمتلك خيارًا».

من الممكن على الأقل الاعتماد على أن أحد أفراد تلك العائلة اللعينة سوف يذهب حيث يُجبِره.

«أبلغهم بأن يجهزوا طائرتي».

«لكن، سيدي، ضيفك على الغداء سيصل إلى هنا في غضون...»

أسكتته نظرة من شاه، وجعلته يُسرع مبتعدًا ليجري المكالمة.

«لا يستطيع إلغاء الموعد». قالت المرأة على الطرف الآخر من الخط. من يعتقد نفسه؟ إنه شرف له أن يستضيف الرئيس السابق...»

«يرسل الدكتور شاه اعتذاراته الصادقة. لقد طرأ طارئ».

***

استقل بشير شاه الليموزين المصفحة، وقد أعطى ظهره للمحيط الأطلنطي. لقد رأى من المياه ما يكفي حياة بكاملها. يتوق إلى بستان.

الفصل الخامس والعشرون

غادر جيل باهار المستشفى في فرانكفورت ما إن رحلت أمه.

أعطته الممرضة المال، وهو يرتدي ثيابه. شك في أنها كل مدخراتها.

«سأرجع. سأرد لكِ المبلغ».

«كان يُفترض أن تكون أختي الصغرى على متن تلك الحافلة لكنها فوتتها. أعرف أنكَ تحاول منع شيء آخر من الحدوث. خذ المال. اذهب».

ما إن صار داخل السيارة في الطريق إلى المطار حتى فتح حقيبته. هناك كان المال، وبعض الأدوية، والضمادات. تناول قرصًا مسكنًا للألم، وادخر الباقي.

بعد ساعات، هبط جيل باهار في اللحظة التي حاولت أمه الاتصال بحجرته في المستشفى في فرانكفورت، من الطائرة، وجال ببصره في أنحاء المكان.

بيشاور. باكستان.

شعر بمعدته تتشنج، وقلبه يخفق بقوة، وتساءل لحظة إذا كان ربما سيغيب عن الوعي، والدماء تندفع من رأسه إلى أحشائه كما لو أنها تحاول نسيان ذكرى كل الدماء الأخرى. كل الرؤوس المقطوعة الأخرى.

لم يعد إلى بيشاور منذ اختطافه. منذ الرعب الذي عاشه حين أدرك أن خاطفيه ليسوا داعش أو القاعدة، وهو ما كان ليكون مُرعبًا أيضًا. لا، لقد سقط بين يدي البشتون. كان البشتون

الأقل شهرة بكثير من الجهاديين الآخرين ربما لأن الناس خائفون حتى من أن يعترفوا بوجودهم، وأن يقولوا اسمهم، عائلة متفرعة تمتد نفوذها داخل القاعدة وطالبان، وحتى داخل قوات الأمن الباكستانية. كانوا أشباحًا، ولا يرغب أي أحد بالطبع في أن يكون هناك عندما يتجسدوا في صورة بشرية.

وجد نفسه عندما أزيلت الحقيبة القماشية عن رأسه، وتأقلمت عيناه مع الضوء، داخل معسكر للبشتون على الحدود الباكستانية الأفغانية. وعرف جيل أنه ميت لا محالة. وأن موته سيكون شنيعًا.

مع هذا تمكن من الهروب. ركض بأسرع ما يمكنه، ولأبعد ما يستطيع الوصول حتى يفر بحياته.

والآن يركض بأسرع ما يمكنه، ولأبعد ما يستطيع الوصول حتى يعود إلى هناك.

حاول أن يبدو مسترخيًا، ورجل أمن الجمارك في المطار يتأمله من كثب. لا يزورهم الكثير من السياح.

«أنا طالب»، شرح. «أعمل على الدكتوراه. رسالتي عن طريق الحرير. هل تعرف...»

كان ثمة دوي مكتوم فيما ينزل الختم على جواز سفره ثم أشار رجل الأمن له بمتابعة السير.

ما إن أصبح خارج مبنى المطار في حرارة وأتربة وصخب مدينة يكاد عدد سكانها يبلغ المليونين، حتى توقف جيل. اندفع رجال نحيلون نحوه.

«سيارة تاكسي؟»

«سيارة تاكسي؟»

مكتبة
t.me/soramnqraa

رفع جيل يده إلى حاجبيه حتى يحجب أشعة الشمس الساطعة، ثم اختار أحد السائقين الذي مد يده ليلتقط حقيبته، لكن جيل ظل ممسكًا بها فارتطمت بالرجل الذي سرعان ما ابتعد.

ركب جيل سيارة التاكسي العتيقة، وأسند ظهره إلى المقعد.

لم يتحدث جيل إلا حين تراءت ملامح المدينة في مرآة الرؤية الخلفية.

«سلام عليكم، اسمي أكبر».

«لكنتك تتحسن يا ذا الوجه المريع».

««مخبول الرأس» أفضل. «الوجه المريع» تعني عادة أنك سكران».

«في حالتك قد تعني شرجيًا». قال أكبر، وسمع جيل يضحك.

«ولتصحبك السلامة يا صديقي».

انحرف أكبر عن الطريق السريع الرئيس، وراحت السيارة تهتز بهما بشكل متزايد في الطرقات الملأى بالحفر.

كان طريق الحرير أبعد ما يكون عن وصف أملس. يمكن لإسكندر الأكبر وماركو بولو وجنكيز خان وآخرين أن يشهدوا بصحة ذلك.

***

كان وجه رئيس هيئة الأركان المشتركة عابسًا فيما يجلس فوق مكتب تشارلز بوينتون، ويقرأ النصوص والإيميلات.

«لا يوجد أي شيء يدينه إدانة صريحة حتى الآن». قال، وهو يمرر عينيه فوق شاشة الكومبيوتر. «شاه مذكور لكن ذكرًا عابرًا. يبدو الأمر كأنّ بيتشام لا يعرف من هو».

نظر اللواء وايتهيد إلى الآخرين.

كان مكتب مدير مكتب الوزيرة مُشبعًا بعبق القهوة وكعك القرفة. وقفت بيتسي جيمسون وبيت هاملتون على الجانب الآخر من المكتب فيما اتخذت النقيب فيلان موقعًا استراتيجيًا بجوار الباب. شيش النوافذ قد أُنزل، والستائر قد سُحِبت. كانت أول شيء يفعله اللواء ما إن وصل. لم يكن ذلك حتى يحجب أشعة الشمس بل يحجب الرؤية على أي منظار طويل المدى. كانوا عميقًا داخل الملفات المُخبأة عن تيموثي ترابل بيتشام غير أن هذا كان يعني أيضًا أنهم معرضون لخطر متزايد.

«ثمة سبب ما دفع أحدهم إلى تحمل كل هذا العبء من أجل إخفاء وثائق بيتشام». قال وايتهيد، وقد تنحى عن المقعد من أجل هاملتون الذي عاود الجلوس أمام الكومبيوتر ليواصل العمل. «لا بد من أن إخفاء كل هذا قد تتطلب أسابيع طويلة». أومأ مُفكرًا. «أجل، لا بد من وجود شيء ما هناك».

«سوف أجده»، قال هاملتون وهو يقلب الصفحات على الشاشة، ويمرر عينيه فوقها. بسرعة.

«هل اسمه الأوسط هو ترابل حقًا؟» سأل وايتهيد.

«يبدو ذلك»، قالت بيتسي، «أستطيع أن أرى لماذا لم يستخدمه قط. لقد ظننت أن التاء ربما ترمز إلى كلمة خائن».

التفت بيرت وايتهيد، ونظر باشمئزاز إلى الكومبيوتر كأنه المتواطئ. ثم حوّل نظراته إلى بيتسي مُجددًا، «نحتاج إلى أن نُمسك ببيتشام. أن نُوقِفه. أين الوزيرة آدمز الآن؟»

قال هاملتون قبل أن تستطيع بيتسي الإجابة، «حسنًا، ذلك يكفي الآن. عيناي مجهدتان جدًا. وأخشى أن أرتكب خطأً. أحتاج إلى الراحة».

أغلق الكومبيوتر.

«يمكنني أن أحل محلك». قالت بيتسي.

«لا، تحتاجين إلى الراحة أيضًا»، لم تنامي طوال الليل. كما أنني أعرف أي الوثائق قد تمكنت من الوصول إليها. ساعة من الراحة سوف تُنعشني».

«إنه محق». قال وايتهيد، وهو يلتفت إلى النقيب فيلان. «نعرف أهمية الراحة. أن تكون حاد الحواس، أليس كذلك أيتها النقيب؟»

«أجل، سيدي».

التقط اللواء وايتهيد قبعته من فوق المكتب، وهو يحدق إلى هاملتون بعينين حادتين ومُقيِّمتين، ثم سار إلى الباب.

«هل أنتِ متأكدة من أنكِ تستطيعين الوثوق به؟» همس اللواء وايتهيد إلى بيتسي. «لقد عمل لصالح دَن».

«وأنت أيضًا عملت لصالح دَن».

«لا. لقد عملتُ لصالح الشعب الأمريكي. ولا أزال. لكن هو؟» أشار بقبعته إلى بيت هاملتون، الذي طوى ذراعيه فوق لوحة المفاتيح، وأراح رأسه فوقهما. «لست متأكدًا». التفت ليواجه بيتسي. «ربطات العنق. لستِ سهلة. عندما ينتهي الأمر، أتمنى لو تنضمين إليّ وزوجتي على العشاء. لكن ليس في «أوف ذا ريكورد»».

ابتسمت بيتسي. «أود ذلك».

فكرت بيتسي في كلمات اللواء *«عندما ينتهي الأمر»*، وهي تشاهد النقيب فيلان ترافق اللواء في أثناء سيره عبر ردهة صف الماهوجني نحو المصاعد. راحا يتحدثان بصوت خفيض لا يمكنها -ولا يمكن لأي أحد- سماعه.

عندما ينتهي الأمر.

كانت تلك فكرة لطيفة.

«أغلقي الباب». قال بيت هاملتون ما إن عادت إلى مكتب بوينتون. كان يقظًا تمامًا، وقد أخذ يُدخِل الشيفرة ثانية إلى الكومبيوتر. «من الأفضل أن تقفليه».

«لماذا؟»

«رجاء».

فعلت ذلك ثم انضمت إليه. أصابعه تطير فوق المفاتيح. بدت أشبه بخطوات أقدام تركض، تندفع في مطاردة محمومة. ثم توقف، ونهض حتى تأخذ بيتسي مكانه، وتقرأ ما وجده، وحدده داخل المستطيل الأسود لشاشة الكومبيوتر.

«لقد وصلت إليها؟» قالت وهي تجلس غير أن شيئًا في تعبيره، وفي شحوبه قد حذرها. لم يكن ما توقعاه. يمكنها أن تميز أنه أسوأ بكثير.

كان عليها قراءته مرتين وثلاث مرات. ثم تصفحت بقية الصفحة من الأعلى والأسفل قبل أن تجرؤ على النظر إلى هاملتون.

«ألهذا أطفأت الكومبيوتر؟» سألته.

أومأ برأسه، وهو يحدق إلى المذكرة على الشاشة.

أعطت المذكرة الدعم الكامل لخطة باكستان من أجل إطلاق سراح ب. ر. شاه من الإقامة الجبرية في منزله.

حرّكا الصفحة فوق الشاشة فيما ينظران في صمت مذهول إلى المذكرة الثانية التي تنصح الرئيس دَن بقوة بأن ينسحب من الاتفاق النووي الإيراني.

واستفاضت مذكرة ثالثة في شرح لماذا عدم وجود خطة لمستقبل أفغانستان ما بعد الانسحاب الأمريكي ضروري.

وُضِعت علامة «أولوية قصوى» فوق كل مذكرة، وصُنِفت باعتبارها «سرية جدًا».

ووقع عليها رئيس هيئة الأركان المشتركة. اللواء ألبيرت وايتهيد.

«يا إلهي».

***

«سيدتي الوزيرة». انحنى رئيس فريق أمنها الدبلوماسي، وهمس. «لديكِ مكالمة».

«شكرًا لك، لكنني لا أستطيع الرد عليها الآن».

«إنها من مستشارتكِ، السيدة جيمسون».

ترددت إيلين. عيناها لا تبرحان الرئيس نصري. «أرجوك، أخبرها أنني سأتصل بها في أسرع وقت ممكن».

التقى الرئيس الإيراني الوزيرة آدمز وحاشيتها الصغيرة عند مدخل مبنى الحكومة الرئيس حيث توجد مكاتبه الرئاسية أيضًا. طلبت منه إيلين الإذن بأن تُزيل البرقع قبل أن يبدأ لقاؤهما فمن الأفضل لها أن تراه، والأفضل له أن يراها.

«لكن قبل أن أفعل ذلك، سيدي الرئيس، أود أن أقدم إليكَ رفقائي. تشارلز بوينتون، مدير مكتبي.

«سيد بوينتون».

«سيدي الرئيس».

«ابنتي كاثرين».

«آهـه، ماردة الإعلام التي تولت الإدارة خلفًا لأمها». ابتسم ابتسامة ساحرة. «لدي ابنة. أتمنى أن تكون خليفتي إذا شاء الشعب ذلك».

تقصد إذا شاء القائد الأكبر ذلك، فكرت إيلين غير أنها لم تتفوه بذلك.

«أتمنى ذلك أيضًا». قالت كاثرين. «سيكون من الرائع رؤية امرأة رئيسة لإيران».

«وسيكون من الرائع أيضًا رؤية امرأة رئيسة للولايات المتحدة. سنرى من سيحقق ذلك أولًا. ربما ستصبح كلتاكما رئيسة لبلادها. أو ربما والدتكِ...»

التفت إلى إيلين مُجددًا، وانحنى لها انحناءة قصيرة.

«أوه، أخبرني يا رئيس نصري»، قالت إيلين، «ماذا فعلت الآن حتى أُزعجك، وأجعلك تتمنى لي هذه الأمنية الفظيعة».

ضحك.

كان الرد الصحيح تمامًا. الإشادة بتعليقه في الوقت نفسه الذي تنتقص فيه من ذاتها.

«وهذه آناهيتا ضاهر. موظفة في إدارة الشؤون الأجنبية بوزارة الخارجية».

خطت آناهيتا إلى الأمام قليلًا. البرقع يُخفي وجهها غير أنه لا يخفي توتر جسدها. كان التوتر يشع منها. تستطيع إيلين الواقفة قريبة جدًا منها أن ترى القماش الفضفاض يهتز.

«سيدي الرئيس»، قالت بالإنجليزية قبل أن تنتقل إلى استخدام الفارسية. «كان اسم عائلتي في السابق أحمدي».

رفعت ذقنها، وحدقت إليه فيما يحدق إليها. أخذ أحد حراسه خطوة إلى الأمام لكنه لوح له حتى يبتعد.

مع أن إيلين لا تفهم الفارسية، فقد سمعت «أحمدي»، وعرفت أن آناهيتا قد أقدمت على فعل ذلك حقًا.

خطت الوزيرة آدمز مقتربة أكثر من موظفة الشؤون الأجنبية. «أعرف من أنتِ». قال الرئيس نصري بالإنجليزية. «ابنة عرفان أحمدي. لقد خان أبوكِ إيران. خان أخواته وإخوته في الثورة. خان شقيقته وشقيقه. وكيف عامله الأمريكيون؟ أخبرتني مصادري بأنه وأمكِ في السجن، وقد قُبِض عليهما لارتكابهما جريمة بسيطة؛ جريمة كونهما إيرانيين. لم يكونا خائفين منا. كانا خائفين...» التفت إلى إيلين. «منكم».

كان الوضع ينهار أسرع بكثير مما استطاعت إيلين أن تتوقع. بدا ما حدث في كوريا الجنوبية فجأة أشبه بانتصار.

فتحت فمها لتتحدث، لتنكر ما قاله لكنها تذكرت أزي دهاكه الذي يتغذى على الأكاذيب.

فكرت كم كان من السهل إنكار الحقيقة خوفًا من أن تغذي كذبة أكبر حتى. وأدركت في تلك اللحظة مدى خطورة أزي دهاكه. ليس لأنه مخلوق معين يطارد الصالحين من البشر؛ لم

تكن هنالك مطاردة، بل لأنه كان بالفعل هناك، بداخلهم، يصنع الأكاذيب ويُمليها عليهم. كان هو الخائن الأكبر.

«ذلك صحيح». قالت.

أدهشته كلماتها لدرجة أنه صمت لحظة قبل أن ينظر إليها كأنما يحاول اكتشاف لماذا ستعترف وزيرة الخارجية الأمريكية بمثل هذا الشيء.

«وهو خائف منا لسبب»، تابعت، «وهذا السبب لا يتعلق بكونه إيرانيًا، بل لأنه كذب بشأن ذلك. لكن هذا ليس سبب وجودنا هنا».

«لماذا أنتم هنا إذًا؟»

«ربما تسمح لنا بإزالة البرقع قبل أن نواصل هذه المحادثة».

أعطى الرئيس نصري إيماءة مقتضبة إلى الضابطة التي قابلتهن في الطائرة، ومعها الثياب.

رافقتهن إلى مكتب ملحق لتبديل ثيابهم والاغتسال.

ارتاحت إيلين بعد أن تحررت من البرقع الذي وجدته خانقًا جدًّا. مع هذا، ما إن خلعته، وظهر ثوبها الغربي تحته، حتى داهمها شعور مفاجئ بأنها عارية. لم يستمر ذلك الإحساس طويلًا غير أنه كان كاشفًا.

«هل أنتِ بخير؟» سألت كاثرين آناهيتا التي بدت شاحبة، لكن متماسكة.

«يعرف الكثير عنا»، قالت آناهيتا. «شك أبي في وجود جواسيس لكنني اعتقدت ذلك مجرد وساوس».

شخصت بعينها خارج النافذة المطلة على المدينة القديمة.

أمسكت كاثرين بيدها.

«لا بأس في ذلك».

«لا بأس؟»

«أجل، لا بأس أن تشعري بأنكِ في الوطن هنا. ذلك ما تشعرين به رغم مواجهتك مع نصري، أليس كذلك».

ابتسمت آناهيتا إلى كاثرين وتنهدت.

«هل كان ذلك واضحًا؟ كيف يمكنني أن أكون سعيدة، وخائفة في الآن نفسه؟ جزء مني خائف لأنني سعيدة. هل يبدو ذلك منطقيًا؟ لقد شعرت بالخوف والعار من إيران طيلة حياتي. لكن هنا، وفيما أتحدث إلى الرئيس، من بين كل الأشياء، وبالفارسية»، نظرت خارج النافذة، «أشعر بأنني مرتاحة هنا. كأنني أنتمي إلى هنا». التفتت ونظرت إلى إيلين. «لا يبدو ذلك منطقيًا، أليس كذلك؟»

«ليس من المفترض أن يبدو كل شيء منطقيًا». قالت إيلين. «بعض أهم الأشياء في الحياة تُنافي المنطق».

«والآن إليكما سري. سري في غاية البساطة»، قالت كاثرين، وهي تضغط على يد آناهيتا. «يستطيع المرء بقلبه فقط أن يرى بوضوح، أن ما هو جوهري لا تلمحه العين». ابتسمت إلى أمها. «كان أبي وأمي يحكيان لي قصة كل ليلة في طفولتي. كتابي المفضل كان الأمير الصغير».

ابتسمت إيلين.

كم كانت تلك الأوقات تبدو بسيطة. برفقة كوين وجيل والطفلة كاثرين. مثل آناهيتا لم تتوقع إيلين آدمز قط أن الحياة ستقودها إلى هنا.. إلى إيران.. إلى قلب العدو. وبصفتها وزيرة الخارجية. كم كانت ذاتها الأصغر لتتفاجأ بذلك.

مع أنها لا تمتلك دليـلًا إلا أن الوزيـرة آدمـز تعـرف الآن فـي قلبهـا أن آناهيتـا ضاهـر مخلصـة للولايـات المتحـدة. وقـد كانـت مفارقـة غريبـة أن قـول آناهيتـا أنهـا شـعرت بأنهـا فـي الوطـن فـي إيـران هـو الشـيء الـذي أقنـع إيلين بذلـك أخيـرًا.

لا يعترف جاسوس أو خائن بذلك قطّ.

شـككت فـي أن الرئيـس الأمريكـي والمخابـرات الأمريكيـة سيقبلان منطقهـا لكـن الأميـر الصغيـر سيفعل. للأسـف، مصيرهـم ليـس بيـن يديـه الضئيلتيـن.

التقـت نظـرات إيليـن أعيـنَ آناهيتـا وكاثريـن، ثـم حدقـت نحـو الضابطـة الواقفـة بجـوار البـاب.

«أنـا آسـفة»، قالـت آناهيتـا همسًـا. «مـا كان علـيّ أن أقـول مـا قلتـه إلـى الرئيس نصـري. لقـد أغضبـه ذلك فحسـب».

«لا». صـوت إيليـن منخفـض أيضًـا. «لـو سـألكِ عـن أي شـيء، فاسـتمري فـي قـول الحقيقـة».

«إذا كان يعـرف عـن أبـي، فـلا بـد مـن أنـه يعـرف أن زهـرة ابنـة عمـي».

«أجـل»، الآن هـي اللحظـة التـي يجـب أن تقـرر فيهـا إيليـن مـدى خطـورة اللعبـة التـي كانـت علـى اسـتعداد لأن تلعبهـا. تفوهـت بالكلمـات التاليـة بصـوت طبيعـي حتـى يسـمعها الجميـع. «لكـن ربمـا لـم يـدرك أنهـا قـد أرسـلت التحذيـر إليـكِ. ربمـا يعرفـون فقـط أنهـا قـد أتـت مـن منـزل أحمـدي، وأُرسِـلت إلـى وزارة الخارجيـة».

«مـاذا سيفعلون بزهـرة؟» سـألت آناهيتـا.

«يقولون إنهم سيحاكمونها بصفتها جاسوسة وخائنة». قالت إيلين.

«وماذا يفعلون بالجواسيس والخونة؟» سألت كاثرين.

«يعدمونهم».

خيم الصمت.

«ولو اكتشفوا حقيقة آناهيتا؟» حدقت كاثرين إلى أمها. «ماذا سيفعلون بها؟»

استنشقت إيلين نفسًا عميقًا. «دعونا نتعامل مع ما نعرفه فحسب، ونكف عن التخمين».

مع أنها كانت تعرف الحقيقة في أعماقها. وتساءلت بداخلها عن مدى فداحة الخطأ الذي اقترفته بإحضار موظفة الشؤون الأجنبية معهم. وما حجم الإخفاق الذي سيتسبب فيه رفع صوتها أعلى من الهمس في حضرة الضابطة الإيرانية.

جلست الوزيرة آدمز الآن وهي ترتدي ثوبها الغربي المحتشم وحجابًا فوق شعرها يؤطر حدود وجهها، أمام الرئيس نصري في حجرة اجتماعات بلا أي ملامح في مبنى بلا معالم، شكت إيلين في أن من صممه وبناه هم السوفييت في الثمانينيات.

واصلت إيلين الافتراض أن الروس قد زرعوا أجهزة تنصت في المكان، وأنهم يستمعون الآن إلى كل شيء يقولون. وكذلك المخابرات الإيرانية وشرطتها السرية. ومما تعرفه، فإن عملاء المخابرات الأمريكية يستمعون أيضًا. بمن فيهم تيموثي ترابل بيتشام. ربما يحظى هذا الاجتماع بجمهور أضخم من «الأخ الكبير».

«لقد سألت لماذا نحن هنا. افترض أن الوزير عزيزي...» أومأت إلى الرجل الأكبر سنًا، «قد أخبرك. نعرف أنكم مَن وراء القنابل التي فجرت الحافلات الثلاث». ما إن هم الرئيس نصري بالحديث حتى رفعت يدها. «أرجوك، دعني أنهي كلامي... وذلك يكشف لنا أشياء قليلة منها رغبتكم المستميتة في إيقاف أولئك الفيزيائيين عن إكمال مهمتهم. نعرف أيضًا أن بشير شاه قد أستأجرهم. وهو ما يعني أنكم قد حصلتم على المعلومات عن أولئك الفيزيائيين عن طريق شخص قريب من شاه».

«وثمة الكثير أيضًا من الأمور التي لا تعرفونها». قال نصري.

«ولذلك أنا هنا، سيدي الرئيس. حتى أستمع إلى جانبكم، وأعرف».

نهض الرئيس نصري من مكانه، وهو يكاد يقفز، قبل أن تستطيع إيلين أن تقول أكثر من ذلك. حذا عزير حذوه. وجميع من في الحجرة ما عدا الأمريكيين.

التفتت إيلين، وشاهدت رجلًا طاعنًا في السن يدخل الحجرة. له لحية بيضاء مهذبة وطويلة، ويرتدي عباءة سوداء فضفاضة. سارعت إلى الوقوف بدورها، وواجهت القائد الأعلى لجمهورية إيران الإسلامية، آية الله العظمى خسروي.

«يا إلهي». همست آناهيتا.

الفصل السادس والعشرون

أمسك جيل باهار مقبض الباب، ووضع يده الأخرى فوق سطح سيارة التاكسي القديمة المهتزة ليوازن نفسه فيما تشق السيارة طريقها عبر مسارات لم يعد من الممكن تسميتها حقًا بـ«الطرق».

بعد أكثر من ساعة على هذا المنوال، أوقف أكبر السيارة.

«سنسير ما تبقى من الطريق. هل تستطيع أن تفعل ذلك؟»

كان جليًا أن جيل يتألم.

«دعني أستريح لحظة فقط».

ناوله أكبر زجاجة مياه وبعض الخبز فأخذها جيل منه شاكرًا. نظر في شريط مسكنات الألم. تبقى قرصان. ثم نظر إلى الطريق الوعرة الممتدة أمامهما. عرف أين سيتوجهان. كان الجرف شديد الانحدار، والصخور المسننة أقل مخاوفه. تناول قرصًا ثم خلع سراويله ليستبدل بالضمادة الدامية من فوق جرح ساقه أخرى نظيفة.

«هيا»، قال أكبر. «دعني أقوم بذلك».

التقط لفة الضمادات من بين يدي جيل المرتعشتين، ثم نظف الجرح بحرص شديد، ومهارة استثنائية بأن وضع بودرة مضادة للعدوى عليه قبل أن يلف الضمادة الجديدة النظيفة حول الساق.

«إصابة قاسية».

«لقد كنتُ محظوظًا»، قال جيل، وهو عاجز عن إخفاء ألمه حتى إنْ أراد. أضف إلى أنه قد خاض وأكبر الكثير من الأمور معًا لدرجة أنه لا يشعر بالحاجة إلى إخفاء ألمٍ من أي نوع.

سرى مفعول الدواء في غضون دقائق. نهض جيل على قدميه. كان شاحبًا غير أنه قد استعاد قوته.

قال جيل إلى أكبر، وهو ينظر أمامه: «تستطيع الانتظار هنا إنْ رغبت».

«لا، سآتي. وإلا كيف سأعرف لو قتلكَ؟»

«وماذا لو قتلكَ أيضًا لأنك من أحضرتني؟»

«فستكون تلك مشيئة الله.

«الحمد لله»، قالها بالعربية. الشكر لله.

انطلق الرجلان.

وجد أكبر في أثناء صعود الطريق الصخري جذع شجرة يمكن لجيل الذي كان يعرج وراءه وهو يتلو دعوات إسلامية من أجل القوة والشجاعة أن يستخدمه عصا.

***

«لا تجيب»، قالت بيتسي. صوتها منخفض، بالكاد تمتمة.

كانت قد طلبت من النقيب دينيس فيلان، ضابطة صاعقة، الوقوف في الردهة بالخارج. ما إن بدت متفاجئة حتى شرحت بيتسي لها أن عليهما الاطلاع على وثائق سرية جدًّا، ولا يجب أن يوجد شخص آخر في الحجرة. نظرت النقيب فيلان بصورة مُبررة، إلى بيت هاملتون، الناطق السابق بلسان إيريك دَن، سيئ السمعة.

«لقد فوضته». قالت بيتسي، وقد التقت نظراتها عيني النقيب. كانت ترهات بكل تأكيد. كان بوسعها أن تقول بإقناع شديد إنها قد منحت هاملتون خاتم سليمان، أو حزام باتمان، أو مطرقة ثور.

استطاعت أن تلاحظ بالفعل تردد ضابطة الصاعقة. ربما تصدقها حتى. لماذا ستقول مثل هذا الشيء الغريب إن لم يكن صحيحًا؟

أبقيا صوتيهما منخفضين حتى مع وجود فيلان في الممر، وقد افترضا احتمال وجود أجهزة تنصت في الحجرة. دينيس فيلان مساعدة اللواء وايتهيد، وهو ما يعني أنه قد أرسلها إلى هنا لمراقبتهما، وليس لحمايتهما. يجب أن يفترضا أن أجهزة تجسس قد زُرِعت في المكاتب.

كانت بيتسي لا تزال مهزوزة من اكتشاف أن وايتهيد، وليس بيتشام، هو الخائن الذي يعمل مع بشير شاه.

لقد كان رئيس هيئة الأركان المشتركة يتواطأ مع الإرهابيين ويمدهم بمعلومات هامة. كان سبب قيامه بذلك يصعب فهمه، لذا لم تحاول ذلك. يمكن تأجيل معرفة السبب إلى وقت لاحق. تحتاج الآن إلى تحذير إيلين. لم تستطع بيتسي الوصول إليها عبر الهاتف لذا كتبت رسالة نصية عاجلة.

«أعتقد أن هنالك خطأ إملائيًا». همس بيت هاملتون عندما شاهد ما كتبته.

«متشابه يتسكع داخل حانة».

«أين؟»

«الجملة كلها. ألم تقصدي أن تكتبي، «وايتهيد هو الخائن؟» يبدو أنكِ قد أخطأت تهجئتها».

«لا، إنها شيفرتنا في الأزمات». قالت بيتسي بصوت خافت. أومأت نحو الكومبيوتر. «نحتاج إلى أن نكتشف ماذا يوجد أيضًا في تلك الوثائق».

جلس هاملتون إلى مكتب بوينتون، وعاد إلى العمل.

مالت إيلين إلى الإمام. انحنى الضباط، وهم يضعون أيديهم فوق قلوبهم، فيما يدخل آية الله العظمى الحجرة.

«سيدتي الوزيرة».

«سماحتكَ».

ترددت، وهي واعية تمامًا أن ما قاله الرئيس وليامز صحيح. لو تسربت صورة من اجتماعها مع رئيس دولة تعدّها أمريكا إرهابية، ناهيك بالانحناء له، فسوف يكون ثمن ذلك باهظًا. مع هذا بدأت إيلين آدمز تنحني، ثمة أشياء أهم من المظاهر. مثل آلاف الأرواح المعرضة للخطر التي تعتمد على نتيجة هذا اللقاء. لكن ما إن خفضت رأسها إنشًا تقريبًا حتى مد آية الله العظمى خسروي يده إليها. لم يلمسها. ولم يقترب حتى منها. لكن معنى الإشارة كان واضحًا.

«لا»، قال بصوت رفيع شيئًا ما لرجل في الثمانينيات من عمره. «لا داعي لذلك».

اعتدلت إيلين في وقفتها، والتقت عيناها عينيه الرماديتين. ثمة فضول وجاذبية.

لم تنخدع بذلك. الواقف أمامها رجل وافق قطعًا على جرائم قتل عدد لا يُحصى من البشر على مر السنين. وقبل ساعات فقط، أمر بذبح قرابة مئة رجل وامرأة وطفل بريء في سبيل قتل ثلاثة أشخاص فقط.

مع هذا ردت المجاملة بالمجاملة.

«ليكن الله معك». قالت، وهي تضع يدها فوق قلبها.

«ومعكِ». عيناه مثبتتان على عينيها. يتفحصها كما تتفحصه هي.

اصطف خلف الإمام جدار من رجال شبان. من خلال البحث، والحديث مع الخبراء عن إيران الحديثة في المدة الوجيزة التي امتلكتها قبل القدوم إلى هنا، عرفت إيلين أن هؤلاء الرجال هم أبناء آية الله وبعض مستشاريه. عرفت أيضًا أن آية الله العظمى خسروي ليس فقط القائد الروحي لإيران. لقد عزز سلطته سرًا طوال أكثر من ثلاثين سنة كان فيها القائد الأعلى فيما يتظاهر ويدعي أنه إمام زاهد.

لقد ترأس آية الله خسروي ما يمكن اعتباره حكومة ظل، اتخذ عبرها رجاله القرارات المهمة المتعلقة بمستقبل إيران. لو كان ثمة أي تغيير في سياسة إيران، مهما كان تغيرًا بسيطًا، فسيأتي منه. كانت يده على المقود، وليست يد نصري.

ارتدى آية الله العظمى عباءة سوداء فضفاضة فوق جلباب مكتبه، وعمامة سوداء ضخمة لها دلالة خاصة. حقيقة أنها سوداء وليست بيضاء تشي بأنه سليل مباشر للنبي محمد. وأما حجم العمامة في إيران فيعكس مقام المرء. كانت عمامة آية الله العظمى تشبه الحلقة الخارجية لزحل.

لوح بيد تملؤها العروق فجلسوا مرة أخرى.

اتخذ خسروي مقعدًا بجانب الرئيس نصري، ويواجه إيلين.

«أنتِ هنا، سيدتي الوزيرة من أجل معلومات تعتقدين أننا نستطيع أن نعطيك إياها». قال. «وتعتقدين أن هنالك سببًا قد يجعلنا نفعل ذلك».

«أعتقد أن حاجتنا في هذه اللحظة تتلاقى».

«وما تلك الحاجة؟»

«الحاجة إلى إيقاف بشير شاه».

«لكننا أوقفناه». قال آية الله العظمى. «لم يعد يستطيع علماؤه الفيزيائيون أن يُكملوا مهمتهم».

«لكن هنالك آخرين يستطيعون أن يحلوا محلهم. لا يمكنك قتل كل فيزيائي في العالم».

رفع خسروي حاجبيه، وابتسم ابتسامة محدودة. كأنه يقول لها أنه يستطيع، وأنه إن لزم الأمر فسيقتل كل عالم فيزياء نووي في العالم ما عدا علماءهم الإيرانيين. غير أن الوزيرة آدمز تعلم أيضًا أنه قد أتى إلى هذا الاجتماع لسبب. من المستحيل أن يأتي قائد الجمهورية الإيرانية الإسلامية الأعلى إلا إذا كان يريد شيئًا بدوره. يحتاج إلى شيء. وشكت في أنها تعرف ما هو.

رغم حقيقة أنه يبدو قويًا فإن ثمة شائعات رصدتها المخابرات الأمريكية أن صحته متدهورة. يريد خسروي أن يخلفه ابنه أردا-شير. لكن الروس يريدون رجلًا تابعًا لهم في هذا المنصب. شخصًا يمكنهم السيطرة عليه. وهو ما يعني أن إيران ستصبح مستقلة اسمًا فقط. وستصبح في الواقع تابعة لروسيا.

كانت معركة قوى تدور رحاها في الخفاء. معركة كانت إيران -الداهية الناجية من البيزنطيين ومن السياسات الوحشية غالبًا في الشرق الأوسط- مصممة على أن تربحها. غير أن حضور آية الله العظمى اليوم قد أخبرها بأنه لم يعد متأكد من قدرته على ذلك. لذا قرر أن يلعب على الحبلين، ويرى ما يمكن أن تقدمه له روسيا وأمريكا. كانت لعبة خطِرة، وحقيقة أنه مستعد لأن يلعبها تشي بيأس وضعف لن يعترف بهما أبدًا.

لكنه لن يحتاج إلى ذلك. لقد حررته من ذلك الاعتراف بأن قالت أن حاجتهما تتلاقى. تستطيع أن ترى أنه قد فهم ذلك. لم يرغب أي من الطرفين في أن تفوز روسيا بهذا الصراع. وكلاهما كان يائسًا وفي حالة ضعف أكبر مما يمكنهما الاعتراف به. كان الوضع أفضل، وأسوأ مما اعتقدت إيلين. أفضل لأنه توجد فرصة للنجاح. وأسوأ لأن الأشخاص والدول اليائسة والضعيفة قد تُقدِم على فعل أشياء غير متوقعة، وحتى كارثية. مثل تفجير الحافلات المكتظة بالمدنيين من أجل قتل شخص واحد.

«كيف عرفتم عن علماء الفيزياء الذين جندهم شاه، سماحتك؟» سألت.

«لإيران أصدقاء في كل أنحاء العالم».

«دولة تمتلك الكثير من الأصدقاء لن تحتاج بكل تأكيد إلى التورط في جريمة قتل جماعي. لم تقتلوا فقط كل أولئك الأشخاص على متن الحافلات، لكنكم تتبعتم وقتلتم المفجِّر الذي هرب وعائلته وضابطين أمريكيين رفيعي المستوى».

«تقصدين مدير مكتب مخابراتكم في فرانكفورت، ومعاونته الأولى؟» سأل آية الله العظمى.

حقيقة أنه لم يتظاهر بالجهل، أخبرت إيلين بأنه قد أراد منها أن تعرف أن الموضوع مهم جدًّا له على نحو شخصي، إن لم يكن مُباشرًا. «وماذا تتوقعين منا أن نفعل؟» سأل، «عندما تذهب كل تحذيراتنا هباء. صدقيني، لم نرغب في أن نؤذي كل أولئك الأشخاص. ولم نكن لنفعل لو كنتم أجبتم عن التماساتنا. أنتم مسؤولون عمَّا حدث مثلنا تمامًا. وربما أكثر».

«عذرًا؟»

«هيا، سيدتي الوزيرة. أعرف أنه قد حدث تغيير في النظام...»

«الإدارة».

«في دولتكم، لكن لا بد من وجود بعض الاستمرارية في المعلومات، لا يمكنكِ أن تخبريني بأن رجل دين بسيطًا مثلي يعرف أكثر من وزيرة خارجية أمة عظيمة مثل أمريكا؟»

«أنا كما تعلم جديدة على منصب وزيرة الخارجية. ربما تستطيع أن تُنيرني».

التفت آية الله إلى الرجل الشاب الجالس إلى يمينه. ابنه وخليفته القوي، أردا-شير.

«لقد حذرنا وزارة خارجيتكم بشأن الفيزيائيين منذ أشهر». قال أردا-شير. صوته ناعم يكاد يكون تقريريًا فيما ينقل إليها هذه القنبلة.

«أرى ذلك»، قالت إيلين، وهي تحاول استيعاب هذه المعلومة. «وماذا بعد؟»

رفع يديه.

«لم نتلق أي رد. لقد حاولنا مرات عدة، معتقدين أن الرسائل ربما لم تصل. وكما يمكنكِ أن تتخيلي، لا نستطيع أن نستخدم القنوات الرسمية. يمكننا أن نُريكِ ما أرسلناه».

«سيكون ذلك مفيدًا». لم تكن بحاجة إلى التأكد من وجودها أو ما كُتِب بالتحديد. ما أرادته هو أسماء الأشخاص الذين أُرسِلت إليهم تلك التحذيرات. شكت في أن تيم بيتشام أحدهم. بذلت قصارى جهدها حتى تستعيد تماسكها مع أنها قد خسرت الأفضلية التي كانت تمتلكها.

«ما إن اتضح لنا أن الغرب لا يهتم»، واصل أردا-شير. «حتى اضطررنا نادمين إلى أن نتعامل مع الأمر بأنفسنا».

«لم تكونوا مضطرين إلى تفجير أناس أبرياء».

«بلى، كنا مضطرين، سيدتي الوزيرة. المعلومة الوحيدة التي استطاع مصدرنا أن يحصل عليها هي أن ثلاثة علماء فيزياء نووية قد جُنّدوا من أجل بناء أسلحة نووية لصالح الدكتور شاه، لكننا لم نعرف أسماءهم. كل ما عرفناه هو ترتيبات سفرهم».

«الحافلات». قال نصري. «لقد سألنا إذا كانت شبكة اتصالاتكم تمتلك معلومات أكثر. لقد توسلنا. وفي النهاية لم نمتلك خيارًا».

«احتجنا إلى أن يعرف الدكتور شاه والغرب أن مثل هذا التهديد الموجه إلى جمهورية إيران الإسلامية لا يمكن السكوت عليه». قال أردا-شير. «لن نسمح لدولة أخرى في هذه المنطقة أن تحصل على سلاح نووي خاصة بعد أن أصدر أبي فتوى ضد أسلحة الدمار الشامل كلها».

«أجل»، قالت إيلين. «مع هذا تمتلكون علماء فيزياء نووية إيرانيين. أعتقد أنكم قد اعتقلتم منذ قليل رئيس برنامجكم للأسلحة النووية، الدكتور بنهام أحمدي».

«لا».

«لا؟ لا ماذا؟»

«لا، البرنامج الذي يديره الدكتور أحمدي من أجل الطاقة النووية وليس الأسلحة». قال أردا-بشير، «ولا، لم نعتقله. لقد استدعيناه حتى يجيب عن بعض الأسئلة. لكن المرأة الشابة، ابنته؟ أجل، هي رهن الاعتقال. وسوف تُحاكم، ولو ثَبُت أنها

مذنبـة فسـوف تُعـدَم». التفـت إلـى آناهيتـا. «أنـتِ الشـخص التـي تواصلـت معهـا، ابنـة عمهـا. أليـس كذلـك؟»

كادت آناهيتـا تجيـب لكـن إيليـن أمسـكت يدهـا. مـع أنهـا قـد نصحـت موظفـة الشـؤون الأجنبيـة أن لا تكـذب، فإنـه لا توجـد حاجـة إلـى البـوح بمعلومـات أكثـر مـن الـلازم.

اكتشـاف أن إيـران قـد حاولـت بالفعـل أن تُحـذر أمريكا مـن خطـط شـاه، وأن تلـك التحذيـرات قـد قُوبِلـت بالتجاهـل كان كارثـة سياسـية ودبلوماسـية وأخلاقيـة. لا تقـدم تبريـرًا ولا تخلـق معـادلًا أخلاقيًـا لمـا فعلتـه إيـران، لكنهـا أحدثـت تغييـرًا هـائـلًا فـي المعادلـة. بحثـت إيليـن عـن شـيء تقولـه.

«الولايات المتحدة جاهزة الآن لأن تتصـرف...»

قُوبِـل ذلـك بدهشـة عارمـة مـن الضبـاط لكـن القـائـد الأعلـى أسـكتهم بحركـة تـكاد لا تُـرى، قبـل أن يعطيهـا اهتمامـه الكامـل.

«حتـى وإنْ كان ذلـك متأخـرًا». أضافـت إيليـن، وهـي تسـتدير لتواجـه خسـروي.

يمكنهـا أن تـرى أن الإيرانييـن كانـوا ينتظـرون منهـا أن تهاجمهـم. أن تتطـرق إلـى القائمـة الطويلـة بصـورة مُؤسـفة لانتهاكاتهـم. وقـد شـعرت حقًـا بإغـراء أن تفعـل ذلـك. لكنهـا عرفـت أيضًـا أن الرضـوخ لتلـك الرغبـة مهمـا كانـت مُبَـرَّرة سـوف يقـود ثانيـة إلـى الجـدال الأزلـي نفسـه حيـث لا شـيء سيُحَل، والجميـع سيخرج منـه ملطخًـا بالوحـل والمـرارة.

«أنـا آسـفة جدًا، سـماحتك. لقـد وصلـت تحذيراتكـم إلـى آذان صمـاء. أعتـذر، وأعبـر نيابـة عـن حكومـة الولايات المتحـدة الأمريكية

عن ندمي البالغ على تجاهل تحذيرك».

سمعت إيلين شهقة. لم تصدر عن الإيرانيين رغم وضوح دهشتهم. أتت من تشارلز بوينتون، مدير مكتبها، الذي همس: «سيدتي الوزيرة!»

تخيلت إيلين أولئك الأشخاص الذين يستمعون إلى المحادثة، بداية من الروس حتى المخابرات الأمريكية، وهم يشهقون جميعًا لأن وزيرة الخارجية الأمريكية قد اعتذرت للتو إلى آية الله العظمى الإيراني.

لكنها كانت خطوة محسوبة. تعرف ما تفعله بالتحديد. كانت توازن نفسها فوق نصل سكين من خلال الموازنة بين الحقيقة والكتمان فيما ترسل رسالة ضمنية إلى آية الله العظمى.

كان محنكًا جدًّا حتى يعرف أن الضعيف يتوعد وينكر ويكذب ويهاجم بضراوة. أما القوي فهو يعترف بخطئه، ومن ثم يتحرر من أي قيد يفرضه ذلك الخطأ عليه. فقط الأشخاص المهيبون حقًا من يستطيعون أن يتحملوا تكلفة إظهار الندم. لقد برهنت وزيرة الخارجية الأمريكية عن قوة وعزيمة هائلة دون أن تظهر أي ذرة ضعف.

استوعب آية الله العظمى ما فعلته إيلين للتو. مال برأسه اعترافًا باعتذارها، والأهم من ذلك بالخطوة الجريئة التي أقدمت عليها، وجردتهم بها من الأفضلية التي امتلكوها.

«تريدون معلومات عن الدكتور شاه»، قال خسروي. «ونرغب نحن في إيقافه. أعتقد أن حاجتنا تتلاقى كما قلت آنفًا سيدتي الوزيرة. لكننا للأسف لن نستطيع منحكِ الكثير من المعلومات.

لا نعرف مكانه. كل ما نعرفه هو أنه يبيع أسرارًا نووية، بالإضافة إلى مواد نووية، وعلماء فيزياء نووية». توقف ليمسح فمه بمنديل حريري. «نعتقد أيضًا أنه رغم إيقافنا له هذه المرة، غير أنه سيستمر في نشاطه حتى يُقبَض عليه شخصيًا. لقد أخرجتم الوحش من قمقمه. إنه مسؤوليتكم».

«مسؤوليتنا أن نعيده إلى الإقامة الجبرية؟»

«لا ننصح بذلك، سيدتي الوزيرة».

عرفت إيلين ما يقصده تمامًا. وما تريد الدولة الإيرانية من أمريكا أن تفعله.

«كيف حصلتم على معلوماتكم عن شاه والفيزيائيين؟» سألت.

«مصدر سري». قال ابن آية الله.

«أرى ذلك. هل ذلك هو المصدر نفسه الذي أخبركم بزهرة أحمدي؟» قالت إيلين.

أومأ آية الله العظمى نحو أحد أفراد الحرس الثوري الواقف عند الباب، ففتحه. دخلت امرأة شابة بعباءة وردية لامعة وحجاب. دفع ذلك آناهيتا إلى النهوض لكن إيلين وضعت يدها فوق ساقها لتمنعها. مع هذا لم تغب تلك الحركة عن عيني آية الله.

تبع زهرة رجل طاعن في السن. أبوها، عالم الفيزياء النووية بنهام أحمدي. توقفا في مكانهما في صدمة ما إن وقعت أعينهما على آية الله العظمى. من الواضح أن لا أحد منهما قد شاهده في الواقع باستثناء ربما رؤيته من مسافة كبيرة.

انحنى الدكتور أحمدي على الفور انحناءة عميقة وهو يضع يده فوق قلبه. «سماحتك». حذت زهرة حذوه لكن ليس قبل أن

تحدق إلى إيلين، وقد تعرفت بوضوح إلى وزيرة الخارجية، ثم إلى آناهيتا.

كانت بنتا العم متشابهتين تشابهًا كبيرًا لدرجة أنه كان من المستحيل ألا تتعرف زهرة إليها. مع هذا تمكنت زهرة من أن لا تتفوه بأي كلمة، وشرعت تنحني للقائد الأعلى، وعيناها منخفضتان في احتشام وتذلل.

«كنا نتناقش في أمركما». قال الرئيس نصري بعد أن أعطاه خسروي إشارة بأن يتولى هو الحديث. «ربما تودين أن تخبرينا يا آنسة أحمدي، كيف استطعت أن تعرفي عن القنابل في الحافلات».

«أنت أخبرتني».

ارتفع كل حاجب في الحجرة لكن ليس أعلى من حاجبي نصري. «لم أفعل».

«بلى، ليس مباشرة لكنك أرسلت مستشارك العلمي إلى أبي، الذي أخبره بالفيزيائيين، وأن كل ما تعرفونه هو أنهم سيكونون على متن تلك الحافلات في تلك التوقيتات. لقد تنصت على المحادثة. حجرتي فوق مكتب أبي مباشرة».

لم تنظر إلى أبيها فيما تتكلم. كان جليًا من نبرتها الآلية أنها قد توقعت السؤال، وجهزت وتدربت على إجابتها. كان واضحًا أيضًا أنها تحاول حماية أبيها.

«ولماذا قررتِ إخبار الأمريكيين؟» سأل نصري.

سرى التوتر في الحجرة. إجابتها ستحدد مستقبلها. لو اعترفت فستكون نهايتها.

«لأن، سماحتك...» حدقت زهرة إلى آية الله العظمى. «لأنني لا أعتقد أن الله الرحيم الرؤوف سيوافق على قتل الأبرياء».

وهكذا قُضي الأمر. أُعلِن إيمان، وحُسِم مصيرٌ.

«هل ستلقين محاضرة علينا، على آية الله العظمى، عن الله؟!» سأل نصري. «هل تعرفين مشيئة الله؟»

«لا، غير أنني أعرف أن الله لن يرغب في قتل رجال ونساء وأطفال أبرياء. لو أنني قد اختلست السمع إلى أنكم كنتم ستقتلون الفيزيائيين فقط حتى تحموا إيران، لم أكن لأحاول أن أوقف ذلك».

التفتت ونظرت إلى أبيها الذي لا تزال عيناه منخفضتين.

«لا يعرف أبي أي شيء عن هذا».

«حسنًا»، قال آية الله العظمى. «لو كنت مكانكِ، لما قلت ذلك يا صغيرتي. في اعتقادك كيف عرفنا بما فعلتِه؟»

أصبحت الحجرة ساكنة تمامًا. لقد تحول الأب وابنته إلى لوحة فنية، يحدق الجميع إليهما.

«بابا؟»

صمت.

«بابا؟ أنت من أخبرهم؟»

رفع عينيه، وتمتم بشيء.

«بصوت أعلى». طالبه الرئيس نصري.

«لم يكن لدي خيار. الكومبيوتر مُراقَب. كل بحث أجريه، كل رسالة أرسلها تخضع للرقابة. كانوا ليكتشفوا الأمر في نهاية المطاف. لكن كان عليّ أن أفعل ذلك لأحمي شقيقكِ وشقيقتكِ. لأحمي أمكِ».

«لقد أثبت ولاءه». قال نصري مع أن نظرة الاشمئزاز قد علت وجه آية الله العظمى والوزير عزيز. الولاء للدولة قد يأتي أولًا غير أن خيانة العائلة تشي بالكثير من الأشياء السيئة عن شخصية الإنسان. ربما سيعيش الدكتور أحمدي أطول من ابنته لكن شخصيته ومكانته عند النظام الإيراني قد تزعزعت.

أشاحت زهرة وجهها بعيدًا عنه.

أشاحت الوزيرة آدمز وجهها بعيدًا عنه.

ثم أشاح آية الله العظمى بوجهه عنه. وأشاح كل من في الحجرة بوجهه بعيدًا عن بنهام أحمدي.

***

كانت الأحداث تتحرك بوتيرة سريعة الآن، تتخذ صورة واضحة، وتنهار في الوقت نفسه. كان على إيلين أن تفكر بسرعة. أن تتصرف بسرعة إذا كانت ترغب في إنقاذ أي شيء.

«نحتاج إلى النظر إلى الأمام، وليس إلى الوراء». قالت إيلين، وهي تُبعد الانتباه عن المرأة الشابة. ستجد حلًا لذلك لاحقًا. «الولايات المتحدة جاهزة للتصرف غير أنني أحتاج إلى معلومات عن شاه حتى نفعل ذلك. موقعه. خططه. ماذا حقق منها. لا أستطيع إيقافه إذا كنت لا أعرف ذلك. أحتاج إلى معرفة مصدركم».

التقت نظرات إيلين عيني آية الله، تحاول أن ترسل إليه رسالة. تحاول أن تخبره بأنها مدركة أن الروس يستمعون بكل تأكيد. أن الكثير مما قيل في تلك الحجرة يخدم مصالحهم. تعرف أنه لن يستطيع إخبارها حتى لو كان لديه المعلومات. لكن ربما يستطيع

إرسال إشارة. شيء ما. أي شيء. لا بد من أنه يعرف من أين أتت المعلومات عن شاه. يجب أن يكون شخصًا قريبًا جدًّا من شاه حتى يحصل على معلومات دقيقة غير أنه ليس قريبًا جدًّا حتى يمتلك كل المعلومات.

فكرت إيلين أن عدم استعداد آية الله العظمى لأن يخبرها كان يعني إلى درجة شبه مؤكدة أن المصدر روسي غير أنه لم يكن مصدرًا داخل السلطة. فلو كان كذلك، ما كان ليجد غضاضة في إخبارها به. ففي تلك الحالة لم يكن سيبوح بأي شيء لا تعرفه المخابرات الروسية بالفعل. المصدر روسي غير أنه ليس روسيًا. ترك ذلك احتمالًا واحدًا فقط.

حدق آية الله العظمى إلى عينيها مباشرة.

«تقرئين لأطفالكِ قصة الأمير الصغير. أقرأ أيضًا لأطفالي».

كانت إيلين مركزة تركيزًا تامًا. أعصابها مهزوزة. لقد أكد للتو وبهدوء أنه كان يتنصت على كل شيء قالته وكاثرين وآناهيتا فيما كن تستبدلن ثيابهن بالبراقع. وبما في ذلك اعتراف الوزيرة آدمز المقصود مدفوعًا بشكها في أنهم مُراقَبون، أن آناهيتا من استلمت رسالة ابنة عمها. كانت مخاطرة محسوبة، وكانت إيلين .على وشك أن تكتشف إذا كانت حساباتها صحيحة

لا شيء مما سيقوله القائد الأعلى الآن دون طبقات من المعاني المُبطنة.

التفت الإمام الأكبر إلى أبنائه. «قصتكم المفضلة كانت قصة **خرافات الحكيم بيدبا الفارسية**».

رفع ذراعه اليمنى المشلولة بذراعه اليسرى.

تذكرت إيلين أنه قد أصيب إصابة بالغة في هجوم تفجيري قبل سنوات، وفقد على إثرها القدرة على تحريك ذلك الذراع. راح يمسده الآن كما لو كان طفلًا قبل أن يلتفت إليها ثانية.

«هل تعرفين خرافة القط والفأر؟»

«آسفة»، قالت. «لا أعرف».

لم تفتها ملاحظة أنه قد استعمل الكلمة القديمة لدولتهم «فارس».

«قط ضخم، فلنقل أسدًا، وقع في شبكة صياد». صوته المنخفض له تأثير مهدئ. وعيناه متقدتان. «وكان هنالك فأر قد خرج للتو من جحره، وشاهد هذا. توسل القط-الأسد إلى الفأر أن يقرض الحبال، ويحرره لكن الفأر رفض». ابتسم الإمام. «كان الفأر كائنًا عجوزًا وحكيمًا، وخشي أن القط-الأسد سوف يلتهمه ما إن يتحرر من قيوده. لأن تلك طبيعة الأسود. لكن القط-الأسد واصل التوسل، وهل تعرفون ما فعله الفأر؟»

«لقد...» شرع نصري يتكلم لكن عزيز أوقفه.

«أعتقد، سيدي الرئيس، أن السؤال موجه إلى وزيرة الخارجية الأمريكية».

فكرت إيلين. شكت في أن هذه هي الرسالة. الشيفرة. مع هذا لم تستطع حلها.

«لا أعرف، سماحتك». شاهدت لدهشتها نظرة استحسان.

«لقد قرض الفأر الداهية الحبل لكن ليس كله. ترك فتلة، قضمة سميكة حتى يبقى القط-الأسد عالقًا في المصيدة. يمكنهما سماع الصياد يقترب. كان يقترب أكثر فأكثر».

اختفى جميع من في الحجرة، ولم يبق سوى القائد الأعلى لجمهورية إيران الإسلامية ووزيرة الخارجية الأمريكية. خفض آية الله العظمى خسروي صوته، وبدا كأنه يتحدث في أذن إيلين مباشرة.

«انتظر الفأر حتى انشغل القط-الأسد باقتراب الصياد، ثم في آخر لحظة قرض الجزء المتبقي من الخيط ليحرر القط. وقبل أن يدرك القط أنه قد تحرر بلحظة، هرب الفأر إلى داخل جحره. ثم تحرر القط-الأسد، وتسلق الشجرة».

«وماذا عن الصياد؟» سألت إيلين.

«عاد خالي اليدين». هز آية الله كتفيه دون أن يزيح عينيه الداكنتين عن عينيها.

«أو ربما التهمه الأسد لأن تلك طبيعة الأسود».

«ربما». استدار آية الله العظمى إلى أحد أفراد الحرس الثوري. «اقبض عليها».

تجمدت إيلين. خطا الحارس نحو زهرة.

«ليس هي»، قال خسروي. «بل تلك المرأة. ابنة الخائن التي استلمت الرسالة».

تعثرت آناهيتا، وانهارت على الأرض. قفزت إيلين، ووقفت أمامها. «لا!»

«لم تعتقدي حقًا، سيدة آدمز»، قال عزيز فيما يدفعها الحارس الثوري جانبًا، وينتزع آناهيتا من قبضتها «أننا سنسمح لجاسوسة خائنة بأن تدخل إيران، وتحضر اجتماعًا حكوميًا رفيع المستوى دون عواقب. نعرف من هم الفئران».

«آسف»، قال آية الله العظمى، وهو ينهض على قدميه، ويغادر الحجرة.

الفصل السابع والعشرون

صوِّبت بنادق إيه كيه-٤٧ من نقاط المراقبة في الجبل نحو جيل وأكبر فيما يقتربان من معسكر البشتون. لا يمكنهما رؤية المقاتلين لكنهما يعرفان أنهم هناك.

رفع كلا الرجلين أذرعهما، وقد ارتديا ملابس البشتون التقليدية. أسقط جيل الغصن الذي كان يستعمله عصا خشية أن يعتقدوا أنها بندقية. أخذ أكبر بجواره يستنشق أنفاسًا متثاقلة بسبب تسلق الجبل عبر ممرات وعرة، وبسبب الخوف أيضًا.

كان عرج جيل أكثر وضوحًا. كان يجفل من الألم مع كل خطوة.

مع هذا واصلا التقدم.

اقترب حارس مسلح يتبعه رجل مألوف لجيل. كانت البندقية الآلية مرفوعة في مستوى الوافدين الجدد. توقف جيل وأكبر.

«السلام عليكم». قال جيل. فلتصحبك السلامة.

«وعليكم السلام». قال الرجل الذي بدا واضحًا أنه المسؤول وقائد مخيم البشتون. سرت لحظة توتر. أمسك الرجل الأصغر سنًا البندقية بقوة أكبر في انتظار الأوامر. لم يستطع أن يرى وقد أولى ظهره للقائد الابتسامةَ الطفيفة التي ظهرت على وجهه الملتحي.

«لا تبدو في أحسن حال يا صديقي». قال القائد. «لكنني أتمنى أن تكون أفضل حالًا من آخر مرة رأيتك فيها».

«حسنًا، لا تزال تمتلك رأسكَ».

«بفضلكَ».

خفض الحارس سلاحه فيما تجاوزه القائد المحارب وعانق جيل وقبله ثلاث مرات. تراجع جيل إلى الوراء، وأمسك ذراعي الرجل وتأمله. كان ممتلئ الجسم، وقد صار مفتول العضلات. في أوائل الثلاثينيات من عمره، لم يعد ذلك الرجل الطفل الصافي الوجه الذي قابله جيل أول مرة. غير أن جيل قد تغير بدوره.

كان وجه الرجل أسمر بفعل حرارة الشمس ومُجهدًا وملتحيًا. شعره طويل، وقد شدَّه إلى الوراء بعيدًا عن وجهه. كان يرتدي زي المقاتلين الأفغان. زيًا هجينًا بين الزي الإسلامي والثياب العسكرية الغربية.

«كيف حالك يا حمزة؟»

«لا أزال حيًا».

طاف القائد بعينيه في أرجاء المعسكر ثم وضع يده الضخمة فوق كتف جيل، وقال، «هيا. السماء تُظلم، ولا أحد يعرف ما قد يخرج من العتمة».

«ظننت أنك تمتلك الليل». قال جيل، وهو يتبعه.

«لا أمتلك أي شيء». قال حمزة فيما يرفع طرف الخيمة حتى يدخل جيل.

ظل أكبر في الخارج.

«أجل، أرى أنك نفس الرجل البسيط الذي تركته». قال جيل، وهو يفحص بعينيه صناديق المتفجرات والقنابل اليدوية، وأقفاصًا خشبية طويلة مختومة بـ«بنادق كلاشنكوف آلية. أيه كيه -٤٧». تعلو كل الصناديق كتابة روسية.

أمر حمزة الرجال في الخيمة بأن يغادروا، ثم سكب فنجاني شاي من الساموفار[53].

«لحسن الحظ، ليس كل شيء يأتينا من الروس بغرض القتل». قال، وهو يرفع فنجان الشاي الحلو في نخب. ثم صار جادًا. «لم يكن عليك القدوم».

«أعرف، أنا آسف. لم أكن لآتي إلى هنا لو كان هناك وسيلة أخرى».

أومأ حمزة مشيرًا إلى ساق جيل التي كانت تنزف من جديد.

«ماذا حدث؟ هل حاولت أن تُوقِفها؟»

«عالمة الفيزياء النووية؟ لا. لقد تتبعت الدكتورة بخاري بداية من رحلة الطيران المغادرة من باكستان التي أخبرتني بأنها ستكون على متنها إلى فرانكفورت. كنت أتمنى فقط أن تقودني إلى مكان شاه، وأن أكتشف ما يخطط له. لكن الحافلة التي استقلتها انفجرت».

أومأ حمزة.

«لقد سمعت عن التفجيرات. لم يقولوا لماذا حدثت أو من وراءها لكنني تساءلت». حدق إلى جيل، «لماذا أنت هنا؟»

«أنا آسف يا حمزة. أحتاج إلى المزيد من المعلومات».

«لا أستطيع أن أعطيك المزيد. لقد بُحت لك بالكثير جدًا بالفعل. لو اكتشف أي أحد...»

53- الساموفار الروسي: وعاء كبير يستخدم لغلي الشاي. بدأ تصنيعه في روسيا أول مرة سنة 1778. اعتقد الروس أن للساموفار روحًا يمكنها التواصل مع الناس بسبب الأصوات المختلفة التي تصدر عنه في أثناء تسخين المياه.

مال جيل إلى الأمام فوق المخدة الكبيرة على الأرضية حيث كان يجلس، وهو يجفل ألمًا فيما يفعل ذلك.

«نعرف كلانا أن الطريقة الوحيدة حتى تُصبح في أمان هي أن يُقضى على شاه. لا بد من أنه يعرف الآن أن أحدهم خانه. ولن تمضي مدة طويلة قبل أن يكتشف الحقيقة، ويبدأ مطاردتك».

«رجل في الثمانينيات من عمره سيتسلق ذلك الجبل متجاوزًا حرسي؟ أعتقد أنني في أمان».

«تعرف ما أقصده. وتعرف من سيرسلهم». نظر جيل وراءه نحو الأقفاص. «أنا آسف».

«لا علاقة لي بشاه على الإطلاق. كل ما فعلته هو أنني نقلت إليك إشاعة متواترة عن أولئك الفيزيائيين».

«صحيح لكن شخصًا قد أخبرك بهم». هز حمزة رأسه. «أحتاج إلى المزيد».

«بل تحتاج إلى المغادرة. لقد تأخر الوقت كثيرًا الآن. لكن لتغادر مع أول ضوء للنهار». نهض حمزة. «ليس لدي المزيد لأقوله. لقد ساعدتك على الهروب قبل سنوات. لا تجعلني أندم على هذا. ربما شاء الله أن يُقطَع رأسك وأنا قد عصيته. لا أريد أن أضطر إلى تنفيذ مشيئته الآن».

«أنت لا تؤمن بذلك». قال جيل دون أن يتحرك من مكانه. «لقد تركتني أرحل بعد أننا قضينا شهورًا معًا نتدارس القرآن. لقد علمتني كلمات الرسول محمد. أن الإسلام الحقيقي هو التعايش السلمي. لذلك أردت أيضًا أن تضع حدًا لشاه. ولا تزال تريد ذلك».

في أثناء مدة أسرِه، بدأ جيل يستمع إلى الحراس، ويلتقط الكلمات والعبارات. ثم أخذ يتحدث إليهم بلغتهم، لغة البشتو غير أن لا أحد كان يرد عليه إلى أن أتت ليلة، أجابه فيها أصغرهم سنًا. شاب كان يجلب له الوجبات.

بعد أشهر قليلة، جلس الشاب مع جيل، وعلَّمه -بناء على طلبه- الكلمات العربية، لغة القرآن. ثم تحدثا عن الإسلام، وراحا يتلوان القرآن معًا. وعرَّف الشاب جيل على تعاليم النبي محمد.

ومع مرور الوقت وقع جيل في عشق ما يقوله النبي محمد، وما يقوله الإسلام عن منهج الحياة.

ومع مناقشتهما عن الإسلام، اعتدلت وجهات نظر حمزة، ورأى أن رجال الدين المتطرفين قد حرَّفوا الكلمات والمعاني لخدمة مصالحهم.

في جنح الليل، وبعد أن قُطِع رأس الصحفي الفرنسي، فك حمزة الأغلال التي تقيد معصمي وكاحلي جيل وحرره.

ظل الاثنان بعد ذلك على تواصل سرًا. كانت الرابطة بينهما قوية.

«أعرف أنك لن تقتل رجالًا أو نساء أو أطفالًا أبرياء». قال جيل. «أجل، قد يرغب المقاتلون الآخرون في ذلك غير أن الله لن يرغب أبدًا في قتل الأبرياء. لذلك أخبرتني بشاه وعلماء الفيزياء. البنادق شيء...» استدار إلى الأقفاص الممتلئة ببنادق أيه كيه-٤٧ الموضوعة وراءهما. «وأسلحة الدمار الشامل التي تقتل دون تمييز شيء آخر. أحتاج إلى معلومات أكثر حتى أوقفهم». مال جيل إلى الأمام فوق المخدة الكبيرة على أرض الخيمة، وهو

يضغط على أسنانه من شدة الألم في ساقه، «لو بنى عملاء شاه قنبلة نووية، وانفجرت، فسوف تقتل الآلاف. ماذا سيقول الله حينها؟»

«هل تسخر من معتقداتي؟»

بدا جيل مصعوقًا.

«لا، على الإطلاق. إنها معتقداتي أنا أيضًا. لقد قطعت كل هذا الطريق صاعدًا ذلك الجبل اللعين حتى أراك. حتى أحاول إيقافهم. أرجوك، أتوسل إليك يا حمزة، ساعدني».

تبادلا النظرات.

مع أن عمريهما متقاربان، فقد كبُرا في عالمين مختلفين. لكن القَدَر قد ألف بينهما، مثل شقيقين. مثل روحين متشابهتين. ربما من أجل هذا السبب بالتحديد، من أجل هذه اللحظة بالتحديد.

لم يكن حمزة اسمه الحقيقي. لقد اختاره لنفسه ما إن التحق بصفوف المقاتلين. اسمٌ يعني «أسد».

ومع أن جيل هو اسمه الحقيقي غير أنه ليس اسمه الكامل. ظن الجميع أنه جيلبرت. لكن في عتمة الليل، وفيما يتناقش السجين وحارسه في القرآن، أخبره جيل بسره. اسمه الكامل هو جيلجامش.

«يا إلهي». ضحك حمزة ضحكة هستيرية. «جيلجامش؟ كيف حدث ذلك؟»

«لقد درس أبي حضارة بلاد الرافدين القديمة في الجامعة، وكان يقرأ لأمي الشعر. كانت ملحمة جيلجاميش المفضلة لديها».

لم يخبر جيل حمزة أنه علّق ملصقًا من اللوفر على جدار

حجرته في أثناء طفولته. كانت صورة تمثال نُهِب قبل قرون من موقع أثري في مدينة دور شروكين في بلاد الرافدين القديمة. كان التمثال نحتًا لجيلجامش، بطل الملحمة. كان جيلجامش يحتضن أسدًا، وقد تشابكت روحاهما ومصيراهما. تدمر ذلك الموقع الأثري على يد داعش في أثناء الحروب الأخيرة. لذا ما بدا أنه نهب قد أنقذ فعليًا قطعًا أثرية كثيرة.

المنقذون الذين قدَّرهم جيلجاميش في الملحمة الشعرية تجسدوا في صور غير متوقعة. وكثيرًا ما لم يبدُ له منقذين في بادئ الأمر. بل على النقيض. قد يبدو المنقذون تافهين أو بغيضين فيما يبدو الوحوش مُقنِعين وقادرين على جعل أسوأ الأفعال تبدو أفضلها. مثل رجال الدين المتطرفين. مثل القادة السياسيين عديمي المبادئ.مكتبة سُر مَن قرأ

جلس الرجلان، جيلجامش والأسد في الخيمة تحت ضوء الشفق، يواجه كل منهما الآخر. ويواجه كل منهما قرارًا.

الفصل الثامن والعشرون

«أمي، ماذا سنفعل؟ لا نستطيع أن نترك آنا وراءنا».

كانت كاثرين تتبع أمها فيما راحت إيلين تذرع ذهابًا وإيابًا أرضية المكتب الذي نقلهما الإيرانيون إليه، وأخبروهما بأن يرتديا البرقع مُجددًا. وأن يستعدا للرحيل. كانت الحجرة نفسها التي استخدماها لخلع البرقع منذ ما بدا أنه ألف عام.

«لا أعرف». قالت إيلين. كان ذلك صحيحًا، وربما ليس مفاجأة للإيرانيين والروس الذين لا بد من أنهم يتنصتون عليهما.

أبطأت الوزيرة آدمز في مشيتها، وألقت نظرة إلى برقع آناهيتا. كان مُلقى فوق الأريكة، متخذًا شكلًا مستويًا لإنسان. كأنما المرأة قد تلاشت فجأة، وتركت ظلها وراءها. ذكّر المنظر إيلين بالصور المريعة لهيروشيما ناجازاكي بعد إسقاط القنبلتين النوويتين، وتبخر البشر تاركين وراءهم حدودًا داكنة.

يا إلهي العزيز، صلت إيلين. *يا إلهي العزيز، ساعدني.*

حدقت الوزيرة آدمز إلى الحدود السوداء لبرقع آناهيتا، وشعرت كأنها تتشبث بالفراغ متلهفة حتى تُوقِف سقوطها.

كانت في وضع يائس الآن. كيف تُوقف شاه، وكيف تُطلق سراح موظفة الشؤون الأجنبية بوزارتها، وزهرة أحمدي، وتُخرجهما من إيران؟

لم تتحسن الأمور بزيارتها، بل زادت سوءًا بشكل ملحوظ. على السطح على الأقل.

واصلت المشي بمحاذاة جدران الحجرة مثل قط ضخم داخل مصيدة. تشعر بداخلها أنها تمتلك ما تحتاج إليه. أن آية الله العظمى قد منحها المعلومات والأدوات لتفعل ما هو ضروري رغم أنه قد اعتقل موظفة الشؤون الأجنبية، ومن ثم قد أخذ آناهيتا رهينة، مقيدًا يدي وزيرة الخارجية الأمريكية.

أي شيء يرنو إليه؟

اعتقال موظفة شؤون أجنبية أمريكية مفاجأة. صدمة. فعل عدائي واستفزازي. لا معنى له على السطح. لذا، لماذا فعل آية الله العظمى خسروي ذلك؟ وماذا يريد منها أن تفعل الآن؟

لم يكن لديها خيارات كثيرة. لم تكن تستطيع المغادرة دون آناهيتا ضاهر، ودون معلومات عن بشير شاه. لا بد أن آية الله يعلم ذلك غير أنه يطردها عمليًا من إيران. خالية اليدين.

توقفت أمام النافذة، ونظرت إلى العاصمة الإيرانية.

لا بد أن قصة القط والفأر قد عنت شيئًا. كانت أكثر من حكاية رمزية. لكن من القط في القصة. ومن الفأر؟ ولماذا سيساعد أحدهما الآخر؟ لأنهما يمتلكان غاية مشتركة مؤقتة؛ أن يهزما الصياد، الدكتور بشير شاه. إذًا لماذا قبض على آناهيتا ضاهر؟

لماذا؟

لم يكن أي شيء قد قاله أو فعله ذلك الرجل المحنك دون طبقات من المعنى والغاية.

«أمي»، قالت كاثرين، وقد خانها صوتها وكشف قلقها المتنامي. «يجب أن تفعلي شيئًا».

«أنا أفعل شيئًا؛ أنا أفكر».

تعالى صوت طرق على الباب.

«سيدتي الوزيرة»، قال ستيف كواليسكي، ضابط أمنها الدبلوماسي، «وصلتكِ رسالة من مستشارتك».

كادت إيلين تطلب منه أن يتركهما بمفردهما حتى يتسنى لها التفكير غير أنها قد تذكرت مكالمة بيتسي. والآن رسالة. لا بد من أنه أمر عاجل. طلبت الهاتف.

«ما الأمر؟» قالت كاثرين.

فقدَ وجه إيلين الشاحب بالفعل من ضغوط يوم لا نهاية له في الأفق، اللون القليل المتبقي منه، فيما تقرأ رسالة بيتسي.

«متشابه يتسكع داخل حانة».

مشكلة. مشكلة كبيرة.

«شخص يعاني عسرَ القراءة يدلف إلى حمالة صدر[54]». كتبت إيلين.

الرد المتفق عليه مسبقًا بأنها هي حقًا، وأنها فهمت أن ثمة شيء فظيع قد حدث.

أتاها الرد في غضون ثوان. لا بد أن بيتسي كانت تحدق إلى شاشة هاتفها المحمي في انتظار رد إيلين.

الخائن ليس بيتشام. إنه وايتهيد.

انهارت إيلين فوق أحد المقاعد.

سقوطها الحر قد وصل إلى نهايته. لقد اصطدمت بالقاع.

54- التشابه بين كلمتي bar حانة، وbra حمالة الصدر هو ما جعل هذا الخطأ اللغوي مصدر السخرية في هذه المزحة. (المترجم).

شعرت بإغراء أن تكتب، *أنتِ متأكدة؟* غير أنها تعرف أن بيتسي لم تكن لترسل الرسالة إليها إلا إذا كانت متأكدة تمامًا.

عوضًا عن ذلك، كتبت، *أنتِ بخير؟*

أجل. لكن ضابطة الصاعقة التي أرسلها وايتهيد تقف خارج الباب.

شعرت إيلين بقلبها ينقبض. كانت ستطلب من بيتسي في حالة مثل هذه الاتصال بالضابطة. لكن الآن...

الدليل؟

مذكرات. يوافق فيها وايتهيد على إطلاق سراح شاه. يوافق على القرار، ويدعمه.

زفرت إيلين. لقد كذب عليها.

تذكرت نظرة وايتهيد السريعة إلى تيم بيتشام في أثناء مغادرته المكتب البيضاوي لإجراء مكالمة. لقد ساعدها على التأكد من أن رئيس هيئة الأركان المشتركة لا يثق بمدير المخابرات الوطنية.

ترى الآن الأمر، ومئات الأشياء الصغيرة الأخرى على حقيقتها. لم يكن مُضلِّلًا فقط بل ماكرًا أيضًا، ويشغلها بتيم بيتشام بهدوء فيما يشارك في القتل. الموت بألف نظرة خبيثة.

ماذا يعرف؟ كتبت إيلين.

كل شيء أعرفه.

وهو كل شيء تقريبًا باستثناء ما حدث في إيران. وربما يعرف ذلك أيضًا. ربما كان يتنصت ولا يزال.

أدركت إيلين أن وايتهيد بكل صلاحياته الأمنية لا بد له دور في إخفاء ملفات بيتشام، وهو يعرف كيف سيبدو ذلك مثيرًا للشك فيما يزيل أي شيء يدينه له علاقة بدوره هو.

تلك الخطة لم تُحك بين ليلة وانقضائها لا بد من أنها قد خُطِّط لها منذ أشهر، وربما سنوات. طيلة مدة ولاية إدارة دَن التي عمت الفوضى بداخلها، وبالكاد كانت توجد أي مراقبة.

مع هذا أغفل اللواء وايتهيد وثيقة تتعلق به. وثيقة تدينه بشدة. بدا ذلك لها غريبًا. الكثير من الجهود ومع هذا يغفل أهم رسالة؟ لكن سرعان ما طغت الأفكار الأخرى على تلك الفكرة، وحلت محلها.

بيت وايتهيد؟ خائن؟ متحالف مع بشير شاه؟ يسرب المعلومات إلى إرهابيين؟ لماذا سيفعل رئيس هيئة الأركان المشتركة ذلك؟ لقد خان وطنه. وشارك في قتل جماعي. وكذب في كل خطوة. اللواء وايتهيد، رئيس الأركان المشتركة، هو أزي دهاكه. وفريد ماك موري كان الشيطان.

يعرف اللواء وايتهيد أن نجاح شاه يعني تحول الآلاف، أو ربما مئات الألوف من البشر إلى ظلال.

اهتز هاتفها مع وصول رسالة جديدة. هذه المرة من جيل.

يجب أن أذهب، كتبت إلى بيتسي. *كوني حذرة.*

قرَّبت الهاتف من عينيها، وشاهدت أن الرسالة من ابنها قد أتت من مصدر لا تتعرف إليه، لكنها موقعة بـ«من جيل». وبدلًا من رسائله النصية المقتضبة المعتادة، كتب جيل إيميلًا طويلًا إلى أمه.

لا، ليس أمه، أدركت إيلين فيما تفتح الرسالة. لقد كتبها إلى وزيرة الخارجية الأمريكية.

راحت تقرأ الرسالة. ما إن فرغت من ذلك حتى انزلق الهاتف

من بين أصابعها ليسقط فوق حِجرها.

جيل في أفغانستان بالقرب من الحدود الباكستانية. في منطقة يسيطر عليها البشتون. وحيث أُسِر من قبل. يا إلهي. مع هذا كان لديه المعلومات التي يحتاجون إليها.

علماء الفيزياء النووية الثلاثة الذين اغتيلوا في تفجيرات الحافلة كانوا طُعمًا. ملهاة. علماء مغمورون استأجرهم بشير شاه من أجل أن يُذبحوا فقط. حتى يعتقد الغرب أن الخطر قد زال. أو حتى يعتقدوا على الأقل أن لديهم وقتًا في حين أن الوقت في الحقيقة قد نفد.

أخبر المصدر جيل بأن علماء الفيزياء النووية الفعليين قد جُنّدوا منذ سنوات عدة. علماء من الصف الأول، كانوا ظاهريًا في إجازة تفرغ علمية لكن الحقيقة أنهم قد باعوا خدماتهم إلى بشير شاه الذي جرهم بدوره إلى طرف ثالث، غالبًا البشتون والقاعدة، حتى يشيدوا برنامج أسلحة نووية داخل أفغانستان.

هبّت إيلين واقفة لدرجة أن المقعد قد سقط. فكرت بسرعة ثم كتبت إليه، *اتصل بي*.

لقد استعار جيل الهاتف من شخص يبدو أنه يثق به. شخص يدعى أكبر. هاتفه ليس مُراقَبًا. وهاتفها محمي. مع هذا فإن أي أحد يتنصت عليها الآن سيعرف أنها تتلقى مكالمة. أمامهما دقيقتان أو ربما ثلاث قبل أن تُعترَض المكالمة.

«احسبي دقيقتين». همست إلى كاثرين التي شاهدت التعجل في تحركات أمها فلم تسألها أي سؤال.

ردت إيلين على المكالمة قبل أن تنتهي الرنة الأولى.

«أخبرني أين».

«الفيزيائيون الفعليون الذين يعملون لصالح شاه؟ لا أعرف بالضبط. مكان ما بطول الحدود الباكستانية الأفغانية. لن يكون كهفًا أو مخيمًا. لا بد أنه مصنع مهجور».

الحدود الباكستانية الأفغانية شاسعة، وثمة الكثير من الأراضي الشاسعة غير أن جيل لا يستطيع أن يكون أكثر تحديدًا.

«الحجم؟» كانت تحاول أن تُبقي صوتها منخفضًا وعباراتها مُبهمة.

«لا أعرف. أي شيء بدءًا بقنابل محدودة التأثير في حقيبة ظهر إلى ما هو أكبر من ذلك. قنابل نووية تستطيع إبادة مبانٍ قليلة أو مدينة برمتها».

رفعت كاثرين إصبعًا.

مضت دقيقة. وتبقت أخرى.

«أكثر من واحدة؟»

«أجل».

«أين؟»

خيم صمت بدا أنه أبدي قبل أن يجيب. «الولايات المتحدة».

«أين؟»

«مدن. لا أعرف بالتحديد. المزيد يُصنع الآن. أعتقد أن المافيا الروسية من يمدون شاه بالمواد».

فكرت إيلين أن ذلك منطقي.

انطلق ذهن إيلين، يربط بين الحقائق. ليست الحكومة الروسية. ليس رسميًا. ولكن للرئيس الروسي ومؤيديه من رجال

الأعمال روابط مع المافيا، ولهم حصص في المليارات التي تُجنى من بيع كل شيء بدءًا من الأسلحة، وحتى البشر أنفسهم.

كانت المافيا الروسية بلا أي أيديولوجية تمامًا. بلا مبادئ أو مكابح. ما كانوا يمتلكونه هو الأسلحة والاتصالات والمال. سيبيعون أي شيء لأي أحد. من البلوتونيوم حتى الجمرة الخبيثة. من الأطفال المستعبدين جنسيًا حتى الأعضاء البشرية. سوف ينامون مع الشيطان نفسه ثم يعدون له الإفطار إنْ لزم الأمر.

كان على شاه أن يستخدم طرفًا آخر حتى يحذر الإيرانيين بشأن الفيزيائيين. من أفضل مخبر يعمل لصالح المافيا الروسية والمخابرات الإيرانية؟ المافيا الروسية هي حلقة الوصل بين إيران وشاه. الشبح الذي يتحرك بين الاثنين.

«ماما...» قال جيل.

«نعم؟»

«الأحاديث الدائرة أن القنابل هناك بالفعل. في المدن. لذلك ترك شاه الفيزيائيين يُقتَلون في أوروبا ليُبعد الأعين عن أمريكا. حتى نعتقد أن الهجوم التالي، الهجوم الكبير، سيحدث أيضًا في أوروبا».

رسمت كاثرين دائرة بإصبعها.

انتهى الوقت. لكن ظل سؤال واحد.

«متى؟»

«قريبًا. ذلك كل ما أعرفه».

أغلقت إيلين الخط، وتمتمت: «اللعنة».

***

وصلت رسالة إلى بيتسي.

كانت مجهدة وفي حاجة إلى النوم، وقد أخبرت بيت هاملتون أن يأخذ استراحة مدة ساعات قليلة. كان متكورًا على الأريكة في مكتب تشارلز بوينتون، غائبًا عن العالم فيما رقدت بيتسي فوق أريكة مكتب إيلين، تحدق إلى السقف. جسمها مستنزف لكن ذهنها راح يدور. بيت وايتهيد. الخائن. رئيس هيئة الأركان المشتركة. لواء بأربع نجوم، ومحارب قديم في حروب أفغانستان والعراق الدموية، خائن.

ثم أتت الرسالة.

لا أستطيع النوم. أي معلومات أخرى عن بيتشام؟ أحتاج إلى إخبار الرئيس.

اعتقدت بيتسي لحظة أنها من إيلين في طهران، لكنها سرعان ما أدركت أنها من وايتهيد.

لا شيء، كتبت، وأصابعها تهتز من الإنهاك والغضب. *نأخذ استراحة من أجل النوم. أقترح أن تفعل الشيء نفسه.*

ثم قبل أن تستطيع أن تُريح رأسها على الأريكة مجددًا، وصلت رسالة أخرى من إيلين هذه المرة. كانت قد أعادت إرسال رسالة بعثها لها جيل.

قرأتها بيتسي، ثم غمغمت: «اللعنة».

***

هبطت طائرة بشير شاه في جنح الليل.

حملته السيارة إلى منزله في إسلام آباد عبر الطريق الخلفي غير المطروق الممتد داخل الحديقة. لقد غادر أمريكا اضطراريًا

يومًا قبل الموعد الذي خطط له. وقبل الموعد الذي سيتغير فيه العالم إلى الأبد بأكثر قليلًا من يوم.

«هل إيلين آدمز لا تزال في طهران؟» سأل مساعده.

«على حسب علمنا».

«ذلك غير كافٍ. أريد يقينًا، وأريد أن أعرف بمن التقت، وبماذا أخبروها».

بعد ربع ساعة، وفيما يستعد شاه للخلود إلى النوم، أتى معاونه بالمعلومات.

«لقد قابلت الرئيس نصري».

«ومن أيضًا؟» يستطيع شاه أن يلاحظ أن ثمة المزيد غير أن الرجل يخشى أن يخبره.

«وآية الله العظمى».

«خسروي؟» حدق إليه شاه فسارع مساعده إلى الإيماء، وعيناه جاحظتان.

«لكن لم يخبراها بأي شيء». قال المساعد.

«أي شيء؟»

«لا، وقد قبضوا على إحدى أفراد مجموعتها، موظفة الشؤون الأجنبية، باعتبارها جاسوسة».

جلس شاه على جانب سريره محاولًا أن يفهم. لا يبدو ذلك منطقيًا.

«حكى لها آية الله العظمى قصة عن قط وفأر. إنها خرافة. شيء كان يقرؤه لأطفاله».

«لست مهتمًا بذلك. أحتاج إلى أن أعرف كل شيء تفعله إيلين آدمز».

راح شاه يفكر في أثناء تفريش أسنانه، ما الذي يخطط له خسروي؟

وما الذي تخطط له إيلين آدمز؟

لم يكن علي أن أفوت فرصة قتلها. لحسن الحظ أن ابنها سيموت قريبًا، وستعرف أن مقتله صنيعته وخطؤها.

بصق في الحوض ثم ذهب إلى كومبيوتره المحمول، وعثر على الخرافة الفارسية القديمة التي تحكي قصة القط والفأر.

أدرك شاه أن القصة ترمز إلى حلفاء غير محتملين. كان ذلك واضحًا. لكنها كانت أيضًا عن الصيد والتضليل.

خفض بشير شاه غطاء الكومبيوتر ببطء.

يعرف أنه صياد مُحنك جدًا حتى يُخدع. سوف يصطاد القط والفأر.

***

«نحتاج إلى الرحيل»، قال أكبر. «يجب أن نفعل ذلك الآن».

«أنت تمزح؟» قال جيل. «الظلام سائد، والجبال تزخر بالمجاهدين. لو لم يقتلنا مقاتلو حمزة بالخطأ، فسيقتلنا المجاهدون. انظر، أرغب في الخروج من هنا أيضًا، لكن علينا الانتظار حتى ظهور أول ضوء».

أمعن جيل في النظر إلى رفيقه. كان جليًا أن أكبر عصبي ومتوتر.

«لماذا أنت متحرق للمغادرة هكذا؟» سأله.

نظر أكبر وراءه. كانا داخل خيمتهما. جهز لهما حمزة طعامًا وشرابًا، وكان جيل الآن يهيئ نفسه للنوم وجسمه كله يتألم.

«ينتابني شعور سيئ حيال الأمر فحسب». قال أكبر.

لفّ غطاء الصوف حوله، واستند إلى عمود الخيمة، وتحسس للمرة المئة السكين الطويلة المخبأة في ثنايا ثيابه.

مكتبة
t.me/soramnqraa

الفصل التاسع والعشرون

«سيدتي الوزيرة»، قال تشارلز بوينتون.

طرق مدير مكتبها الباب ثم دخل.

«طائرة سلطان عُمان النفاثة مستعدة للإقلاع. يصر الإيرانيون على مغادرتكِ».

وقف جسده النحيل بجوار الباب، وهو غير متأكد.

كانت وزيرة الخارجية وابنتها تقفان قرب النافذة، كأنما قد مرا للتو بأكثر تجربة مخيفة في حياتهما.

«ما الأمر؟» سأل، وهو يخطو خطوة أخرى داخل الحجرة ويغلق الباب.

كانت إيلين قد أعادت إرسال رسالة جيل مع إضافة بعض التفاصيل التي أخبرها بها عبر الهاتف إلى كاثرين وبيتسي. فكرت مليًا في إرسالها إلى الرئيس وليامز وتيم بيتشام لكنها ترددت. من غير الممكن أن يعمل اللواء وايتهيد بمفرده. لا بد من أن لديه متواطئين في القيادات العليا داخل البيت الأبيض، وربما حتى داخل الحكومة. لو أرسلتها، واعتُرِضت فسيعلمون أن المؤامرة قد انكشفت، وبدلًا من المخاطرة بأن يُقبض عليهم، فربما يفجرون القنابل قبل موعدها. لا، تعرف إيلين أن عليها إخبار الرئيس وليامز على انفراد ووجهًا لوجه. لكن مهمتها في إيران لم تنته بعد. يجب أن يحصلوا على المزيد من المعلومات.

طرف معين يزود شاه بالمواد النووية، غالبًا المافيا الروسية كما ذكر جيل. وقد أخبر أحدهم الإيرانيين عن الفيزيائيين. وهو

غالبًا مخبر إيراني يعمل مع المافيا. لقد سربوا المعلومات عمدًا حتى يفعل نصري وآية الله ما أراده شاه بالتحديد. أن يقتلوا علماء الفيزياء؛ طعمه. وربما يعرف ذلك المخبر بشأن خطط شاه الأكبر. وربما حتى مكان تنفيذها. وغالبًا ذلك المخبر لا يزال في إيران. لو يستطيعون فقط أن يجدوه.

«ما الأمر؟» كرر بوينتون. «سيدتي الوزيرة».

«ماما؟» قالت كاثرين.

رفعت إيلين يدها إلى فمها، ومالت برأسها إلى الوراء، وحدقت إلى السقف. وحاولت بشدة أن تفهم. لو أنها قد اكتشفت كل هذا، فلا بد أن آية الله العظمى قد فعل. يحتاج إلى مساعدتها لإيقاف شاه. وتحتاج إلى مساعدته لإيقاف الهجمات الإرهابية. هل يعرف خسروي هوية المخبر؟ لو كان يعرف، لما استطاع أن يخبرها. ليس مباشرة. كل كلمة وحركة صدرت عنهم كانت تحت المراقبة. لذا كان عليه أن ينقل المعلومات إليها بطريقة أخرى. ذلك كان الغرض من قصة القط والفأر. مصالح مشتركة. لكنها كانت أيضًا عن الاتجاه الخاطئ. التضليل. النظر إلى اتجاه معين، بينما الشيء الأهم يحدث في مكان آخر.

«هل قالوا إننا نحتاج إلى الرحيل؟» سألت بوينتون، «أم إننا من قلنا ذلك؟»

بدا حائرًا من السؤال. «أليس الأمران واحدًا؟»

«أرجوك، سايرني. حاول أن تتذكر بالضبط ما قاله الضابط».

فكر بوينتون مليًا.

«لقد قال: «أرجوك، أعلم الوزيرة آدمز أنها تحتاج إلى أن تغادر إيران بناء على أوامر آية الله العظمى»».

«حسنًا، ذلك واضح تمامًا». قالت كاثرين.

«أتساءل»، قالت إيلين ثم التفتت إلى مدير مكتبها، «أبعِدهم».

شخر بوينتون ضاحكًا فجأة. «عن الممر؟» لكن ما إن شاهد التعبير الجاد على وجه رئيسته حتى تلاشت ضحكته.

«عطِّلهم». قالت الوزيرة آدمز.

«أُعطِّلهم؟» سأل بوينتون، وهو يكاد يصرخ: «كيف؟»

«افعل ذلك فحسب».

دفعته خارج الباب.

سمعت فيما تغلق الباب مدير مكتبها يخبر الضابط الإيراني أنهما سيخرجان بعد قليل.

«تأخير بسيط. أمور نسائية». ثم سمعته يسأل: «هل لديكم أمور نسائية هنا أيضًا؟»

فكرت إيلين، وهي تلعن غباء بوينتون، *قد لا نمتلك الكثير من الوقت كما تمنيت*.

حاولت تهدئة ذهنها. حاولت أن تنحي جانبًا حقيقة أن اللواء وايتهيد جاسوس، وحقيقة ما قاله جيل عن أن القنابل النووية قد زُرِعت بالفعل بنسبة كبيرة في مدن أمريكية. جاهزة للانفجار قريبًا.

بدت كل خفقة من قلبها أشبه بدقة ساعة. أغمضت عينيها، واستنشقت نفسًا عميقًا.

حاولـي أن تـري الخطـوة التاليـة، أخبـرت نفسـها. احجبـي كل الضوضـاء، كل التشـويش، ولتـري بوضـوح...

«ماما؟»

صمـت. ثـم انفتحـت عيناهـا فجـأة. أخـذ قلبهـا يخفـق بسـرعة مرتطمًـا بقفصهـا الصـدري. كان أشـبه ببيـج بيـن، وهـي تحصـي الدقائـق الثمينـة، وتنطلـق مسـرعة نحـو دقـات منتصـف الليـل.

ذهنها يتسارع مع قلبها. تكاد تصل.

ثم وصلت.

عرفت ما قصده آية الله العظمى.

خطـت عبـر الحجـرة، وفتحـت البـاب. فيمـا تفعـل، سـمعت بوينتـون والضابـط الإيرانـي المسـكين يتحدثـان عـن نـوع الشـجرة التـي قـد يكونهـا النبـي لـو كان واحـدة. شـكت فـي أنهـا قـد نجحـت فـي مقاطعـة الحديـث قبـل أن يُقبَـض علـى مديـر مكتبهـا بتهمـة الهرطقـة.

«تشـارلز!»

نظـر إليهـا مثـل سـمكة فـي خطـاف صنـارة، بحثًـا عـن النجـدة.

«أجـل؟»

«ادخل».

لم تحتج إلى تكرار طلبها.

«أحتاج إلى المغادرة». قالت وهي تغلق الباب وراءه. «الآن».

«نعم، ذلك ما قلته». قال بوينتون.

«ويجب أن تبقى أنتَ».

«هاه؟»

«أنت، وكاثرين».

حدقا إليها.

«لا يمكننا ترك آناهيتا». شرحت إيلين بنبرة صوت طبيعية، وهي حريصة على أن يسمعها كل من يتنصت عليهم. «أحتاج إلى العودة إلى واشنطن العاصمة، والحديث إلى الرئيس ويليامز عن الموقف. والحصول على تعليماته. يجب أن تبقيا في إيران حتى أعود. في تلك الأثناء عليكما أن تخرجا لمشاهدة معالم طهران».

نظرا إليها كأنها قد جُنَّت.

«ستكونان مراقَبين. لذا من الأفضل أن تأخذانهم في مطاردة تحبس الأنفاس. اجعلاهم يعتقدون أنكما تخططان لشيء. اذهبا وشاهدا برسبوليس أو... انتظرا؛ اطلبا الذهاب لمشاهدة جداريات كهوف ما قبل التاريخ في بلوشستان».

«عمّ تتحدثين؟» قالت كاثرين.

«كنت أقرأ عنها في الطريق إلى هنا»، شرحت إيلين. «لقد عثر علماء الآثار على رسوم في الكهوف هناك. عمرها أحد عشر ألف سنة. يعتقد البعض أن ذلك يثبت أن الإيرانيين قد هاجروا إلى الأمريكيتين قبل آلاف السنين».

«ماذا؟» كانت كاثرين تائهة تمامًا فيما تلقى بوينتون كلامها بحذر أكبر.

«تجسد الرسوم الحصان نفسه الذي امتطاه السكان الأصليون لأمريكا الشمالية. سيكون منطقيًا أن ترغبا في مشاهدتها».

«حقًا؟» تكلم بوينتون أخيرًا، «هل سيبدو منطقيًا حقًا؟»

«بالتأكيد، كإشارة إلى الاعتقاد أننا جميعًا شعب واحد. انظر، النقطة هي أن تقودا أيًا كان من يراقبنا، ويتنصت علينا في مطاردة ظريفة».

«ظريفة؟» قال بوينتون.

«حسنًا، مطاردة كئيبة، إنّ كنت تفضل ذلك».

فيما يبحث بوينتون عن جداريات الكهوف عبر الإنترنت، خفضت كاثرين صوتها إلى حشرجة هامسة. «ماما، القنابل. ما أخبركِ به جيل، لا نستطيع إضاعة الوقت».

«أنا لا أضيع الوقت». التقت نظرات إيلين عيني ابنتها، وشاهدت كاثرين التصميم هناك.

«ذاك الموقع على مبعدة عشرين ساعة تقريبًا بالسيارة». قال بوينتون، وهو يرفع عينيه عن هاتفه.

«أنا متأكدة من أنهم يستطيعون أن يطيروا بكما إلى مطار قريب، ثم تكملا الطريق بالسيارة». قالت إيلين وقد عادت إلى صوتها الطبيعي مجددًا. أو إلى أكبر قدر طبيعي ممكن. «يمكنكما أن تناما في أثناء الطريق، وهكذا سيهدر أي أحد مهتم بتحركاتكما المزيد من الوقت والمجهود في تتبعكما».

«لكننا أيضًا سنهدر الوقت والمجهود». اعترض بوينتون.

نظرت كاثرين إلى أمها بعينيها المحتقنتين بالدماء مع هذا كانتا لامعتين بالعبقرية، أو ربما بالجنون. لم تستطع كاثرين التمييز. هل دفعتها رسالة جيل، وضغط محاولة إيقاف كارثة من فوق حافة العقلانية؟

«آناهيتا؟» سألت كاثرين. «وزهرة؟ ماذا تريدين منا أن نفعل حتى نساعدهما؟»

«والإيرانيان الآخران اللذان اعتُقِلا أيضًا مع زهرة؟» سأل تشارلز.

«سأرى ما يريد الرئيس وليامز فعله. تلك القرارات تتجاوز سلطاتي. سأعود بأسرع وقت ممكن. انظرا، اصنعا أكبر ضجة ممكنة عند ذهابكما إلى تلك الكهوف. بتلك الطريقة سوف يركزون على تتبعكما، ولن ينتبهوا لما أقوم أنا به».

فيما تتحدث، كتبت إيلين رسالة سريعة إلى كاثرين.

اذهبي. ثقي بي. أنا أتولى الأمر.

***

كان الظلام حالكًا فيما تصعد الوزيرة آدمز على متن طائرة السلطان.

ما إن صارت داخل الكابينة الواسعة حتى خلعت البرقع، وحاولت أن تعطيه إلى الضابطة الإيرانية.

«احتفظي به»، قالت الضابطة بإنجليزية سليمة. «أعتقد أنك سوف تعودين».

فيما تندفع الطائرة فوق مدرج الطائرات نحو توقفها الأول في رحلتها الطويلة إلى الوطن، جلست إيلين في المقدمة كأن ذلك سيجعلها تصل إلى واشنطن أسرع.

آخر مرة وقعت فيها عيناها على كاثرين كان فيما تستقل سيارة بصحبة بوينتون من أجل رحلتهما الطويلة إلى الكهوف. تمنت، وصلّت أن تكون قد فهمت قصة آية الله عن القط والفأر فهمًا صحيحًا. كانت متأكدة تمامًا من أنه قد قبض على آناهيتا ضاهر كي يضمن بقاء شخص من جانب إيلين في إيران.

طرده الوزيرة آدمز علانية، لكن سماحه ببقاء ابنتها ومدير مكتبها قد أكد ذلك لإيلين. كان يلعب لعبة التضليل. أراد أن

يخبرهم بشيء لكن إيلين كانت ملفتة للأنظار بحيث يعجز عن فعل ذلك. لذا كان على القائد الأعلى أن يُخرجها من البلاد فيما يضمن بقاء شخص من الجانب الأمريكي.

فيما تصل الطائرة إلى ارتفاع التحليق، تسلمت إيلين رسالة من كاثرين.

طائرة تنتظرنا في المطار. لقد كانوا يتوقعون قدومنا.

خفضت إيلين رأسها المثقل في ارتياح.

كانوا يتوقعون قدومهما. هذا ما أراد خسروي منها أن تفعل.

أرسلت إليها رسالة سريعة تحوي رمز «إبهام مرفوع»، لتبدي موافقتها، ثم استرخت في جلستها. واثقة. متأكدة من أنها قد قرأت القائد الأعلى للجمهورية الإيرانية الإسلامية قراءة صحيحة لكن...

حاولت أن تُبعد تلك الفكرة الغادرة...

لكن...

ذلك الرجل إرهابي. عدو لدود للولايات المتحدة. رجل موَّل الكثير من الهجمات على الغرب. وقد وضعت ابنتها، ووضعت أمتها بين يديه؟ اعتمادًا على خرافة عن قط وفأر؟

كانت تثق بأن الإمام الطاعن في السن الداهية لم ينصب فخًا لها، وأنها قد دخلته للتو. كانت تلك هي آخر أفكارها قبل أن يطغى عليها الإنهاك.

***

رسم بوينتون علامة الصليب فوق صدره فيما باب الطائرة التوربينية ينغلق.

تمكن من أن يحظى ببعض النوم على متن الطائرة إلى مقاطعة سيستان وبلوتشستان. أخبر تشارلز بوينتون بنبرة صوته الأشبه بإيور[55] فيما تبدأ الطائرة الهبوط بأن مقاطعة سيستان وبلوتشستان ليست بعيدة عن الحدود مع باكستان. وهو ما يجعل تلك الرحلة أسوأ من وجهة نظره.

مع هذا فكرت كاثرين فيما تنظر خارج النافذة وقد ضيقت عينيها، عبر الظلام لترى اليابس في حقيقة أن بوينتون لا يعرف بأمر القنابل النووية التي زُرِعت بالفعل في مدن أمريكية. ومن ثم لم يكن يعرف ماذا تعني «أسوأ» حقًا.

استقبل رجل طاعن في السن أشيب يدعى فارهاد طائرتهما، وشرح أنه سيكون سائقهما ومرشدهما.

ركبا سيارة مهلهلة تفوح منها رائحة التبغ، قادها فارهاد داخل الصحراء.

يتحدث فارهاد إنجليزية متقنة بلكنة ناعمة وموسيقية. قال إنه معتاد على الحديث إلى علماء الآثار الغربيون في هذا الموقع الأثري. كان فخورًا فخرًا واضحًا بذلك.

كان ثلاثتهم فقط في السيارة، ولا عربة أخرى في الأفق. لا أحد من الحراس والمراقبين الذين لازموهم طيلة وجودهم في إيران. بدا أن الجميع قد فقدوا اهتمامهم بهما.

فقد تشارلز بوينتون اهتمامه بدوره، وهو يشخص ببصره خارج النافذة في ضوء بشائر الفجر، متأملًا المناظر الطبيعية التي لا تنتهي للرمال، والتضاريس الجبلية.

55- إيور: شخصية خيالية من عالم وايني ذا بوه، وهي قصص أطفال من تأليف أيه. ميلن. (المترجم).

أخبرهما فارهاد فيما يقود السيارة باكتشافات رسومات وحفريات لحيوانات ونباتات وبشر من العصر البرونزي.

«بعضها مرسوم بصبغة نباتية»، شرح، «والبعض الآخر بالدم. يوجد الألوف منها».

أخبرهما بأن هذه المنطقة رغم ثرائها بالجداريات الحجرية يتجاهلها المجتمع العلمي تقريبًا.

«لا يأتي أي أجنبي تقريبًا إلى هنا».

تحدث بشغف عن حاجة المكتشفات إلى الحماية. نظر إلى كاثرين الجالسة بجانبه فيما يشخر بوينتون في المقعد الخلفي وقد استغرق في النوم. رأسه إلى الخلف وفمه مفتوح.

«ألستما هنا لهذا السبب؟ حتى تحميا ما هو مهم؟»

كانت نظرته حادة جدًّا.

أومأت كاثرين برأسها. لم تكن متأكدة على ماذا توافق.

وصلوا بغيتهم مع طلوع الشمس.

ما إن استيقظ بوينتون بعد تملق طويل، حتى صعدوا إلى نجد مستو.

أخذ فارهاد يجهز إفطارًا من قهوة قوية سكبها من ترمس وبرتقال وتين ريان وجبن وخبز. التقطت كاثرين صورة لبوينتون وفارهاد معًا. بدا مدير مكتب الوزيرة، الذي لا يزال يرتدي بدلته وربطة عنقه، كأنه قد تسلل عبر باب خفي في القاع الضبابي، وانتهى به المطاف هنا على نحو مفاجئ وتعيس.

أرسلت الصورة إلى أمها، مع ملاحظة قصيرة لتخبرها بأنهم قد وصلوا إلى الكهوف، وأنها ستكتب لها إن جدَّ جديد.

نظرت كاثرين مستندة إلى الصخور فيما تشرق الشمس، إلى المعلم الأثري العتيق، الذي لم يتغير منذ عشرات ألوف -وربما ملايين- السنين. أبهرها المنظر. لقد جلس أناس حيث تجلس الآن، ونحتوا رسومًا في الصخر تجسِّد حياتهم ومعتقداتهم وأفكارهم ومشاعرهم حتى.

«هل أستطيع؟» سألت. وعندما أومأ فارهاد، مدت سبابتها، وتتبعت الخطوط بأصابعها.

«إنه صقر»، شرح. «وذلك الشكل»، أشار إلى الخطوط فوقه. «إنها الشمس».

شعرت كاثرين بكتلة تمور في حنجرتها وبرطوبة في عينيها لسبب لا تستطيع استيعابه تمامًا. نفس الشعور الذي ينتابها في أثناء الاستماع إلى قطعة موسيقية قد أوصلتها إلى أماكن مخفية بعمق بداخلها. أو في أثناء قراءة فقرة في كتاب قد حركت مشاعرها. رسوم الأحصنة والصيادين والجبال والطيور الملتوية المحلقة. ورسوم شموس مُبهجة. جميعها تبدو بشرية بعمق. الأيادي التي رسمتها تحسست الأرض نفسها التي تمتد تحتهم، وعلتهم الشمس نفسها. وشعروا بحاجة إلى تسجيل طقوسهم وحياتهم التي لا تختلف كثيرًا، بل ربما لا تختلف مطلقًا عن حياتها. ولا تختلف كثيرًا عما تفعله في الجرائد وشبكات التلفزيون التي تديرها. هذه الرسوم المنحوتة في الحجر هي أخبارهم. أحداث يومهم. فكرت في أنه شعور مطمئن فيما ترتشف القهوة وتأكل الفاكهة والجبن وتشاهد شروق الشمس.

وقد كانت تحتاج إلى الطمأنينة.

كانت مرعوبة ممّا يخطط له شاه. وما وضعه بالفعل في مدن أمريكية. كانت مفزوعة من أنهم لن يستطيعوا إيقافه. وحائرة بشدة لماذا أرسلتهما أمها إلى هناك، وماذا كانت تحتاج إليه منهما. ومع هذا شعرت فيما تتبع أشعة الشمس بسلام مفاجئ وعميق.

لقد نجت معالم الحياة المنحوتة في الصخر آلاف السنين. ومع انتهاء حياة مليارات البشر، استمرت الحياة بمفهومها الأكبر.

«تعالا»، قال فارهاد وهو يزيل بقايا الإفطار. «إن أفضل الرسوم في الداخل».

وقف وهو يشير إلى ما بدا أنه فجوة ضيقة في الصخور، وناول كل منهما كشافًا. حشروا أنفسهم عبرها فيما يتمتم بوينتون: «اللعنة! اللعنة! اللعنة!».

ما إن صاروا في الداخل، حتى نفضت كاثرين غبارًا أحمر عن معطفها، ونظرت في الأنحاء، وهي تحرك الضوء في قوس بطيء. لم تستطع أن ترى المزيد من الرسوم.

«إنها في الأسفل». شرح فارهاد. «لذلك لم تُكتشف إلا مؤخرًا».

تقدمهما فيما تبادل بوينتون وكاثرين النظرات.

«ربما يجدر بي البقاء هنا». قال بوينتون.

«ربما يجدر بك القدوم معي». قالت كاثرين.

«لا أحب الكهوف».

«متى دخلت كهفًا في حياتك كلها؟»

«من الواضح أنكِ لم تقضي الكثير من الوقت في البيت الأبيض». همس.

ارتطمت ضحكة كاثرين بجدران الكهف، وارتدت إليهما فيما يشبه آهة منخفضة.

أخرجت هاتفها. لا إشارة استقبال. كانت ترغب في تصوير فيديو في أثناء تقدمهم غير أن طاقة البطارية ستنفد بسرعة في حالة التصوير، لذا أغلقت الهاتف لكنها أبقته في يدها كتعويذة.

سارا وراء فارهاد حول إحدى الزوايا، وشاهدا أنه قد توقف. ثم استدار إليهما.

«أعتقد أن هذه المسافة كافية». كان يُمسك مسدسًا في يده. حدقا إلى مرشدهما. إلى المسدس.

«ماذا تفعل؟» تمكنت كاثرين من قول ذلك.

«انتظرا».

ثم سمعا أصوات خطوات أقدام قادمة من مكان أعمق داخل الكهف. الصدى جعل من المستحيل تمييز عدد الأشخاص المقتربين. بدا كأنهم مئة.

انتابت كاثرين لحظة فكرة جامحة أن الأشكال القديمة على الجدران، والمرسومة بالدماء، قد دبت فيها الحياة. خرجت من الصخر، وكانت تدنو منهم الآن.

التفتوا ناحية الأصوات.

شاهدت كاثرين سلاح فارهاد موجهًا تجاه الظلام. تجاه أيًا كان من يقترب أكثر فأكثر. سارعت إلى وضع كشافها فوق الأرضية المتسخة للكهف، وأشارت إلى بوينتون حتى يحذو حذوها، ثم تراجعا معًا بهدوء من الضوء إلى داخل العتمة.

بالكاد تراجعا ثلاث خطوات حتى شاهدا ما هو آت من أعماق الكهف العتيق. في بادئ الأمر بدا أشبه بعنقود من أضواء

متراقصة.. أرواح معلقة. لكن فيما تقترب، أصبحت الأشكال وراء الأضواء مرئية. كانت آناهيتا وزهرة وأباها الدكتور أحمدي والعميلين الإيرانيين اللذين يعملان لصالح المخابرات الأمريكية وقابلا زهرة ونقلا إليها الرسالة قبل أن يُقبض عليهم. كان برفقتهم فردان من الحرس الثوري، وقد رفعا سلاحهما، لكن ليس باتجاه السجناء بل باتجاه فرهاد وكاثرين وبوينتون.

وقف الحارسان متباعدين يفصل بينهما خمسة عشر قدمًا.

تساءلت كاثرين إذا كانت أمها قد ارتكبت خطأ جسيمًا. أهذه هي النهاية؟ بتناثر دمها فوق الجدران؟ منضمًا إلى دماء أسلافها القدماء؟ حتى تُترجم بعد قرون من الآن على يد عالم آثار سيقرر أن لطخات الدم تلك محاولة ما لرسم خريطة للنجوم؟ بدا أن ذلك المقال الذي قرأته أمها كان صحيحًا في نهاية المطاف. لقد انتهى الأمر بالإيرانيين القدامى والأمريكيين في المكان نفسه. غير أن ذلك لم يكن في أوريغون، بل على جدران هذا الكهف.

نظرت كاثرين إلى عيني آناهيتا اللتين كانتا مملوءتين بدورها بالخوف. كانت موظفة الشؤون الأجنبية تفكر في الشيء نفسه. هذه هي النهاية.

ضغطت كاثرين على زر «الفيديو» في هاتفها. مهما سيحدث لهم فسوف يُسجل.

«محمود؟» حدقت العميلة الإيرانية إليهم.

خفض فرهاد مسدسه قليلًا لكن ليس تمامًا، «سمعت أنهم قبضوا عليكِ».

«أجل»، قالت دون أن تبتسم. «لا بد من أنّ أحدهم قد علم بالأمر». التفتت إلى الحارسين. «يمكنكما أن تُخفِضا سلاحيكما. هؤلاء من يُفترض أن نقابلهم».

«محمود؟» همست كاثرين. «اعتقدت أن اسمك فارهاد».

«إنه اسمي عندما أكون مرشدًا».

«ومن أنتَ الآن؟» سأل بوينتون.

«منقذكما».

هزت العميلة رأسها.

«الغرور الذي يسير في صورة إنسان. إنه مخبر لصالح إم. أو. آي. إس».

«وكالة الاستخبارات الإيرانية». قال بوينتون.

«يعمل محمود أيضًا لصالح المافيا الروسية». شرحت المرأة ونبرة الازدراء واضحة في صوتها.

«لذلك نحن هنا، أليس كذلك؟»

لا يزال الحارسان الثوريان يقفان على مبعدة خمسة عشر قدمًا بعضهما من بعض. ومع أنهما يبدوان وديين ومتزاملين، كان بينهما توتر مكتوم بقوة. مثل آكلي لحوم بشر مستعدين للانقضاض.

ألقى كشاف كاثرين الموضوع على الأرضية ضوءه على الجدار الصخري الخشن للكهف، منيرًا الرسوم الخلابة بديعة وحسيّة. كانت أجمل بكثير من أولئك الواقفين خارجها. شعرت كاثرين بوجود حركة وانسيابية مصاحبة للرسوم فيما يغرز الرجال الذين رُسموا بالدم فوق أحصنة وجمال من الدم، رماحهم في مخلوق يشبه القط، يتلوى ويصرخ.

كان هذا صيدًا.

كان قتلًا.

الفصل الثلاثون

قابلهما حمزة عند الحدود الخارجية لمعسكره.

كان الصباح صافيًا وباردًا، غير أن الحرارة ستكون خانقة بحلول ما بعد الظهيرة. تلك كانت الحياة على هذا الارتفاع وفي هذه التضاريس.

تتطلب الحياة في هذه الظروف قدرة على التأقلم.

شعر جيل فيما يعانق حمزة بشيء ينزلق داخل جيب معطفه. اعتقد أنه هاتف في بادئ الأمر لكنه كان ضخمًا، وأثقل بكثير من أن يكون هاتفًا.

«أعتقد أنك ستحتاج إليه»، همس حمزة. «حظًا موفقًا».

«شكرًا لك. على كل شيء».

التقت نظراتهما، كل منهما يفهم ما فعله الآخر وعواقبه.

سار جيل وراء أكبر أسفل الجبل عبر الطريق الضيق الذي سيقودهما في النهاية إلى سيارة التاكسي القديمة. ومن هناك إلى باكستان، ثم طائرة... إلى أين؟

الوطن؟ إلى واشنطن العاصمة؟ المكان الذي توجد فيه غالبًا إحدى القنابل؟

حاول جيل فيما يعرج، أن يبرر عودته إلى هناك، وأن يبرر عدم عودته أيضًا.

علم أكبر الذي يعرف الطريق جيدًا، أين بالتحديد سيفعل فعلته. في المكان حيث ينحسر الطريق. وحيث سيصبحان بعيدًا عن المناطق التابعة لحمزة، ولن يكون هنالك أي شهود.

تحسس الهاتف في جيبه. سيحصل على مكافأة أكبر لو استطاع تصوير الجثة. مكافأة تكفي من أجل شراء سيارة جديدة.

***

ما إن هبطت إير فورس ٣، حتى انطلقت إيلين مبتعدة في سيارة دفع رباعي مصفحة عبر شوارع واشنطن. الأضواء تومض. وموكب العربات المرافقة لها يسد التقاطعات. ومع هذا شعرت أن حياة بكاملها تفصل بين أندروز والبيت الأبيض.

لم تكف إيلين عن تفقد هاتفها. لم تتلق رسالة من كاثرين منذ الصورة التي أرسلتها إلى مدير مكتبها العابس بجانب الرجل الإيراني الأكبر سنًا الذي لفحت وجهه الشمس، ويرتدي ثوبًا تقليديًا.

وصلنا. أنتِ محقة. الكهوف تستحق الزيارة. لكن لا أحد قد تبعنا.

كان ذلك قبل ساعات عدة. ولا شيء بعدها. تفقدت الهاتف ثانية ثم أرسلت رسالة.

أي أخبار؟ أنتِ بخير؟ ثم ختمت الرسالة برمز «قلب».

ما إن توقفت سيارة الدفع الرباعي أمام الباب الجانبي للبيت الأبيض، حتى قفزت إيلين خارجها. فتح الحرس الباب. توقف الموظفون لتحيتها.

«سيدتي الوزيرة».

حاولت إيلين أن تبدو متماسكة فيما تركض حرفيًا عبر الممرات الواسعة. كانت قد راسلت بيتسي حتى تلتقي بها في المكتب الرئاسي الخارجي، وأن تجلب معها بيت هاملتون.

تعانقت المرأتان، وقدمت بيتسي لها السكرتير الصحفي السابق لإيريك دَن.

«شكرًا على مساعدتنا». قالت إيلين.

«أنا أساعد بلدي». قال هاملتون.

ابتسمت إيلين.

«ذلك يكفي».

«سوف أخبر الرئيس أنكِ هنا، سيدتي الوزيرة». قالت سكرتيرة وليامز بصوتها المتشدق البطيء. توقعت إيلين أن تُقدم لها شايًا مثلجًا حلوًا. لكن مع أن المرأة بدت مسترخية، فقد تحركت بسرعة، وبخطوات قليلة تُثبت معرفتها حقيقة الأمر بالضبط.

فكرت إيلين، حسنًا، ربما لا تعرفها بالضبط.

تفقدت هاتفها من جديد. لا شيء.

انفتح الباب.

ما إن خطوا خطوتين داخل المكتب البيضاوي، حتى توقف ثلاثتهم وحدقوا مذهولين.

مع أنها قد طلبت أن يكون هذا اللقاء خاصًا، بينهم وبين الرئيس وليامز فقط، فقد شاهدت رجلين ينهضان من مكان جلوسهما فوق الأريكة. استدار الرجلان بحركة متزامنة تقريبًا.

تيم بيتشام، واللواء بيرت وايتهيد.

لم تحاول إيلين أن تُخفي حتى دهشتها أو انزعاجها. تجاهلت الرجلين فيما تخطو إلى الأمام، وتتحدث إلى وليامز مباشرة.

«سيدي الرئيس، أعتقد أنني قد طلبت أن يكون هذا الاجتماع خاصًا».

«لقد فعلتِ. ولم أوافق. إذا كنت تحملين معلومات عن شاه، فإن استماع ثلاثتنا لها في الوقت نفسه، سيُسرِّع من قدرتنا على وضع خطة. لقد أرجأ تيم رحلته إلى لندن ليكون هنا. لذا دعينا لا نضيع وقتًا».

لاحظ في تلك اللحظة الشخصين الآخرين برفقتها. يعرف بيتسي جيمسون لكن الآخر... كان الرئيس وليامز يُقلب في ألبوم الصور الذي يحتفظ كل سياسي به في مخه. ثم تذكر. أصبح تعبير وجهه أسعد لأنه نجح في تذكر الرجل، وأكثر حيرة للسبب نفسه.

«ألست...»

«بيت هاملتون، سيدي الرئيس. لقد كنت السكرتير الصحفي لدَن».

استدار الرئيس إلى وزيرة خارجيته.

«ما سبب وجودهما؟»

خطت إيلين مقتربة أكثر من الرئيس. «لقد رجعت لأن ثمة شيئًا تحتاج إلى سماعه شخصيًا. على انفراد. رجاء».

لو أنه قد سمع التوسل في صوتها، فقد قرر تجاهله.

«عن شاه؟» سأل. «هل عرفتِ خططه؟»

لم يكن ثمة حل آخر.

فردت إيلين آدمز كتفيها، وقالت: «يتعلق الأمر بالجاسوس، الخائن، داخل بيتك الأبيض. الشخص الذي وافق على إطلاق سراح الدكتور شاه من إقامته الجبرية. الشخص الذي يعمل معه، ومع عناصر من الحكومة الباكستانية حتى تحصل طالبان

والقاعدة على جهاز نووي تستخدمه ضد الولايات المتحدة».

جحظت عينا الرئيس وليامز مع كل كلمة حتى بدا أشبه بكاريكاتير لرجل خائف.

«ماذا؟»

«لقد وجدتِه؟» قال وايتهيد. خطا مقتربًا من تيم بيتشام. «الدليل الذي نحتاج إليه؟»

نظر وليام إلى رئيس هيئة الأركان المشتركة. «أنت تعرف؟»

استدارت إيلين بدورها إلى اللواء وايتهيد. كان غضبها وحنقها شيئًا يصعب احتواؤه أو إساءة فهمه. كانت ترتجف. عجزت عن التكلم لحظة لكن تعبير وجهها قد قال كل شيء فيما تحدق إلى اللواء.

عكس وجه وايتهيد دهشة عارمة. ثم قطب بحاجبيه. «انتظري، لا يمكن أنكِ تعتقدين...»

«أعرف». قالت إيلين، وهي تحدق إليه: «نمتلك الدليل».

أومأت إلى بيتسي التي وضعت أوراق مطبوعة فوق مكتب رزوليت. لقد دقت السيدة كليفر أول مسمار في نعشه. التفتت، وحدجت وايتهيد بنظرات قاسية قبل أن تتراجع.

تحرك اللواء نحو المكتب والأوراق غير أن الرئيس وليامز رفع يده فتوقف.

التقط الرئيس الأوراق.

أصبح وجهه مكفهرًا في ما يقرأ. فغر فاهًا، وصارت عيناه معتمتين عاجزتين عن الفهم. كانت تلك اللحظة عندما تتعثر في أثناء هبوطك السلالم. اللحظة التي تدرك أنك لن تستطيع إنقاذ

نفسك. وأن الأمر سيكون سيئًا.

ساد صمت تام المكتب البيضاوي ما عدا دقات الساعة فوق إطار المدفأة.

أنزل الرئيس الأوراق، والتفت إلى وايتهيد.

«أيها اللعين»!

«لا، ليس أنا. أنا لست الشخص المنشود. لا أعرف ما تقوله تلك الأوراق لكنها كذب».

استدار بعنف، ووقعت عيناه على تيم بيتشام الذي كان ينظر إلى رئيس هيئة الأركان المشتركة برعب وصدمة.

«أنتَ»، قال وايتهيد، واندفع إلى الأمام. «أنتَ من فعل ذلك».

أخذ خطوة تجاه بيتشام الذي تقهقر، وتعثر فوق مقعد بذراعين، وسقط أرضًا.

«الأمن»! هتف ويليامز فانفتحت الأبواب بدوي.

أحاط عملاء الأمن السري بالرئيس فيما سحب الآخرون أسلحتهم، وفحصوا الحجرة بأعينهم بحثًا عن مصدر الخطر.

«اعتقلوه».

انتقلت نظرات العملاء من الرئيس إلى الرجل الذين يشير إليه. لواء بأربع نجوم. بطل حرب. بطلًا ومثلًا أعلى للكثير منهم. رئيس هيئة الأركان المشتركة. مع هذا سرت لحظة قصيرة من الصمت قبل أن يتقدم العميل الأعلى رتبة إلى الأمام.

«ارمِ سلاحك، أيها اللواء».

«لستُ مسلحًا»، قال وايتهيد وهو يفرد ذراعيه أمامه.

انتقل بعينيه نحو الرئيس فيما يخضع للتفتيش.

«لست أنا بل هو». أومأ باتجاه بيتشام الذي كان ينهض للتو عن الأرض. «لا أعرف كيف فعل هذا، لكنه بيتشام».

«بحق الرب»، قالت إيلين. «استسلم. لدينا الدليل. المذكرات والملاحظات. تلك التي اعتقدت أنك قد خبأتها. أنك توافق فيها على إطلاق سراح شاه. وعلى زعزعة استقرار المنطقة. وواضعًا بذلك بداية لكل هذه الأحداث».

«لم أفعل قط...» قال وايتهيد. «إطلاق سراح شاه كان جنونًا. لن...»

قاطعته بيتسي. «لقد عثرنا على المذكرات ضمن أوراق بيتشام».

«ضمن ماذا؟» قال مدير المخابرات الوطنية. «أين؟!»

«لقد حاول وايتهيد أن يُدينك». شرحت بيتسي. «حاول أن يصورك على أنك خائن ضمن أشياء أخرى بأن أخذ الوثائق الخاصة بك من عصر دَن، ونقلها من الوثائق الرسمية. ثم دفنها بحيث يبدو أن لديك شيئًا لتخفيه».

«لقد عثرت على الوثائق». قال بيت هاملتون. «كانت مخبأة في أرشيف إدارة دَن الخاص».

«لا يوجد مثل هذا الأرشيف»، قال الرئيس. «كل المراسلات والوثائق تُرسل آليًا إلى الأرشيف الرسمي. يمكن أن توسم بأنها سرية لكنها هناك».

«لا، سيدي الرئيس». قال هاملتون، «رجال دَن كانوا حريصين على خلق أرشيف موازٍ. لم يستطيعوا محو الوثائق لكنهم تمكنوا من وضعها وراء جدار من المستحيل اختراقه تقريبًا. فقط

أشخاص من داخل الإدارة يحملون كلمة السر يستطيعون الوصول إليها. كانت كلمة السر معي لكنني لم أكن أمتلك منفذًا للولوج إلى الكومبيوتر».

«لدي المنفذ». قالت بيتسي. «لكن ليس لدي كلمة السر. لذا عملنا معًا».

«لقد تلاعبت بكل العلامات التي تشير إلى تورطك مع شاه والباكستانيين حتى يبدو أنه السيد بيتشام»، قال هاملتون لوايتهيد. «لكنك تغافلت عن وثيقتين. وقد عثرنا عليهما».

كان وايتهيد يهز رأسه، متظاهرًا بالغباء. لكن إيلين كانت قد استوعبت بالطبع كم أنه كاذب جيد وممثل بارع. كان عليه أن يكون كذلك للقيام بما قام به. لقد انخدعت بفريد ماك موري هذا، الذي قد يتظاهر أمامها بأنه الصديق المقرب للجميع مرة. غير أن ذلك لن ينطلي عليها مجددًا.

«ثم تماديت في تلميحك الهادئ إلى أن بيتشام شخص لا يجب الوثوق به»، قالت. «وقد نجح الأمر. لقد صدقتك». قالت إيلين.

«ذلك الرجل الشاب الذي كان يتبعني من فرانكفورت. وكان في الحديقة ثم البار». قالت بيتسي. «الشخص الذي حدثتك عنه. لقد ذهبت للحديث إليه. كنت شاكرة لأنك اعتنيت بالأمر بسهولة شديدة. أعرف الآن كيف. لقد كان أحد رجالك».

«لا».

«هل حصلت على صورة من البطاقة التي أعطتني إياها إيلين في تلك اللحظة؟» قالت بيتسي. «لم تتخلص منه. لقد أخبرته بأن يذهب إلى مكتب وزيرة الخارجية، ويفتشه فيما أنا معك في

البار. أخبرته بأن يبحث عن شيء شخصي. شيء يمكن أن ترسله إلى شاه ليثير به فزع إيلين».

«هل كانت فكرتكَ أم فكرة شاه؟» سألت إيلين.

«لم يحدث أي من هذا». لكن إنكاره كان يضعف فيما تضيق الشبكة من حوله.

«بيتسي، ألا تزال ضابطة الصاعقة معكِ؟» سألت إيلين.

«أجل، لقد تركتها في الممر في الخارج».

التفتت إيلين إلى الرئيس. «هنالك ضابطة جيش من قوات الصاعقة...»

«النقيب دينيس فيلان». قالت بيتسي.

«إنها معه. يجب أن تُعتقل أيضًا».

«بحق الرب، لقد خرج الأمر عن السيطرة»، قال وايتهيد. «النقيب فيلان من قدامى المحاربين المقلدين بأعلى الأوسمة. لقد خاطرت بحياتها من أجل هذا البلد. لا يمكنك أن تفعلي ذلك بها. إنها غير متورطة».

«إذًا أنت تعترف بأنك متورط؟» قال الرئيس وليامز.

ما إن التزم وايتهيد الصمت حتى أومأ إلى أحد عملاء الأمن السري.

«اقبض عل النقيب فيلان».

استنشق وايتهيد بعمق مدركًا أنه لا مفر الآن. لقد أُمسِك به، ووقع في المصيدة.

من شبه المؤكد أن فيلان ستعترف بكل شيء في مقابل حكم مُخفف.

«انتظري لحظة»، قال بيتشام الذي يحاول استيعاب الأحداث.

«حتى استوثق من الأمر؛ لقد اعتقدتِ أنني أخون بلدي؟» قال لإيلين. «أنني أعمل مع بشير شاه؟ دون أي دليل؟ اعتمادًا فقط على تلميحاته؟»

«لقد فعلت، وأنا آسفة يا تيم». قالت الوزيرة آدمز.

«أنا آسفة؟» قال بيتشام، وهو يكاد يصرخ. نبرة صوته تنضح بالشك. «أنا آسفة؟!»

«حقيقة أنك شخص غير محبوب لم تكن مفيدة». قالت بيتسي.

أطبقت إيلين شفتيها بقوة.

«لماذا؟» لم تبرح عيناه بيرت وايتهيد. «بحق الرب أيها اللواء، لماذا فعلت ذلك؟»

«لم أفعل. لم أكن لأفعل ذلك». حاجباه متجعدان، وقد راح يعصر تفكيره.

كانت الاستراتيجية أن لا يستسلم. وأن يستميت حتى يعثر على ثغرة في الشبكة غير أنه لم يكن للخروج سبيل. مهما تلوى، فإنه عالق داخل المصيدة، وهو يعرف ذلك.

«المال». قال بيتشام. «إنه المال دائمًا. كم دفعوا لك حتى تقتل رجالًا ونساء وأطفالًا؟ حتى تعطي أعداءنا قنبلة نووية؟ كم أيها اللواء وايتهيد؟» استدار إلى الرئيس، «سآمر رجالي بالبحث في حساباته خارج البلاد. أراهن أننا سنجد المال هناك».

ظلت عينا وايتهيد مثبتة على إيلين. تتحول لحظة إلى بيتسي ثم تعود إلى إيلين بسرعة.

«وأنـت، أنـت أيهـا اللعيـن، لقـد حاولـت أن تُدينني؟ أن توقعنـي؟» كان بيتشـام ينتقـل مـن الغضـب إلـى الهسـتيريا. «لقـد أفنيـت حياتـي فـي خدمـة هـذه البلـد، وأنـت تحـاول تلطيخـي بقذارتـك؟»

اسـتدار وايتهيـد بسـرعة مفاجئـة، وانقـض علـى بيتشـام، وألقـاه علـى السـجادة بحركـة خاطفـة واحـدة. ثـم جلـس فوقـه. اندفعـت قبضـة وايتهيـد إلـى أعلـى وأسـفل، محطمـة وجـه مديـر المخابـرات الوطنيـة فيمـا يصـرخ بيتشـام، ويحـاول أن يغطـي وجهـه دون جـدوى.

اسـتغرق الأمـر لحظـة واحـدة مـن عمـلاء الأمـن السـري حتـى يبـدوا ردة فعـل مـع هـذا كانـت اللحظـة كافيـة للـواء الـذي تـدرب فـي القـوات الخاصـة حتـى يتسـبب فـي ضـرر جسـيم.

أمسـك عميـلان الرئيـس، وأرغمـاه علـى الانحنـاء، وحميـاه بجسـديهما فيمـا اندفـع اثنـان نحـو اللـواء. لـوح أحدهمـا بمسدسـه فـي وجـه وايتهيـد، وضربـه بـه ليبعـده عـن جـذع بيتشـام ليسـقط علـى الأرض وقـد أصابـه الـدوار. انحنيـا فوقـه وصوبـا مسدسـيهما إلـى رأسـه.

رمـت إيليـن ذراعيهـا غريزيًـا فـوق جسـم بيتسـي لحمايتهـا، ثـم دفعـت ظهرهـا كمـا قـد تفعـل أم مـع طفلهـا حيـن تُفرمـل فجـأة.

نهض دوج وليامز ثانية، وعدل ثيابه.

جروا وايتهيد من قدميه، والدماء تتدفق من جانب وجهه.

«لقـد انتهـى الأمـر، بيـرت»، قـال وليامـز، «لا شـيء ستكسـبه مـن عـدم إخبارنـا بكل شـيء. نحتـاج إلـى أن نعـرف مـا يخطـط لـه شـاه. أيـن هدفـه التالـي؟»

صمت.

«ومن الذي اشترى التكنولوجيا النووية منه؟ طالبان؟ القاعدة؟ إلى أي مدى قد وصلوا؟ أين يعملون».

صمت.

«أخبرنا»! زأر الرئيس، وخطا خطوة نحو وايتهيد كأنه سيهاجمه.

ساعد أحد العملاء تيم بيتشام على الوقوف والجلوس فوق أحد المقاعد. ثم ناول مدير المخابرات المركزية منشفة. كان أنفه محطمًا، والدم ينز فوق السجادة البيضاء.

تحول وايتهيد إلى إيلين. «لقد أديت دوري».

«يا إلهي»، همست بيتسي. «لقد اعترف. حتى هذه اللحظة...»

«ماذا؟» حدقت إيلين إلى بيرت وايتهيد. «يجب أن تخبرنا بما فعلته».

«لمّا فعلت، فأنت لم تفعل شيئًا»، قال وايتهيد، وهو يحدق إلى بيتسي، «لأن لدي المزيد».

غلف الكلمات صمت مخيف قبل أن يحطمه الرئيس الأمريكي.

«خذوه بعيدًا. استجوبوه. نحتاج إلى أن نعرف ما يعرفه. وتيم، احصل على رعاية طبية».

ما إن أُخلِي المكتب البيضاوي، حتى ارتمى دوج ويليامز فوق مقعده وراء المكتب، وحدق إلى المطبوعات. المذكرات اللعينة.

«لم أكن لأحلم...»

نظر إلى أعلى، وأشار إلى إيلين وبيتسي بالجلوس. ثم نهض مجددًا. ببطء مثل رجل مضروب ضربًا مُبرحًا. ثم سار نحو بيت هاملتون، وأمسك ذراع الرجل الشاب، وقاده إلى الباب.

«شكرًا على مساعدتك. امنحني أيامًا قليلة ثم سأود بعدها أن أراك ثانية».

«لم أصوت لك، سيدي الرئيس».

ابتسم وليامز ابتسامة مُتعبة، وخفض صوته، «لا أعتقد أنهما صوتا لي أيضًا».

مال رأسه نحو وزيرة الخارجية ومستشارتها غير أن وجهه لم يحمل ذرة دهشة أو سعادة. فقط قلق بالغ.

«حظًا موفقًا، سيدي الرئيس. لو أن باستطاعتي فعل أي شيء آخر...»

«شكرًا لك. ولا تبح بأي كلمة لأي أحد».

«أفهم ذلك».

ما إن غادر هاملتون حتى رجع وليامز إلى مكتبه.

«هل قطعتِ كل ذلك الطريق من طهران لتخبريني عن اللواء وايتهيد؟»

بينما كان يتحدث إلى هاملتون، تفقدت إيلين هاتفها. لا شيء. لم يصل أي شيء من كاثرين. ولا شيء جديد من جيل. كانت تنتقل الآن من القلق إلى الفزع. مع هذا عليها أن تركز.

أمسكت بيتسي يدها، وهمست: «أنت على ما يرام؟»

«كاثرين وجيل. لم تصلني منهما أي كلمة».

ضغطت بيتسي على يد إيلين التي التفتت إلى وليامز مجددًا.

«كان لزامًا أن تعرف بأمر اللواء وايتهيد، سيدي الرئيس، ولم أستطع أن أخاطر بأن يعترض أحدهم الرسالة، ويعرف فحواها».

«تعتقدين أن هنالك آخرين متورطون غير ضابطة الصاعقة؟»

«أعتقد أنه احتمال قائم».

«هل هي محاولة انقلاب؟» سألها.

فكرت إيلين في أن وجهه شاحب لكنه على الأقل مستعد لمواجهة الأسوأ.

«لا أعرف؟»

سكتت.

هل كانت كذلك؟

لو انفجرت تلك القنابل النووية وقتلت عشرات -وربما مئات- الآلاف، ودمرت مدنًا أمريكية رئيسة، فسيتبع ذلك فوضى. سخط عارم. وما إن يُستعاد النظام ولو جزئيًا، فستكون هنالك دعوات مُبررة من أجل المحاسبة. من أجل الحصول على الأجوبة. ودعوات أيضًا من أجل الانتقام. ليس فقط من الإرهابيين وراء التفجيرات، بل من الإدارة التي فشلت في إيقافها. وحقيقة أن كل ذلك قد بدأ تحت إدارة إيريك دَن سوف يضيع في موجة السعار.

تعتقد إيلين أن إيريك أحمق لكنه ليس مجنونًا. وليس مشتركًا بشكل فعلي في هذه المؤامرة. كان من وراء هذه المؤامرة آخرون، أولئك الذين سينتفعون من الفوضى. ومن الحرب. ومن تغيير الإدارة.

التابعون والديدان الذين تكاثروا تحت إدارة دَن، ولا يزالون موجودين بينهم في إدارة وليامز.

ربما هي محاولة انقلاب.

يستطيع وليامز أن يرى أن وزيرة خارجيته حائرة وشاردة.

«سوف ننتزع المعلومات من وايتهيد». قال لها.

«لست متأكدة»، قالت إيلين. «لكن يوجد شيء آخر. شيء أحتاج أيضًا إلى أن أخبرك به على انفراد».

نظر الرئيس إلى بيتسي.

«إنها تعرف»، قالت إيلين، «وكذلك ابنتي وابني. هم فقط يعلمون. كان جيل من حصل على المعلومات».

انفتح باب المكتب البيضاوي، وظهرت باربرا ستينهاوزر. توقفت على مبعدة أقدام قليلة من المكتب حتى تحدق إلى لطخات الدماء فوق السجادة.

«لقد سمعت للتو. هل ذلك صحيح؟»

«يجب أن تغادرينا يا باربرا». قال. «سوف أستدعيك حين أريدكِ».

وقفت باربرا ستينهاوزر مصعوقة مما سمعته في الممرات عن اللواء وايتهيد، ومما سمعته للتو من الرئيس.

تركت عيناها الرئيس واستقرت على الوزيرة آدمز قبل أن تنتقل إلى بيتسي جيمسون. كانت نظرتها باردة.

«ماذا يحدث؟»

«أرجوكِ، باربرا»، قال الرئيس. نبرة التحذير في صوته عفته عن قول هذا مرة ثالثة.

ما إن غادرت حتى مال ولیامز إلى الأمام، وقال، «أخبريني، سيدتي الوزيرة».

أخبرته إيلين.

الفصل الحادي والثلاثون

«دعنا نستريح»، قال أكبر.

توقف، ونظر من فوق الحافة إلى الوادي في الأسفل.

توقف جيل لحظة، شاكرًا لرفيقه على تفكيره فيه وفي ساقه. مع أن النزول أسهل على الرئتين، لكنه أشق بكثير على ساقٍ مصابة. كل الاهتزاز والانزلاق اللذين يصاحبانه.

«لا»، قال جيل. «يجب أن نصل إلى أسفل بسرعة. أحتاج إلى الاتصال بأمي».

«ماذا قال حمزة لك؟ تبدو منزعجًا جدًّا».

«أوه، تعرفه. يعشق الدراما».

ضحك أكبر.

«أجل، هو مشهور بذلك. البشتون كلهم على هذه الشاكلة».

«كنت منزعجًا لأنه لا يستطيع ولا يود إخباري بأي شيء. أعتقد أنه يعرف أشياء عن شاه لكنه لا يقولها. كان أملي الأخير. يجب أن أصل إلى أسفل لأخبر أمي أنني لم أحصل على أي شيء».

«ألم تكتب لها البارحة؟ لقد استعرت هاتفي».

«لقد فعلت لكنني تمنيت أن يغير حمزة رأيه هذا الصباح، وأنني سأمتلك شيئًا مفيدًا لأرسله لها. غير أنه لم يفعل».

تفحص أكبر رفيقه. صديقه. حسنًا، كشفت الأحداث أنه ليس صديقًا مقربًا.

«ذلك سيئ جدًّا. كل هذا الطريق من أجل لا شيء».

فرَد أكبر ذراعيه إلى الخارج، يدعو جيل إلى أخذ المقدمة.

«أنتَ أولًا».

«في الحقيقة الأفضل أن تتقدمني أنت. حتى إذا خذلتني ساقي، أستطيع أن أهبط فوقك».

«من الذي يحب الدراما الآن؟»

خطا أكبر إلى الأمام. سيجعل ذلك ما يجب أن يفعله أصعب قليلًا لأن جيل سيرى ما هو آت. سكين في الظهر أسهل دائمًا. وكذلك دفعة من الظهر. ولم يرغب في أن يطارده وجه جيل المصدوم. مع أن أكبر يشك في أنه سيتبخر من ذاكرته ما إن تصل السيارة الجديدة.

بينما يدور حول زاوية الجدار الصخري، ضاق الطريق، وصار مُغطى بحصى متساقط من المنحدرات. توقف، واستدار وهو يمد ذراعه الممسكة بالسكين نحو جيل.

ما إن شاهد هذا، حتى ذُهِل جيل لحظة. غير أن ذلك قد استمر جزءًا من الثانية فقط قبل أن يتنحى جانبًا فيرتطم جرحه ببروز ناتئ. بينما يصرخ من شدة الألم، شعر جيل بساقه تتلوى لا إراديًا. مد يده وأمسك عباءة أكبر، وشدّه إلى أسفل معه. بينما يصطدم بالأرض، حرر أكبر، وزحف مبتعدًا، متحاملًا على إصابته، ويده اليمنى تبحث عن جيب عباءته. حيث خبأ حمزة المسدس.

«ماذا تفعل؟» صاح فيما ينهض أكبر معتمدًا على يديه وركبتيه، ويزحف وراءه. اتسعت عينا جيل. لم يرد أكبر غير أن نصل السكين المقوسة الطويلة في يده قد فعل.

«اللعنة»! قال جيل، وهو يفتش عن جيبه بغضب أكبر. لكن العباءة الفضفاضة لم تسهِّل عليه الأمر. مد يده ليلتقط حفنة من

الصخور والتراب، ويقذفها نحو وجه أكبر. بالكاد أبطأته. ركله جيل بقوة لكن أكبر الماهر في القتال اليدوي بفضل السنوات التي قضاها في صفوف المجاهدين، قد أمسك حذاء جيل ولواه حتى صرخ ألمًا وخوفًا فيما يلتف جسمه كله على جنبه. مثل عجل يُقيد. كان أعزل تمامًا. قاوم وصرخ، وانتظر السكين حتى تذبح رقبته عندما أدرك مرعوبًا ما يفعله أكبر. كان يجره فوق الحافة حتى يبدو كأنه قد انزلق، وسقط. سيبدو الأمر حادثة، وليس قتلًا.

«لا، لا!»

كان ينزلق فوق الحافة. وحذاؤه ذو الرقبة الطويلة الثقيل يسحبه إلى أسفل. كان الأمر يحدث بالحركة البطيئة مثل كابوس يحاول فيه أن يركض هربًا لكنه لا يستطيع. ذراعاه ممدودتان أمامه، ويداه تخربشان بجنون عن شيء ثابت. شيء، أي شيء يتشبث به.

لكن فات الأوان. لقد تجاوز نقطة اللاعودة. في أي لحظة الآن، ستزداد سرعة الانزلاق، وسيتخطى الحافة، ويسقط في الهواء.

ثم...

نبشت أصابعه التراب، محطمة أظافره، وتاركة خطًا من الدماء وراءها. ثم كان هنالك صوت طلقة. طلقة واحدة. ثم شاهد بطرف عينيه شيئًا، طيفًا، يتعثر من فوق جانب الطريق. لكن لم تكن مشكلة جيل قد انتهت.

لا يزال ينزلق. قاوم بقوة أكبر، محاولًا التشبث. ثم شعر بيد فوق مؤخرة عنقه، تُوقِفه. وتشده إلى أعلى ثانية.

ما إن صار في أمان، حتى رقد فوق الأرض، وراح يلهث ويبكي. عاجزًا عن التوقف عن الارتعاش.

رفع رأسه أخيرًا، ووجهه متسخ بالتراب، ودموع مُوحِلة.

«الآن من يحب الدراما؟» قال حمزة.

«اللعنة! اللعنة! كيف...»

«كيف عرفت؟ لم أعرف. لكنني لم أثق أبدًا بابن العاهرة ضئيل الجسم ذاك. لقد كان موجودًا دائمًا من أجل ما سيتلقاه في المقابل فقط. المال غالبًا. يبيع الأسلحة التي نستولي عليها في السوق السوداء حتى تعود في النهاية إلى أولئك الذين أخذناها منهم. إنه حقير».

«لماذا لم تخبرني؟»

«كيف لي أن أعرف أنك بقيت على تواصل مع قطعة الحثالة هذه؟ إنه يعمل معه».

«مع من؟» سأل جيل لكنه يعرف. «شاه؟ بحق المسيح. إذا كان أكبر يعمل لصالحه فذلك يعني أن شاه يعرف أنني هنا. وقد تحدثت إليك».

أومأ حمزة برأسه.

«سوف يعرف أنك من أعطيتني المعلومات».

«ربما. في هذه الأنحاء، الولاءات»، مشَّطت عيناه الأراضي القاحلة. «متغيرة. ربما كان أكبر يعمل لصالح أي أحد. لا بد من أنه كان يعرف أن أي مكان يذهب إليه ابن وزيرة الخارجية الأمريكية معلومة تستحق البيع».

«لكنها لم تكن مجرد معلومة. لقد دفع إليه أحدهم ليقتلني».

«يبدو الأمر كذلك».

«ولهذا أعطيتني المسدس». وضع جيل يده فوق جيبه.

«أجل، ولقد أحسنت استخدامه! لقد سمعت ما قلته له. لقد كذبت. لقد قلت أنني لم أخبرك بأي شيء، لماذا؟ هل شككت فيه؟»

نظر جيل من فوق الحافة. نحو الجسم المكسور والمتمدد. هل فعل؟

هز رأسه نفيًا، «لا»، اعترف. «أنا حذر بطبعي فقط. كلما قل عدد من يعرف، كان أفضل».

نظر حمزة بدوره من فوق الجرف نحو الجثة الهامدة التي قتلها. «لقد تفاجأت من رؤيته برفقتك في المخيم».

بدت الجملة مألوفة. استغرق الأمر من جيل لحظة واحدة فقط ليدرك السبب. «كان لدي موعد معه في سامراء».

ما إن مال حمزة برأسه حتى قال جيل: «إنه اقتباس من قصة قديمة من حضارة بلاد الرافدين. عن استحالة خداع الموت».

«يبدو أنك قد خدعته مرتين. أتساءل أين يخطط لأن يقابلك في المرة القادمة؟»

هب حمزة واقفًا، والتقط شيئًا من فوق الطريق.

«سقطت تلك الأشياء من جيبه».

ناول الهاتف المحمول ومفاتيح السيارة لجيل غير أنه احتفظ بالسكين المقوسة الطويلة.

«سأظل بعيدًا عن سامراء لو كنتُ مكانكَ».

فيما يعرج بساقيه، وينزلق نازلًا الجبل، ساور جيل شعور

غريب أن الموت لا يتبعه، بل ظلّ وراءه. أن موعد الموت مع حمزة. أنه قد قاد الموت مباشرة إليه. ومن النظرة الأخيرة بينه وبين صديقه، استطاع أن يرى أن حمزة يشك في الشيء نفسه.

عندما أعطى حمزة، الأسد، تلك المعلومات إلى جيلجاميش، فقد أعطاه معها حياته. والموت المزهو متجسدًا في صورة بشير شاه، سوف يأخذها.

واصل جيل تفقد هاتف أكبر بحثًا عن الإشارة.

في المخيم بالأعلى كان هنالك إشارة، لكن في الوديان والكهوف؟ لا شيء. ما إن بلغ السيارة حتى أدارها نحو الحدود الملأى بالثغور، والشوارع الخلفية غير الممهدة، من أجل العبور إلى باكستان.

كانت خطته الآن واضحة. أن يرجع إلى واشنطن.

أراد أن يصل إلى الوطن فحسب. وأن يقدم يد العون، غير أنه سيذهب عبر فرانكفورت ليرد الدين إلى الممرضة الطيبة القلب. ويجب أن يعثر على آناهيتا أيضًا.

لقد سمح للخوف منذ اختطافه أن يشيد جدارًا حوله، ومن ذلك الحصن المنيع، رسم صورة لعالمه. آمن ومستقل ووحيد. لكن ليس بعد الآن.

بينما ينزلق فوق الحافة، تهدمت جدران حصنه. الآن بعد أن مُنِح فرصة أخرى للحياة، فسيكون ملعونًا لو ترك الخوف يسرق المزيد من الوقت الثمين الذي قد يقضيه معها.

لو كان محتمًا على الموت أن يجده، فليجده وثمة حب، وليس خوفًا، بداخل قلبه.

بينما تحتل آناهيتا مكانها بجانب ابنة عمها، لاحظت أن زهرة تجلس بعيدة عن والدها بأكبر قدر ممكن. جلست كاثرين إلى الجانب الآخر من زهرة لتشكل المرأتان طوقًا داعمًا من حولها.

ما إن انخفضت الأسلحة حتى قادهم فارهاد أو محمود عبر ممر جانبي مخفي تقريبًا، ينفتح في نهايته داخل أحد الكهوف. هناك أعطاهم الأوامر حتى يضعوا كشافاتهم في منتصف دائرة صخرية حيث اسودت أرضية الكهف بفعل حريق انطفأ لهيبه قبل عشرات آلاف السنين.

جلسوا فوق صخور تشكلت في المكان من التراب، وبفعل أياد ماتت منذ أمد بعيد. تساءلت آناهيتا إن كانت كارثة قد حدثت هنا ودفعت هؤلاء الناس إلى هجر ديارهم والقدوم إلى هنا؟ أم أنه كان مكانًا للاحتفال؟ أو لطقس ديني؟ أو للجوء؟ هل كانوا مختبئين عميقًا داخل الكهوف معتقدين أنهم بأمان تمامًا كما تعتقد آناهيتا والآخرون الآن؟ قبل أن يجدهم شيء ما في نهاية المطاف؟

تأملت الرسوم التي تُغطي الجدران وحتى السقف. بث الوميض الرقيق لمصابيح الغاز الحركة في الأشكال حتى بدا مشهد الصيد حيًا ومتواصلًا. وبدا أيضًا في أحد تتابعات الرسوم كأنَّ المخلوق الأشبه بالقط الذي كان الصيادون يطاردونه قد استدار. وصار يطاردهم هو الآن. هل ذلك ما حدث؟ هل عثر في النهاية على هؤلاء الرجال والنساء والأطفال؟

تعرف آناهيتا أن خيالها يستغل خوفها، وأن ذلك ليس جيدًا، خاصة عندما يكون الواقع مخيفًا بالقدر الكافي.

حدقت إلى مجموعة المصابيح أمام عمها في الجانب البعيد من الدائرة. لم يتحدث إلى أناهيتا غير أنه كان يرمقها بنظراته كما لو كانت العدو.. كما لو أنها قد أغوت ابنته حتى تفعل شيئًا لم يكن عليها أن تفعله. وبالتبعية أجبرته على فعل شيء ما كان عليه فعله.

في المقابل تحدث الدكتور أحمدي إلى زهرة، وتوسل إليها مع كل فرصة أن تغفر له. أن تفهم لماذا أبلغ عنها. بكى، ومد يده نحو يدها لكنها دفعتها بعيدًا، وسارت نحو أناهيتا وكاثرين وتركت الدكتور أحمدي بمفرده مع عذابه.

جلس عالم الفيزياء النووية ورأسه بين يديه. ذكّر ذلك آناهيتا بما قاله آينشتاين:

لا أعرف الأسلحة التي سيقاتل بها البشر في الحرب العالمية الثالثة، غير أنني أعرف أنهم في الحرب العالمية الرابعة سوف يقاتلون بالعصي والحجارة.

لكن آينشتاين لم يكن صريحًا. عرف جيدًا، كما يعرف أولئك الملتفون حول دائرتهم، ما الشيء الذي سيفجرهم ويعود بهم إلى العصر الحجري. ولا أحد يعرف أفضل من الأب الذي أعطى الكثير من تلك الأسلحة الحياة. الدكتور بنهام أحمدي.

«الآن أصبحت الموت...» تمتمت بصوت منخفض كلمات روبرت أوبنهايمر[56]، وهو يقتبس من البهاغافاد غيتا[57]. «مدمر

56- روبرت أوبنهايمر: فيزيائي أمريكي والمدير العلمي لمشروع تصنيع السلاح النووي الأول في الحرب العالمية الثانية. يعرف أوبنهايمر بأنه والد القنبلة النووية. (المترجم).
57- البهاغافاد غيتا: فصل من فصول الملحمة الهندية القديمة «مهابهاراتا»، التي استقى منها روبرت أوبنهايمر مقولته الخالدة الآن أصبحت الموت، مدمر العوالم». (المترجم).

العوالـم». فكـرت آناهيتـا وهـي تراقـب عمهـا، ربمـا نحتـاج إلـى أن نعتـاد الحيـاة فـي الكهـوف.

استـدارت كاثريـن إلـى تشـارلز بوينتـون الـذي ألصـق نفسـه إلـى جانبهـا. تسـاءلت، *حتـى يحميهـا؟* لكنهـا تعـرف الإجابـة؛ *بـل حتـى تحميـه هـي*. كان إعجـاب كاثريـن بهـذا الرجـل يـزداد.

«المكتـب البيضـاوي؟» همسـت، وهـي تطـوف بعينيهـا فـي أرجـاء الكهـف.

ابتسم.

«إنه عجيب كهذه الكهوف».

تنحنح فارهاد فدارت كل الأعين نحوه.

«لقـد أُخبرنـي قائـدي فـي وكالـة المخابـرات الإيرانيـة أن أقابـل الأمريكييـن، وأحضرهمـا إلـى هنـا. وأن أخبرهمـا بمـا أعـرف».

أغمضت كاثرين عينيها لحظة.

إذًا فقـد عرفـت أمهـا أو شـكت علـى الأقـل فـي أن هـذه هـي خطـة آيـة الله. كان علـى إيليـن أن تجـد طريقـة لإخراجهـم مـن طهـران ووفقًـا لشـروطهم حتـى يستطيعوا الحصـول علـى المعلومـات اللازمـة التـي يحتاجـون إليهـا لإيقـاف شـاه دون أن يعـرف أي أحـد آخـر. ودون أن يعـرف الـروس بكل تأكيـد.

آية الله الداهية. أمي الماكرة.

نظـر فارهـاد إلـى الظـلام المحيـط بهـم ثـم عـاود النظـر إلـى المجموعـة.

«لكنهـم لـم يُخبرونـي»، دار بذراعـه مـن حولـه. «عـن كل هـذا العـدد. لـو أن أحدهـم قـد تتبعهـم إلـى هنـا...»، كان خوفـه جليًـا.

كانت عيناه لا تتوقفان على الحركة. «لماذا أنتم هنا؟»

«لقد أُمِرنا بأن نأتي إلى هنا، ونصحبهم معنا». قال الحارس الثوري الأعلى رتبة. «وأن نسلمهم جميعًا إليهما باستثنائه. يجب أن يعود معنا».

كان الحارس ينظر إلى الدكتور أحمدي الذي رفع يده.

«إذًا لماذا أحضرتماه من الأساس؟» سأل بوينتون.

ابتسم الحارس له.

«هل أخبروك لماذا أنت هنا حقًا؟»

«انظر، فارهاد»، قالت كاثرين بأعصاب متوترة، «كلما عجلت بإخبارنا بما تعرف، فسنستطيع الخروج من هنا أسرع».

لقد تعمق شعورها بعدم الارتياح. لو كان هذا الرجل قد أُمِر بأن يمرر إليهم معلومات معينة، وكان متلهفًا حقًا لأن يفعل ذلك ثم يرحل، فلماذا الإفطار؟ ولماذا أهدر الوقت في إعداده؟ ويبدو لها الآن كأنه يماطل. ينتظر حتى. لكن إن لم يكن ينتظر آناهيتا والآخرين، فمن؟

«أين يعمل العلماء الفعليون؟» سألت كاثرين.

«العلماء الفعليون؟» قال بوينتون. «عمَّ تتحدثين؟»

لم ترغب في إضاعة الوقت في شرح رسالة جيل. كان تركيزها كله منصبًا على فارهاد.

«ثمة مصنع مهجور في باكستان على الحدود مع أفغانستان»، قال فارهاد، وقد خفض صوته إلى درجة الهمس.

مال جميع من في الدائرة إلى الأمام. كاثرين، بخيالها الذي لم يكن تحت السيطرة تمامًا، استطاعت أن تتخيل الصور

على الجدران تلتفت وتميل بدورها. مستشعرة وجود لعبة أكبر. مستشعرة وجود دم طازج.

«كانت المافيا الروسية تبيع شاه مواد انشطارية ومعدات، وترسلها إلى هناك منذ أكثر من سنة». قال فارهاد.

«لقد صنعوا بالفعل ثلاث قنابل نووية على الأقل». قالت كاثرين.

نظر فارهاد إليها، متفاجئًا من معرفتها. أومأ برأسه.

«اللعنة»! قال بوينتون.

«أين القنابل؟» سألت كاثرين.

«لا أعرف. كل ما أعرفه هو ما سمعته بأن القنابل قد أُرسِلت إلى الولايات المتحدة على ظهر سفن حاويات قبل أسبوعين».

«اللعنة»! قال بوينتون. «توجد قنابل نووية داخل الولايات المتحدة؟» قفز واقفًا، وقال بنبرة تهديد، «أين؟ أنت تعرف، أليس كذلك؟ أين هي؟»

ما إن هز فارهاد رأسه حتى انقض عليه بوينتون، وطرحه عن الصخرة إلى فوق الأرض الترابية. رجل الدولة مع أنه أضخم بصورة ملحوظة، وأصغر من فارهاد بسنوات عدة، لم يكن ندًا للرجل النحيف والقوي البنية الذي تدرب على القتال الجسماني. أقوى قتال دخل فيه تشارلز بوينتون كان مع آلة البيع الآلي في القاع الضبابي. وقد خسر حينها حتى.

قبل أن يدرك الأمر، كانت ذراع فارهاد تلتف حول عنق بوينتون في وضعية الخنق.

«توقفا»، أمرتهما كاثرين. «لا نمتلك الوقت لذلك».

دفعت فارهاد بعيدًا، الذي التفت إليها بعينين تنضحان بالغضب. فكرت كاثرين لحظة أنه سيهاجمها لكنه تراجع، وحرر بوينتون الذي ترنح واقفًا ممسكًا رقبته.

«اجلسا». قالت، ففعلا.

عادت إلى مجلسها، ومالت مقتربة من فارهاد.

«هل ذهبت إلى ذلك المصنع من قبل؟»

حدق إلى الأنحاء ثانية قبل أن يومئ إيماءة قصيرة.

«لقد سلمت شيئًا في أقفاص خشبية. لا أعرف ماذا كان».

«أخبرني بمكانه».

«في مقاطعة باجور خارج قرية كاتكوت مباشرة. مصنع أسمنت قديم. لكنك لن تصلي إليه أبدًا. متمردو طالبان منتشرون في كل مكان».

«من يعرف أين زُرِعت القنابل؟ في أي مدن؟ وأين بالتحديد؟» سألت كاثرين.

«الدكتور شاه».

«ومن أيضًا؟ لا بد أن الآخرين يعرفون. لم ينقلها بنفسه».

«لا بد أن شخصًا في المصنع يعرف. كان عليهم ترتيب الشحن. ثم في أمريكا أشخاص لزرعها. لكنني لا أعرف من هم. كل ما أعرفه هو ما سمعته».

«والذي هو؟»

«مجرد إشاعة. انظري، الدكتور شاه أشبه بأسطورة. تُبنى كل أنواع القصص الخرافية من حوله. يقولون إن عمره يتجاوز مئة سنة. وأنه يستطيع القتل بمجرد نظرة».

«إنه أزي دهاكه». قالت آناهيتا.

تلون وجه فارهاد بالرمادي رعبًا، وأومأ برأسه.

«أريد حقائق، وليس خرافات. هيا، هيا». حثته كاثرين

لاحظت أن النيران في مصابيح الغاز التي رُفِعت أغطيتها الزجاجية تتمايل. وأحست بنسمة خفيفة تكفي لتحريك الشعيرات فوق ساعديها. فكرت أن ذلك بسبب ذكر شاه فقط. مخيلتها تتلاعب بها ثانية. لكن النيران كانت ترفرف بلا شك الآن. بدأ الآخرون يلاحظون ذلك أيضًا.

«أخبرني»، قالت كاثرين وهي تخفض صوتها لكنها تزيد من حدته.

اتسعت عينا الأب بنهام، ورفع الحارسان الثوريان بندقيتيهما، وأحكما من قبضتيهما عليها، وهما يلتفتان نحو الظلام وراءهم.

أصابت الطلقة الأولى فارهاد في الصدر.

أدارت كاثرين ذراعيها إلى الخارج وأسقطت زهرة وبوينتون من فوق صخرتيهما فيما تسقط هي وترقد فوق الأرضية الترابية، وتحاول أن تحتمي بالصخور مع انهمار الرصاص، وارتداده عن الجدران.

أبصرت تشارلز بوينتون يزحف إلى فارهاد، ويمسك مسدسه، ويميل مقتربًا فيما يهمس الرجل المحتضر ببضع كلمات قبل أن يسعل دمًا في وجه بوينتون.

نظر بوينتون إلى كاثرين، وعيناه جاحظتان من شدة الرعب.

مات فارهاد وآخرون بما في ذلك أحد الحارسين الثوريين.

«زهرة»! صرخ الدكتور أحمدي فوق صوت الطلق الناري.

تمركز الحارس المتبقي داخل شق في جدار الكهف، وراح يطلق الرصاص نحو الظلام.

عرفت كاثرين أن عليهم الابتعاد عن الضوء. أو الأفضل من ذلك أن يُبعِدوا الضوء عنهم. استجمعت قوتها.

خمنت آناهيتا التي كانت تراقب كاثرين، ما على وشك أن تفعله، وجهزت نفسها. مع دفقة الرصاص التالية التي أطلقها الحارس، وثبت المرأتان إلى داخل الدائرة الحجرية، وأمسكتا المصابيح، وألقتاها نحو الظلام. إلى المكان الذي كانت تأتي منه طلقات العدو.

ثم ارتطمتا بالأرض واختبأتا.

كان الحارس قد أصيب برصاصة، وقد انهار في مقابل الجدار غير أن العميلة الإيرانية قد وصلت إليه، والتقطت البندقية إي كيه-٤٧ في حين اصطدمت المصابيح بالأرض وانفجرت، وكشف الضوء فجأة عن مهاجميهم.

صرخ أحدهم بالروسية «بويميت»! كان آخر شيء يقوله فيما أطلقت العميلة النار.

«اللعنة»!

أدار بوينتون فوهة مسدسه نحوهم، وواصل إطلاق النار في حين يتناثر الرصاص في أنحاء الكهف. تدحرجت كاثرين وسط وابل الرصاص عائدة إلى ملجأ الصخور غير الآمن كليًا، ورقدت هناك، وذراعيها فوق رأسها.

ما إن انتهى إطلاق الرصاص حتى رفعت رأسها ببطء.

كان دخـان لاذع الرائحـة عالقًـا فـي الجـو. مـا إن تلاشـى حتـى كشـف عـن مشـهد مذبحـة.

«بابا؟!»

التفتت كاثريـن وآناهيتـا لتريـا زهـرة تزحـف نحـو أبيهـا الـذي كان يرقـد، ووجهـه إلـى أعلـى، وأطرافـه متباعـدة فـي مـكان سـقوطه. أصابتـه دفقـة مـن رصـاص بندقيـة آليـة، وهـو يحـاول أن يشـق طريقـه نحـو ابنتـه.

«بابا؟!»

وصلت زهـرة إليه، وجثت على ركبتيها بجواره.

تحـركت كاثرين نحوها غير أن أناهيتا قد أوقفتها.

«امنحيها دقيقة».

كان فارهـاد ميتًـا بـدوره، والحارسـان الثوريـان، والعميـلان الإيرانيـان.

«تشـارلز»، قالـت كاثريـن، وهـي تذهـب إلـى بوينتـون الـذي انهـارت سـاقاه، وأرغمتـه علـى الجلـوس مثـل طفـل علـى الأرض. طفـل يحمـل مسدسًـا. «هـل أنـت بخيـر؟ هـل أُصبـت؟»

ركعـت بجانبـه، وأخـذت المسـدس برقـة مـن يديـه. نظـر إليهـا، وشـفته السـفلى ترتجـف وذقنـه يرتعـش.

«أعتقد أنني قتلت شخصًا».

أمسكت يده.

«لم يكن لديك خيار. كان عليك ذلك».

«ربما قد أصيب فحسب».

«أجل، ربما».

أخرجت كاثرين منديلًا، ولحسته بلسانها، ثم دعكت به الدم المتجلط عن وجه فارهاد.

«لقد قال»، نظر بوينتون تجاه فارهاد الذي كانت عيناه تنظران إلى أعلى، كما لو كان مفتونًا بالرسومات الرائعة التي تحوم على سقف الكهف من فوقه. «البيت الأبيض».

«ماذا؟»

«لقد قال قبل أن يموت، «البيت الأبيض». ماذا قد يعني بذلك؟»

الفصل الثاني والثلاثون

كانت عينا الرئيس وليامز لامعتين وحادتين. تستوعبان كل شيء. انقبضت يداه مع كل كلمة تفوهت بها إيلين، لتشكل كل منها قبضة قوية حتى أن بيتسي قد أعتقدت أن الدماء ستتدفع منها قريبًا، وأن أظافره التي تنهش في اللحم، ستترك وراءها ندبات.

العلماء الذين قُتِلوا على متن الحافلات كانوا طُعمًا.

علماء الفيزياء النووية الفعليون الأكثر تفوقًا من الآخرين، يعملون لصالح الدكتور شاه منذ عام أو أكثر.

لقد أُطلِق سراح شاه وكُلّف بمهمة تطوير برنامج أسلحة نووية من أجل طالبان التي يسيطر عليها الباكستانيون والروس.

وقد نجحوا في صنع ثلاث قنابل على الأقل. وتلك القنابل قد زُرِعت بالفعل داخل مدن أمريكية. وسوف تنفجر في أي يوم وفي أي لحظة من الآن.

لكنهم لا يعرفون أين. ولا يعرفون متى. ولا يعرفون حجمها.

«انتهيتِ؟» سأل.

ما إن أومأت الوزيرة آدمز حتى ضغط على زر الاستدعاء، وظهرت باربرا ستينهاوزر.

«أخبري نائبة الرئيس أن تستقل الطائرة إير فورس ٢، وتطير إلى جبل شايان في ينابيع كولورادو، وتنتظر أوامر أخرى».

«أجل، سيدي الرئيس». بدت مصدومة مع هذا اختفت دون أن تطرح أسئلة.

التفت إلى إيلين ثانية. «كل هذه المعلومات أتت من ابنكِ؟»

جهزت إيلين نفسها من أجل تلميحات مبطنة، إن لم يكن اتهامًا صريحًا. كيف استطاع أن يعرف إنْ لم يكن جزءًا من المؤامرة؟ إنْ لم يكن قد أصبح متطرفًا في أثناء مدة أسرِه؟ لقد تحول، كما يعرف الجميع، إلى الإسلام. وهو يحب الشرق الأوسط رغم ما حدث. كيف يمكنهم أن يثقوا بمعلوماته.

«إنه رجل شجاع»، قال دوج وليامز. «أرجوكِ، اشكريه. نحتاج الآن إلى المزيد من المعلومات».

«أعتقد أن آية الله العظمى كان يحاول أن يعطيني بعض المعلومات».

«لماذا سيفعل ذلك؟»

«لأنه ينظر إلى خليفته، إلى مستقبل إيران، ولا يرغب في أن تفلت من يده إلى أحد خصومه أو حتى أن تقع تحت سيطرة الروس. ولا يرغب في التدخل الأمريكي أيضًا. لكنه يرى طريقًا ضيقًا أمامه يتعاون فيه القط والفأر».

«عذرًا».

«لا تهتم. إنها مجرد قصة».

أومأ الرئيس. لم يحتج إلى الاستماع إلى الخرافة حتى يفهم.

«لو أوقفنا شاه، فسيفوز كلانا».

«لكن كان من المستحيل أن يُرى آية الله خسروي، وهو يمنحني المعلومات. لقد تركت ابنتي كاثرين ورائي برفقة تشارلز بوينتون أملًا في أن أكون محقة. ولقد قبض آية الله على إحدى موظفات الشؤون الأجنبية في وزارتي. آناهيتا ضاهر».

«الفتاة التي تلقت رسالة التحذير». دون الرئيس اسمها.

«أجـل». *لا ضـرورة الآن*، فكـرت إيليـن، لأن تحدثـه عـن خلفيـة عائلتهـا. «ثـم طردنـي مـن إيـران».

«سـوف أحـذر رجالنـا فـي السـفارة السويسـرية فـي طهـران مـن أن إحـدى موظفـات الشـؤون الأجنبيـة لدينـا قـد قُبـض عليهـا بصـورة غيـر قانونيـة».

«لا، أرجوك، لا تفعل».

توقفت يده الممتدة نحو الهاتف.

«لماذا لا؟»

«أعتقـد أن آيـة الله العظمـى قـد فعـل هـذا حتـى يسـتطيع نقـل المعلومـات إلينـا».

«لكن لماذا لا ينقلها إليكِ؟»

«إننـي مُلفتـة للأنظـار. كان عليـه أن يخرجنـي مـن إيـران. عـرف بوجـود مـن يراقبنـي».

«الروس...»

«أو الباكسـتانيون أو شـاه. وسـوف يعتقدون الآن أنني قد تعرضت للإهانة».

«حسنًا»، قال وليامز بوجه عابس.

«ولـن يهتمـوا بأننـي قـد تركـت ابنتـي وبوينتـون ورائـي حتـى يحـاولا إطـلاق سـراح موظفـة الشـؤون الأجنبيـة».

«لكنـكِ كمـا ذكـرتِ قـد تركتهمـا وراءك فـي الحقيقـة مـن أجـل الحصـول علـى المعلومـات التـي يرغـب آيـة الله العظمـى فـي تمريرهـا. أي معلومـات؟»

«لا أعرف».

«أنت لا تعرفين حتى إذا كان ذلك فعلًا ما يفكر فيه. أنتِ تخاطرين بالكثير، إيلين».

أخاطر بكل شيء، فكرت دون أن تقول ذلك.

«الكثير على المحك».

«بوينتون»، قال الرئيس، «مدير مكتبك. أليس هو الشخص الذي خسر المعركة مع آلة بيع حلوى توينكي؟»

«أعتقد أنها كانت آلة بيع هو-هو.

«حسنًا، لن يشك أي أحد على الأقل في أنه جاسوس. هل اكتشفا أي شيء بعد؟»

استنشقت إيلين نفسًا.

«لم أسمع منهما منذ ساعات عدة».

عض دوج وليامز شفته العليا، وأومأ إيماءة مقتضبة.

«نحتاج إلى أن نعرف أين زُرِعت تلك القنابل، ونحتاج إلى أن نكتشف أين صُنِعت».

«أتفق معك، سيدي الرئيس. لا أعتقد أن اللواء وايتهيد سوف يخبرنا مع أنني أعتقد أنه يعرف».

«سوف نوسعه ضربًا حتى يعترف إن اقتضى الأمر».

وجدت إيلين التي كانت تنفر من وحشية الاستجوابات المعززة[58] بداخلها بئرًا عميقة من أخلاقيات الموقف[59]. لو كان

58- الاستجوابات المعززة: الاسم الذي يطلق على برنامج الحكومة الأمريكية للتعذيب الممنهج للمحتجزين لدى الأجهزة الاستخباراتية. (المترجم).

59- أخلاقيات الموقف أو الأخلاقيات الظرفية هي التي تأخذ في الاعتبار الظروف المحيطة بموقف معين عند تقييمه أو تبريره أخلاقيًا. (المترجم).

التعذيب سوف ينتزع منه المعلومات وربما ينقذ آلاف الأرواح، فلا مانع لديها.

خفضت عينيها نحو يديها، بأصابعها المتشابكة ومفاصلها البيضاء، في حِجرها.

«ما الخطب؟» سألت بيتسي.

رفعت إيلين عينيها، ونظرت إلى عيني صديقتها. أصدرت بيتسي آهة فهم.

«لا تستطيعين فعل هذا، أليس كذلك؟ الغاية لا تبرر الوسيلة».

«الغاية تحددها الوسيلة». قالت إيلين ثم نظرت إلى دوج ويليامز. «توجد طرائق أسرع وأفضل من التعذيب. نعرف أن الناس تحت التعذيب يقولون أي شيء حتى يُوقِفوه. لكن ما يقولونه ليس الحقيقة بالضرورة. إلى جانب أن وايتهيد سيصمد طويلًا جدًّا. نحتاج إلى تفتيش بيته. لن يحتفظ بتلك المعلومات في مكتبه بالبنتاجون. وأشك في أنه يحتفظ بها على كومبيوتره. لا بد من أنه يحتفظ بالأوراق في مكان ما في بيته».

رفع ويليامز سماعة الهاتف. «أين تيم بيتشام؟»

«في المستشفى، سيدي. لقد انكسر أنفه. سيخرج قريبًا». قالت باربرا ستينهاوزر.

«لا نمتلك الوقت. أرسلي نائبه إلى هنا. الآن».

«أود الذهاب معهم». قالت إيلين، وهي تنهض.

«اذهبي». قال ويليامز. «وأطلعيني على ما سيحدث. سوف أتواصل مع حلفائنا. وسأرى ما قد تستطيع أجهزة مخابراتهم معرفته عن العلماء الآخرين الذين يعملون لصالح شاه».

دوت الأبواق، وانطلق موكب السيارات إلى بيثيسدا، في حين راحت إيلين تتفقد هاتفها طيلة الوقت.

داهمها خوف غير مبرر تقريبًا. ماذا لو أنها لم تسمع منهما قط؟ ماذا لو أنها قد أرسلت طفليها إلى حتفهما؟ ماذا لو لم تكتشف قط ما حدث لهما؟ ربما عليها أن تتصل بعزيز في طهران. يستطيع وزير الخارجية الإيراني أن يُرسل رجالًا إلى بلوشستان. إلى الكهوف ليرى... غير أنها ترددت.

تحتاج إلى إعطاء كاثرين المزيد من الوقت. الاتصال بعزيز سيفسد الأمر برمته. بدلًا من ذلك ركزت في المهمة أمامهم. إيجاد المعلومات التي خبأها اللواء وايتهيد.

«هل قال أي شيء لكِ؟» سألت إيلين للمرة المئة. «أي شيء مفيد على الإطلاق؟»

اعتصرت بيتسي دماغها. «لا، ما عدا بيت الشعر اللعين. وذلك غير مفيد».

كانت الطريقة التي اقتبس بها جون دن مثيرة للقشعريرة.

توقفت السيارات أمام منزل على طراز كيب كوب (منخفض وعريض من طابق واحد، وبسقف حاد الانحدار، ومزود بمدخنة)، يحيط به سياج من أوتاد خشبية وبشرفة واسعة فوقها مقاعد هزازة. حقيقة أن البيت بدا أمريكيًا تمامًا، ونمطيًا تقريبًا زاد من غضب إيلين. شعرت بالعصارة ترتفع إلى فمها.

قرع العملاء بأيديهم فوق الباب الأمامي في حين انتشر آخرون حول البيت من الخلف.

أوشكوا أن يُحطموا الباب لكن في آخر ثانية، ظهرت امرأة، شعرها رمادي مصفف بعناية في قصة شعر بسيطة لكن كلاسيكية. ارتدت بنطلونًا قماشيًا وبلوزة حريرية. امرأة من الطبقة الراقية، فكرت إيلين لكن لا تبدو متغطرسة على الإطلاق.

«ما الأمر؟ ماذا يحدث؟» نبرة صوتها تكاد تكون آمرة. قالت فيما تُدفَع جانبًا، «أين بيرت؟»

نظرت وراءهم بحثًا عن زوجها قبل أن تتوقف عيناها على وزيرة الخارجية الأمريكية.

كانت تُمسك طوق كلب ضخم يبدو متحمسًا ومدهوشًا. أتى صوت طفل يبكي من مكان أعمق داخل البيت.

«ماذا يحدث؟»

«تنحي جانبًا». قال أحد العملاء، وهو يدفعها.

أومأت إيلين إلى بيتسي التي أخذت بذراع السيدة وايتهيد وقادتها باتجاه الطفل الباكي.

كان عملاء المخابرات قد انتشروا في أنحاء المنزل. وراحوا يسحبون الكتب من فوق الرفوف، ويقلبون المقاعد والأرائك. وينزعون اللوحات عن الجدران. وهكذا صار البيت الذي كان مريحًا ومرتبًا قبل لحظات في حالة فوضى الآن. ويزداد سوءًا مع كل لحظة.

تبعت بيتسي زوجة الرئيس إلى المطبخ فيما عثرت إيلين على حجرة المكتب حيث كان نائب مدير المخابرات الوطنية وعملاء المخابرات الأعلى رتبة يفتشون.

كانت الحجرة ضخمة وساطعة، بنوافذ ضخمة تطل على الفناء الخلفي حيث عُلقت أرجوحة طفل مصنوعة منزليًا. كانت لوحًا خشبيًا سميكًا، وحبلًا متصلًا بجذع شجرة بلوط. وتقبع كرة قدم صغيرة للأطفال، مهملة فوق العشب.

كانت تغطي جدران المكتب رفوفُ كتب مكدسة بمجلدات، وصور مؤطرة، أُنزلت جميعًا، وفُحِصت ثم ألقيت على الأرض. لم يكن هنالك أي ميداليات أو شهادات تقدير في الحجرة. فقط صور أطفال وأحفاد. وصور لبيرت وايتهيد وزوجته وأصدقائه وزملائه في الجيش.

بينما استمرت زوبعة التفتيش من حولها، وقفت الوزيرة آدمز مستندة إلى الجدار، تتساءل:

ما الذي جعل رجل يفعل هذا الشيء؟ خيانة وطنه؟ قتل مواطنيه؟ لا بد أن إحدى القنابل النووية قد وُضِعت في واشنطن العاصمة. وغالبًا داخل البيت الأبيض نفسه.

عرف الرئيس ذلك أيضًا ولذلك أرسل نائبته وأعضاء الوزارة رفيعي المستوى باستثناء كاثرين بعيدًا. الانفجار وتداعياته سوف يمتد تأثيره أميالًا، مدمرًا وناشرًا إشعاعه النووي على كل شيء وكل شخص في طريقه.

ماذا حدث لبيرت وايتهيد؟

لو أن التآمر مع الإرهابيين هو الجواب فما هو السؤال حقًا؟

وجدت إيلين بيتسي والآخرين في المطبخ في حين تخضع السيدة وايتهيد وابنتها للاستجواب. أنصتت من مكان وقوفها أمام الباب دقيقة أو اثنتين فيما ينهال عميلا المخابرات على المرأتين بالأسئلة، والطفل الباكي يخبط بأطرافه بين ذراعي المرأة.

«هل يمكنكما أن تتركانا بمفردنا، رجاء؟» قالت إيلين.

رفع العميلان أعينهما بانزعاج نحو إيلين ثم وقفا.

«أود الحديث إلى السيدة وايتهيد وابنتها على انفراد».

«لا نستطيع فعل ذلك».

«هل تعرف من أنا».

«أجل، سيدتي الوزيرة».

«جيد، لقد سافرت طيلة اليوم تاركة ابني في المستشفى في فرانكفورت»، أخفت إيلين جزءًا من الحقيقة. «لأكون هنا. أعتقد أن بوسعكما أن تمنحانا دقائق قليلة».

تبادلا النظرات، وقد بدا أنهما غير سعيدين. مع هذا غادرا.

نظرت إيلين إلى الطفل الباكي، وهي تجلس، قبل أن تقول للابنة. «ربما يمكنكِ أن تصحبيه إلى الخارج حيث الهواء المنعش».

«ماما؟»

أومأت السيدة وايتهيد إيماءة صغيرة.

ما إن غادرت الابنة والحفيد، حتى جلست إيلين، وفحصت بعينها المرأة التي كانت خائفة ومرتكبة. الغضب يطغى على الخوف. لكن إيلين بدورها كانت حائرة. بدت السيدة وايتهيد مألوفة. عرفتها إيلين من مكان ما ثم تذكرت.

«أنتِ لستِ السيدة وايتهيد، أليس كذلك؟»

رأت حاجبا بيتسي يرتفعان مع هذا ظلت هادئة.

«أدعى السيدة وايتهيد حين أكون في المنزل».

«أنتِ الأستاذة تيرني. تدرِّسين الأدب الإنجليزي في جامعة جورج تاون».

أحد الكتب التي بُعثرت مفتوحة على أرضية المكتب يحمل وجه هذه المرأة فوقه. صورة مؤلفة الكتاب لكن قبل سنوات عدة. كان اسم الكتاب «ملوك ورجال يائسون»، اسم مأخوذ من قصيدة لجون دن. كان الكتاب سيرة حياة الشاعر الميتافيزيقي.

«لماذا لا يكف زوجك عن اقتباس بيت الشعر، «لمّا فعلت، فأنت لم تفعل شيئًا...؟»

«لأن لدي المزيد». أنهت الأستاذة تيرني بيت الشعر. «إنه تلاعب بالكلمات. أنا باحثة في شعر جون دن. وذلك يجعل برت بدوره باحثًا في شعر دن. أظن أنه يحب ذلك الاقتباس».

«أجل، لكن لماذا؟»

«لا أعرف. لم أسمعه يذكره قط. لستِ هنا لمناقشة الشعر، سيدتي الوزيرة. أخبريني ماذا يحدث. أين زوجي؟»

«إذا كان قربه الشديد منكِ لسنوات يجعله باحثًا في شعر دن»، قالت إيلين. «فهل يجعلكِ هذا خبيرة أمن إذًا؟»

«أحتاج إلى محامٍ». قالت الأستاذة تيرني. «وأريد أن أتحدث إلى بيرت».

«أنا لست شُرطِية، وأنتِ لستِ رهن الاعتقال. أطلب منكِ أن تساعدينا. أن تساعدي بلادكِ».

«إذًا أحتاج إلى أن أعرف بمَ يتعلق هذا؟»

«لا، بل تحتاجين إلى الإجابة عن أسئلتنا». خفضت إيلين من صوتها، ومن حدة نبرتها. «أعرف أن هذه صدمة. أعرف أنه مخيف. أرجوكِ فقط أن تخبرينا بما نحتاج إلى معرفته».

سكتت الأستاذة تيرني ثم أومأت برأسها.

«سوف أساعدكِ بأي طريقة ممكنة. لكن أخبريني فقط، هل بيرت بخير؟»

«هل ذكر زوجكِ بشير شاه أبدًا؟»

«تاجر السلاح. أجل. مرة واحدة فقط. كان يتحدث بانفعال عن إطلاق سراحه من الإقامة الجبرية».

«هل أخبركِ بذلك؟» قالت إيلين.

«هل هو سر من أسرار الدولة؟» سألت الأستاذة تيرني.

فكرت إيلين مليًا.

«لا، لا أظن ذلك».

«لا، لم يخبرني، ولن يخبرني بيرت بسر من أسرار الدولة».

«إذًا كان متفاجئًا من إطلاق سراح شاه؟»

«مصدومًا. وأكثر غضبًا من أي مرة قد رأيته فيها منذ مدة طويلة».

شعرت إيلين برغبة مُلِحة في أن تصدق هذا لكن ذلك بالطبع ما يعتمد عليه أولئك الخونة.

استعداد الناس لأن يؤمنوا بالأسوأ في سبيل غض الطرف عما هو كارثي. لو كان اللواء وايتهيد غاضبًا فلم يكن ذلك لأن شاه حر طليق بل لأنهم اكتشفوا ذلك.

«أين يحتفظ زوجكِ بأوراقه الخاصة؟» سألت إيلين.

بعد لحظة صمت قصيرة، قالت زوجة اللواء وايتهيد، « وراء رف الكتب خزنة، الرف الأقرب إلى باب المكتب».

هبت إيلين واقفة.

«كلمة السر؟»

«دعيني أرافقكِ. سوف أفتحها».

«لا. نحتاج إلى كلمة السر».

تبادلت المرأتان النظرات. ثم أعطتها الأستاذة كلمة السر شارحة، «إنها تواريخ أعياد ميلاد أطفالنا».

غادرت إيلين، وعادت بعد دقائق قليلة، «فلنرحل». قالت لبيتسي.

ما إن صارتا داخل السيارة في طريق عودتهم إلى واشنطن العاصمة، حتى سألت بيتسي. «إذًا؟ ماذا كان في الخزنة؟»

«لا شيء سوى شهادات ميلاد الأطفال. سوف تخضع للتحليل تحسبًا لأن يكون فيها شيء مخفي، لكن...»

لاحظت بيتسي أن إيلين لم تغادر البيت خالية اليدين.

كانت تقبض على كتاب الأستاذة تيرني. *ملوك ورجال يائسون.*

فكرت بيتسي، *ونساء يائسات.*

***

لم يعثر جيل على إشارة إلا بعد أن عبر الحدود إلى باكستان.

أوقف السيارة، وكتب بسرعة رسالة إلى أمه.

لم يكن الوجود داخل سيارة متوقفة إلى جانب الطريق آمنًا. لذا لم يتباطأ. ما إن أرسل الرسالة حتى توجه إلى المطار.

لا يزال أمامه ساعات عدة حتى يصل إلى هناك.

***

«سأذهب». قالت آناهيتا.

«سأذهب معكِ». قالت زهرة. «أبي. يجب أن...»

كانوا عند السيارة التي قادها فارهاد بهم إلى هنا غير أن المفاتيح لم تكن موجودة في أي مكان. أدركوا أنها لا تزال بحوزته داخل الكهف.

كاثرين، التي فقدت والدها فجأة، فهمت زهرة. أومأت إيماءة مقتضبة.

«اذهبا لكن عودا بسرعة. يعلم الرب من سيأتي إلى هنا أيضًا. من الواضح أن أحدهم قد أخبر الروس عن هذا الاجتماع».

«فارهاد»، قال بوينتون. «لقد كان يتلاعب بجميع الأطراف».

أعطت كاثرين آناهيتا المسدس الذي أخذه بوينتون من الرجل الميت.

«عودا سريعًا».

تسلقت ابنتا العم، المتشابهتان كثيرًا في الشكل والحركة المنحدر معًا إلى مدخل الكهف.

ما إن صارتا في الداخل، حتى اندفعتا عبر ممرات مألوفة لهما الآن نحو التوهج الصادر عن المصابيح المكسورة. لم تتوغلا كثيرًا حين أبطأت زهرة متوقفة، ورفعت يدها. وقفت آنا بجانبها متوترة. كل حاسة من حواسها تهتز في تركيز شديد. ثم سمعت الصوت أيضًا، بل أصواتًا. أصوات روسية.

«اللعنة»! تمتمت. «اللعنة! اللعنة! اللعنة»!

نظرت وراءها نحو مدخل الكهف. ثم عاودت النظر نحو التوهج الطفيف، والأصوات الفظة الغاضبة لم يكن هنالك خيار. يحتاجون إلى تلك المفاتيح.

جثت آنا فوق الأرض وزحفت نحو الكهف المفتوح. تحركت

ظلال معتمة ومشوهة في الممر على الجانب البعيد من الكهف. نظرت إلى زهرة التي كانت تحدق إلى جثة أبيها. كان يرقد حيث سقط، تحجبه الصخور جزئيًا.

«اذهبي»، همست آنا. «لكن بسرعة».

لم تكن متأكدة ممَّا تود زهرة أن تفعله لكن الآن ليس الوقت المناسب لمناقشة ذلك.

واصلت آنا الزحف على بطنها إلى جثة فارهاد، ثم أجبرت نفسها على النظر ثم تحسست ثيابه حتى عثرت على المفاتيح. سحبتها بحذر شديد محاولة أن لا تُصدر صوتًا.

بينما تحكم قبضتها حول المفاتيح، نظرت نحو زهرة، وهي تقبل جبهة أبيها ثم تتراجع مبتعدة زاحفة على يديها وركبتيها.

كانتا قد بلغتا مدخل الممر الذي سيقودهما إلى الخارج حين تعالت صيحة. واصطدم شعاع ضوء كشاف بهما.

استدارت ابنتا العم وركضتا دون أن تنظرا إلى الوراء، ودون أن تهتما بالاختباء. انطلاقتا إلى حيث تسطع الشمس عبر الفتحة الضيقة كنصل سكين.

أمكنهما سماع وقع خطوات أحذية ثقيلة وراءهما، وصياح بأوامر.

بينما تثني جسمها عابرة الفتحة، هتفت آنا إلى كاثرين وبوينتون، «يوجد المزيد. لقد شاهدونا».

«إنهم قادمون»، هتفت زهرة، وهي تزحف وتنزلق فوق المنحدر.

اندفعت كاثرين نحوهما، والتقطت المفاتيح من آناهيتا.

«ادخلوا السيارة».

لم تكن بحاجة إلى حثهم.

بينما يدور محرك السيارة، اندفعت طلقات نحوهم. أنزلت آنا النافذة وأطلقت الرصاص بكثافة. لم تُمسك مسدسًا من قبل قط، ولم تطلق رصاصة واحدة في حياتها. لكن كان ما فعلته كافيًا حتى يتقهقر الرجلان عند مدخل الكهف.

ضغطت كاثرين على دواسة الوقود، وانطلقت بهم السيارة. حين نظرت آنا إلى الوراء، كان الرجلان قد اختفيا. لكن ليس مدة طويلة.. عرفت آنا، وعرفت كاثرين، وعرفوا جميعًا.. أنهم سيبدؤون مطاردتهم قريبًا.

عثر بوينتون على خرائط قديمة متناثرة فوق المقعد الخلفي، وكان يحاول أن يعرف الآن أين هم، وأين سيذهبون.

«لقد نفد شحن بطارية هاتفي». قالت كاثرين وهي تصارع حتى تمنع السيارة العتيقة من الانزلاق عن الطريق. «نحتاج إلى إعلام أمي بما قاله فارهاد عن علماء فيزياء شاه. تشارلز؟»

«أعمل على ذلك». قال بوينتون، وهو يحاول طي الخريطة.

أمسكت بها زهرة في حين تهتز السيارة فوق الأرض.

كان مؤشر شحن بطارية هاتف تشارلز أحمر. ثلاث دقائق من الشحن متبقية. كتب بسرعة مع هذا أهدر لحظات ثمينة حتى يتأكد من عدم وجود خطأ إملائي. الآن ليس وقت ارتكاب الأخطاء. ضغط على زر إرسال ثم زفر.

«أين نذهب؟» سألت آنا.

كانت تتبعهم سحابة ترابية على مبعدة.

خيم السكون على العربة. بالكاد يعرفون أين هم، وبكل تأكيد

لا يعرفون أين يستطيعون الذهاب.

***

«أوقف السيارة، رجاء». قالت إيلين فامتثل لها عميل الأمن الدبلوماسي الذي يقود السيارة.

«سيدتي الوزيرة؟» سأل ستيف في مقعد الراكب الأمامي، وهو يستدير حتى ينظر إليها غير أنها كانت هادئة، وهي تقرأ، وتعيد قراءة الرسالتين اللتين وصلتا في الآن نفسه تقريبًا.

الرسالة الأولى من جيل عبر هاتف أكبر، يقول فيها إنه سيعود إلى واشنطن العاصمة مارًا بفرانكفورت.

والثانية من تشارلز.

تنفست إيلين بعمق ثم مالت إلى الأمام، وتحدثت إلى السائق.

«نحتاج إلى بلوغ البيت الأبيض. قد السيارة بأكبر سرعة ممكنة».

«حسنًا».

شُغل بوق السيارة، وومضت المصابيح فيما تنطلق السيارة عبر الشوارع.

«إيل؟» قالت بيتسي. «ما الأمر؟».

«لقد حصلت كاثرين وبوينتون على المعلومات. نعرف أين تُصنع القنابل».

«أوه، شكرًا للرب. هل نعرف أين زرعوها؟ في أي مدن؟»

«لا، لكننا سوف نعرف ما إن نداهم المصنع. كتب جيل أيضًا. إنه في طريق العودة إلى هنا. أخبرته بأن لا يفعل».

أومأت بيتسي، وحاولت أن تبدو كأنّ شعرها غير مشتعل.

«هم على الأقل آمنون».

«حسنًا...» قالت إيلين. كان واضحًا من رسالة تشارلز أنهم ليسوا كذلك.

«هل يمكنكِ البحث عن جداريات كهوف سارافان؟ إنها في مقاطعة سياستان وبلوتشستان في إيران».

بينما تفعل بيتسي ذلك، سألت، «لماذا؟»

«لأنني أرسلت كاثرين وبوينتون إلى هناك».

«لإبعادهم عن الخطر؟»

«ليس تمامًا».

عندما أظهرت بيتسي خريطة ذلك الجزء من إيران على هاتفها، نظرت إيلين، وتتبعت خطًا يمتد عبر الحدود بين إيران وباكستان، ثم أرسلت رسالة إلى ابنها.

***

كان جيل قد عبر للتو الحدود من أفغانستان إلى باكستان عند ظهور رد أمه على شاشة هاتف أكبر.

أوقف السيارة، وفحص الخريطة فحصًا سريعًا.

فكر جيل لحظة ثم أرسل رده.

***

استطاعت إيلين أن ترى قبة مبنى الكابيتول لحظة وصول رسالة جيل.

أعادت إرسالها إلى بوينتون مع إضافة كلمات قليلة كتبتها هي. ثم أسندت ظهرها إلى المقعد، وراحت تفكر.

***

تبقت دقيقة واحدة في شحن بطارية هاتف بوينتون حين وصلت الرسالة من رئيسته.

«قلم وورقة بسرعة». قال، وهو ينتزع الخريطة من زهرة، ويخربش كلمات قليلة فوقها قبل أن تنفد بطارية هاتفه تمامًا.

«باكستان». قال إلى الآخرين. «نحتاج إلى الذهاب إلى باكستان».

«هل أنت مجنون؟» قالت زهرة. «أنا إيرانية. سوف يقتلوننا غالبًا».

«سوف يقتلوننا بكل تأكيد». قالت آنا، وهي تشير إلى الغيمة الترابية التي تتبعهم كما لو أن شيطان تسمانيا يطاردهم.

مال تشارلز إلى الأمام، وتحدث إلى كاثرين.

«أخوكِ في باكستان. يستطيع لقاءنا. لديه أصدقاء واتصالات هناك. معي اسم البلدة؛ ليست بعيدة عن الحدود. يجب علينا فقط أن نعبر إلى الجانب الآخر».

حدقت كاثرين في المرآة الخلفية. كانت الزوبعة تقترب أكثر.

في حين تحاول زهرة وآناهيتا أن تكتشفا أفضل طريق إلى الحدود، جلس بوينتون وحدق إلى الأمام.

كان هنالك شيء يزعجه. شيء قد نسيه غير أنه تذكره في تلك اللحظة. أخرج هاتفه بسرعة، وراح يضغط ويضغط، لكن البطارية ميتة.

لقد نسي أن يخبر الوزيرة آدمز ما تلفظه فارهاد مع نفسه الأخير.

البيت الأبيض.

الفصل الثالث والثلاثون

ما إن عبرت إيلين وبيتسي باب المكتب البيضاوي حتى قال الرئيس ويليامز: «هل عثرتما على أي شيء؟»

«لا، ليس في بيت وايتهيد لكن كاثرين وتشارلز بوينتون قد اكتشفا أين وضع شاه الفيزيائيين. وهما متأكدان جدًا من أننا سوف نعثر على المعلومات هناك عن أماكن القنابل».

«شكرًا للرب. أين هذا المكان؟»

«في باكستان. قرب الحدود الأفغانية».

أعطته المعلومة بالتفصيل.

«يجب أن يكون العثور عليه سهلًا»، قال. «مصنع أسمنت مهجور في مقاطعة باجور في باكستان خارج قرية كاتكوت مباشرة». ردد، وهو يتأكد من أنه قد سجله على النحو الصحيح.

ما إن أومأت إيلين حتى ضغط على زر الاتصال الداخلي.

«استدعي اللواء وايتهيد إلى هنا...» ثم سكت.

«سيدي، اللواء..» قالت ستينهاوزر.

«لقد نسيت. أخبري قائد القوات الخاصة أن يقابلني في حجرة الاجتماعات. الآن. وأخبري تيم بيتشام بأن يكون هناك أيضًا. هل خرج من المستشفى؟»

«لقد تلقيت رسالة منه للتو، سيدي الرئيس. إنه في الطريق إلى لندن من أجل ذلك الاجتماع بين أجهزة المخابرات. الدولية هل أستدعيه؟»

«لا»، قالت إيلين. التفت إليها الرئيس فقالت، «وجوده في تلك المحادثات مهم».

ضيق وليامز عينيه غير أنه قال عبر جهاز الاتصال الداخلي، «لا، بارب. فليذهب إلى لندن». ثم لملم الأوراق من فوق مكتبه وقال. «تعالي معي».

«أنا آسفة، سيدي الرئيس لكنني أحتاج إلى موافقتك حتى أسافر إلى باكستان لأقابل رئيس الوزراء. أعتقد أن الوقت قد حان للمصارحة، وتسوية الأمور بيننا و...»

«كما سويت أنتِ والإيرانيون الأمور، إيلين؟»

«لقد حصلنا على المعلومات».

«لكنكِ أيضًا قد تسببت في اعتقال موظفة الشؤون الأجنبية في وزارتك، وفي طردكِ من البلاد».

«لقد ظفرنا بالمعلومات». كررت. «لم نظفر بها بشكل جميل أو تقليدي. لكننا حصلنا عليها».

مكتبة
t.me/soramnqraa

«لكن هل يمكننا الوثوق بتلك المعلومات؟»

«هل تسألني إن كنا نستطيع الثقة بابنتي؟»

«من أجل الرب، إيلين، انسي الأمر. لقد أخطأت بخصوص جيل. أنا آسف. كان عليّ أن أسعى من أجل إطلاق سراحه من خاطفيه».

انتظرت إيلين من أجل المزيد.

كل تلك الأشهر والأيام والساعات والدقائق.

كل ثانية موجعة هيأت نفسها فيها لاستقبال الخبر بأن رأس ابنها قد قُطع. لرؤية ذلك. ومهما حاولت أن تتجنبها، فقد كانت الصور تحتل كل صفحة رئيسة، وكل نشرة أخبار، وكل موقع إلكتروني. كان ذلك المنظر ليغشي بصر والدة جيل إلى الأبد.

سوف تطفو الصورة فوق كل شيء آخر ستقع عليه عيناها بقية حياتها. والرجل الذي كان بوسعه إنقاذ جيل من ذلك العذاب، الذي كان بوسعه إنقاذها، يقول إنه *آسف*؟!

لم تثق بنفسها حتى تتحدث. بدلًا من ذلك وقفت داخل المكتب البيضاوي، وهي تحاول التقاط أنفاسها. راحت تحدق إلى رئيس الولايات المتحدة، وقد انتابتها رغبة في إيذائه كما أذى ابنها وأذاها.

«تخيل»، قالت أخيرًا، «ابنك مقطوع الرأس».

«لكن لم يحدث ذلك لجيل».

«كان مقطوع الرأس كل ليلة وكل يوم في مخيلتي».

لم يفكر دوج ويليامز في ذلك، والآن تجسدت صورة أمامه. صورة لابنه وهو يركع على الأرض قذرًا ومرعوبًا.. والنصل الطويل فوق رقبته.

شهق ويليامز وحدق إلى إيلين، وتلاقت نظراتهما. مرت ثوانٍ طويلة قبل أن يهمس.

«أنا آسف».

استطاعت هذه المرة أن تلاحظ أنه قصد ذلك. لم يكن اعتذارًا سياسيًا نفعيًا يقصد به أن يتخطى خطأ هامشيًا. كانت الكلمات نابعة من أعماقه. كان آسفًا حقًا. كان يعلم أنه لا فائدة من طلب مغفرتها. لن تسامحه، ويجب ألا تسامحه.

«إيلين، أنا لا أشكك في مصداقية ابنك أو ابنتك غير أنني أشكك في مصداقية مصادرهما».

«لقد ضحى أشخاص بحياتهم ليحصلوا لنا على تلك المعلومات. إنها كل ما نملك. يجب أن نُسلم بمصداقيتها. أحتاج إلى الذهاب إلى إسلام آباد، بكل العظمة، وكل استعراض القوة الذي نستطيع أن نظهره. ولو لم أنجح، فسأكون تشتيتًا لهم في حين تخطط وتنفذ مداهمة المصنع».

«لا أريد حتى أن أعرف ماذا تقصدين بـ«تشتيت»». قال الرئيس فيما يهرولان عبر الردهة الواسعة. كانت إيلين تركض لتلحق بخطواته الطويلة.

«لكن...» قالت.

توقف وليامز، واستدار ونظر إليها.

«ما الأمر الآن؟»

استنشقت نفسًا عميقًا.

«أريد أن أقابل إيريك دَن في الطريق إلى هناك».

«في فلوريدا؟ لماذا؟»

«لأكتشف ما يعرفه».

«تعتقدين أن الرئيس السابق وراء هذا؟» سأل وليامز. «انظري، لا أمتلك ذرة احترام تجاه الرجل لكنني لا أستطيع أن أتخيل أنه سيسمح حقًا لأجهزة نووية أن تنفجر في مدن أمريكية».

«ولا أنا. لكنه قد يعرف شيئًا حتى دون أن يدرك ذلك».

تذكرت بيتسي فيما تستمع إلى ذلك مقولة مشهورة عن الرئيس ريغان في أثناء جلسات الاستماع بخصوص فضيحة إيران-كونترا[60].

60- فضيحة إيران كونترا: تشير إلى الاتفاق الذي عقدته الحكومة الأمريكية تحت إدارة الرئيس ريغان مع إيران لتزويدها بأسلحة متطورة في أثناء حربها مع العراق مقابل إطلاق سراح بعض الأمريكيين الذين كانوا محتجزين في لبنان. (المترجم)

ما الذي لم يعرفه، ومتى عرف أنه لم يعرفه؟

الأشياء التي لا يعرفها إيريك دَن قد تملأ أرشيفًا.

***

بعد أن حصلا على موافقة وليامز توجهتا إلى إير فورس٣.

ألقت بيتسي في أثناء ذلك نظرة على الكتاب الذي لا تزال تحمله إيلين معها. كتاب الأستاذة تريني، الملوك والرجال اليائسون. سيرة حياة جون دن.

استرخت بيتسي في مقعدها، وفكرت في المواجهة القادمة. فبعد أن «دَن Dunn»، فكرت، فإنك لم «دَن Dunn»...

ارتدت إلى الأمام كأنما قد دُفِعت من الخلف.

«بحق المسيح، إيل. ذلك ما قاله وايتهيد. وكان يقوله طيلة الوقت، «دَن»، وليس «فعلت Done» تلاعب لفظي بالكلمات. كان جون دن يفعل ذلك كثيرًا في شعره. وقلده وايتهيد في ذلك. لذلك أحضرتِ الكتاب، ولذلك نحن ذاهبتان للقاء إيريك دَن. لأن بيرت وايتهيد يخبرنا بأن نفعل ذلك».

«أجل».

«لكن لا بد أنها خدعة ما. يريدنا أن نهدر وقتنا. إمّا أن إيريك دَن لا يعرف أي شيء وإما يعرف شيئًا ما لكنه لن يخبرنا به أبدًا. يعبث وايتهيد بنا محاولًا أن يشتت تركيزنا. نوع من الحرب النفسية».

«ربما»، قالت إيلين. مالت إلى الأمام، وهي تطلب من عملاء أمنها الدبلوماسي أن ينعطفوا بالسيارة، ويتجهوا إلى منزل تيم بيتشام في جورج تاون.

«ألم يقولوا إنه في طريقه إلى لندن؟» سألت بيتسي.

«أجل». قالت إيلين، ولم تضف أي شيء آخر.

ما إن وصلوا إلى هناك حتى أكدت مدبرة البيت أنه قد رحل، وأن السيدة بيتشام والابنين المراهقين قد غادروا إلى منزل العطلة في يوتا.

***

سألت إيلين بيتسي في اللحظة التي أقلعت فيها طائرتهم إلى فلوريدا: «لماذا بيرت وايتهيد لا يزال في واشنطن العاصمة؟»

«حسنًا، إنه محتجز في حجرة العمليات في البيت الأبيض. ربما ذلك السبب».

«ولماذا تيم بيتشام ليس هنا؟»

«لأن لديه اجتماع مع مديري أجهزة المخابرات في لندن ليحصل على المزيد من المعلومات. أنتِ نفسكِ قلتِ أن وجوده هناك مهم».

«إنه مهم».

«ما الذي تفكرين فيه؟» سألت بيتسي.

لكن إيلين لم ترد.

كانت مستغرقة في التفكير. شاردة الذهن.

ما إن بلغت الطائرة ارتفاع التحليق حتى أزَّ جهاز التحكم فوق مكتب إيلين معلنًا عن وصول رسالة مشفرة. كان الرئيس يتصل بها عبر الفيديو. ضغطت إيلين على الشاشة أمامها، فظهر وجه دوج ويليامز. نظرت إلى بيتسي التي ابتسمت، وتركت الكابينة. كان

ذلك يندرج تحت بند السرية القصوى. لا يمكن حتى لمستشارة وزيرة الخارجية الوجود.

«أنا هنا، سيدي الرئيس». قالت إيلين.

«جيد، نحن مجتمعون». أومأ الرئيس وليامز إلى اللواءات الجالسين حول المائدة.

وهكذا بدأ أهم اجتماع في حياة أي منهم.

كيف يُمكِّنون القوات الخاصة الأمريكية من دخول مصنع الأسمنت المهجور لإيقاف إنتاج الأسلحة النووية، والأهم من ذلك، اكتشاف أين زُرِعت القنابل بالتحديد.

***

وُجِهت بندقية إلى كاثرين آدمز ربما للمرة المئة ذلك اليوم.

أدركت أن الأمر لم يعد صادمًا لها.

في آخر خمسة وعشرين كيلومترًا، وبينما ينطلقون نحو الحدود الإيرانية الباكستانية، تدربت كاثرين على ما ستقول. هي والآخرون وخاصة بوينتون ناقشوا ذلك. كيف يعبرون الحدود، وكيف يتأكدون من أن مطارديهم سيفشلون في ذلك.

«تزعُمين أنكِ ابنة وزيرة الخارجية الأمريكية؟» قال حارس الحدود الباكستاني.

ترجمت آناهيتا، فأومأت كاثرين.

كان قد استحوذ على جواز سفرها وجواز سفر بوينتون. الآخرون لا يمتلكون أي جواز سفر أو وثيقة من أي نوع. لأسباب لم تعبأ كاثرين بالتفكير فيها طويلًا، عدَّ حارس الحدود الباكستاني

جوازي سفرهما أكثر ريبة من عدم امتلاك الآخرين أي وثائق ثبوتية.

«لماذا تعبرون إلى باكستان؟ ما مأربكم؟»

«الأمان». قال بوينتون. «تعرف أن رئيس وزرائك سيكون في قمة الغضب حين يعرف أن ابنة وزيرة الخارجية الأمريكية ومدير مكتبها قد أُصيبا أو قُتِلا لأنك لم تسمح لهما بالعبور. سيكون كابوسًا سياسيًا وشخصيًا، له ولك».

«لكن»، قالت كاثرين إلى الحارس الذي صار مرتبكًا وعصبيًا. «تستطيع أن تتخيل عندما نخبره كيف أنك أنقذت حياتنا، وكيف سيكون راضيًا عنك. ما اسمك؟»

دوَّنته آناهيتا.

أشار بوينتون إلى سحابة التراب المقتربة. «تلك العربة تعج بأفراد من المافيا الروسية. هم من تحتاج إلى إيقافهم. أمريكا حليفتكم، وليست روسيا».

دنا حارس آخر من كشك الحراسة، وأظهر هاتفًا لزميله. مهما كان فوق شاشة الهاتف، فقد بدا أنه يؤكد هويتهم.

حدق تشارلز بوينتون إلى الهاتف، وقد داهمته رغبة ملحة في أن يطلب من الحارس استعارة هاتفه. كلما فكر في الأمر، أصبح من الضروري أن يخبر وزيرة الخارجية الأمريكية بكلمات فارهاد الأخيرة التي سعلها كأنه يكتب بالدم.

البيت الأبيض.

لكن حتى لو أعطاه الحارس الباكستاني هاتفه، فلن يستطيع أن يستخدمه ليرسل رسالة إلى هاتف وزيرة الخارجية الأمريكية

الخاص والمحمي. مع هذا واصل تشارلز التحديق إليه كما لو كان ضلع لحم، وهو رجل يتضور جوعًا.

«وهما؟» أشار الحارس ببندقيته إلى آناهيتا وزهرة.

«إيران ليست صديقتنا. لا تحمل هاتان المرأتان وثائق. لا أستطيع السماح لهما بالعبور».

كان هذا هو الخطر. أن يوافق الحراس على عبور كاثرين وبوينتون فيما يرفضون عبور الآخرين.

«حسنًا، بما أنهم لا يحملون وثائق»، قالت كاثرين، «كيف تعرف أنهما ليستا باكستانيتين؟»

«ليستا باكستانيتين».

«ربما يكونان. انظر، لن نرحل دون أصدقائنا لذا اتخذ قرارك. هل هما باكستانيتان أم إيرانيتان؟ هل نعبر، وتصبح بطلًا؟ أم تسلمنا للإيرانيين، وتصبح في مشكلة كبرى؟»

«لقد عينونا في بقعة نائية على امتداد الحدود مع إيران، سيدتي». قال الحارس الجديد بإنجليزية جيدة، وهو يعيد إليهما جوازي السفر. «كيف يمكن أن يسوء حالنا؟»

«لديكم حدودٌ مع أفغانستان، أليس كذلك؟» قال تشارلز. «لا يمكن أن يكون ذلك نزهة؟»

هز كتفيه. «ستتفاجأان مما ستجدانه هناك». غير أنه يستطيع أن يرى في أعينهما أنهما لن يتفاجأا.

«لا تحملوا معكم أي كحول؟ أي تبغ؟» هزوا رؤوسهم نفيًا. «أي أسلحة نارية؟»

نظر مباشرة إلى المسدس الذي تحمله آناهيتا.

هـزوا رؤوسـهم، ولـوح لهـم بالعبـور. ليـس حبًـا فـي أمريـكا، لكـن خوفًـا مـن رئيـس وزرائـه. ومـن الحـدود الأفغانيـة.

فـي أثناء ابتعادهم، سـمعوه يغمغم: «أولئك الأمريكيون الملاعين»، لكـن صوتـه لـم يحمـل أي ضغينـة، وشـابه شـيئًا مـن الإعجـاب. لـم تهتـم كاثريـن بذلـك.

هـذه المنطقـة، والحـدود التعسـفية كلهـا فـي الحقيقـة عبـارة عـن مرجـل مشـتعل مـن الفصائـل المختلفـة والـولاءات القبليـة. مـن مظلوميـة دامـت قرونًـا. مـن تحالفـات مختلفـة، ومنقسـمة ومعقـدة. لـم تكـن أي منهـا تقريبًـا للولايـات المتحـدة. غيـر أنهـم لـم يكونـوا معجبيـن بروسـيا أيضًـا.

انطلقـت كاثريـن بالسـيارة، وفـي أثنـاء دورانهـم عنـد المنعطـف، شـاهدت فـي المـرآة الخلفيـة العاصفـة الترابيـة تصـل إلـى الحـدود. أتـت تمتمـات خافتـة مـن المقعـد الخلفـي. أمسـكت زهـرة مسـبحة صـلاة، ومـع تحريـك كل خـرزة منهـا، راحـت تتمتـم: «الحمـد لله».

انضمَّت إليها آناهيتا.

كانـت خـرزات المسـبحة باليـة، وبراقـة قليـلًا بفعـل أصابـع الدكتـور أحمـدي، وهـو يكـرر الدعـاء مـرات عـدة فـي اليـوم طيلـة حياتـه. لقـد خاطـرت زهـرة بحياتهـا لتسـتعيدها. أثـر رجـل أحبتـه رغـم مـا فعلـه.

فعل فظيع واحد لا يمحي حياة كاملة من التفاني.

«الحمد لله».

فيما ينطلقون عبر البلدات، والقرى الصغيرة من أجل لقائهم المزمع مع جيل، انضم بوينتون أولاً، ثم كاثرين إليهما في دعائهما حتى امتلأ صندوق العربة القذر بتمتمة خافتة، تتكرر مرات عدة، وقد جلبت معها شيئًا أقرب إلى الطمأنينة.

الحمد لله.

كل الشكر والفضل لله.

فكرت كاثرين، شكرًا للرب.

كل ما عليهم فعله الآن هو العثور على جيل.

***

راقبت إيلين في حين ينحني رئيس القوات الخاصة فوق خريطة طوبوغرافية ثلاثية الأبعاد لمنطقة باجور الباكستانية. حرَّك الخريطة بخبرة، مستكشفًا لها ومغيرًا أبعادها وباحثًا عن ثغرة.

«لقد قاتلت القوات الباكستانية لطرد طالبان من المنطقة. وانتصروا في النهاية، ودفعوهم للخروج من هناك. لكن كان ذلك ضاريًا. صارع الباكستانيون بشجاعة وبلا هوادة. آسف لسماع أن طالبان قد عادوا إليها». رفع عينيه، والتقت نظراته عيني الرئيس. «كان لدينا مرشدون هناك في تلك المرحلة. عناصر من المخابرات والجيش. وايتهيد كان من ضمنهم. كان عقيدًا حينها. يعرف المنطقة عن ظهر قلب. يجب أن يكون هنا، سيدي الرئيس».

«نحتاج إلى اللواء وايتهيد في مكان آخر». قال الرئيس وليامز.

تبادل رجال ونساء الجيش في الحجرة النظرات. لا بد من أنهم قد سمعوا بالإشاعات.

«إذًا الإشاعات صحيحة؟» قال أحدهم.

«لنتجاوز ذلك»، قال الرئيس وليامز، «نحتاج إلى الوصول إلى ذلك المصنع. كيف نفعل هذا؟»

هل بدأ كل شيء هناك؟ تساءلت إيلين.

هل تشكل الصدع في معتقدات العقيد وايتهيد فيما تدور رحى قتال وحشي في الجبال والوديان والكهوف؟ هل شاهد أكثر مما ينبغي مع مرور السنين؟ هل وجد نفسه مرغمًا على فعل أكثر من اللازم؟ هل أُجبِر على السكوت في أثناء ارتكاب أفعال يراها مُنفِّرة؟ هل شاهد الكثير جدًّا من الشباب والشابات يموتون فيما يجني آخرون المكاسب؟

هل اتسع الصدع داخل العقيد وايتهيد ببطء مع الوقت، حتى أصبح فيما بعد هوة بداخل اللواء وايتهيد؟

أخرجت هاتفها، وبحثت عن معركة باجور، ووجدت أنها قد سُميت عملية *قلب الأسد*. هل هرب الأسد من المصيدة غير أنه قد ترك قلبه وراءه؟

أنزلت هاتفها، وركزت على ما يجري في واشنطن العاصمة داخل حجرة الأزمات. لم تكن خبيرة بالتكتيكات العسكرية. كانت مهمتها تهدئة الأمور ما إن يُصبح جليًا للباكستانيين أن الولايات المتحدة قد شنت عملية عسكرية سرية داخل حدودها دون إذن، وأسرت، إنْ لم تقتل، مواطنين باكستانيين. فكرت في أنه مع بعض الحظ قد يكون بشير شاه ضمن الموتى غير أنها شككت في ذلك.

كيف تقتل أزي دهاكه؟

ركزت على الخريطة، على الأرض الوعرة التي يكاد يكون من المستحيل اختراقها. بينما شاهدت والرئيس وليامز سلاسل جبلية ووديانًا وأنهارًا، شاهد اللواءات شيئًا آخر. شاهدوا فرصًا ومصايد موت. شاهدوا مواقع صالحة لهبوط المروحيات ورجال المظلات. وشاهدوا كيف سيتقلص عدد تلك القوات قبل أن تطأ أقدامهم الأرض.

«سيتطلب ذلك بعض الوقت، سيدي الرئيس»، قال اللواء، قائد القوات الخاصة.

«حسنًا، نحن لا نمتلك وقتًا».

نظر وليامز إلى الوزيرة آدمز التي أومأت. يجب أن تُنفذ العملية في أسرع وقت.

«لقد أخبرتكم أن الإرهابيين يستخدمون المصنع لبناء برنامج نووي لطالبان»، قال. «لكن يوجد شيء آخر».

لأن لدي المزيد، فكرت إيلين.

«لدينا أخبار تقول إنهم قد صنعوا ثلاث قنابل، وزرعوها في مدن أمريكية».

اللواءات الذين كانوا حتى تلك اللحظة ينحنون فوق الخريطة اعتدلوا في وقفتهم دفعة واحدة وحدقوا عاجزين عن الكلام. بدا كأن فلجًا قد انفتح، وفصل أولئك داخل الحجرة عن بقية العالم. فراغ لا يمكن عبوره ما إن تنتقل من عدم المعرفة إلى المعرفة.

«يجب أن نصل إلى داخل ذلك المصنع»، قال الرئيس وليامز. «حتى نُوقف العلماء لكن الأهم الآن، حتى نعرف أين خُبِّئت القنابل».

«أحتاج إلى الاتصال بزوجتي»، قال أحد الضباط مذعورًا وهو يتجه نحو الباب، «لتغادر والأطفال واشنطن العاصمة».

«زوجي، وبناتي»، قالت ضابطة، وهي تتجه بدورها إلى الباب.

أومأ وليامز إلى ضباط الأمن السري أمام الباب الذين خطوا إلى الأمام.

«لن يغادر أي أحد حتى نضع خطة. لدينا فرصة واحدة، ونحتاج إلى انتهازها في الساعات القليلة التالية».

شاهدت إيلين الأحداث وأفكارها تتسارع. حاولت أن تبطئها، وقد حدست إلى أين تتجه، ولم يكن يروق لها ذلك على الإطلاق.

كانت قد بلغت منتصف الطريق بالفعل لكنها خائفة من استكماله.

لكنها فعلت الآن.

***

«سيدتي الوزيرة»، أتى صوت الطيار عبر مكبر الصوت. «لقد حصلنا على إذن من مطار بالم بيتش الدولي للهبوط. سنكون على الأرض في غضون سبع دقائق. سيجب عليكِ الآن قطع أي اتصال».

«لا»، انفعلت قبل أن تهدِّئ من نبرة صوتها. «آسفة لكن لا. أحتاج إلى المزيد من الوقت. إن اقتضى الأمر، درّ دورة أخرى في الهواء».

«لا أستطيع. لا أمتلك التصريح من المرور الجوي...»

«احصل عليه إذًا. أحتاج إلى خمس دقائق أخرى».

صمت.

«لكِ هذا». قال.

بينما تنحرف الطائرة إير فورس ٢ وتستدير في الهواء، تحدثت إيلين أول مرة في الاجتماع.

«سيدي الرئيس، أحتاج إلى الحديث إليك على انفراد».

«نحن في خضم...»

«أرجوك الآن».

***

بعد أن أنهت المكالمة مع الرئيس، وأعلمت الطيار أنها مستعدة للهبوط، شخصت إيلين بعينها نحو أشجار النخيل، والمحيط اللامع بأشعة الشمس الساطعة، وفكرت في الأرجوحة الصدئة وكرة القدم والصور. وسياج أوتاد الخشب الأبيض حول منزل وايتهيد.

وفكرت في الأمهات والآباء أمام الحاجز في فرانكفورت ممسكين صور أطفالهم الموتى في أثناء تحديقها إلى الملاءات الحمراء المستوية المرفرفة فوق الأسفلت.

فكرت في كاثرين وجيل الموجودين في مكان ما في باكستان.

فكرت إيلين آدمز في الملوك والرجال اليائسين.

وتساءلت إذا كانت قد ارتكبت أسوأ خطأ في حياتها. في حياة أي أحد.

الفصل الرابع والثلاثون

وصل موكب الوزيرة آدمز إلى البوابات الذهبية العالية أمام أرض منزل إيريك دَن في فلوريدا.

مع أنهم عرفوا بقدومهم، ومع أن حرسه الخاص يستطيع أن يرى موكبها من مبعدة وهو يعبر الممر الطويل، فقد جعلوهم ينتظرون.

ابتسمت الوزيرة آدمز ابتسامة من القلب عندما طلب حراس الأمن؛ ميليشيا دَن عمليًا، منها بطاقة هويتها. وأخذوا وقتهم حتى أعادوها إليها.

راحت ركبة إيلين تهتز بعيدًا عن مرمى نظر رجال دَن فيما أطلقت بيتسي العنان لمعجمها من الشتائم واللعنات.

التفت ستيف كواليسكي، مدير أمن إيلين الدبلوماسي، وهو رجل ذو تاريخ طويل في الخدمة، من مقعده الأمامي لينظر إلى السيدة كليفر التي راحت تمزج، وتربط كلمات لا علاقة ترابطية بينها على الإطلاق. سلسلة الكلمات الجديدة الناجمة عن ذلك كانت مُضحِكة وعجيبة، فيما تحول بيتسي الأسماء إلى أفعال والأفعال إلى شيء آخر لا يعرف ما هو بتاتًا.

كان استعراضًا لمهارات لغوية لم يعتقد العميل أنها ممكنة. وقد كان ضابط مشاة سابقًا.

كان جليًا أنه يقدر ويحترم الوزيرة آدمز، لكنه أحب مستشارتها وطِباعها.

في الطريق من المطار إلى البوابات، شاهدوا مؤتمرًا صحفيًا لإيريك دَن عقده في أثناء وجودهم على متن الطائرة.

طلب عقد المؤتمر وهو يعرف أنهم في طريقهم إليه.

بدا أن الغرض الوحيد من المؤتمر هو التشنيع بابن الوزيرة آدمز. لم يُلمِّح فقط، بل اتهم فعليًا جيل باهار بالتورط في التفجيرات في لندن وباريس وفرانكفورت. بأنه قد وقع فريسة للتطرف. واتهمه أيضًا بالهمس في أذن أمه، وربما نجح فعلًا في قلب وزيرة الخارجية الأمريكية ضد الولايات المتحدة التي صارت دولة -صاح ولوح بيديه- يقودها متطرفون واشتراكيون وإرهابيون ومؤيدون للإجهاض وخونة وعديمو الكفاءة.

«يمكنكِ الدخول الآن»، قال الحارس. كان يرتدي شارة تعرفت إليها إيلين من تقاريرهم عن اليمين البديل[61].

«ألم يعد الأمن السري مسؤولًا عن أمن الرئيس السابق؟» سألت إيلين فيما تقطع السيارة SUV بقية الطريق تجاه المنزل الذي بدا أشبه بقلعة.

«يُفترض هذا»، قال العميل كواليسكي، «لكن دَن وضع رجاله في المقدمة. إنه يعتقد أن الأمن السري جزء من الدولة العميقة».

«حسنًا، لو كان يعني أنها موالية ولاء عميقًا للولايات المتحدة

61- اليمين البديل: اسم يطلق على مجموعات ضعيفة الارتباط وغير محددة من البيض الأمريكيين القوميين والنازيين الجدد والفاشيين وأصحاب نظرية المؤامرة من مجموعات الكراهية في اليمين المتطرف. انتشر المصطلح على نطاق واسع خلال انتخابات الرئاسة الأمريكية سنة ٢٠١٦. (المترجم).

ومنصب الرئيس وليس لأشخاص بعينهم، فهو محق». قالت إيلين.

تفقدت إيلين هاتفها مجددًا قبل الدخول.

لا رسالة من كاثرين أو جيل أو بوينتون. ولا رسالة من الرئيس.

أعطت مدير أمنها الهاتف، وترجلت من السيارة، ثم وقفت وبيتسي أمام أبواب مزدوجة ضخمة وانتظرتا حتى تُفتح.

انتظرتا طويلًا.

***

راقب البارمان بانزعاج بِيت هاملتون وهو يشق طريقه عبر الحجرة الخافتة حتى يتخذ مقعدًا في حانة «أوف ذا ريكورد».

«أعتقد أنني قد أخبرتكَ بأن لا تعود». قال في حين يجلس بِيت غير أنه قد لاحظ شيئًا مختلفًا بخصوص الرجل الشاب. بدا أقل تيهًا. وعيناه أكثر لمعانًا. وملابسه أنظف. وشعره غير أشعث.

«ماذا حدث لك؟» سأل البارمان.

«ماذا تقصد؟»

مال البارمان رأسه نحو بِيت مدركًا لدهشته أنه يهتم بشأن هذا الرجل الشاب حقًا. أربع سنوات من مشاهدة شخص ينهار ببطء وألم فعل به ذلك. لقد تعاطف البارمان مع الشاب.

السياسة في أي مستوى قاسية. أما هنا في واشنطن العاصمة فقد كانت عديمة الرحمة. وهذا الشاب قد شُهِّر به، ودُهِس عليه، وحُوصر في خانة اليك حتى احترق.

لكن الآن، وبشكل مفاجئ وغير متوقع، يبدو بِيت هاملتون إنسانًا كاملًا من جديد. موفور الصحة مجددًا. بعد يوم واحد فقط.

مذهـل مـا يسـتطيع الاسـتحمام وارتـداء ثيـاب نظيفـة صنعـه بالإنسـان.

لقـد شـغل البارمـان وظيفتـه منـذ مـدة طويلـة جـدًا حتـى يُخـدع. علـم أنهـا كانـت قشـرة فحسـب، وقـد أزالهـا هاملتـون الآن.

«سـأحتسي كأسًـا من السـكوتش». قال بِيت.

«بل ستشـرب مياهًـا فوارة». قال البارمان.

وضـع فـص ليمـون داخـل الـكأس الطويلـة، ثـم وضعهـا فـوق قـرص كوسـتر مرسـومًا عليـه كاريكاتيـر للوزيـرة آدمز.

ابتسم بِيت ونظر حوله.

لـم ينتبـه أي أحـد لـه. عـرف أن وجـوده هنـاك قـد يكـون خطـأً. لقـد أخبـروه بـأن يعـود إلـى المنـزل مباشـرة، وكان أمامـه عمـل متبـقٍ مـن أجـل العثـور علـى المزيـد مـن الأدلـة ضـد وايتهيـد وأي مـن أعوانـه داخـل البيـت الأبيـض، غيـر أنـه أراد أن يسـمع مـا يُقـال هنـا فـي دهاليـز السـلطة.

كان الموضـوع الرئيـس -الوحيـد بالأحـرى- وهـو مـا لـم يفاجئـه، هـو بيـرت وايتهيـد والشـائعات المنتشـرة بأن رئيس الأركان المشـتركة قـد قُبِـض عيـه. لـم تكـن الاتهامـات الموجهـة إليـه واضحـة.

تحلّقـت المجموعـة الأكبـر مـن زبائـن الحانـة حـول امـرأة شـابة وصلـت للتـو. لـم يرهـا بِيـت مـن قبـل فـي الحانـة غيـر أنـه تعـرف إليهـا مـن تلـك اللحظـات القليلـة التـي قضاهـا باكـرًا هـذا اليـوم، منتظـرًا أن يدخـل المكتـب البيضـاوي.

كانت مساعدة مديرة مكتب الرئيس وليامز.

لاحظت نظراته إليها فابتسمت ابتسامة مشرقة. بادلها الابتسامة. فكر فيما يحمل كأسه، ويسير نحوها، في أنه ربما يوم حظه.

لم يخطر بباله مطلقًا أن يتساءل لماذا توجد مساعدة باربرا ستينهاوزر في الحانة في خضم الأزمة العظمى التي تواجه الأمة.

لم يخطر بباله أبدًا أنها ربما... ربما... قد تبعته إلى هناك.

ولم يخطر بباله قطّ أن هذه ستكون ليلة وخيمة جدًا.

***

غادر الرئيس حجرة الأزمات ثم عاد إليها بعد نصف ساعة بعد أن عقد مؤتمرًا صحفيًا جُدول مسبقًا. عرف أنه لو ألغاه، لبدا ذلك مثيرًا للريبة.

مع هذا دام المؤتمر الصحفي عشر دقائق فقط. قضى بقية الوقت منشغلًا بشيء آخر.

كان هنالك أسئلة قليلة من الصحافيين حول اللواء وايتهيد لكنها أسئلة مبهمة. كانت السحب الترابية تتجمع لكن لا شيء قد تشكل بعد. كان مجرد كلام عام غير واضح.

«إلى ماذا وصلتم؟» قال الرئيس، وهو يعاود الانضمام إلى لواءاته حول الخريطة.

كانوا قد وضعوا معالم خطتين.

«لا نمتلك ثقة كافية بأي منهما، سيدي». قال رئيس القوات الخاصة. «لكنهما أفضل ما استطعنا التفكير فيه مع المدة القصيرة التي منحتها لنا. لو امتلكنا المزيد من الوقت...»

«لا نمتلكه»، قاطعه ولیامز بحزم. «في الحقيقة الوقت الذي لدينا يتقلص باطراد».

استمع إلى اقتراحاتهم.

«ما نسب النجاح؟»

«نقدِّر نسبة النجاح ب20٪ للخطة الأولى، و12٪ للخطة الثانية. إذا كانت قوات طالبان متمركزة جيدًا كما تذكر التقارير، فمن شبه المؤكد أن فريقنا لن يصل حتى إلى الأرض».

«لكن نستطيع أن نفجر المصنع على بكرة أبيه». قال أحد اللواءات.

«الفكرة مغرية»، قال الرئيس. «لكن إنْ كان ثمة مواد انشطارية داخل المصنع، فنحن نخاطر بانفجارها. وسوف ندمر بذلك أي معلومة يمتلكونها عن مكان القنابل المزروعة داخل الولايات المتحدة. تلك هي الأولوية الآن».

«ألا توجد طريقة أخرى للحصول على المعلومات؟»

«لو كانت هناك طريقة، لكنا نسلكها الآن».

مال الرئيس فوق الخريطة.

«ربما يبدو هذا حُمقًا، لكنني أرى احتمالًا آخر. افترضوا أننا هبطنا هنا...» أشار إلى مكان لم يفكر فيه اللواءات.

«هذه المنطقة شديدة الوعورة». قال أحدهم.

«لكن توجد هضبة مستوية. مساحتها كبيرة بالقدر الذي يسمح بهبوط مروحيتين».

«كيف تعرف أن هنالك هضبة؟» سأل آخر، وهو يميل مقتربًا أكثر.

«يمكنني رؤيتها». حرَّك الرئيس الصورة ثلاثية الأبعاد ليُكبِّرها. كان هنالك أرض مستوية فعلًا. ليست واسعة لكنها هناك.

«آسـف، سـيدي الرئيـس، لكـن مـا الفائـدة مـن ذلـك؟ إنهـا تبعـد عشـرة كيلومتـرات عـن المصنـع. لـن يصلـوا إلـى هنـاك أبـدًا».

«لا يفتـرض بهـم ذلـك. سـيكونون مجـرد تضليـل. يمكننـا أن ندعمهـم بالغـارات الجويـة حتـى يُبقـوا متمـردي طالبـان مشـغولين فـي حيـن تهبـط القـوات الحقيقيـة فـوق المصنـع».

حدقوا إليه كما لو كان قد فقد عقله.

«لكـن ذلـك جنـونٌ»، قـال نائـب رئيـس الأركان المشـتركة. «سـوف يصطادونهـم فـي الهـواء علـى الفـور».

«لا، فـي حـال صنعنـا الهجـوم المضلـل. لـو كان متمـردو طالبـان مشـغولين فـي مـكان آخـر، فذلـك ممكـن، أليـس كذلـك؟ لـو عرفـت طالبـان مُسـبقًا أننـا نخطـط لهجـوم، فسـوف يسـتحوذ ذلـك علـى انتباههـم. سـوف تكـون الغـارة بعيـدة جـدًا حتـى أنهـم سيشـكون فـي أن المصنـع هـو الهـدف الحقيقـي، مـع هـذا سـيظل مـكان الهجـوم فـي قلـب منطقـة تحـت سـيطرة طالبـان لـذا سـيكون الأمـر قابـلًا للتصديق. فـي الحقيقـة سـأتحدث إلـى رئيـس الـوزراء بيلنجتـون في بريطانيـا. سـنجعله يبـدو كأنّـه هجـومٌ تشـنه قـوات «SAS» (قـوات الشـؤون الجويـة البريطانيـة الخاصـة) انتقامًـا للتفجيـرات. سـيبدو ذلـك منطقيًـا، وسـنُبعد الأنظـار عنـا».

راقبهم فيما يتبادلون النظرات بينهم.

«هل هذا ممكن؟» سأل.

ران الصمت.

«هل هذا ممكن؟!» صرخ.

«امنحنا نصف ساعة، سيدي الرئيس». قال نائب رئيس هيئة الأركان.

«لديكم عشرون دقيقة». توجه وليامز إلى الباب. «بعدها سأريد القوات الخاصة في الجو. يمكنكم تدبر أمر التفاصيل فيما هم في طريقهم إلى هناك».

ما إن وصل إلى الباب، حتى استند إليه، وأغمض عينيه، وغطى وجهه بيديه.

تمتم: «ماذا فعلت؟!»

***

«ملوك، ورجال يائسون»، همست بيتسي فيما يعبرون ردهة المدخل الضخمة محدقين ببلاهة إلى ما كان ليبدو خلابًا لو كان هذا قصرًا حقيقيًا، وليس علامة على الثراء الفاحش.

«الرئيس ينتظركِ في الشرفة». قالت مساعدته الشخصية.

كانت «الشرفة» في الحقيقة سلسلة من الشرفات، إيطالية التصميم تقود إلى حوض سباحة أولمبي الحجم، تتوسطه نافورة، ما يجعل منظر الحوض باهرًا لكن عديم النفع للسباحة فعليًا. وكل ذلك محاطًا بحشائش مشذبة وبساتين. وفي الطرف البعيد، يمتد المحيط، ووراء ذلك، لا شيء...

شكت آدمز أن العالم في نظر إيريك دَن ينتهي حيث تنتهي حدود ممتلكاته. لا يهم أي شيء خارج حدود دائرة نفوذه التي لا تزال -عليها أن تعترف- ضخمة بصورة مذهلة.

يجب أن تفرغ من هذا اللقاء بسرعة لكنها تعرف أنها لو أعطته ذلك الانطباع فسيعمل على إطالته.

«سيدة آدمز»، قال وهو ينهض، ويتوجه إليها، ويده ممدودة.

كان ضخمًا. هائلًا في الحقيقة. التقته إيلين مرات عدة لكن بشكل عابر فقط في مناسبات اجتماعية. وجدته مسليًا وفاتنًا أحيانًا غير أنه لا يمتلك ذرة اهتمام بالآخرين، ويضجر بسهولة ما إن تتحول بؤرة الاهتمام إلى شخص آخر.

كلفت منافذها الإعلامية بعمل تحقيقات حول إيريك دَن فيما تتضخم إمبراطوريته، ثم تتقلص وتتعافى من جديد. وفي كل مرة كان يبدو أكثر وقاحة وأكثر غرورًا وأكثر هشاشة، مثل فقاعة داخل حمام مستعدة للانفجار في أي لحظة وإطلاق رائحة عفنة.

ثم تحول بغتة إلى السياسة، وظفر بأعلى منصب على وجه الأرض، غير أنها قد عرفت أنه لم يفعل ذلك دون مساعدة أشخاص، وحكومات أجنبية خططت للانتفاع من ورائه. وقد فعلت.

كان ظلًا معتمًا رافق الضوء الساطع للديمقراطية.

الناس أحرار لإساءة استخدام حرياتهم.

«ومن هذه السيدة القصيرة؟» سأل دون وهو يلتفت إلى بيتسي. «سكرتيرتكِ؟ شريكتكِ؟ أنا منفتح ما دمتما لم تفعلا هذا علنًا، ولم تخيفا الأحصنة».

بينما يضحك، تنحنحت إيلين لتحذر بيتسي من أن ترد عليه. فذلك سيغذي فقط غرور ذلك الرجل الأجوف.

«سيدي الرئيس».

صافحته إيلين ثم قدمت بيتسي جيمسون، صديقة عمرها ومستشارتها.

«وما الذي تنصحين السيدة آدمز بأن تفعله يا سيدة بيتسي؟» سأل، وهو يشير إلى مقاعد قد وُضعت مسبقًا.

«أنصح الوزيرة آدمز بأن تتخذ قراراتها بنفسها». قالت بيتسي بصوت عذب جدًّا أرعب إيلين. «في الحقيقة أنا موجودة فقط من أجل الجنس».

طرفت إيلين بعينيها، *يا إلهي، إنْ كنت تستمع إلينا، فانتزع روحي الآن*. سادت لحظة صمت قبل أن يبدأ الرئيس يضحك، وقد فهم الدعابة أخيرًا.

«حسنًا، إيلين، ماذا يمكنني أن أفعل لكِ؟» قال عائدًا إلى شخصيته المُبالِغة المعتادة. «أتمنى أنه ليس شيئًا يتعلق بالتفجيرات. إنها مشكلة أوروبا وليست مشكلتنا».

«بعض الأخبار التي وصلت إلينا... مُقلِقة».

«محاولة لابتزازنا؟» سأل. «لا تصدقيها. أخبار كاذبة».

انتابت إيلين رغبة ملحة في أن تتذكر كل القذارة التي لطخ بها سمعة ابنها منذ قليل خلال مؤتمره الصحفي، لكنها تعرف أن ذلك ما يريده بالضبط. بدلًا من ذلك تظاهرت أمامه وأمام نفسها بأنها لم تشاهده.

«لا، لا يتعلق الأمر بالتفجيرات على نحو مباشر. لكن ماذا تستطيع أن تخبرنا به عن اللواء وايتهيد؟»

«بيرت؟» هز دن كتفيه. «لم أحتج إلى خدماته كثيرًا لكنه فعل ما كنت آمره به. مثل كل لواءاتي».

هل قال ذلك ليستفزها، ويدفعها إلى الإشارة إلى أنهم ليسوا «لواءاته» حقًا؟ أم أنه صدق ذلك حقًا؟»

«هل من المحتمل أنه كان يفعل أكثر مما يؤمر به؟»

هز دَن رأسه.

«مستحيل. لم يحدث أي شيء في إدارتي دون علمي ودون موافقتي».

فكرت بيتسي، *حسنًا، ذلك التصريح سوف يعود، وينقلب عليه.*

«لماذا وافقت على إطلاق سراح الدكتور شاه من الإقامة الجبرية؟» سألت إيلين.

مال إلى الوراء، وصرّ مقعده.

«آه! إذًا ذلك هو الأمر. لقد أخبرني بأنكِ ستسألين عن ذلك».

«من أخبرك؟» قالت إيلين. «اللواء وايتهيد؟»

«لا، بشير».

بينما استطاعت إيلين أن تسيطر على لسانها، فقد عجزت عن التحكم في فوران دمها. اندفع دمها من وجهها إلى أحشائها. وأعاد التمركز هناك، وتكتل تاركًا وجهها شاحبًا شحوب الموتى.

«شاه؟!» سألت.

«أجل، بشير. لقد أخبرني بأنكِ ستكونين منزعجة».

أمسكت إيلين لسانها حتى استطاعت التكلم بتحضر.

«تحدثت إليه؟»

«بالطبع. لماذا لا أتحدث؟ لقد أراد أن يُظهِر شكره على مساعدتي. إنه عبقري ورائد أعمال. بيننا الكثير من الأشياء المشتركة. انظري، ألم تتسببي له بما يكفي من الأذى؟ إنه رجل أعمال باكستاني اتُّهِم زورًا من قبل جهات عدة، بما في ذلك منظمتك الإعلامية، بأنه تاجر أسلحة. شرح الأمر كله لي. وشرحه الباكستانيون أيضًا. مشكلتك أنكِ تخلطين بين الطاقة النووية والأسلحة النووية».

تمتمت بيتسي بشيء بالكاد يُسمع.

التفت دَن إليها، وقد تخضب وجهه بالدم فجأة.

الفقاعة تكاد تلامس السطح وتنفجر.

«ماذا قلتِ للتو؟»

«لقد قلتُ أنك... ثاقب النظر».

استمر دَن يحدق إليها ثم استدار إلى إيلين مجددًا. كادت تبتعد بجسمها عنه.

لا إنكار لسطوة هذا الرجل. لم تتعامل إيلين مع أي أحد، ومع أي شيء مشابه. يمتلك معظم الساسة الناجحين كاريزما. غير أن هذا الرجل يتجاوز ذلك. أن تكون في مداره كان يعني أن تختبر شيئًا استثنائيًا. كان ثمة قوة جذب. وعدٌ بالإثارة. بالخطر. مثل تقاذف قنابل يدوية. كان ذلك مثيرًا ومخيفًا. حتى هي تستطيع الإحساس بذلك.

لم تكن إيلين آدمز منجذبة إلى هذا بأي طريقة، بل على النقيض.. كانت نافرة منه. مع هذا كان عليها أن تعترف أن إيريك دَن يمتلك قوة جذب قوية وغريزة حيوانية. ويمتلك ذكاء فطريًا يجعله قادرًا على اكتشاف نقاط ضعف البشر. وأن يجعلهم ينحنون لإرادته. وإنْ لم ينحنوا فإنه يحطمهم. لكنها لن تتراجع ولن تهرب بحثًا عن ساتر تحتمي به. ولن تنحني. وكانت متأكدة من أنها لن تنكسر.

«من في إدارتك قد اقترح إطلاق سراح الدكتور شاه من الإقامة الجبرية؟»

«لا أحد. كانت فكرتي؛ لقد التقيت الباكستانيين على انفراد في إحدى القمم لأحوي الخلافات بيننا. ثم ذُكِر الأمر. كانوا

يشتكون من تدخل الإدارة السابقة. وعبروا عن ارتياحهم لوصول شخص إلى السلطة يعرف كيف يقود. لقد عانوا مرحلة سيئة بوجود الرئيس السابق لي. كان ضعيفًا وغبيًا. ثم ذكروا الدكتور شاه. إنه بطل في باكستان لكن الرئيس في ذلك الوقت قد استمع إلى نصيحة سيئة، وأجبر الباكستانيين على اعتقاله. وقد تسبب ذلك في ضرر هائل في العلاقات بيننا. لذا أصلحت الأمر».

«بالموافقة على إطلاق سراح الدكتور شاه».

«هل التقيته؟ إنه راقٍ وذكي. إنه ليس ما تعتقدين».

رغم إغراء مجادلته في صحة ذلك، لم تفعل. ولم تسأل كيف أظهر شاه شكره. لم تحتج إلى ذلك.

«أين الدكتور شاه الآن؟» سألت بدلًا من ذلك.

«حسنًا، كان يُفترض أن أتناول الغداء معه البارحة، لكنه ألغاه».

«عذرًا؟!»

«أعرف، هل تستطيعين تصديق هذا؟ ألغى موعدًا معي. أنا!».

«هل كان هنا؟ في الولايات المتحدة؟!»

«أجل، إنه هنا منذ يناير. لقد رتبتُ له الإقامة في منزل صديق، ليس بعيدًا عن هنا».

«أكان لديه فيزا للدخول إلى الولايات المتحدة؟»

«أظن ذلك. لقد اصطحبته بطائرتي إلى هناك قبل أن آتي إلى هنا».

«هل تستطيع أن تعطيني العنوان؟»

«لم يعد هناك لو أنكِ تفكرين في أن تزوريه. غادر البارحة».

«إلى أين؟»

«لا علم لي بذلك».

رمقت إيلين بيتسي بنظرة تحذرها من مهاجمة ذلك الشخص الضخم الأخرق، غير أن بيتسي كانت تبدو مذعورة، وليست في مزاج أو حالة تسمح لها بالانغماس في مشاعرها الشخصية. بدلًا من ذلك كانت تحدق إلى هاتفها حيث وصلت إليها رسالة عاجلة من بيت هاملتون.

«هلي» HLI

كان جليًا أنه يوجد خطأ لغوي، لذا ردت بيتسي بعلامة استفهام ثم عادت تركز في المحادثة.

«سيدي الرئيس»، كانت إيلين تقول، «لو إنك تعرف شخصيًا أو تعرف أي أحد يعرف مكان الدكتور شاه، فأخبرني... الآن».

جمدت نبرة صوتها إيريك دَن في مكانه فعليًا. اكتسى وجهه بالجدية فجأة. قطب بحاجبيه وهو يتفحصها بعينيه.

«ما الأمر؟»

«نعتقد أن الدكتور بشير متورط في مؤامرة لتزويد القاعدة بأسلحة نووية».

كان ذلك أقصى ما يمكنها ذكره.

حدق دَن إليها.

فكرت لحظة أنها قد صدمته بما قالته لدرجة أنه قرر أن يساعدها غير أنه انفجر ضاحكًا.

«ممتاز. لقد ذكر أنكِ ستقولين ذلك بالضبط. إنكِ مصابة بجنون الشك. لقد أخبرني أن أسألكِ لو قلتِ ذلك إن كانت الزهور قد أعجبتكِ. لا أعرف المقصود بذلك. لقد أرسل إليك زهورًا؟ لا بد من أنه عشق».

لم تستطع إيلين في أثناء الصمت الذي أعقب ذلك الاستماع إلى أي شيء سوى صوت أنفاسها.

ثم نهضت.

«شكرًا على وقتكَ».

مدت يدها. وما إن مد يده إليها، حتى جذبت بقوة، وسحبت الرجل الضخم نحوها حتى تلامس أنفاهما، وشمت رائحة أنفاسه. رائحة لحم. همست:

«لا أزال أعتقد أنك تحت كل ذلك الطمع والغباء، تحب بلدك حقًا. إذا كانت القاعدة تمتلك قنبلة فسوف يستخدمونها هنا داخل الأراضي الأمريكية». سحبت يدها، وحدقت إلى وجهه الجامد قبل أن تواصل: «لقد وضَّحت مرات كثيرة -بما في ذلك اليوم- أن لا شيء قد حدث داخل البيت الأبيض في مرحلة حكمكَ دون موافقتك. إمَّا أنك ترغب في إعادة التفكير في ذلك الزعم وإما أنك ستساعدنا في إيقاف شاه. لو حدثت كارثة، فسوف تقود الأدلة إليك. سأحرص على ذلك. إذا كنت تعرف أين شاه فيجب أن تخبرنا».

لمحت الخوف في عينيه. خوف من الكارثة الوشيكة أم من أن يُلام عليها؟ لم تعرف إيلين، ولم تهتم بذلك.

«أخبرنا. الآن». طالبته.

«أستطيع أن أخبرك أين مكث. سوف أجعل مساعدتي ترسل إليكِ العنوان. لكن ذلك كل شيء».

لكنها تعرف أن ذلك غالبًا ليس كل شيء.

لأن لدي المزيد.

«اللواء وايتهيد. ما الدور الذي لعبه في إطلاق سراح شاه؟»

«هل يحاول أن ينسب الفضل إلى نفسه؟ كانت فكرتي أنا».

حدقت إليه إيلين بذهول.

لا يستطع ذلك الأخرق منع نفسه عن نسب الفضل إليه حتى لو كان الأمر يتعلق بكارثة.

***

انتظرت الوزيرة آدمز، وبيتسي جيمسون في ردهة المدخل حتى تعطيهم مساعدة دَن عنوان فيلا شاه في فلوريدا.

ما إن وصلت إليهما حتى ناولت إيلين قطعة ورق مكتوب عليها العنوان وعبارة: «*أتمنى أن تعرفي أن الرئيس دَن رجل عظيم*».

كادت إيلين تسأل إن كان يخبرها بأن تقول ذلك لكن بدلًا من ذلك قالت: «ربما هو رجل عظيم لكن من العار أنه ليس رجلًا صالحًا».

لدهشتها، لم تجادلها المساعدة.

حين عادتا إلى السيارة، أومأت بيتسي تجاه الورقة في يد إيلين.

«هل سنذهب إلى هناك؟»

«لا، سنذهب إلى باكستان». طلبت هاتفها، وأرسلت العنوان الذي أعطتها إياه مساعدة دَن إلى الرئيس وليامز الذي عرفت أنه سيعطي أوامر فورية بتفتيش الفيلا.

***

«سيدي الرئيس»، أتى عبر الهاتف صوت رئيس وزراء بريطانيا العملي البارد. «ماذا يمكنني أن أفعل لك؟»

«جاك، أنا شاكر لسؤالك. أحتاج إليك حتى تنشر إشاعة أن قوات SAS تخطط لشن هجوم على منطقة في باكستان خاضعة لسيطرة القاعدة انتقامًا للتفجيرات».

يُحسب لرئيس الوزراء البريطاني أنه لم يغلق الخط فورًا.

تشبث وليامز بسماعة الهاتف ويده منقبضة. مفاصل أصابعه شاحبة.

«ما الذي تخطط له، دوج؟»

«من الأفضل ألا تعرف. لكننا نحتاج إلى مساعدتك».

«تعرف أن هذا قد يضع دولتي في مرمى كل إرهابي؟»

«لا أطلب منك أن تفعل هذا. فقط لا تنفي الإشاعة. خلال الساعات القليلة التالية فحسب».

«التصور واقع. لا يهم إذا كانت بريطانيا مسؤولة أم لا، فسيتصور الإرهابيون ذلك. سيرغبون في تصديق ذلك».

«الواقع هو أنك في مرمى أهدافهم بالفعل. لقد مات ستة وعشرون، جاك».

«بل سبعة وعشرون. ماتت فتاة صغيرة قبل ساعة». تنهد تنهيدة طويلة ثم قال. «حسنًا. انشر الإشاعة. ولو سُئلت عنها، فلن أنفي».

«يجب ألا يعرف أي أحد الحقيقة. ولا حتى رجالك». قال وليامز. «أعرف أن في لندن اجتماع عاجل لقادة المخابرات الدولية».

سمع وليامز زفرة طويلة صادرة عن بيلنجتون في أثناء تفكيره.

«تطلب مني أن أكذب على رجالي».

«سأكذب بدوري. سأفعل الشيء نفسه. لو وافقت، فسأبدأ الكذب على مدير مخابراتي الوطنية. تيم بيتشام في ذلك الاجتماع بلندن. سوف أبلغه بشائعة هجوم SAS. سوف يسأل رجالك الذين سيسألونك بدورهم».

«وسأحتاج إلى الكذب حينها؟»

«تحتاج إلى أن لا تقول الحقيقة. كن غامضًا. كن متحفظًا. تلك أقوى خصالك، أليس كذلك؟»

ضحك بيلنجتون.

«هل كنت تتحدث مؤخرًا إلى طليقتي؟»

«اتفقنا إذًا، جاك؟»

لاحظ وليامز أن رسالة عاجلة قد أتته من الوزيرة آدمز. انتظر إجابة بيلنجتون.

انتظر طويلًا.

«الفتاة كانت في السابعة من عمرها. عمر حفيدتي. أجل، سيدي الرئيس. يمكنني أن أُبقي *الذئاب* بعيدًا ساعات عدة».

«شكرًا لك، سيدي رئيس الوزراء. أدين لك بمشروب».

«عظيم. في المرة القادمة التي تكون فيها هنا، دوج، سوف نذهب إلى حانة، ونحتسي مشروبًا. وربما نشاهد مباراة كرة قدم».

صمت كلاهما وتخيلا ذلك. وتمنيا أنه ممكن. غير أن تلك الأيام الأخيرة قد مرت عليهما كأنها دهرًا.

ما إن أنهى المكالمة حتى قرأ وليامز رسالة إيلين ثم أمَرَ مكتب التحقيقات الفيدرالية والأمن الداخلي بأن يداهموا الفيلا

في بالم بيتش. أخبرهم أيضًا بأن يكتشفوا أي طائرة نفاثة خاصة قد غادرت بالم بيتش البارحة، وهوية ركابها، وأين توجهوا.

بعد ذلك، بدأ ينشر الإشاعات المتعلقة بهجوم SAS.

رن جهاز الاتصال الداخلي فوق مكتبه.

«سيدي الرئيس»، قال نائب رئيس الأركان المشتركة. «إنهم في السماء».

تفقد الرئيس الساعة. ستهبط المروحيات التي تحمل منفذي العملية من ضباط القوات الخاصة في قاعدة بالعراق في غضون ساعات، ومن هناك ستطير إلى داخل جانب باكستان الذي تسيطر عليه طالبان. سيصلون في أثناء الليل.

الغارة في حيز التنفيذ. الهجوم قد بدأ.

الفصل الخامس والثلاثون

غفت إيلين على متن الطائرة إلى إسلام آباد. وكانت تستيقظ بين حين وآخر وتتفقد الرسائل.

هبطت الطائرات في العراق، وكان القادة يراجعون خططهم النهائية من أجل الهجوم.

وصلت طائرة إير فورس٢ إلى باكستان في وقت مبكر من المساء في حين انقسم ضباط الصاعقة إلى وحدتين.

تفقدت إيلين الساعة.

تبقت ثلاث ساعات وثلاث وعشرون دقيقة حتى تطأ أول مجموعة الأرض. وحدة الهجوم المضلل أولًا. ثم بعد عشرين دقيقة، وحدة مداهمة المصنع.

أكدت رسالة أخرى أن بشير شاه قد غادر فلوريدا إلى مكان مجهول. كانت الفيلا خالية. لا بشر أو وثائق. ولم يكن هناك أي سجل لرحلة طيران يحوي اسمه. مُحبِط لكن غير مفاجئ. كانوا يقتفون أثر كل رحلة خاصة، والآن قد وسعوا نطاق البحث ليشمل الرحلات التجارية من خارج المنطقة.

لقد اختفى بشير شاه مثل شبح.

نظرت إلى مكتبها حيث لا تزال باقة زهور البازلاء الجميلة موضوعة. شاهدت برضا أنها كانت تذبل. تتساقط. تموت. حاولت المضيفة أن تحملها بعيدًا غير أن إيلين أرادتها في مكانها. يمنحها رؤية هديته تموت إحساسًا غريبًا بالرضا.

بديل ضعيف لرؤية شاه نفسه وهو يتدمر، لكنه أفضل من لا شيء.

«أريد أن أُريك شيئًا قبل أن نغادر الطائرة». قالت بيتسي.

لم يصلها رد من بيت هاملتون لذا قررت أن تعرض رسالته على إيلين على أي حال.

«هلي؟» قالت إيلين. «لكن ماذا يعني ذلك؟»

«أعتقد أنه خطأ إملائي».

انعقد حاجبا إيلين.

«لكنها رسالة عاجلة. لا تخطئين إملائيًا في أثناء كتابة رسالة عاجلة. لو كانت مهمة إلى هذه الدرجة، فأنتِ تحرصين على أن تكون دقيقة، أليس كذلك؟»

«أجل سأفعل، لكن لا بد أنه كان مستعجلًا».

«هل شرح هاملتون الأمر؟»

«لقد سألته لكنه لم يجب بعد».

حدقتا إلى الحروف. هل قصد أن يكتب «HIL»؟ لكن ماذا تعني الكلمة حتى في هذه الحالة؟ التل؟ أم حي كابيتول هيل؟ هل زُرعت إحدى القنابل هناك؟ لكن لم يبد ذلك منطقيًا. ولماذا لم يكتب حرف «L» الثاني؟ ومع هذا وسم هاملتون الرسالة بأنها عاجلة.

«أعلميني ما إن يرد».

نظرت إيلين إلى انعكاسها في المرآة. لم تكن ترتدي برقعًا هذه المرة، بل مجرد ثوب محافظ ومحتشم. أكمام طويلة وبدلة، ووشاح حريري جميل أرسله إليها نظيرها الباكستاني عند الإعلان عن تعيينها في منصب وزيرة الخارجية رسميًا. كان مُصمَّمًا على شكل ريشة طاووس وفاخرًا.

كادت تشعر بالأسف على ما ستقوم به قريبًا غير أنها لا تمتلك خيارًا آخر. لو أن منفذي عملية الهجوم البواسل يستطيعون فعل ما هم على وشك فعله، فهي تستطيع ذلك أيضًا.

«هل أنتِ مستعدة لهذا؟ أم أنكِ تفضلين البقاء هنا؟ ربما تحظين ببعض النوم؟» سألت إيلين بيتسي التي بدت مجهدة، ومتوترة لكنها تحاول إخفاء هذا من أجلها.

«هل تمزحين؟ مقارنة بتدريس «العاصفة» [62] لطلاب الصف التاسع فإن هذا لا شيء. بحق المسيح، إنني أفضل القفز بالمظلة داخل منطقة خاضعة لطالبان في أي يوم على مواجهة ثلاثين طالب في سن السادسة عشرة».

أيها العالم الجديد الشجاع، فكرت بيتسي مقتبسة من مسرح شكسبير، وهي تنظر إلى صديقتها، *الذي يحوي مثل هؤلاء البشر بداخله*.

«نحن مستعدتان لهذا». قالت إيلين.

الجحيم فارغ، فكرت، وهي تقتبس من شكسبير مرة أخرى. *وكل الشياطين هنا*.

وإن لم يكونوا هنا فهم على الأقل ليسوا بعيدين عن هنا.

تمنت إيلين أن يكون شاه في المصنع، غير مدرك لحقيقة ما يقترب منه.

تفقدت الساعة ثانية. ثلاث ساعات وعشرون دقيقة...

***

62- آخر مسرحيات وليام شكسبير. (المترجم).

أقلعت المروحيات من طراز شينك من قاعدة الطائرات بالعراق على نحو متعرج.

بدأت الشمس تغرب فيما ترتفع المروحيات، وقد مالت مقدماتها إلى أسفل قبل أن تندفع إلى الأمام حاملة ضباط الصاعقة الذين سيهبطون فوق تلك الهضبة ويصمدون هناك أطول وقت ممكن.

نظرت القائدة إلى وجوههم المصممة. معظمهم في عشرينياته لكنهم بالفعل محاربون مخضرمون أشداء.

غير أن هذه المهمة أصعب من أي شيء واجهوه. والكثيرون منهم إن لم يكن أغلبهم لن ينجوا.

علم قادتها ذلك فيما يكلفونها بالمهمة. وعرفت هي ذلك فيما تنظر إلى الخطة، غير أنها قد عرفت أيضًا مدى أهمية هذه المهمة لدرجة أنها لم تُجادل، أو تتردد.

***

«من الغريب التفكير في أن كاثرين وجيل في باكستان أيضًا»، قالت بيتسي فيما تستعدان لمغادرة إير فورس 3. «مع أنهما بعيدان جدًّا عنا. أتمنى لو يستطيعان الانضمام إلينا».

سكتت لتُفسح المجال لإيلين حتى تقول إنهما سيستطيعان، وسوف ينضمان إليهما. لكن كان هنالك صمت.

«مع هذا»، تابعت بيتسي. «أفضل وجودهما هنا عن أن يكونا في واشنطن العاصمة».

«أفضل ذلك أيضًا». عرفت إيلين أن أول خاطرة في ذهن أي أحد قد عرف بشأن القنابل النووية هي أن يُخرج عائلته من

العاصمة أو من أي مدينة كُبرى أخرى من المحتمل أن تكون هدفًا للتفجيرات.

اصطفت فرقة عسكرية باكستانية خارج الطائرة، وكان أفرادها منخرطين في مراسم استقبال رسمية وهم يعزفون موسيقى عسكرية.

«هل شاهدتِ هذا؟» مدت بيتسي جهاز الآي باد.

انحنت إيلين، وشاهدت مقطع فيديو من المؤتمر الصحفي للرئيس وليامز.

سأله صحافيٌّ عن تصريحات الرئيس السابق دَن بشأن جيل باهار ودوره في تفجيرات الحافلة.

«سأجيب عن ذلك مرة واحدة فقط»، قال الرئيس وليامز، وهو ينظر إلى الكاميرا مباشرة. «لقد خاطر جيل باهار بحياته وكاد يفقدها محاولاً إنقاذ الرجال والنساء والأطفال على متن تلك الحافلة في فرانكفورت. إنه شاب استثنائي. مصدر فخر لعائلته ولبلده. أي محاولة لتلويث اسمه أو سمعته أو سمعة أمه تأتي من أشخاص نياتهم سيئة وجاهلين بالحقائق».

رفعت إيلين حاجبيها، وتساءلت كيف لم تلاحظ من قبل قط أن دوج وليامز يمتلك صوتًا لطيفًا.

«لا شيء بعد من بيت هاملتون؟» قالت.

تفقدت بيتسي هاتفها مجددًا، وهزت رأسها.

«سيدتي الوزيرة»، قالت مساعدتها. «لقد حان الوقت».

نظرت إيلين إلى انعكاسها في المرآة مرة أخيرة.

استنشقت نفسًا عميقًا واعتدلت في وقفتها. كتفاها مفرودتان وذقنها للأعلى ورأسها مرفوع. *نحن مستعدون لذلك*، قالت لنفسها فيما تخطو خارج الطائرة إلى المساء الدافئ مصحوبة بهتافات وأعلام أمريكية مرفرفة. ومصحوبة بالنشيد الوطني الذي لم يفشل قطّ في تحريك مشاعرها. «مع آخر بريق للشفق»، غنت معه.

يا إلهي العزيز، ساعدنا.

***

أقلعت الموجة الثانية من المروحيات الممتلئة بحمولة ثمينة؛ بأبناء وبنات آباء وأمهات سيرتجفون رعبًا لو عرفوا ما يطلبه بلدهم من أطفالهم.

تشبث شبان وشابات ببنادقهم، وحدق بعضهم إلى وجوه بعض عبر ممر المروحية. إنهم رأس الحربة. ضباط الصاعقة. قوات النخبة.

قبل عقود قليلة، هبط أفراد قوات العمليات الخاصة الأمريكية في باكستان، للقضاء على بن لادن. وقضوا عليه.

عرف هؤلاء الجنود أن مهمتهم -على الأقل- بالدرجة نفسها من الأهمية، إنْ لم تكن أهم.

وعرفوا أنها -على الأقل- بدرجة الخطورة نفسها، إنْ لم تكن أخطر.

***

«لا يمكن أن يكون هذا هو المكان». قال تشارلز بوينتون في حين اهتزت السيارة قبل أن تتوقف تمامًا في القرية الباكستانية

الصغيرة. «إنه كوخ».

«ماذا توقعت؟» سألت كاثرين. «فندق ريتز؟»

«ثمة الكثير من التشابهات بين فندق ريتز و...» أشار باتجاه المبنى الخشبي، الذي كان مائلًا قليلًا. «هل توجد حتى كهرباء هنا؟»

«من أجل فرشاة أسنانك الكهربائية؟!» سألت كاثرين، وهي تترجل من السيارة. مع أنها كانت مضطرة إلى الاعتراف سرًا أنها كانت بدورها متفاجئة ومحبطة شيئًا ما.

«لا»، قال بوينتون. «من أجل هذا»، رفع هاتفه. «أحتاج إلى أن أشحنه، وأرسل رسالة إلى والدتكِ».

البيت الأبيض. البيت الأبيض.

همت كاثرين بأن تقول شيئًا ساخرًا غير أنها عضت على لسانها.

كانت جائعة ومرهقة، وتمنت أن تحل وجهتهم هاتين المشكلتين لكن من الواضح أن أمنيتها كانت غير واقعية.

البيت الأبيض. البيت الأبيض، فكر بوينتون. لماذا لم يرسل تلك المعلومة مع البقية؟ لأن أشخاصًا قد حاولوا قتله. لأنه قتل رجلًا. لأنه فقد صوابه مؤقتًا، وكل ما استطاع التفكير فيه هو نقل المعلومات عن الفيزيائيين الفعليين، وموقعهم إلى رئيسته قبل أن يُقتل هو.

البيت الأبيض. سأل نفسه طيلة الطريق عمّا تعنيه الكلمات. أو الحقيقة أنه حاول أن لا يقبل ما بدا جليًا.

فردٌ داخل البيت الأبيض يتعاون مع شاه. من الممكن أن ذلك

كان يعني اللواء وايتهيد غير أنه عمليًا لا يعمل في البيت الأبيض، بل يعمل في البنتاجون. لكن فارهاد ربما لم يكن يعرف الفرق بينهما.

مع هذا عرف بوينتون بداخله أنه غير صحيح. لو أن فارهاد قد تقيأ بدمه كلمة «البيت الأبيض»، وهو يتلفظ أنفاسه الأخيرة، فلا بدّ من أنه قد عنى ذلك.

قرعت كاثرين الباب الذي ارتج فيما تطرقه.

ثم انفتح الباب فجأة، وكان جيل يقف هناك.

«أوه، شكرًا للرب». قال.

اندفعت كاثرين، وعانقت أخاها لكنها لاحظت أنه ينظر وراءها. ثم شعرت بأنها تُبعَد جانبًا في حين توجهت آناهيتا إلى جيل وعانقته بقوة.

«حسنًا»، أتى صوت من وراء كاثرين. «ذلك غير متوقع». استدارت، وأبصرت آنا. ثم نظرت من كثب، وأدركت أن بوينتون، وليس آنا، من كان يتشبث بجيل ويبكي بحرقة.

تراجع تشارلز، وقال: «هاتف، لديك هاتف؟»

«أجل...»

«أعطني إياه».

فعل جيل.

ثم بعد لحظات، ضغط بوينتون على زر إرسال. وهكذا لم يعد الأمر مسؤوليته. مع هذا شعر أن المعنى يحوم حوله في أثناء إرسال الكلمات. عالقًا في رأسه مثل شوكة.

البيت الأبيض.

«سيدتي الوزيرة، قدومكِ سعادة غير متوقعة». مدَّ رئيس الوزراء الباكستاني الدكتور علي عوان يده إليها مع أنه لم يبد سعيدًا حقًا.

«لقد كنتُ في الجوار»، قالت بابتسامة دافئة.

كانت ابتسامة الدكتور عوان متشنجة. كان توقيتًا غير ملائم لكن عندما تزورك وزيرة الخارجية الأمريكية زيارة مفاجئة على العشاء فلا يمكنك أن ترسل من ينوب عنك.

قابلها أمام مدخل مقر إقامته الرسمي داخل الأراضي التابعة للوزارة. تنير الأضواء الكاشفة المباني البيضاء الفاخرة، وتنسكب على البساتين الخضراء. وترتفع أشجار النخيل الباسقة فوق الرؤوس.

لم تستطع إيلين، العاشقة للتاريخ، أن تمنع نفسها من تخيل عدد البشر على مر القرون الذين وقفوا حيث تقف، وانبهروا بالمنظر مثلها.

كانت الأمسية دافئة وعبقة. تفوح روائح حلوة وحارة من الزهور في الهواء الرطب الثقيل.

كان موكب الوزيرة آدمز قد انطلق متجاوزًا حياة الشارع الفوضوية والصاخبة للعاصمة الباكستانية، عبر شارع «دستور» الطويل، ووصل إلى هذه الأرض الجليلة، جنة سلام في مركز المدينة النابضة بالحياة.

كان الوجود في هذه الأجواء الرائقة شديد الغرابة بالنظر إلى ما على وشك أن يحدث على مبعدة كيلومترات قليلة. رفعت إيلين عينيها إلى النجوم، وفكرت في ضباط الصاعقة الذين يحلقون الآن عبر سماء الليل.

أخذت المروحيات تدنو من منطقة الهبوط مع هذا كان من المستحيل رؤية الهضبة المستوية وسط الجبال والأخاديد إلى أن يصبحوا فوقها تمامًا.

كان الطيارون في وضع الرؤية الليلية، آملين أن لا يرصدهم متمردو طالبان أو أسلحتهم المضادة للطائرات قبل أن يصلوا إلى منطقة الهبوط.

مع أن مروحيات شينُك قد تطورت كثيرًا، فإنّ الطيارين وأفراد المهمة يعرفون أن تقنية التخفي في المروحيات أبعد ما تكون عن الكمال.

خيم الصمت تمامًا. وضيَّق الطيارون أعينهم حتى يروا، فيما الجنود في بطن المروحية يحدقون إلى النجوم بالخارج، شاردين في أفكارهم.

***

بعد احتساء عصائر الكوكتيل التي ارتاحت إيلين عندما رأت أنها معدة من عصائر فاكهة طازجة ولا تحوي كحولًا، جلس الضيوف فوق مائدة بيضاوية معدة إعدادًا بهيًا من أجل العشاء.

كانت إيلين قد أعطت ستيف كواليسكي -مدير أمنها- هاتفها. كان بروتوكولًا متبعًا لكنها أيضًا أرادته بعيدًا عن يدها. لم تكن واثقة بقدرتها على مقاومة تفقده كل دقيقتين.

كانت بيتسي الجالسة أمامها منخرطة في محادثة مع ضابط جيش شاب فيما استدارت إيلين إلى رئيس الوزراء الذي جلس إلى يسارها.

وجهـت دعـوة عاجلـة لحضـور هـذا العشـاء إلـى مجموعـة مـن الرجـال والنسـاء كان مـن ضمنهـم -وارتاحـت إيليـن لرؤيتـه- وزيـر دفـاع حكومـة الدكتـور عـوان، اللـواء لاخانـي الـذي جلـس إلـى الجانـب الآخـر مـن رئيـس الـوزراء. كان وزيـر الخارجيـة حاضـرًا أيضًـا أمـلًا -كمـا أدركـت إيليـن- أن تُثبـت وزيـرة الخارجيـة الأمريكيـة الجديـدة أنهـا غيـر كفـؤة كالوزيـر السـابق لهـا.

أدركـت أيضًـا أن الإخفـاق الحديـث فـي كوريـا الجنوبيـة كان لـه منافـع غيـر متوقعـة. أثبـت علـى الأقـل للبعـض أنهـا غيـر كفـؤة حقًـا.. ومـن ثـم يسـهل خداعهـا. وذلـك بالضبـط مـا أرادت مـن هـؤلاء النـاس أن يعتقـدوا خـلال السـاعات الحرجـة القليلـة القادمـة.

«كنـت أتمنـى أن يكـون الدكتـور شـاه هنـا». قالـت، وهـي تفكـر فـي أنـه لا غضاضـة فـي أن تؤكـد لهـم قدرتهـا علـى أن تكـون طائشـة.

تبـع ذلـك جلبـة فيمـا أسـقط موظفـان حكوميـان أو ثلاثـة أشـواكهم. لكـن لـم يكـن رئيـس الـوزراء عـوان مـن بينهـم. ظـل رابـط الجـأش تمامًـا.

«هـل تقصديـن بشـير شـاه، سـيدتي الوزيـرة؟ أخشـى أنـه غيـر مرحـب بـه فـي منزلـي، أو فـي أي مبنـى حكومـي. يعدّه البعض بطـلًا غيـر أننـا نعـرف الحقيقـة».

«حقيقـة أنـه تاجـر أسـلحة؟ يبيـع تكنولوجيـا ومـواد نوويـة لأي أحـد مسـتعد لأن يدفـع الثمـن؟»

نظرتهـا بريئـة، ونبـرة صوتهـا محايـدة كأنهـا تُؤكـد إشـاعة سـمعتها للتـو فقـط.

«أجل». همـس بنبـرة سـريعة.

لو أنه لم يكن يمتلك سيطرة قوية على النفس، لكانت نبرة صوته أقرب إلى الوقاحة. مع هذا كان صوته يحمل تحذيرًا واضحًا. ذكر بشير شاه غير مسموح به في محادثة مهذبة، وبالطبع ليس في وجود أجنبي في باكستان.

«السمك لذيذ». قالت إيلين لتحرر الدكتور عوان من عبء الحديث في الأمر.

«أنا شاكر لأنكِ أحببته. نحن مشهورون بطهوه».

كان كلّ منهما يبذل قصارى جهده حتى يبقى وديًا ومسترخي الأعصاب.

شكت إيلين في أنه متلهف مثلها لانتهاء هذه التمثيلية.

في أثناء بحثها -الذي تضمن الحديث إلى باحثين في الشأن الباكستاني وضباط مخابرات درسوا تلك الدولة المضطربة- استنتجت إيلين أن الدكتور عوان في حالة تضارب عميقة.

كان من الداعمين الأوائل لشاه غير أنه قد انقلب عليه علنًا. اعتقد رئيس الوزراء عوان -الذي كان قوميًا- أن أمل بلده الوحيد في النجاة عندما يعيش بجوار العملاق المسمى الهند هو أن يصبح أقوى وأقوى. أو يبدو كذلك على الأقل.

مثل سمكة منفاخ، جعلت باكستان نفسها تبدو أضخم ومخيفة أكثر. وقد تمكنت من تحقيق ذلك بأن ملأت نفسها بمواد انشطارية.

زودها بشير بها لكن علماء الفيزياء النووية الذين أستأجرهم قد جلبوا معهم كل أشكال الانتباه غير المرغوب فيه والخطِر.

أدرك عوان أخيرًا أن شاه مجنونٌ آخر يلعب بالأسلحة، لكنها لم تكن مجرد قنابل يدوية، بل كانت قنابل نووية.

«لا أفترض أنك تعرف مكانه، سيدي رئيس الوزراء. أعتقد أن منزله ليس بعيدًا عن هنا».

وضع العملاء الأمريكيون في باكستان بيته تحت المراقبة لكنه ربما تسلل إلى داخله قبل أن يبدأ كل هذا.

«شاه؟ ليس لدي أي فكرة». رضخ الدكتور عوان لضرورة إكمال هذه المحادثة بما أن الوزيرة آدمز تبدو مصممة على الحديث في هذا الموضوع البغيض والمحفوف بالمخاطر. «رئيسكم السابق طلب منا أن نطلق سراحه من الإقامة الجبرية، وقد امتثلنا طلبه. بعد ذلك بات الدكتور شاه حرًا للذهاب حيثما يشاء».

«لا تعدّونه تهديدًا؟»

«تهديدًا لنا؟ لا».

«إذًا لمن؟»

«لو كنتُ إيران، فربما أقلق».

«أنا سعيدة لأنك قد تطرقت إلى ذلك. أتمنى أن نستطيع العمل معًا سيدي رئيس الوزراء، على إعادة إيران إلى المعاهدة النووية، ودفعها إلى التخلي عن أي أسلحة نووية قد تمتلكها. نجح الأمر مع ليبيا».

حصلت على ردة الفعل التي توقعتها وأرادتها. ارتفع حاجبا اللواء لاخاني، وزير الدفاع، ومال بجسمه أمام رئيس الوزراء ليحدق إليها كما لو كانت قد قالت شيئًا غبيًا غباء فجًا. وهو ما فعلته. فكرت الوزيرة آدمز أن المرء قد يجد نفسه مضطرًا إلى

أن يكون القط أحيانًا. والفأر أحيانًا. وحتى الصياد أحيانًا أخرى.

يمكنها أن تدرك ما الذي يفكرون فيه. ها هي فرصة قد سقطت من السماء حرفيًا، وبين أحضانهم. فرصة لا يجب أن تُهدر. يمكنهم أن يأخذوا بيد وزيرة الخارجية الأمريكية الجديدة. ويعرضوا عليها أن يكونوا معلمين ومرشدين. ومن ثم يرسخون في ذهنها وجهة النظر الباكستانية في المنطقة التي يعتمرون فيها قبعات سلام بيضاء، فيما الهند وإيران وإسرائيل والعراق والآخرون يرتدون الأسود، ولا يمكن الوثوق بهم.

عرفت إيلين أيضًا بوجود عناصر داخل باكستان وداخل الحكومة وحتى في الجيش، وربما حول تلك المائدة، يرون الانسحاب الأمريكي من أفغانستان فرصة لكسب المزيد من القوة والنفوذ في المنطقة. بأن يجعلوا أفغانستان -ببساطة- مقاطعة باكستانية أخرى.

مع رحيل الأمريكيين، ستصعد طالبان بعد أن مُنحت جنة آمنة في باكستان لسنوات إلى السلطة في أفغانستان.

ومع صعودهم، سيأتي معهم حليفهم -الذي يعده البعض ذراعهم العسكرية الدولية- القاعدة. القاعدة العازمة على إيذاء الغرب. العازمة خصوصًا على الانتقام من الولايات المتحدة لقتلها أسامة بن لادن. لقد تعهدوا بذلك.

ومع مساعدة بشير شاه والمافيا الروسية الآن، والانسحاب الأمريكي من أفغانستان، وتصدر طالبان المشهد من جديد، سيكونون في موقع يسمح لهم بتنفيذ تهديدهم، وبأسلوب أكثر تدميرًا وأكثر استعراضًا مما تخيلوا أنه ممكن.

ستستطيع منظمة إرهابية أن تفعل ما لا تستطيع حكومة أن تفعله.

أي حكومة عرضة لعزلة وقيود دولية، لكن منظمة إرهابية لا تخضع لمثل تلك الأمور.

بالكاد كان الدكتور عوان رجلًا صالحًا إن لم يكن عظيمًا، جهاديًا. وكان أبعد ما يكون عن التطرف. الهجمات الإرهابية تصيبه بالغثيان. مع هذا فإنه واقعي. لا يستطيع أن يتحكم في العناصر المتطرفة داخل باكستان. وما إن رحلت أمريكا وعادت طالبان وأُطلِق سراح شاه، حتى أصبح إيقاف ذلك مستحيلًا تقريبًا.

لقد تفاجأ رئيس الوزراء الباكستاني -دون أن يُظهِر ذلك- عندما طلب منه الرئيس الأمريكي في اجتماع القمة إطلاق سراح شاه. حاول أن يشرح للرئيس دَن العواقب المحتملة لكنه لم ينصت إليه. ورغم جرعات الإطراء المحسوبة -التي كانت تنجح عادة مع الرئيس الأمريكي- فقد كان مصممًا على إطلاق سراح شاه. كان إخفاق عوان الوحيد. كان من الواضح أن أحدهم قد أغوى دَن أولًا بجرعة أكبر حتى من الإطراء بأن يطلق سراح شاه.

ويمكنه أن يخمن هويته.

والآن، وقد صار بشير شاه طليقًا في العالم، وجد رئيس الوزراء عوان نفسه فوق حبل مشدود، وقد راح يوازن بين إبقاء الأمريكيين راضين، والعناصر المتطرفة داخل بلاده راضين أكثر حتى.

أما ما يتعلق بالقاعدة فقد أراد عوان فقط أن يُبقي رأسه

محنيًا. مسيرته السياسية وحياته أيضًا تعتمدان على قدرته على فعل ذلك.

ساور القلق عوان وحكومته ما إن خسر دَن الانتخابات، غير أن وزيرة الخارجية الأمريكية الجديدة تبدو جاهلة ومتعجرفة مثله تمامًا، ومن ثم قابلة للتطويع والخداع أيضًا.

كانت السمكة تزداد لذة.

الفصل السادس والثلاثون

كان هبوطًا عسيرًا.

كانت السيطرة على المروحيات مع الرياح التي تعصف عبر الأخاديد شبه مستحيلة، غير أن طيارَي مروحيتي الشينُك حافظا على ثبات الطائرتين حتى قفز أفراد فرقة ضباط الصاعقة واندفعوا بسلاسة في الهواء نحو الأرض.

ما إن ارتفعت المروحيتان عموديًا من جديد، وكانتا تستديران بحثًا عن ساتر حتى دفعت عاصفة المروحية في المقدمة نحو واجهة جبل.

«اللعنة! اللعنة! اللعنة»! تمتمت الطيارة فيما تصارع ومساعدها للسيطرة على المروحية، لكن المروحة اصطدمت بالصخور. ثم كان هنالك هزة عنيفة. شعرت بعصا التحكم تهتز، وترتعش في يدها. ثم مالت الطائرة. ما إن شاهدت إلى أين يتجه الأمر، حتى تبادلت النظرات مع مساعدها. ثم وجهت المروحية بصعوبة بعيدًا عن القوات فوق الهضبة. وبعيدًا عن المروحية الأخرى.

ثم ساد الصمت في قمرة القيادة والمروحية تنزلق فوق الحافة، وخارج مجال الرؤية.

«يا إلهي»، همست الطيارة.

ثم أتت كرة اللهب.

تلا ذلك بثوانٍ قليلة طلقٌ كثيفٌ من مواقع متمردي طالبان.

«احتموا»، صرخت قائدة قوات الصاعقة.

***

كان رباعيٌّ وتريٌّ يعزفون مقطوعة «كونشيرتو للكمانين» لباخ، في حين يُقدَّم طبق السلطة. كانت تلك المقطوعة إحدى مقطوعات إيلين المفضلة التي استمعت إليها أغلب الصباحات لتهيئ نفسها ليوم جديد. تساءلت إنْ كانت مصادفة لكنها شكت في أنها ليست كذلك. تساءلت أيضًا من في الحجرة رتب من أجل عزف المقطوعة.

رئيس الوزراء؟ يبدو غافلًا عن أي رسالة مُبطنة.

وزير الخارجية؟ ربما.

وزير الدفاع، اللواء لاخاني؟ مما قرأته في تقارير سرية، فقد كان هو غالبًا.

كان لاخاني رجلًا يضع إحدى قدميه في معسكر النظام والأخرى في معسكر المتطرفين.

مع هذا لا بد من أن أحدهم قد أخبر اللواء لاخاني بأن مقطوعة باخ هي المفضلة لديها، وقد عرفت إيلين من هو.

الشخص نفسه الذي أرسل إليها زهور البازلاء الجميلة، والذي أرسل إليها البطاقات في أعياد ميلاد أطفالها، والذي سمم زوجها بلا ريب، والذي رتب لتفجير الكثير من الرجال والنساء والأطفال.

***

وضع بشير شاه طبق الخضراوات والأعشاب الطازجة أمام الوزيرة آدمز. هذه هي اللحظة. شعر بإحساس غريب، وأدرك أنه الإثارة.

لقد مضى وقت طويل منذ أحس بأي شيء على الإطلاق، خاصة تلك الرعشة. لم يلتق إيلين آدمز شخصيًا لكنه تأملها من مبعدة. والآن بينما ينحني، كان قريبًا جدًّا منها حتى أنه استطاع أن يشم عطرها. ماركة كلينك. أروماتيكس إليكسير. ربما يكون حتى من القنينة التي أرسلها إليها في الكريسماس، غير أنه يشك في أنها قد رمتها في القمامة.

عرف أنها مخاطرة رهيبة لكن ما الحياة دون مخاطرة؟ وما أسوأ ما سيحدث؟

لو اكتشفوا هويته فسيزعم أن تنكره في هيئة أحد الندل كان مجرد مزحة بريئة. كان ذلك ليُعد تعديًا على حرمة المكان في أسوأ الظروف، ومع هذا لن توجه إليه أي تهمة. كان متأكدًا من ذلك.

جانب منه -الجانب المتهور- تمنى أن يُكتشف أمره، وأن يرى وجه إيلين آدمز عندما تكتشف من هو، وإلى أي مدى يمكنه الاقتراب منها. وأنه لا شيء بوسعها أن تفعله البتة بشأن هذا.

كان شاه بفضل الأمريكيين أنفسهم رجلًا حرًا.

وكان يستطيع قتلها الآن. كسر عنقها. أو غرز إحدى السكاكين الحادة في جسمها. ويمكنه دس سم أو زجاج مطحون في طعامها. يمتلك بين يديه قوة أن يبقيها حية أو يميتها.

مع هذا دس قطعة ورق في جيب معطفها. لن تقتلها لكن قد تقترب من ذلك.

أجل، سيلعب معها مدة أطول قليلًا. سيشاهد ردة فعلها عند انفجار القنابل. حينما تدرك أن فشلها قد تسبب في مقتل الآلاف. وتسبب في تغيير مزلزل في بلدها.

تساءل فيما يستنشق رائحتها الرقيقة، إن كان لم يتطور انجذاب مُروعٌ بداخله تجاه هذه المرأة. نقيضٌ لمتلازمة ستوكهولم من نوع ما.

من الظاهر أن الحب والكراهية مرتبطان ارتباطًا وثيقًا.

لكن لا، يعرف أن مشاعره القوية تجاهها كانت انتقامًا. لقد دمرت هذه المرأة حياته. والآن يرد لها الصاع. ببطء. سوف ينتزع منها كل ما هو ثمين. صحيح أن ابنها قد هرب من محاولة الاغتيال لكن توجد دائمًا أيام أخرى وفرص أخرى.

أما الآن، في هذه اللحظة، فإنه يُمتع نفسه. يسمح لنفسه حتى بأن يتحدث إليها.

***

«سلطة، سيدتي الوزيرة؟»

استدارت إيلين آدمز.

«شكريه»، قالت بالأردية.

«أبكا خير مقدام هاي». قال النادل، ومنحها ابتسامة دافئة.

فكرت إيلين في أن لديه عينين لطيفتين، بنيتين غامقتين ورقيقتين. تشبهان عيني والدها. لا بد من أن ذلك هو السبب في أنه يبدو مألوفًا قليلًا لها. له رائحة سارة. الياسمين.

انتقل النادل إلى رئيس الوزراء الذي شكره دون أن يرفع عينيه. بدا وزير الدفاع في مزاج حسن، يكاد يكون مرِحًا. قال شيئًا للنادل الذي ابتسم بأدب قبل أن يواصل عمله.

ما الذي يجعل اللواء لاخاني مغتبطًا بهذه الصورة؟ عجزت إيلين عن التخلص من شعور أنه مهما كان سبب غبطته فإنه ليس علامة جيدة.

فـي حيـن اسـتمرت مقطوعـة بـاخ بنعومـة فـي الخلفيـة، أدركـت إيليـن أنهـا كانـت «رقصـة» أكثـر تعقيـدًا ممـا توقعـت.

أين قوات الصاعقة الآن؟ لا بد أن عملية التضليل قد بدأت.

هل وصلوا إلى المصنع بعد؟

«تتحدثيـن عـن إرغـام إيـران على أن تتخلى عـن برنامجها النووي»، قـال رئيس الـوزراء عـوان، وهـو يجـرُّ ذهـن إيليـن إلـى المحادثـة ثانيـة. «أعتقـد، سيدتي الوزيـرة، أن آيـة اللّٰه العظمـى أكثـر دهـاء مـن ذلـك. لـن يرغـب فـي أن يكون معمـر قذافـي آخـر».

كادت إيليـن تقـول، ذكرنـي *بمـا قلتـه*، لكنهـا اعتقـدت أن ذلـك سـيكون تماديًـا زائـدًا. ولـن ينطلـي علـى رئيـس الـوزراء عـوان أنهـا جاهلـة إلـى هـذه الدرجـة. فحصهـا مـن كثـب، مراقبًـا ومحلـلًا. تسـتطيع أن تشـعر بحـدة تحديقـه.

قررت أن تظل هادئة، وتتركه يتساءل كم هي ساذجة.

كانـت تقـاوم أيضًـا إغـراء النظـر إلـى سـاعتها، الـذي سـيكون قمـة فـي الوقاحـة، وربمـا إشـارة إلـى أي أحـد يراقبهـا أنهـا تتوقـع حـدوث شـيء. وقـد كان ذلـك صحيحًـا.

مرة أخرى سرح ذهنها في قوات الهجوم.

كيف تسير العملية.

وكـم سـيكون عـدد اللعنـات التـي سـتنطلق مـن الأفـواه مـا إن يـدرك مسـتضيفوها مـا كان يحـدث حقًـا فـي أثنـاء اسـتمتاعهم بتنـاول سـلطة الأعشـاب الطازجـة واسـتماعهم إلـى بـاخ.

«لقـد أقنعتـم العقيـد القذافـي بالتخلـي عـن أسـلحته النوويـة». شـرح وزيـر الدفـاع فيمـا يواصـل الدكتـور عـوان مراقبـة إيليـن. «ثـم

ماذا حدث؟ تعرضت ليبيا للغزو، وأُطيح بالقذافي من السلطة، وقُتِل. لم يفُت أي أحد في المنطقة ذلك الدرس. أي بلد يمتلك سلاحًا نوويًا في أمان. ولن يجرؤ أي أحد على مهاجمته. أي دولة دون قدرات نووية معرضة للخطر. التخلي عن أسلحتهم بمثابة انتحار».

«توازن الرعب».

«بل توازن القوى، سيدتي الوزيرة». قال رئيس الوزراء بابتسامة مسالمة.

انحنى أحد المساعدين، وهمس إلى اللواء لاخاني الذي التفت، وحدق ببلاهة إلى مساعده، ثم قال شيئًا إليه قبل أن يهرول مبتعدًا.

تحدث وزير الدفاع بهدوء إلى الدكتور عوان.

أدركت إيلين أن هذه هي اللحظة.

أجبرت نفسها على الاسترخاء. تنفسي. تنفسي. لاحظت بيتسي من مكانها على الجهة المقابلة من المائدة البيضاوية هذا التغير.

أنصت رئيس الوزراء عوان ثم استدار إلى إيلين.

«لقد تلقينا للتو معلومات عن أن بريطانيا تخطط لهجوم الليلة على مواقع للقاعدة داخل باكستان. هل تعرفين أي شيء عن ذلك؟»

لحسن الحظ كانت إيلين متفاجئة حقًا بهذا الخبر، وأظهرت ذلك بوضوح.

«لا، لا أعرف».

تأملها عوان بنظرته الحادة الفريدة ثم أومأ برأسه.

«أستطيع أن أرى أن ذلك صحيح».

«لكنني أفترض أن ذلك يبدو منطقيًا»، قالت إيلين ببطء، «لو أن البريطانيين يعتقدون أن القاعدة وراء التفجير في لندن والمدن الأخرى».

بينما تخرج الكلمات المنتقاة بحرص من فمها ببطء، كان ذهنها الحاد يتحرك بسرعة، دارسًا كل الاحتمالات.

هل من الممكن أن ما يقوله رئيس الوزراء صحيح؟ أن البريطانيين قد قرروا ربما بناء على اقتراح صادر عن اجتماع المخابرات ذاك الذي حضره تيم بيتشام في لندن، أن تشن هجومها؟

هل السماء فوق باكستان مكتظة تلك الليلة؟

الاحتمال الآخر أن ذلك غير صحيح. أن الرئيس وليامز قد نشر هذه الإشاعة الزائفة. لو أن الأمر كذلك، فهي فكرة عبقرية.

تمنت إيلين فقط أن تعرف أي الاحتمالين صحيحًا.

«ما لا يبدو منطقيًا»، انفجر عوان في حين توقفت كل المحادثات في الحجرة، «أن لا يُعلموننا بالأمر. إنه هجوم على أرض ذات سيادة. هل نعرف أين؟»

«مساعدي يعمل على معرفة ذلك». قال اللواء لاخاني، الذي كان يبدو الآن أقل مرحًا بكثير. عاد المساعد في تلك اللحظة، وانحنى ليهمس إليه.

«بصوت مرتفع»، قال. «الجميع يعرفون الآن. أين يُفترض بالهجوم أن يقع؟»

«إنه يُنفَذ بالفعل، أيها اللواء. في منطقة باجور».

«ما الذي يفكرون فيه؟» تساءل رئيس الوزراء، «معركة باجور أخرى؟ كأنما المعركة الأولى لم تكن دموية بالقدر الكافي».

كان موجودًا هناك. ضابطًا برتبة متوسطة. بالكاد نجا بحياته.

والآن يستمع إلى الموسيقى، ويتناول السلطة فيما تندلع المعركة الثانية. *فليساعده الرب*. كان مرتاحًا لأنه هنا، وليس هناك. وأشفق على جنود الكومندو البريطانيين الذين يشتبكون الآن مع طالبان والقاعدة في حصنهم الجبلي.

معركة باجور. عملية قلب الأسد. الصدمة لم تختف تمامًا بعد. كانت تلك الحادثة أحد الأسباب الكثيرة التي يكره بسببها رئيس الوزراء عوان الحرب، وتجعله يتوق إلى باكستان مسالمة وآمنة.

شاهد الدكتور عوان أن وزير دفاعه يبدو مرتاحًا، وهو ما لا يبدو منطقيًا. كيف يكون مسرورًا بشن البريطانيين هجومًا سريًا داخل الحدود الباكستانية؟ يجب أن يكون اللواء ثائرًا. ما الذي يخطط إليه؟ تساءل رئيس الوزراء، وتساءل أيضًا فيما يشعر هو بهزة في الحبل المشدود، إذا كان يريد أن يعرف حقًا.

لا يمتلك رئيس الوزراء عوان أي أوهام بخصوص اللواء لاخاني، ولم يعينه في منصبه إلا لاسترضاء الأعضاء الأكثر تطرفًا في حزبه.

مع هذا كانت مشكلة أن يكون في حكومته وزير دفاع لا يستطيع الوثوق به.

همس مدير أمن الوزيرة آدمز الدبلوماسي إليها قبل أن يعطيها هاتفها.

«لو أذنت لي، سيدي رئيس الوزراء. رسالة عاجلة».

«من البريطانيين؟» سألها، ولسعة الإهانة الوطنية لا تزال طازجة.

«لا، من ابني».

***

«نكاد نصل، يا سيدي»، قال الطيار. «تسعون ثانية».

أعطى العقيد أوامره، ونهض ضباط المظلات من أماكنهم واصطفوا أمام الباب. يمكنهم أن يروا خارج النوافذ سماء الليل على مبعدة، تُضاء بنيران القذائف، ثم انفجارات هائلة فيما تقصف طائراتهم النفاثة مواقع طالبان.

اشتبك ضباط الصاعقة فوق الهضبة مع العدو. لقد بدأ الهجوم المضلل.

«خمس وخمسون ثانية».

استدارت الأعين من النوافذ نحو الباب الذي يوشك أن ينفتح. استعادوا تركيزهم. يمتلكون مهمتهم الخاصة التي يجب أن يؤدوها. أن يُؤمنوا المصنع سريعًا؛ بسرعة البرق، قبل أن يتمكن الأشخاص بالداخل من التفرق والهرب. وقبل أن يستطيعوا تدمير الوثائق. وقبل أن يستطيعوا تفجير قنبلة نووية.

«خمس عشرة ثانية».

تحرك الباب منفتحًا، واندفعت دفقة من هواء بارد منعش بأزيز مسموع. ربطوا حبالهم بالسلك فوق رؤوسهم، واستعدوا.

***

قرأت إيلين الرسالة القصيرة.

لم تكن من جيل، بل من بوينتون.

لقد قُتل المخبر فارهاد الذي عمل لصالح المخابرات الإيرانية والمافيا الروسية على يد الروس. وقد قال قبل أن يموت مباشرة كلمتين.

البيت الأبيض.

***

كانت النيران القادمة من مواقع متمردي طالبان رهيبة. أسوأ ممّا توقعوا. تعرفت القائدة من طلقات الأسلحة بأنها صناعة روسية، ونقلت المعلومات إلى مركز القيادة برفقة تقرير بأنهم ثابتون في مواقعهم. ويبادلون إطلاق النار.

كانت على وشك أن تسأل أين الدعم الجوي عندما سمعت زئيرًا هادرًا قادمًا من أعلى، ثم تفجيرات تدُكُّ الأرض دكًا فيما تُسقط المقاتلات النفاثة الأمريكية الصواريخ فوق سفح الجبل. منحهم ذلك استراحة مؤقتة من النيران المتقهقرة قبل أن تبدأ من جديد.

نظرت القائدة إلى ساعتها فيما تحتمي بصخرة. لا بد من أن الفرقة الأخرى في المصنع الآن. يجب أن يواصلوا الاشتباك عشرين دقيقة أخرى.

اصمدوا فحسب. اصمدوا فحسب. مهما حدث، اصمدوا فحسب.

كانت الوحيدة في فرقتها التي تعرف لماذا هم هناك حقًا. بهذه الطريقة، لو أسروا، فلن يستطيع متمردو طالبان أن يعذبوا أيًا من جنودها حتى يكشف الطبيعة الحقيقية للهجوم، غير أنها تعرف أنها يجب ألا تسمح أبدًا لأي منهم بأن يُؤسر.

جلس الرئيس وليامز في حجرة الاجتماعات الرئيسة في الطابق الأرضي بالبيت الأبيض، محاطًا بمستشاريه العسكريين والاستخباراتيين. كانوا هناك منذ ساعة. كانت الحجرة بلا نوافذ وخانقة. لكن لم يلاحظ أي أحد أو يعبأ بذلك.

كان تركيزهم منصبًا على شاشات العرض يشاهدون ويستمعون إلى قوات الصاعقة الذين على وشك اقتحام المصنع.

«خمس عشرة ثانية»، أتى صوت الطيار، واضحًا وضوحًا مدهشًا.

استعد الرئيس وليامز، ممسكًا ذراعي مقعده الدوار.

كان رئيس قوات العمليات الخاصة المشتركة إلى جانبه فيما كان نائب رئيس هيئة الأركان المشتركة في الحجرة المجاورة يراقب القوات فوق الهضبة.

«سيدي الرئيس، لقد فقدنا إحدى المروحيتين». قال نائب رئيس هيئة الأركان عبر مكبر الصوت. «وضباط الصاعقة؟» سأل وليامز.

«خارجها في ميدان المعركة غير أن قائدة الطائرة ومساعدها مفقودان».

أومأ وليامز إيماءة جافة قصيرة.

«والآخرون صامدون؟»

«أجل، سيدي. يجذبون النيران، والانتباه إليهم».

«جيد».

«انطلقوا، انطلقوا، انطلقوا!» أتى الأمر.

في حجرة الاجتماعات على مبعدة آلاف الأميال، مال رئيس الولايات المتحدة بجسده إلى الأمام. يمكنه أن يرى بالضبط ما يحدث عبر كاميرات الرؤية الليلية المثبتة في خوذات ضباط الصاعقة. كان الأمر كأنه هناك، لكنه ليس كذلك.

اندفع دوج ويليامز بجسمه مسافة قصيرة فيما يبتعد عن المروحية مع قائد الغارة. كان المكان هادئًا بغرابة، يكاد يكون مسالمًا فيما يشاهد الرئيس الآخرين يهبطون.

كان هنالك ارتطام مكتوم، وصيحات قتالية مع ارتطام حذائه طويل الرقبة بالأرض.

لم يتفوهوا بكلمة. عرف ضباط الصاعقة ما يجب عليهم فعله بالضبط.

***

طرق عميل المخابرات باب شقة هاملتون، وهو يجول ببصره في الردهة الكئيبة. رائحة المكان نتنة. نظر إلى شريكه، الذي قطب حاجبيه.

«هاملتون؟» هتف، وهو يقرع الباب بقبضته.

لقد تتبعوا أثره من حانة «أوف ذا ريكورد» حتى هنا. لقد وصل قبل أكثر من ساعة مع هذا لا يجيب عن أي رسالة على هاتفه منذ عودته.

طاف العميل القائد، رجل عريق في الخدمة في أرجاء المكان. ثمة خطب ما. لو أن أحدهم يعمل مع البيت الأبيض، فسيحرص على الرد على رسائله النصية وإيميلاته ومكالماته الهاتفية. لو كانت في الثالثة صباحًا فربما... لكن بعد الظهر فحسب.

أحس بالشعيرات فوق قفا عنقه تنتصب. مال فوق القفل. لم يحتج سوى ثوانٍ قليلة فقط مستعملًا أدواته قبل أن يسمع صوت تكة خفيفة.

أومأ إلى شريكه، وهو يُخرج مسدسه.

مستعد؟

مستعد.

دفع الباب بقدمه ليفتحه.

ثم تسمرا في مكانهما.

***

وضع نادل آخر هذه المرة طبق التحلية أمام إيلين.

لم يكن العشاء في إسلام آباد ظريفًا منذ البداية، غير أنه صار الآن كئيبًا تمامًا مع وصول أخبار الغارة البريطانية ظاهريًا في باجور.

استأذن اللواء لاخاني بالانصراف غير أن رئيس الوزراء قد ظل مكانه. ربما إشارة إلى مدى أهمية ضيفته الأمريكية. أو ربما -فكرت إيلين- إشارة إلى من يمتلك السلطة حقًا، ومن ينبغي له أن يستمتع بطبق الجولاب جامون[63] الحلوة فحسب.

تأكدت الوزيرة آدمز أن الإشاعة حول هجوم SAS، حيلة فحسب. كانت القوات الخاصة الأمريكية من هبطت في باجور واشتبكت مع القاعدة.

63- الجولاب جامون: حلوى هندية مصنوعة من الحليب الصلب، وتعدّ نوعًا من الميثاي الشائع في الهند وباكستان. (المترجم).

كانت مسألة وقت فقط، دقائق الآن، قبل أن يدرك الباكستانيون حقيقة ما يحدث حقًا، ومن خطط للغارة. للغارتين.

حرَّكت كرات الكعك داخل صوصها. فاحت رائحة خفيفة من الورد وحب الهال من طبق الخزف الصيني. لم تسمع أي شيء من الرئيس وليامز منذ أعادت إرسال التحذير الذي أتاها من بوينتون إليه.

البيت الأبيض.

كان ببساطة تأكيدًا لما عرفوه بالفعل. أن داخل البيت الأبيض خائنًا. في موقع قريب من الرئيس.

في تلك اللحظة رنّ هاتف إيلين معلنًا وصول رسالة بعلامة حمراء.

عثر العميلان اللذان أُرسِلا لتفقد بِيت هاملتون عليه في شقته مقتولًا بالرصاص. لقد تعقبوا تحركاته إلى حانة «أوف ذا ريكورد» حيث كان يثرثر مع امرأة شابة غادرت بعده بمدة وجيزة. كانوا يبحثون الآن عن هويتها.

«هل أنتِ على ما يرام؟» سأل الدكتور عوان، وقد لاحظ شحوبها.

«أعتقد أن السمكة ربما لم توافقني الرأي. هلا سمحت لي، سيدي رئيس الوزراء؟»

«بالطبع».

وقف فيما تنهض إيلين، وتومئ إلى بيتسي حتى تنضم إليها.

نهض جميع من حول المائدة أيضًا، وشاهدوا المرأتين وهما تهرولان إلى الخارج، تقودهما خادمة إلى الحمام.

بدا لهم أن هذه الأمسية المُحرجة والطويلة تقترب من نهايتها.

حين يتقيأ ضيف الشرف، فتلك إشارة في العموم على أنها قد انتهت.

لكنهم كانوا مخطئين تمامًا.

***

كان ضباط الصاعقة يضربون الأرض بأحذيتهم حرفيًا فيما يركضون ويندفعون نحو المصنع.

حطموا البوابات وتدفقوا إلى الداخل تحت أنظار الرئيس والآخرين.

«خالٍ»!

«خالٍ»!

«خالٍ»!

مكتبة
t.me/soramnqraa

مضت سبع ثوانٍ منذ دخولهم، ولم يواجهوا مقاومة حتى الآن. ولا طلقة واحدة.

«هل هذا طبيعي؟» سأل وليامز رئيس قوات العمليات الخاصة.

«لا وجود لشيء اسمه «طبيعي»، سيدي الرئيس، لكننا توقعنا أن يذودوا عن المصنع».

«وحقيقة أن ذلك لم يحدث؟»

«قد يعني ذلك أن المفاجأة قد شلتهم تمامًا». مع هذا بدا في حيرة شديدة.

كاد الرئيس يسأله ماذا قد يعني ذلك أيضًا لكنه قرر المراقبة فحسب. سوف يكتشفون قريبًا جدًا على أي حال.

مرت الثواني، طويلة حتى كادت تحطم الأعصاب.

لـم يـدرك وليامـز قـطّ أن ثانيـة واحـدة قـد تكـون مطاطيـة جـدًا، وطويلـة جـدًا.

ارتطمـت أحذيتهـم الثقيلـة بالدرجـات الأسـمنتية، درجتيـن فـي المـرة الواحـدة، وبنـادقهـم إم 16 جاهـزة للإطـلاق. مجموعـة تتوجـه إلـى أعلـى، وأخـرى إلـى أسـفل، وثالثـة تندفـع داخـل المنطقـة المفتوحـة الواسـعة التـي تعـج بمعـدات صناعيـة.

ثلاث وعشرون ثانية مضت على بداية الهجوم.

«خالٍ»!

«خالٍ»!

«خالٍ»!

«ما ذلك؟» أشار وليامز إلى إحدى الشاشات.

أعطى القائد أوامره بالاقتراب أكثر فيما يفعل ذلك بنفسه.

أصبح «ذلك» واضحًا.

«أوه، اللعنة»! قال الرئيس.

«أوه، اللعنة»! قال قائد قوات العمليات الخاصة المشتركة.

«أوه، اللعنة!» قال القائد على الأرض.

كان «ذلـك» صفًـا مـن الجثـث. كلهـا بمعاطـف معامـل بيضـاء. علماء الفيزيـاء يفترشـون الأرض. والجـدار وراءهـم مثقوب بفجـوات رصـاص، وملطـخ بالدمـاء.

«أحضـروا بطاقـات هوياتهـم»، قـال القائـد. «فتشـوهم بحثًـا عـن أي أوراق».

امتدت أياد ترتدي قفازات وفتشت الجثث.

«متى حدث هذا؟» سأل قائد العمليات الخاصة، قائد قوات النخبة في المصنع.

«يبدو أنهم ميتون منذ يوم، وربما أطول من ذلك».

لقد قتل شاه رجاله. لقد انعدمت أهميتهم. لقد حصل على ما يحتاج منهم، عرف وليامز.

لقد جُمعت أجزاء القنابل بالفعل، وبِيعت إلى القاعدة الذين هم الآن تحت حماية طالبان.

كان شاه يمحو آثاره وراءه فحسب.

«اعثروا على الوثائق»، أمر الرئيس. «أحتاج إلى تلك المعلومات».

«أجل، سيدي»!

يا إلهي، أرجوك. يا إلهي، أرجوك.

«المزيد من الجثث في الأعلى»، أتى صوت آخر، «في الطابق الثاني».

«وفي القبو. بحق المسيح، إنها مذبحة». قال صوت ثالث.

«احذروا من العبوات الناسفة»، أمرهم القائد فيما يفتش وضباطه المنشأة بدقة بحثًا عن وثائق أو كومبيوترات أو هواتف. أي شيء.

رفع الرئيس يده، وأمسك وجهه في حين يحدق إلى الشاشات. عيناه جاحظتان. وأنفاسه متسارعة.

«نحتاج إلى أن نعرف أين أُرسلت القنابل»، كرر.

تسعون ثانية مضت ولا شيء.

دقيقتان وعشر ثوانٍ. ولا شيء.

«لم نعثر على أي شيء بعد». بلّغ القائد. «سنواصل البحث».
«ولا إشارة إلى وجود مصايد مفخخة».
استدار رئيس قوات العمليات الخاصة المشتركة إلى الرئيس.
«ذلك غريب».
«ولكن جيدٌ، صحيح؟»
«أظن ذلك»، بدا الرجل مضطربًا.
«أخبرني؟»
«أنا قلق من أن أيًا كان من فعل ذلك يريد أن يتوغل رجالنا داخل المكان قبل أن يوقع بهم».
«ماذا يمكننا أن نفعل؟»
«لا شيء».
«ألا يجب أن نحذرهم؟» أومأ الرئيس برأسه تجاه الشاشة.
«يعرفون ذلك».
أدار الأشخاص في حجرة العمليات وجوههم المتجهمة إلى الشاشات وراقبوا فيما يتقدم ضباط الصاعقة أعمق داخل المصنع بحثًا عن معلومات مهمة، وهم يعرفون تمام المعرفة ما قد يكون في انتظارهم.
«سيدي الرئيس».
أجفل وليامز، وقد تشتت تركيزه قبل أن ينظر نحو الباب حيث وقف نائب رئيس الأركان المشتركة. كان يمسك بإطار الباب ويبدو مريضًا. ظهر من ورائه الرجال والنساء الذين كانوا يراقبون الأحداث فوق الهضبة.
نهض وليامز.

استطاع أن يرى من التعبيرات على وجوههم أن الأخبار ليست جيدة.

«أجل، أيها اللواء؟»

«لقد رحلوا».

«عذرًا؟» قال ولیامز.

«الجميع موتى. الفرقة كلها.

خيم صمت مميت.

«الجميع؟»

«نعم، سيدي. لقد حاولوا تعطيل المتمردين لكنهم كانوا كثيرين جدًا. يبدو أنهم قد تلقوا تحذيرًا مُسبقًا بالهجوم».

نظر ولیامز إلى رئيس العمليات الخاصة الذي كان مصعوقًا. ثم عاود النظر إلى الرجل عند الباب.

«استمر، أيها اللواء». قال الرئيس، وهو ينتصب في وقفته، ويتأهب.

لأن لدي المزيد.

«ما إن أصبح واضحًا أن رجال البشتون والقاعدة يفوقونهم عددًا، وأنه لا مهرب، أمرتهم القائدة المسؤولة عن العملية بأن يمسكوا جثة أي إرهابي يستطيعون الوصول إليه كدرع بشري، ويقاتلوا حتى النهاية».

«يا إلهي»! أغمض الرئيس عينيه، ونكس رأسه، وحاول أن يتخيل...

لكنه لم يستطع.

انتصب في وقفته ثانية، واستنشق نفسًا عميقًا ثم أومأ برأسه.

«شكرًا، أيها اللواء. ماذا عن الجثث؟»

«لقد أرسلت مروحيات مسلحة حتى تحاول استعادتهم لكن...»

بدا اللواء مريضًا جسديًا.

«حسنًا، شكرًا. أريد أسماءهم».

«حسنًا، سيدي».

سيتاح الوقت لرثائهم لاحقًا.

عاد الرئيس إلى المصنع حيث يتوغل ضباط الصاعقة أعمق وأعمق إلى ما بدا أنه مصيدة غالبًا.

لكنهم يحتاجون إلى تلك المعلومات.

أي المدن الأمريكية تربض الآن فوق قنابل نووية على وشك الانفجار؟!

***

فتشت بيتسي حمام السيدات ثم أقفلت الباب. كانتا وحدهما غير أن ذلك لا يعني أن لا أحد يتنصت عليهما.

«ما الأمر؟» همست. «ماذا حدث؟»

جلست إيلين فوق أريكة حريرية، وحدقت إلى صديقتها التي جلست إلى جانبها.

«لقد قُتل بِيت هاملتون»، همست إيلين. «كومبيوتره المحمول وهاتفه وأوراقه كلها مفقودة».

«أووووه»!، انهارت بيتسي، كأنّ كل عظمة في جسدها قد تحلَّلت والوجه الحماسي للرجل الشاب يتراءى أمام عينيها.

هي من جندته للعمل لصالحهم وأقنعته بمساعدتهم.

لو أنها لم...

«تلك الرسالة الأخيرة منه، متى وصلت إليكِ؟» سألتها إيلين.

لملمت بيتسي شتات نفسها، وتفقدت هاتفها ثم أخبرتها.

«ثم لا شيء بعد ذلك؟ ولا أي تفسير؟»

هزت بيتسي رأسها. فجأة لم تعد «هلي» مهمة باعتبارها خطأ إملائيًا غامضًا، بل أصبحت الرسالة العاجلة والأخيرة من شاب ربما كان خائفًا على حياته.

«لكن ثمة المزيد»، قالت إيلين. بدت أشبه بشبح. «قوات الهجوم المضلل... ضباط الصاعقة...»

«أجل؟»

استنشقت إيلين نفسًا عميقًا.

«لقد قُتِلوا».

حدقت بيتسي إلى إيلين. تريد أن تشيح بعينيها بعيدًا. أن تُغمض عينيها. أن تنسحب ثواني قليلة فحسب إلى الظلام. غير أنها لا تستطيع أن تهجر صديقتها حتى من أجل لحظة ثمينة واحدة. بدلًا من ذلك مدت يدها، وأمسكت يد إيلين.

«كلهم؟»

أومأت إيلين.

«ثلاثون ضابط صاعقة، وطيارا مروحية. رحلوا».

«يا إلهي»، تنهدت بيتسي ثم سألت السؤال الذي كانت تخشاه.

«والآخرون؟ في المصنع؟»

«لا كلمة عنهم».

كان ثمة طرقة على الباب، وتحرك المقبض.

«سيدتي الوزيرة»، هتف صوت امرأة. «أنتِ على ما يرام؟»

«لحظة فقط»، ردت بيتسي. «سنخرج حالًا».

«هل تحتاجان إلى مساعدة؟»

«لا»، انفعلت بيتسي ثم كبتت انفعالها بداخلها سريعًا. «شكرًا. نحتاج إلى قليل من الوقت. معدة مهتاجة». وهو ما كان حقيقيًا الآن.

حدقتا كلتاهما إلى الهاتف الذي تقبض عليه يد إيلين. تنتظران رسالة أخرى من البيت الأبيض.

البيت الأبيض، فكرت إيلين. تلك كانت الرسالة من بوينتون. هذا ما قاله المخبر الإيراني مع نَفَسه الأخير.

«أريني رسالة بِيت هاملتون ثانية».

رسالة أخرى من رجل على وشك أن يموت. ويعرف ذلك. لم تكن رسالته تشير إلى البيت الأبيض لكن ربما كانت كذلك أيضًا.

هلي.

ظهرت رسالة موسومة بعلامة «عاجلة»، فوق شاشة هاتف إيلين. كانت قادمة من البيت الأبيض.

***

حدق الرئيس إلى الشاشات فيما ينهي ضباط الصاعقة في المصنع تمشيطهم الثاني للمكان. ثم التفت إلى رئيس قوات العمليات الخاصة المشتركة.

«أعدهم إلى الوطن».

«حسنًا، سيدي».

***

توجهت إيلين إلى حجيرة المرحاض وانهارت على ركبتيها، وتقيأت في حين تحدق بيتسي إلى السطور القليلة فوق الشاشة التي أرسلها الرئيس وليامز.

المصنع خالٍ. علماء الفيزياء والتقنيون قتلى. لا أوراق أو كومبيوترات أو أي فكرة مطلقًا عن أين أُرسِلت القنابل. عُثر على أدلة على وجود مواد انشطارية في المكان من قبل. ستخضع المواد للتحليل الذري. لا معلومات عن الوجهات التي نُقلت إليها.

لا شيء.

عرفت بيتسي أن عليها أن تذهب إلى إيلين وتساعدها. وأن عليها أن تجد مناشف باردة من أجل وجهها. مع هذا لم تستطع الحركة باستثناء إغماض عينيها أخيرًا. غطتهما بيدين مرتعشتين، وشعرت بخديها مبللين تحت كفيها.

بِيت هاملتون ميت.

أفراد فرقة الصاعقة الذين أُرسلوا من أجل الهجوم المضلل موتى.

علماء الفيزياء موتى، والمصنع خال.

كان كل هذا من أجل لا شيء.

ما زالوا لا يمتلكون أدنى فكرة، أي فكرة على الإطلاق عن أين زُرِعت القنابل النووية. أو متى ستنفجر.

الشيء الوحيد المؤكد أن ذلك على الأرجح قريب جدًا.

الفصل السابع والثلاثون

«سيدتي الوزيرة؟»

هذه المرة كان الصوت القادم من وراء الباب هو صوت العميل كواليسكي، مدير فريق أمنها الدبلوماسي.

«هل تحتاجين إلى مساعدة؟»

«لا، لا. شكرًا لك. امنحني دقيقة فقط. سنرش المياه على وجهينا ونخرج».

وهو ما فعلتاه بالفعل، لكن إيلين كانت تُبقي المياه جارية لتحجب ما كانت على وشك أن تقوله لبيتسي.

«أعتقد أنني أعرف ما عناه بِيت هاملتون»، همست.

«عذرًا؟»

««هلي». الرسالة».

«إذًا لم تكن خطأ إملائيًا أرسله إليّ في لحظة هلع؟»

«لا أعتقد ذلك. منذ سنوات، وبعد تولي إيريك دَن الرئاسة، أتى آليكس هوانج إليّ».

«مندوب البيت الأبيض الأول في جريدتكِ؟» قالت بيتسي.

«أجل، كان قد استمع إلى محادثة بين بعض أصحاب نظريات المؤامرة المغمورين على الإنترنت. إشارات مبهمة إلى غرفة ويب؛ موقع إلكتروني يُدعى هلي. بحث في الأمر، ووصل إلى أن «هلي» هذا إمّا دعابة وإمّا مجرد فكرة ينشرها متشددو اليمين المتطرف المتوهمون. على أي حال، لم يكن له وجود».

«أنت متأكدة من أنه كان «هلي»؟ كيف تستطيعين تذكر ذلك التفصيل الدقيق من سنوات مضت؟»

«بسبب ما ترمز إليه حروف كلمة «هلي». وبسبب القصة المحتملة من ورائها إنْ كانت صحيحة».

«ماذا تعني؟»

«مخبر رفيع المستوىHigh-level Informant . داخل البيت الأبيض».

«لكنها قصة وهمية، أليس كذلك؟ موظف كبير خيالي... ماذا؟ ينقل معلومات سرية إلى اليمين البديل؟» سألت بيتسي «الأطباق الطائرة في المنطقة ٥١. وجود كائنات فضائية بيننا. أسطورة أن التطعيمات تحتوي على أجهزة تعقب. ولا وجود لدولة اسمها فنلندا. تلك النوعية من القصص. اختلقوا أشياء، ونسبوها إلى «هلي» هذا؟»

«ذلك ما اعتقد هوانج في بادئ الأمر. شيء غريب لكنه غالبًا غير مؤذ. سأل حتى بِيت هاملتون عنه في أحد بيانات البيت الأبيض الصحفية. أنكر بِيت معرفته بأي شيء، وقرر هوانج أنه مجرد جحر أرنب آخر. مع هذا طلبت منه أن يفتش وراء الأمر أطول قليلًا».

«لماذا؟»

«لأن معظم جحور الأرانب لا تقود إلى أي شيء، لكن ثمة احتمال دائم أن ذلك الجُحر بالتحديد ربما يقود إلى شيء مختلف».

«إلى داخل الشبكة المظلمة».

«لا أعرف حقًا».

«لكن آليكس هوانغ توقف عن البحث في النهاية؟»

أدهش إيلين دائمًا حقيقة أن الصحافيين الذين يغطون أخبار الحكومة والبيت الأبيض يُدعَون «مندوبين»، كأنّ البيت الأبيض أرض أجنبية، غير أنها ترى السبب الآن. إنه دولة داخل دولة، بقواعد سلوكية مختلفة، وبجاذبيته وأجوائه الخانقة، وبحدوده وفواصله المتغيرة.

الحيوان القومي لتلك الدولة كان إشاعة.

وكان البيت الأبيض مُبتلى بالإشاعات.

الموظفون القدامى نجوا من التغيرات المتعاقبة في الإدارة عن طريق معرفة أي الإشاعات حقيقة وأيها ليس حقيقة. وربما الأهم من ذلك، أنهم قد عرفوا أي إشاعة كاذبة قد تكون رغم زيفها مفيدة.

«أجل، لم يستطِع أن يذهب بعيدًا. وذلك أغرب ما وجده في الأمر. معظم الذين يروجون لنظريات المؤامرة يرغبون في أكبر قدر ممكن من الدعاية. يريدون أن ينتشر «سرهم» على أبعد وأوسع نطاق. لكن الذين عرفوا «هلي» لم يريدوا ذلك مطلقًا. في الواقع بدوا حريصين على إبقاء الأمر طي الكتمان. لذا، أجل، توقف أخيرًا عن البحث. ثم استقال من الوظيفة بعد ذلك بمدة ليست طويلة».

«أين ذهب؟ التحق بجريدة أخرى؟»

«لا، أعتقد أنه انتقل إلى فيرمونت. ربما إلى جريدة هناك. حياة أهدأ. العمل مندوبًا في البيت الأبيض وظيفة مُهلِكة».

«حسنًا، سأحاول العثور عليه».

«لماذا؟»

«لأنني أرغب في متابعة البحث في الأمر. لو أنّ لـ«هلي» وجودًا حقيقيًا، وكان له علاقة بما يحدث، فإننا نحتاج إلى اكتشاف ذلك. من أجل بيت».

لم يكن مجرد تعبير أجوف. كان الواقع. شعرت بيتسي بواجب تجاه الرجل الشاب.

«حسنًا، لكن ليس أنتِ»، قالت إيلين. «سوف أكلف شخصًا آخر من أجل القيام بذلك».

«لماذا ليس أنا؟»

«لأن بِيت هاملتون قُتِل بسبب طرحه أسئلة».

«وتعتقدين يا عزيزتي أنه لو انفجرت تلك القنابل فلن نجد أنفسنا جميعًا في مأزق كبير؟» قالت بيتسي. «سأبحث في الأمر. الآن ما الذي كانت تلك الحروف الأولى ترمز إليه مجددًا؟»

ابتسمت إيلين ابتسامة طفيفة.

«إنكِ امرأة سخيفة حقًا»، قالت بمزاح قبل أن تغلق الصنابير. «مستعدة؟»

«لنحاول مرة أخرى يا صديقتي العزيزة»[64]. قالت، وهي تتفقد طلاء شفاهها في المرآة.

خرجتا من الحمام ليستقبلهما وجه رئيس الوزراء الساخط مباشرة. كان علي عوان يقف في الردهة البديعة ويداه وراء ظهره،

64- Once more unto the breach, dear friend. الاقتباس من مسرحية الملك هنري الخامس لوليام شكسبير. (المترجم).

وتعلو وجهه نظرة قاسية. تجمَّع من خلفه كل رجل وامرأة حضروا العشاء، بمن فيهم الرباعي الوتري، وكانوا يحدقون جميعًا إليهما.

«سيدتي الوزيرة، متى كنتِ تخططين لإخباري؟» أمسك هاتفه حيث وصلت إليه للتو رسالة عن الطبيعة الحقيقية لغارتيّ قوات العمليات الخاصة الليلة.

لقد تحملت إيلين ما يكفي.

«متى كنت تخطط أنتَ لإخباري، سيدي رئيس الوزراء؟» إذا كان غاضبًا فقد كانت دماؤها تغلي. «أجل، اشتبكت قواتنا الخاصة مع متمردي القاعدة في باجور الليلة، وكلفهم ذلك ثمنًا باهظًا، فيما هاجمت قوة أخرى مصنع الأسمنت المهجور. لم يكونوا البريطانيين، بل نحن، وأجل، كان الهجوم عميقًا داخل الأراضي الباكستانية. وهل تعرف لماذا؟»

تقدمت خطوتين باتجاهه، وبالكاد منعت نفسها من الإمساك برداء الكورتا المزخرف الطويل الذي يرتديه.

«لأن ذلك هو المكان الذي يتمركز الإرهابيون فيه. ولماذا هم هناك؟ لأنكم أعطيتموهم جنة آمنة. لقد سمحتم لأعداء الغرب والولايات المتحدة بأن يعملوا من داخل بلدكم. ولماذا لم نخبركم بغارات الليلة؟ لأننا لا نستطيع الوثوق بكم. لم تسمح للقاعدة بأن تبني قواعد داخل باكستان فحسب، بل سمحت لبشير شاه باستخدام مصنع مهجور من أجل صنع أسلحته. أنتم...» خطت خطوة أخرى نحوه فيما يتراجع إلى الوراء. «... بالتأكيد». خطوة أخرى. «...مسؤولون».

كانـت ملتصقـة بـه الآن، وتنظـر مباشـرة إلـى وجهـه اللامـع بحبيبـات العـرق.

«وكيـف يمكننـا الوثـوق بكـم الآن؟» قـال عـوان، وقـد اسـتعاد رباطـة جأشـه. «لقـد كذبـتِ، سـيدتي الوزيـرة. أنـتِ هنـا لغـرض وحيـد، ألا وهـو تشـتيتنا».

«بالطبـع فعلت. وسأفعل هذا ثانية إنْ اقتضى الأمر».

«لقد انتهكتِ شرفنا الوطني».

مالـت مقتربـة منـه، وقالـت: «اللعنـة علـى شـرفكم. لقـد فقـد اثنـان وثلاثـون فـردًا مـن قواتنـا الخاصـة حياتهـم الليلـة فـي أثنـاء محاولتهـم منـع كارثـة سـمحتم أنتـم بحدوثهـا».

«أنا...» كان رئيس الوزراء محاصرًا مجازيًا وحرفيًا.

«أنـتَ مـاذا؟ لـم تعـرف بذلـك؟ أو لـم ترغـب فـي أن تعـرف ذلـك؟ عندمـا أطلقـت سـراح شـاه، مـا الـذي اعتقـدت أنـه سـيحدث؟»

«لم نمتلك...»

«خيـارًا؟ هـل تمـزح معـي؟ أمـة باكسـتان العظيمـة رضخـت لمجنـون أمريكـي؟»

«بل لرئيس أمريكي».

«وكيف ستشرح هذا للرئيس الأمريكي الحالي؟»

حدقت إليه.

بدا رئيس الوزراء الباكستاني مصعوقًا.

لقـد سـقط مـن فـوق الحبـل المشـدود المرتفـع غيـر أنـه لا يـزال يتشـبث بـه بيـد واحـدة. متشـبثًا بحياتـه، ومتدليًـا فـوق هـوة.

«تعال معي».

أخذت بذراعه، ودفعته دفعًا داخل حمام السيدات.

تبعتهما بيتسي، وأقفلت الباب قبل أن يستطيع أي أحد آخر أن يتبعهم.

«سيدي رئيس الوزراء»، صاح مدير أمنه. «ابتعد عن الباب».

«لا»، هتف عوان. «انتظر، لستُ في خطر». نظر إلى إيلين. «هل أنا في خطر؟»

«لو كان الأمر بيدي...» بدأت إيلين تتحدث ثم استنشقت نفسًا عميقًا. «انظر، أحتاج إلى معلومات. لقد استأجر شاه علماء فيزياء نووية لصنع القنابل، واستخدم ذلك المصنع في باجور من أجل ذلك».

«قنابل؟»

تفحصته إيلين بعينيها.

هل هذا ممكن؟ هل من الممكن أن الدكتور عوان لا يعرف؟ فكرت.

إن نظرة الفزع البادية على وجهه توحي بأنه ربما لم يكن يعرف. ربما وجدا أخيرًا خطًا أخلاقيًا لم يتجاوزه بعد.

« بداخل المصنع أدلة على وجود مواد انشطارية».

«قنابل نووية؟»

حاول أن يستوعب الموقف. تحول تعبير وجهه من الفزع إلى الرعب.

«أجل. ماذا تعرف؟»

«لا شيء. يا إلهي».

استدار مبتعدًا عنها، وبدأ يذرع المساحة المترفة، وهو يدور حول وسائد ضخمة مكسوة بالحرير، ويده فوق جبهته.

«هيا، لا بد أنك تعرف شيئًا». قالت إيلين، وهي تتبعه. «مخابراتنا تخبرنا بأن القنابل بيعت إلى القاعدة، ونُقِلت بالفعل إلى أهدافها».

«أين؟»

«تلك هي المشكلة». مدت يدها وأوقفته، وأدارت جسده حتى يواجهها. «لا نعرف. كل ما نعرفه أنها في ثلاث مدن أمريكية كبرى. نحتاج إلى أن نعرف موقعها الدقيق، والموعد المحدد لانفجارها. نحتاج إلى أن تساعدنا، سيدي رئيس الوزراء، وإلا ...»

أصبح تنفس رئيس الوزراء سريعًا ومتقطعًا، وخشيت بيتسي من أنه قد يُغمى عليه. كان واضحًا أنه ربما شك في بعض من هذا لكن كل هذه التفاصيل كانت صادمة.

جلس بتثاقل فوق أحد المساند العثمانية.

«لقد حذرته. لقد حاولت أن أحذره».

«من؟» جلست على المسند المجاور له، ومالت إلى الأمام.

«دَن. لكن مستشاريه كانوا عنيدين، وأصروا على إطلاق سراح الدكتور شاه».

«أي مستشارين؟»

«لا أعرف. كل ما أعرفه أنه استمع إليهم، ولم أستطع إقناعه».

«اللواء وايتهيد؟»

«رئيس الأركان المشتركة؟ لا، كان ضد الفكرة».

فكرت بيتسي أن اللواء وايتهيد لا بد من أنه سيعارض الفكرة علنًا. ثم سرحت بأفكارها في بيت. حماسه الممتزج بالخوف عندما عثر على تلك الوثائق مدفونة في الأرشيف الخاص التي تشير بإصبع الاتهام إلى رئيس هيئة الأركان المشتركة.

هل كان وايتهيد هو «هلي»؛ المخبر رفيع المستوى؟ لا بد أنه هو. ولكن يوجد احتمال أنه لم يفعل ذلك بمفرده. كان الجاسوس في البنتاغون. فهل من الممكن أن يكون داخل البيت الأبيض نفسه شخص آخر؟

«أين شاه الآن؟» سألت إيلين عوان.

«لا أعرف».

«من يعرف؟»

لحظة صمت.

«من يعرف؟» سألته. «وزير دفاعك؟»

خفض الدكتور عوان عينيه في ذلٍّ.

«ربما».

«استدعه إلى هنا».

«هنا؟» دار بعينيه في حمام السيدات.

«إلى مكتبكَ إذًا. في أي مكان. لكن بسرعة».

أخرج عوان هاتفه واتصل.

رن الهاتف. رن. ورن.

قطب رئيس الوزراء حاجبيه. أرسل رسالة نصية ثم اتصل برقم آخر.

«اعثر على اللواء لاخاني. فورًا».

بينما يفعل ذلك، أرسلت إيلين رسالة إلى الرئيس تقترح فيها استدعاء تيم بيتشام من لندن. استلمت ردًا فوريًا بأن بيتشام سيطير إلى العاصمة على متن طائرة نفاثة عسكرية.

وأريدك أن ترجعي إلى هنا أيضًا. كتب الرئيس.

سكتت إيلين هنيهة قبل أن تكتب رسالتها.

أعطني بضع ساعات أخرى، رجاء. قد أحصل على الأجوبة هنا.

ضغطت على زر إرسال. أتى رده في غضون لحظات.

أمامكِ ساعة واحدة ثم أريدك على متن إير فورس٣.

أرادت إيلين أن تضع الهاتف جانبًا ثم أعادت التفكير في ذلك. لديها سؤال آخر.

الأسلحة التي استُخدِمت لقتل الفيزيائيين؟

روسية.

نظرت إلى رئيس الوزراء عون وسألت:

«ما مدى تدخل الروس في باكستان؟»

«لا يوجد تدخل على الإطلاق».

تأملته في صمت.

نظر إليها. كان هدوء الوزيرة آدمز بطريقة ما مُوتّرًا أكثر من صياحها فيه.

وأين كان اللواء لاخاني بحق الجحيم؟ لقد ورطهم في هذا. ويجب أن يكون الشخص الذي يواجه ثورة الغضب هذه.

«أعرف أنك اعتقدت أنني حمقاء غير كفؤة»، فاجأته قائلة، «تستطيع خداعها».

«لقد أعطيتِ ذلك الانطباع، سيدتي الوزيرة. أرى الآن أنه كان عن عمد».

«هل تعرف رأيي فيك؟»

«أنني أحمق غير كفؤ، تستطيعين خداعه؟»

اعتقدت بيتسي وهي تنصت إلى هذا، أنه من الصعب أن لا تُعجَب بذلك الرجل غير أنه من الأصعب الوثوق به.

«حسنًا، ربما قليلًا»، اعترفت إيلين. «لكن اعتقدت أنك على الأغلب رجل صالح في موقع مستحيل، ولا تُحسد عليه. وما زلت أعتقد هذا. لكن حان وقت الحساب. لحظة الحقيقة. تحتاج إلى الاختيار. نحن أم الجهاديون؟ هل تنحاز إلى الإرهابيين أم إلى حلفائك؟»

«إذا اخترتكم، إيلين، إذا ساعدتكم...»

«قد تكون هدفهم التالي. أعرف ذلك». نظرت إليه ببعض الشفقة. «لكن لو اخترت الإرهابيين، فسوف يقتلونك في النهاية على أي حال. عندما تصبح عديم الفائدة لهم. وسأخبرك يا علي، أنت تقف أمام ذلك الخط الآن. وبعد الليلة، ربما تكون قد عبرته. يبدو أن شاه ينظف وراءه، وتعرف أنك جزء من نفايته. أملُك الوحيد في أن تساعدنا في العثور عليه».

راقبته يصارع شيئًا داخليًا.

«هل تريد حقًا أن تسقط باكستان في أيدي الإرهابيين والمجانين؟ في أيدي الروس؟»

ملوك ورجال يائسون، فكرت بيتسي.

غير أنهم كانوا اليائسين الآن.

«لا أعرف أين شاه. لا أعرف حقًا»، قال عوان. «اللواء لاخاني قد يستطيع إخبارك لكنني أشك في أنه سيفعل. سألتني عن الروس. هم ليسوا حلفاءنا، لكن عناصر داخل باكستان متورطون مع المافيا الروسية».

«بمن فيهم اللواء لاخاني؟»

بدا رئيس الوزراء تعيسًا تعاسة كبيرة. أومأ برأسه.

«أعتقد ذلك».

«يهرِّب الأسلحة من المافيا الروسية إلى شاه؟»

أومأ.

«ويتضمن ذلك موادّ انشطارية؟»

أومأ.

«ثم من شاه إلى القاعدة؟»

أومأ.

«ويُوفر للإرهابيين جنة آمنة».

أومأ.

كادت إيلين تسأل عوان لماذا لم يضع حدًا لكل هذا غير أنه ليس الوقت المناسب. لو نجوا من هذا، فستفعل.

وتعرف إيلين جيدًا أيضًا أن الحكومة الأمريكية قد تحالفت مع حصتها من الشياطين على مر تاريخها. أحيانًا كان شرًا ضروريًا. ونادرًا ما كان صفقة رابحة حتى.

حدد عوان اختياره أخيرًا تحت أنظار الوزيرة آدمز. أفلت الحبل المشدود، وسقط سقوطًا حرًا.

«إذا امتلك بشير موادّ انشطارية»، قال. «فلا بد من أنه على تواصل مع المستويات العليا داخل المافيا الروسية».

«مَن؟»

ما إن تردد عوان حتى همست إيلين.

«لقد قطعت مسافة طويلة يا علي. خطوة واحدة أخرى».

«ماكسيم إيفانوف. لا يعترف بذلك قطعًا لكن لا شيء يحدث دون تدخل الرئيس الروسي. لا أحد يستطيع الحصول على تلك الأسلحة والمواد الانشطارية دون موافقته. لقد جنى مليارات من وراء ذلك».

كان لديها شكوكها.

كلفت قسم التحقيقات في إحدى جرائدها الكبرى في البحث في علاقة إيفانوف بالمافيا الروسية لكن بعد ثمانية عشر شهرًا من المحاولة لم يصلوا إلى أي شيء. لن يوافق أي أحد على الحديث. ومن قد يتحدثون يختفون.

صنع الرئيس الروسي تلك الكيانات. وأعطاهم الثروة والقوة. وتحكم فيها. وسيطرت تلك الكيانات على المافيا الروسية.

كانت المافيا الروسية الخيط الذي يربط كل العناصر. إيران. شاه. القاعدة. باكستان.

تعالى صوت أزيز مع وصول رسالة أخرى موسومة بالأحمر.

كانت من الرئيس وليامز.

تعرفوا على طبيعة المواد الانشطارية في المصنع. كانت يورانيوم-٢٣٥، استُخرج من جنوب جبال الأورال، وبلغت لجنة المراقبة التابعة للأمم المتحدة عن اختفائها قبل عامين.

استوعبت إيلين ذلك ثم استجمعت شجاعتها، وأرسلت ردًا.

كان لديها سؤال أخير لرئيس الوزراء عوان.

«هل تعني «هلي» أي شيء لك؟»

««هلي»؟ آسف. لا».

وقفت الوزيرة آدمز. ثم غادرت، وهي تشكره. لكن قبل أن ترحل، طلبت منه أن لا يذكر أي شيء مما تحدثا فيه إلى أي أحد.

«لا تقلقي. لن أفعل».

صدقت ذلك.

***

نظر الرئيس وليامز داخل المكتب البيضاوي إلى هاتفه، وتمتم: «اللعنة»!

لقد تحولت الليلة من مرعبة إلى أسوأ من ذلك حتى.

وفقًا للرسالة من وزيرة خارجيته، فالمافيا الروسية قد تكون متورطة. وهو ما يعني أن الرئيس الروسي متورط بدوره على الأغلب.

لم تراود دوج وليامز ذرة شك في أنه يجلس فوق قنبلة نووية. وكان خائفًا. لا يريد -مثل أي شخص آخر- أن يموت. والأهم من ذلك، لا يريد أن يفشل.

أمر بإخلاء البيت الأبيض برمته مع الإبقاء على العاملين الأكثر ضرورة فقط.

كان المتخصصون يمشطون المكان بحثًا عن آثار إشعاع صادر عن يورانيوم-٢٣٥ غير أن الرئيس وليامز يعرف أن ثمة طرائق لحجبها. ويعرف أن البيت الأبيض يزخر بالأماكن المثالية لإخفائها. قنبلة نووية، إنْ كانت كذلك، يمكنها أن تختفي داخل حقيبة يد.

وثمة الكثير منها في المبنى القديم الذي يعج بالدهاليز.

نظر وليامز إلى رسالة إيلين آدمز ثانية.

لن تعود إلى واشنطن. ليس بعد. سوف تستقل طائرة إير فورس ٣ إلى موسكو. وتسأله إذا كان يستطيع أن يرتب لها لقاء مع الرئيس الروسي.

فكر الرئيس لحظة مقتضبة أن الخائن بينهم قد يكون وزيرة خارجيته. لذلك تُبعِد نفسها عن القنابل النووية بأكبر مسافة ممكنة غير أنه سرعان ما استبعد تلك الفكرة.

عرف أن ذلك أحد أعظم المخاطر. أن الناس في فزعهم، ينقلب بعضهم على بعض. يشك بعضهم في بعض.

لو أنهم سينجحون، فإنهم يحتاجون إلى البقاء متحدين.

بينما قد يكون جالسًا فوق قنبلة نووية، فإن إيلين آدمز بالكاد أفضل حالًا منه. كانت وزيرة خارجيته تتوجه إلى عرين الأسد.

ما أفضل طريقة للموت؟ أن تحترق أم تُمزق إربًا؟

طوى ذراعيه فوق مكتب رزوليت، وأنزل رأسه. أغمض عينيه لحظة فقط، وتخيل مرجًا من زهور برية، وغديرًا يلمع تحت أشعة الشمس. وكلبه الريتريفر بيشوب، يقفز وراء الفراشات التي لا يستطيع الإمساك بها. ثم يتوقف بيشوب، وينظر إلى السماء ويتأمل ربما انعكاس فطر عيش غراب.

رفع الرئيس رأسه، ومسح وجهه بيديه، ثم أجرى مكالمة إلى موسكو.

يا إلهي، فكر. *لا تدعني أرتكب خطأ فادحًا الآن.*

***

في طريقها إلى المطار، دست إيلين يدها داخل جيب معطفها لتُخرج هاتفها.

كانت حركة غريزية. واصلت نسيان أنها تعطيه إلى مدير أمنها الدبلوماسي بعد كل مرة تستخدمه فيها.

لكن...

«ما هذا؟»

«ماذا؟» سألت بيتسي التي بدت مستنزفة، ومجهدة، ومتعبة ذهنيًا.

تساءلت بداخلها إلى متى ستستطيعان الاستمرار على هذه الشاكلة، لكنها فكرت في بيت هاملتون، وضباط الصاعقة فوق الهضبة.

أطول. إلى أن ينتهي الأمر. كانت تلك هي الإجابة.

أمسكت إيلين بقصاصة ورق بين إبهامها وسبابتها.

«ستيف؟»

استدار في المقعد الأمامي.

«أجل، سيدتي الوزيرة؟»

«هل لديك حقيبة أدلة؟»

نبرة صوتها أجبرته على النظر إليها من كثب، ثم إلى قصاصة الورق التي كانت تمسكها. مد يده إلى الفراغ بين المقاعد، وأخرج حقيبة صغيرة.

أسقطت إيلين الورقة بداخلها لكن ليس قبل أن تلتقط بيتسي صورة لما كُتب عليها بخط دقيق، ومنمق حتى.

1600 10 3

«ماذا تعني؟» سألت بيتسي.

«لا أعرف».

«من أين أتت؟»

«كانت في جيبي».

«أجل، لكن من وضعها هناك؟»

كانت إيلين تسترجع أحداث الأمسية.

لم تكن بداخل جيب معطفها عندما ارتدته على متن إير فورس ٣ عند وصولها إسلام آباد منذ ما يبدو أنه الأبدية. كان بإمكان الكثير من الأشخاص أن يدسوا الورقة في جيبها لاحقًا غير أن معظم ضيوف العشاء كانوا يبعدون عنها بمسافة. ولا تعتقد أن رئيس الوزراء عوان أو وزير الخارجية قد اقترب منها بالقدر الكافي لفعل ذلك. ولم يقترب اللواء لاخاني منها أيضًا.

«إذًا من؟»

تراءت أمامها عينان. عينان بنيتان غامقتان. وصوت بلكنة خفيفة فيما ينحني صاحبه مقتربًا منها حتى أنها قد شمت رائحة عطره. الياسمين.

«سلطتكِ، سيدتي الوزيرة».

ثم اختفى. ولم يظهر مرة أخرى بقية الأمسية. مع هذا كان هناك حتى يدس هذه الورقة في جيبها. كانت متأكدة من ذلك. وكانت متأكدة من شيء آخر.

«كان شاه». صوتها يكاد يُسمع.

«شاه؟» صارت بيتسي في كامل يقظتها الآن. «لقد أرسل أحدهم ليعطيكِ إياها؟ مثل الزهور؟»

«لا، أقصد أنه كان شاه نفسه. النادل الذي قدم لي السلطة. كان شاه».

بدت بيتسي كأنها شاهدت شبحًا. شبحًا شريرًا.

«هل كان هناك الليلة؟ يا إلهي، إيلين».

«أعطني الهاتف بسرعة، ستيف». ما إن أعطاها الهاتف حتى أجرت المكالمة.

«أنا الوزيرة آدمز. صلني بأي شخص موجود في مكتب الاستخبارات بالسفارة».

بعد دقيقة مؤلمة حاولت خلالها إقناع عامل تحويل المكالمات في السفارة الأمريكية بإسلام آباد بأنها حقًا وزيرة الخارجية، أغلقت إيلين الخط أخيرًا، واتصلت بالسفير مباشرة.

«أحتاج عنوان منزل بشير شاه في إسلام آباد»، قالت. «وأحتاج إلى أفراد أمن ومخابرات أن يقابلوني عند بيته حالًا. مسلحين تسليحًا كاملًا».

«حسنًا»، غمغم السفير، وهو يصارع من أجل الاستفاقة من نوم عميق. «لحظة واحدة، سيدتي الوزيرة، سوف أعطيك العنوان».

فعل ذلك.

وفي غضون دقائق كانوا في إحدى ضواحي إسلام آباد المحاطة بأشجار مورقة. شرعت بيتسي فيما ينتظرون وصول أفراد السفارة، تتقفى أثر آليكس هوانج، المندوب الصحفي السابق في البيت الأبيض الذي أزال الغبار عن «هلي».

أجرت إيلين مكالمة أخرى.

هذه المرة إلى رئيس الوزراء عوان. أطلعته على الأخبار

سـريعًا.

«هـل كان الدكتـور بشـير هنـاك الليلـة؟» قـال رئيـس الـوزراء المذهـول. «لا بـد مـن أن اللـواء لاخانـي قـد رتـب لذلـك. شـاهدته يمـزح مـع النـادل، وتسـاءلتُ...»

«لقد شاهدت ذلك أيضًا. أي أخبار عن اللواء؟»

«لا. نحن نبحث. قد يكون برفقة شاه».

«هل تأذن لي بدخول مقر إقامة شاه؟»

«ستفعلين ذلك على أي حال، أليس كذلك؟» قال.

«بكل تأكيد لكنني أعطيك الفرصة كي تفعل الشيء الصحيح».

«حسـنًا، لديكِ موافقتـي مـع أننـي غيـر متأكـد مـن أن محاكمنـا سـتؤيد أن لـدي السـلطة حقًـا لأمنحـكِ هـذا الإذن»، سـكت. «لكـن شـكرًا لثقتـكِ بـي».

لـم تكـن تثـق بـه تمامًـا. مـع ذلـك قـررت الآن أن تأخـذ تلـك المخاطـرة.

«هل الأرقام 3 10 1600 تعني أي شيء لك؟»

كررها ثم سكت هنيهة، وهو يفكر.

«أليس 1600هو عنوان البيت الأبيض؟»

امتقع وجه إيلين. كيف لم تلاحظ ذلك؟ 1600 جادة بنسلفانيا.

«بلى».

لكن مـاذا قـد تعنـي الأرقـام الأخـرى؟ 310، هـل كان وقتًـا؟ موعـد انفجـار القنبلـة فـي البيـت الأبيـض هـو 3:10 صباحًـا؟

«يجب أن أغلق الخط».

«حظًا موفقًا، سيدتي الوزيرة».

«ولك، سيدي رئيس الوزراء».

ما إن أنهت المكالمة حتى أخبرت بيتسي بما قاله عوان عن الأرقام.

«أجل، قد يكون ذلك صحيحًا». اتفقت بيتسي. «إحدى القنابل في البيت الأبيض. لقد شككنا في ذلك بالفعل. لكن إذا كان هنالك ثلاث قنابل فلماذا سيحذرك شاه بشأن واحدة فقط؟ أعتقد أن الأمر أبسط من ذلك. أعتقد أنها مشابهة لسابقاتها».

«سابقاتها؟»

«الحافلات. الأرقام التي حصلت عليها موظفة الشؤون الأجنبية، وحلّت شفرتها».

أمعنت إيلين في النظر إلى الأرقام.

«الحافلات؟ لقد وضعت القاعدة القنابل في حافلات تحمل الرقم 310 في مكان ما من الولايات المتحدة، وسوف تنفجر في الساعة 16:00؟»

«الرابعة مساء. أعتقد ذلك. أفترض أن الهدف من التفجيرات في لندن وباريس وفرانكفورت لم يكن قتل علماء الفيزياء الوهميين، بل كانت أيضًا تجربة نهائية من نوع ما لما سيحدث».

«لكن من المستحيل أن نعرف أسماء المدن»، قالت إيلين. «والرابعة مساء؟ في أي منطقة زمنية؟»

حدقت بيتسي إلى قصاصة الورق. ثم لاحظت شيئًا.

«إيلين، إن هذا ليس رقم 310، بل رقم 3، مسافة، ثم 10. هنالك ثلاث حافلات تحمل الرقم عشرة ستنفجر في الرابعة عصرًا حسب المنطقة الزمنية للمكان الموجودة فيه».

«لكن ذلك لا يبدو منطقيًا أيضًا». قال ستيف، واستدار في المقعد الأمامي. «أعتذر لكنني لم أستطع مقاومة الاستماع». بدا شاحبًا ومصدومًا مما سمعه. «إذا عرفنا بوجود ثلاث قنابل نووية على متن ثلاث حافلات ذوات رقم عشرة في مكان ما داخل الولايات، فكل ما يجب فعله هو إرسال إنذار إلى كل إدارة مواصلات لإيقاف الحافلات، وتفتشيها. لن يكون ذلك سهلًا لكنه ممكن. ولدينا الوقت لذلك».

تنهدت إيلين.

«أنت محق. لا يمكن أن يكون الأمر بتلك السهولة».

حدقوا إلى الأرقام.

لم تلحظ عينا إيلين المشوشتان والمحرومتان من النوم المسافة الصغيرة بين الأرقام في البداية لكنها كانت هناك. لا يمكن إغفالها بمجرد أن تراها.

1600 10 3

مع هذا لا يمتلكون أي فكرة عن معناها. وهو ما يجعل العثور على شاه الآن أهم من أي وقت مضى.

شعرت إيلين في أثناء نظرها إلى البيت المظلم بجزع، كأنّ مياهًا مثلجة تتحرك فوق جسدها. وتزحف باتجاه فمها وأنفها.

خشيت من أن تكون قد وصلت إلى طريق مسدود. إنها لا تعرف. لا تعرف أي شيء. لا تعرف ما عنته الرسالة. قد تكون حافلات. وقد تكون عن البيت الأبيض. وقد تكون أرقامًا عشوائية. بشير شاه يتلاعب بها. ويرغمها على إهدار وقت ثمين.

ما عرفته إيلين أنها كانت منهكة إنهاكًا شديدًا كي تحل الأمر بنفسها حتى لو كان بوسعها ذلك. لقد غفلت المسافة بين الأرقام. ما الذي قد غفلته أيضًا؟

«أرسلي إليّ الصورة التي التقطها».

ما إن فعلت بيتسي ذلك حتى أعادت إيلين إرسالها.

«إلى الرئيس؟» سألت بيتسي.

«لا يمكنه أن يكتشف أكثر مما نستطيع اكتشافه، ولو كان لـ«هلي» وجود حقًا، فإننا لا نستطيع أن نخاطر بأن يراها أي أحد آخر داخل البيت الأبيض. لقد أرسلتها إلى الشخص الذي حلَّ الشيفرة الأولى».

ثم أرسلت رسالة إلى دوج وليامز تحذره من أنه لو كان هنالك قنبلة نووية داخل البيت الأبيض، فربما ضُبِطت للانفجار في الثالثة وعشر دقائق ذلك الصباح.

***

تفقد وليامز الساعة.

كانت الساعة قد تجاوزت الثامنة بقليل.

يمنحهم ذلك ثماني ساعات.

الفصل الثامن والثلاثون

تجول جيل وآناهيتا في أرجاء البلدة الصغيرة. عثرا على طعام، وملأا الزجاجات الفارغة بالمياه ليحملاها إلى الآخرين. تحدثا طيلة الطريق إلى هناك ثم في طريق العودة، وهما يحملان الطعام الشهي الرائحة في حقائب قماشية. بدأ حديثهما بأن أخبر كل منهما الآخر بما حدث له خلال الأربع والعشرين ساعة السابقة. استمعت آناهيتا بتركيز في حين يصف جيل لقاءه بحمزة وهجوم أكبر عليه.

طرحت أسئلة، وأبدت تعاطفها، منتبهة لكل كلمة يقولها.

ثم سألها هو عمَّا مرت به.

تعرفه آناهيتا جيدًا حتى تعرف أنه كان تساؤلًا لبقًا. الشيء بالشيء. ولا شيء أكثر من ذلك. كانت أمها تقول كثيرًا إن أي أحد يستطيع طرح السؤال الأول. وأن السؤال الثاني، والثالث هو الأهم.

في أثناء علاقتهما، حينما كانا يسترخيان في الفراش بعد ممارسة الحب، كان جيل يسألها كثيرًا كيف كان يومها غير أنه نادرًا ما سأل سؤالًا ثانيًا، ولم يسأل سؤالًا ثالثًا مُطلقًا. وبينما يبدو مهتمًا بيومها بطريقة ما، فإنه نادرًا -إن لم يكن أبدًا- ما سألها كيف حالها هي.

عرفت آنا حدود اهتمامه بها. وعرفت أن عليها أن لا تتطوع بالإفشاء عن معلومات شخصية لأي أحد. وبالذات ليس لشخص لا يهتم حقًا بأمرها. ومع هذا لم تستطع منع نفسها من الاهتمام

بشأنه. مثل عطيل، لم تحبّ حبًا حكيمًا، بل أحبت حبًا جامحًا. مع أن عطيل قد تلقى الحب في المقابل. مأساته أنه لم يعرف ذلك قط.

في أثناء مشيهما عبر الأزقة المعتمة للبلدة الباكستانية الصغيرة، مغلفين برائحة الطعام الحار، طرحت على جيل أكثر الأسئلة سطحية. مكتفية بإخباره بالعناوين الرئيسة. ما قد تخبره لأي أحد دون أي إضافة. ما لا يكفي حتى يتمكن من الوصول إلى داخل أفكارها ومشاعرها الحقيقية. لكن الباب لم يكن مقفلًا. كانت تقف فقط على الجانب الآخر منه، متلهفة للسماح له بالدخول. كان المفتاح في طرح السؤال الثاني. والسؤال الثالث سيقوده عبر العتبة، إلى حيث تحتفظ بقلبها.

«لا بد من أن ذلك كان فظيعًا».

قال ما إن انتهت من سرد قصتها، ثم غرق في الصمت.

ومع مشاعرها المضطرمة بداخلها، انتظرت آناهيتا. خطوة. اثنتين. ثلاث خطوات عبر الزقاق في صمت تام. ثم شعرت بجيل يُمسِك يدها. عرفت معنى ذلك.

مقدمة إلى حميمية لم يكسبها، ولم يعد يستحقها.

استكانت لحظة، وهي تشعر باللحم المألوف الدافئ يلامس لحمها. تركت نفسها تشعر بذلك الإحساس بداخلها لحظة في تلك الليلة اللزجة والحارة، ثم أفلتت يده.

فتح فمه ليتحدث لكن وصلت رسالة إلى هاتفه في تلك اللحظة.

«إنها من أمي. لقد أعطاها بشير شاه قصاصة ورق تحوي

أرقامًا. تريد منكِ أن تري ما يمكنك أن تستخلصي منها».

«أنا؟»

«يبدو أنها شيفرة. وقد حللتِ الشفرة السابقة لذا تعتقد أنك تستطيعين حل هذه أيضًا».

«دعني أرى».

فيما يدير الهاتف حتى تستطيع أن تقرأ الرسالة، قال: «أنا...»

«دعني أقرؤها فحسب». قالت بنبرة صوت عملية ومقتضبة وجافة.

1600 10 3

لاحظت عيناها الشابتان المسافة بين الأرقام فورًا. كانت موظفة الشؤون الأجنبية قد انخرطت تمامًا في العمل الموكل إليها.

لن تكون بطيئة في الاستيعاب هذه المرة. لقد استغرق الأمر منها مدة طويلة جدًّا حتى ترى مغزى الرسالة التي تلقتها من ابنة عمها زهرة، ثم مدة أطول لتفك شفرتها. كلف ذلك التأخير مئات الأشخاص أرواحهم. لن يتكرر ذلك. لن يتشتت ذهنها.

استرجعت الأرقام في رأسها مئات المرات طيلة الطريق إلى البيت الآمن.

1600 10 3

ما إن وصلا البيت حتى دونت آناهيتا الأرقام على قصاصات ورق، وأعطت قصاصة لكل منهم.

«لقد أرسل بشير شاه تلك الأرقام». قالت. «نحتاج إلى اكتشاف ماذا تعني؟»

«هذه الأرقام تتعلق بالقنابل النووية؟» سألت كاثرين.

«تعتقد أمكِ ذلك».

بينما يتشاركون الطعام، انحنت رؤوسهم فوق المائدة المضاءة بمصابيح غاز، وراحوا يتبادلون الأفكار والآراء والتخمينات.

1600، هل يشير إلى عنوان البيت الأبيض؟

أم ثلاث حافلات تحمل الرقم عشرة؟

لم يستغرقوا طويلًا حتى يصلوا إلى النظريات نفسها التي وصلت إليها الوزيرة آدمز بما في ذلك احتمال أن الأرقام مجرد حيلة. مزحة من مجنون. مع هذا كان عليهم أن يفترضوا أنها ذات معنى.

حدق جيل إلى آناهيتا عبر المائدة. وجهها مضاء بنور اللهب الخافت، وعيناها لامعتان ومتقدتان، وتركيزها تام.

في أثناء سيرهما، أراد أن يسألها، بل تاق إلى سؤالها، كيف شعرت في أثناء استجواب والديها. وحين وجدت نفسها في طهران. وعند القبض عليها.

ماذا حدث، وكيف شعرت.

فيما تصف بكلمات مقتضبة قليلة، الهجوم داخل الكهف، شعر بدوار من فكرة أن يفقدها.

أراد أن يسألها ماذا حدث بعد ذلك.

وبعد ذلك.

أراد أن يجلس فوق عتبة الباب، وينصت إليها إلى الأبد. أن يتوه في عالمها، ثم يعثر على نفسه ثانية هناك.

مع هذا التزم الصمت.

لقد غرس والده بداخله أنه من الوقاحة طرح أسئلة شخصية إلا إذا كان يتتبع خيوط قصة بمقتضى عمله في الصحافة. لكن في الحياة الشخصية كان عليه أن ينتظر الأصدقاء، خاصة الصديقات، حتى يصارحوه. قال له أبوه أن طرح الأسئلة قد يُعد انتهاكًا. وقد يفسره البعض على أنه فضول غير لائق.

مع هذا لا بد من وجود سبب لطلاق أمه من أبيه. ولخوض أبيه الكثير من العلاقات الفاشلة. ولا بد من وجود سبب لزواج أمه من كوين آدمز الذي كان يسألها دائمًا كيف تشعر. وكان ينصت إلى الإجابة. ثم يطرح المزيد من الأسئلة. ليس لأنه فضولي -ربما كان كذلك- لكن لأنه كان مهتمًا.

عوضًا عن الكلام، حاول جيل أن ينقل اهتمامه بالطريقة الوحيدة التي يعرفها. مد يده باتجاه يدها لكنها سحبتها بعيدًا نحو الصمت.

***

توقفت سيارتا SUV سوداوان وراء عربة الوزيرة آدمز. وقفز خارجها عملاء يرتدون زي الهجوم.

بعد أن تفقد أفراد الأمن الدبلوماسي، وأيديهم فوق أسلحتهم، بطاقات هوية العملاء، فتحوا أبواب السيارة، وترجلت منها إيلين وبيتسي.

«هل تعرفون منزل من هذا؟» سألت إيلين.

«نعم، سيدتي الوزيرة. منزل الدكتور بشير شاه». قال العميل الأعلى رتبة. «لقد وضعناه تحت المراقبة. لا إشارة إلى وجود شاه فيه».

«حسنًا، لدينا أسباب تدعونا للاعتقاد أنه في إسلام آباد. نحتاج إلى أن نجده، ونمسك به حيًا». نظرت في عينيّ العميل مباشرة. «حيًا».

«أفهم».

«هل تعرف تصميم المكان؟»

«أجل، لقد درسته مفترضًا أننا قد نحتاج إلى الدخول إليه ذات يوم».

أومأت إليه إيلين إيماءة تقدير.

«جيد». نظرت إلى المنزل المظلم. «ربما توجد أوراق مهمة أيضًا في الداخل. أوراق تحدد هدفه التالي».

«التالي؟»

«إنه مسؤول عن تفجيرات الحافلات في لندن وباريس وفرانكفورت. ونعتقد أنه يخطط للمزيد. نحتاج إلى أن نعرف أين».

استنشق العميل الأعلى رتبة نفسًا عميقًا. لقد انقلب الأمر من مجرد مداهمة منزل عالم فيزياء بارز والقبض عليه إلى شيء أكثر جدية بكثير.

«لا نستطيع أن نعلن وصولنا ونطلب إذنًا بالدخول». قالت الوزيرة آدمز. «لا يمكننا المخاطرة بأن يحرقوا الوثائق. نحتاج إلى أن نفاجئهم مفاجأة كاملة».

«ذلك هو اختصاصنا، سيدتي». نظر إلى الجدران العالية. «أتصور أنه تحت الحراسة».

«أعتقد ذلك. هل سيشكل ذلك مشكلة؟»

«لا، سيدتي. نتوقع دائمًا وجود مشكلة».

«سأرافقكم». قالت.

«لا أعتقد أن ذلك ممكن»، قال.

تدخل ستيف كواليسكي مدير فريق أمنها وقال أيضًا: «أشاركه الرأي».

«لن أتدخل في عملكم لكنني أحتاج إلى البحث عن تلك الأوراق».

«لا، لا أستطيع السماح بذلك. ليس من أجل سلامتكِ فقط سيدتي الوزيرة لكنك سوف تقيدين حركتنا أيضًا. وستعرضين العملية كلها للخطر».

«إنني لا أقترح أن أترأس الهجوم». استدارت إيلين إلى مدير أمنها. «انظر، ستيف، لقد كنت تستمع إلى محادثتنا. تعرف ما هو على المحك. تعرف عدد الأرواح التي فُقِدت من أجل الوصول إلى هذه المعلومة». ما إن همّ بالاعتراض حتى قالت إيلين: «وتعرف كما أعرف أنا، أنه لم يعد هناك أي مكان آمن إلى أن نصل إلى شاه، وتلك المعلومات. لو نجح، فلن يتوقف إجرامه عند حد هذه القنابل. سوف يستمر ويستمر. لذا أقترح تقسيم الواجبات. اعثروا أنتم على شاه، وأمّنوا المكان فيما أفتش في أوراقه». انتقلت نظراتها من ستيف إلى رئيس فريق الهجوم. «لن أدخل حتى تخبروني بذلك، حسنًا؟»

وافقوا مُكرَهين.

التفتت إلى بيتسي. «سنبقى هنا قليلًا».

«حسنًا».

تبعتها بيتسي، فيما يشق الرجال طريقهم عبر البوابات الطويلة لتأمين المنزل.

«*ترابل... ترابل...*» دندنت كلمات الأغنية.

اندفعت المرأتان عند إشارة ستيف عبر فناء المنزل. شعرت إيلين بالشعيرات فوق ساعدها تنتصب مع كل خطوة تقترب بها من البيت المظلم.

«*ترابل مع حرف تاء كبير*».

لم تكن هنالك أي مقاومة أو وجود لأي حراس.

شعرت الوزيرة آدمز بإحساس مُقبِض عرفت معناه.

***

«انتظروا لحظة، انتظروا لحظة، انتظروا لحظة»، رفعت زهرة أحمدي يديها طلبًا للصمت.

كانوا قد ناقشوا نظريات مختلفة عن الأرقام. كل نظرية منها أقل احتمالًا من سابقتها.

«لقد سرَّب المدعو بشير شاه المعلومات عن علماء الفيزياء النوويين إلى حكومتي». قالت. «صحيح؟»

«إلى الإيرانيين، صحيح». أكَّد بوينتون.

«لأنه أرادنا أن نقتلهم. ونتحمل اللوم على ذلك».

«أجل»، قالت كاثرين. «ما الذي ترمين إليه؟»

«من يستطيع القول إنه لا يفعل الشيء نفسه هنا؟ يتلاعب بنا؟»

«ربما يفعل ذلك»، اتفق تشارلز بوينتون. «لكن هذه المرة نعرف ذلك».

«ذلك ليس الاختلاف الوحيد»، قالت زهرة. «أعتقد أننا كنا نركز كثيرًا على شاه. لأنه يريدنا أن نفعل ذلك. لماذا أعطى الوزيرة آدمز الرسالة؟»

«لأنه شخص مجنون ومغرور ومغرم بنفسه، ولا يستطيع أن يمنع نفسه من التلاعب بنا». اقترح بوينتون.

«إنه كل ذلك»، قال جيل. «لكنه رجل أعمال أيضًا. لو فشلت الخطة، فسيكون مضطرًا إلى الرد على أسئلة عملائه المشترين، وأشك في أنه يرغب في ذلك. أعتقد أنه خائف قليلًا من أن يفشل الأمر. الوقت ضيق، ونحن نقترب منه أكثر مما اعتقد أنه ممكن».

«أعتقد ذلك أيضًا»، قالت زهرة. «وهذا يؤكد ما أقوله. الرجل يقفز عمليًا لأعلى وأسفل، ويلوح إلينا حتى ننظر إليه».

«ونبعد أعيننا عن المكان الذي يجب أن ننظر إليه». قالت كاثرين.

«لكن أين ذلك المكان الذي علينا النظر إليه؟» سأل بوينتون.

«إلى عملائه»، قالت آناهيتا. «شاه تاجر مخدرات. وسيط. يرتب صنع القنابل لكنه ليس من يستعملها. وهو ليس من يختار الأهداف والتوقيت».

«بالضبط لكنه ربما يعرف». قالت زهرة.

«أجل، ربما يعرف». قالت آناهيتا. «ربما رتب حتى تسليمها».

«لكنّ عملاءه من يقررون أين ومتى». قالت كاثرين، وقد جحظت عيناها فيما تستوعب ما يتكلمون عنه. «لقد كنا ننظر إلى الأرقام من وجهة نظر شاه لكننا نحتاج إلى أن ننظر إليها...»

«من وجهة نظر القاعدة». قالت زهرة.

التفتت آناهيتا إلى ابنة عمها.

«لقد كنا نفكر بعقول غربية. وأنتِ تقولين الآن أن علينا أن نبدأ رؤية تلك الأرقام بعقول إسلامية؟»

«لا، ليست إسلامية، بل جهادية». قالت زهرة. «ماذا تعني تلك الأرقام في عالمهم؟ وما أهميتها؟ تعتمد القاعدة والمنظمات الإرهابية الأخرى اعتمادًا كبيرًا على الميثولوجيا وليس الدين فقط. يكررون ذكر المظلوميات والأخطاء التي اقتُرِفت في حقهم، قديمة كانت أم جديدة. يُبقون الجروح مفتوحة. لذا إلى أي جرح تنتمي تلك الأرقام؟»

1600 10 3

***

«عثرنا على جثة!»

شاهد العميل في أثناء اقترابه من الرجل الراقد، ووجهه إلى أسفل في قبو منزل شاه، أسلاكًا بالكاد تُرى تمتد تحت الجثة.

«إنه متصل بمتفجرات». بلّغ العميل، وهو يتراجع.

عرفوا أن المكان مهجور قبل خطوتهم الثانية داخل الفناء. لم تكن هنالك أي مقاومة، ورجل مثل شاه كان ليحيط نفسه بجيش خاص. مع هذا لم يكن هناك أي مخلوق.

كانت إيلين وبيتسي في الطابق الرئيس في مكتب شاه تقلبان في أوراقه.

مشط العملاء المنطقة أولًا بحثًا عن أي متفجرات قبل أن يعلنوا أنها آمنة.

«نحتاج إلى المغادرة، سيدتي الوزيرة». قال ستيف. «لقد عثروا على جثة في القبو، متصلة بمتفجرات».

«هل هو شاه؟» سألت بيتسي مع أنها تعرف الإجابة.

قال ستيف وهو يؤمِّن خروجهما من المنزل. «لا نعرف. يريدون أن يُبطلوا مفعول القنبلة قبل أن يقلبوا الجثة، ويتعرّفوها».

كانت إيلين متيقنة من أنها تعرف هوية صاحب الجثة في القبو.

بعد خمس دقائق، تم تأكيد هوية الجثة.

اللواء لاخاني، وزير الدفاع الباكستاني.

كان أزي دهاكه مشغولاً تلك الليلة. ينظف وراءه مستخدمًا الدم والإرهاب وسيلة. ما إن أعلن العملاء أن البيت قد صار آمنًا تمامًا حتى أرادت بيتسي العودة إلى داخل المنزل ومواصلة البحث في الوثائق، غير أن إيلين أوقفتها.

«لا شيء هناك. لقد أخذ كل شيء معه. وأي شيء قد نجده، لا بد من أن شاه قد وضعه هناك ليضللنا به. نحتاج إلى الرحيل».

«إلى موسكو؟» سألت بيتسي.

بدا أنها تفضل العودة إلى الداخل والمخاطرة بمصادفة قنبلة على الذهاب إلى هناك.

«موسكو». قالت إيلين.

عرفت إيلين أنها الوجهة الأخيرة في ذلك المشوار الطويل. بعد موسكو، لن يكون أمامها مكان آخر للذهاب إليه.. ما عدا الوطن، حتى تنتظر هناك انفجار القنابل النووية.

لكن هنالك خيط أخير ليتعقبوه أولاً.

ما إن صعدوا على متن إير فورس ٣ حتى واصلت بيتسي بحثها عن الصحافي المفقود الذي كشف اللثام عن «هلي».

عثرت عليه أخيرًا، والطائرة في مكان ما فوق كازاخستان.

الفصل التاسع والثلاثون

كانت الساعة التاسعة وعشر دقائق في مستهل صباح أحد أيام مارس عندما هبطت الطائرة إير فورس ٣ وسط عاصفة ثلجية في مطار شيريميتييفو في موسكو.

بدت السماء كأنها قد ضُرِبت. الغيوم الداكنة تحجب أشعة شمس الشتاء الواهنة في أحسن الأحوال. تذكرت بيتسي ما قاله مايك تايسون ذات مرة.

«لدى الجميع خطة حتى يتلقون لكمة في فمهم».

شعرت بأنها مصابة بالدوار من كثرة الضربات التي تلقوها اليوم. ولو كان لديهم خطة حقًا، فلم تعد تتذكر ماذا كانت.

لم تُحضِر إيلين أو بيتسي أو عملاء الأمن الدبلوماسي معهم أي معاطف أو قفازات أو قبعات. أجروا فقط مكالمة هاتفية سريعة مع السفارة الأمريكية في موسكو. بعدها كانت عدة سيارات دفع رباعي مصفحة في انتظارهم على أسفلت ساحة المطار. مع هذا لم يخطر ببالهم أن يطلبوا ثيابًا ثقيلة. ترجلت إيلين من الطائرة وهي تستنشق نفسًا عميقًا، وتحمل فقط مظلة فوق رأسها لتحميها.

انغلقت المظلة على الفور، وقد ارتطمت بها عاصفة قد بدأت في سيبيريا، واندفعت عبر أنحاء روسيا بسرعة متزايدة حاملة معها الثلج والجليد قبل أن تصطدم بجسمها.

وقفت فوق سلم الطائرة، وهي مصدومة صدمة لحظية، وعاجزة عن التنفس. وعاجزة عن الحركة باستثناء تحريك جفنيها

من أجل إبعاد الثلج الذي ينصهر فوق وجهها، ويجد طريقه إلى داخل عينيها.

بينما تناول المظلة العديمة النفع الآن إلى عميل الأمن وراءها، مدت يدها لتوازن نفسها فوق الدرج. أمسكت إيلين معدن الدرابزين البارد بيديها قبل أن تُبعدهما في الحال خوفًا من أن يتجمد لحم يديها الأدفأ ويلتصق به، وتضطر إلى تمزيق كفيها حتى تحرر نفسها.

«أنتِ على ما يرام؟» اضطر ستيف إلى الصياح في أذنها حتى يكون صوته مسموعًا فوق صفعات الرياح.

على ما يرام؟ إلى أي مدى يمكن ليوم أن يسوء؟ لكنها فكرت في ضباط الصاعقة. وفي الأشخاص الذين كانوا على متن الحافلة وفي الأمهات والآباء والأطفال الذين يحملون الصور.. وفي بِيت هاملتون وسكوت كارجيل.

«على ما يرام»، هتفت.

شاهدت بزاوية عينيها بيتسي تومئ موافقة.

لقد منحتها بيتسي في كريسماس ذلك العام نسخة من أحدث أعمال شاعرتها المفضلة روث زاردو. كان ديوانًا صغيرًا يُدعى «أنا على ما يرام I AM F.I.N.E» [65]. كانت الحروف اختصارًا لكلمات: خَرِب، وعديم الثقة بالنفس، وعصابي، ومغرور.

ضغطت الوزيرة آدمز على أسنانها حتى تُوقِف الرجفة التي تسري في جسمها قبل أن تستدير ثانية إلى الأشخاص الذين

65- Fucked up, Insecure, Neurotic, and Egotistical. في الأصل (المترجم).

ينتظرونها في الأسفل. أجبرت نفسها على رسم ابتسامة على وجهها كأنها قد هبطت للتو على سطح إحدى جزر الكاريبي لقضاء عطلة.

تعرف إيلين أن الرئيس ويليامز قد طلب بالتحديد من نظيره الروسي أن تكون زيارتها مُتَكتّمة. لا لفت للانتباه ولا ضجيج أو أي تغطية إعلامية إطلاقًا. مجرد لقاء خاص بين وزيرة خارجيته والرئيس الروسي.

كانت تقف الآن أعلى سلالم الطائرة ويضربها الجليد الذي بدا كأنه يدخل عبر أذنها ويتراكم في أعماقها، في حين راحت تلوح إلى الصحافيين الممسكين بكاميراتهم. بدا أنهم قد عرفوا بزيارتها من مصدر ما.

حدقت في السلالم الممتدة إلى أسفل متمنية أن تصل إلى الأرض قبل أن تتجمد حتى الموت. وجدت صعوبة في المشي ما إن بلغت منتصف المسافة. ساقاها وقدماها بحذائها منخفض الكعب قد بدأت تتجمد. وفقدت الإحساس بوجهها. كانت السلالم مغطاة بالجليد والثلج. وكانت تنزلق قليلًا مع كل خطوة تخطوها.

تساءلت إذا كان إيفانوف قد فعل ذلك عن عمد. لم يكن تنظيف السلالم أمرًا صعبًا. هل تمنى أن تتعثر ويكسر عنقها؟

حسنًا، لن تجعله ينال مراده، قررت حتى وقدماها تنزلقان أسفلها ثانية وقد فقدت السيطرة عليها لحظة قبل أن تتمكن من استعادة توازنها.

اطلبّ من إيفانوف أن يفعل شيئًا، وسوف تضمن عمليًا أنه سيفعل النقيض. فكرت إيلين، ورعشة أخرى تسري عبر جسدها،

فـي أنهـا يجـب أن تطلـب منـه أن لا يخبرهـا تحـت أي ظـرف عـن مـكان بشـير شـاه. أو عـن الأمكنـة التـي خُبّئـت فيهـا القنابـل.

تسـتطيع إيليـن رؤيـة العربـات المركونـة أبعـد مـن الـلازم. حيـث الـدفء. رغبـت إيليـن فـي أن تهبـط الدرجـات القليلـة الأخيـرة قفـزًا، وتركـض نحوهـا أمـلًا فـي الوصـول هنـاك قبـل أن تتحـول إلـى منحوتة مـن الجليـد. مـع هـذا أجبـرت نفسـها علـى الإبطـاء والتوقـف قبـل آخـر درجـة منتظـرة بيتسـي التـي كانـت تتأخـر عنهـا بدرجـات قليلـة. عرفـت ذلـك مـن تمتمهـا المسـتمرة، «اللعنـة! اللعنـة! اللعنـة!».

لـو انزلقـت بيتسـي فـوق السـلالم المكسـوة بالثلـج فقـد أرادت إيليـن أن تكـون قـادرة علـى منـع سـقوطها تمامًـا كمـا كانـت بيتسـي تحمـي ظهرهـا طيلـة حياتهـا.

أخيـرًا بعـد هبـوط بـدا أشـبه بهبـوط قمـة إيفرسـت لمسـت قدماهـا الأسـفلت المغطـى بالثلـج.

أجبـرت إيليـن نفسـها علـى أن تومـئ برأسـها وتبتسـم باتجـاه مستقبليها. تمنـت أنهـا كانـت تبتسـم علـى الأقـل. فكـرت فـي أنـه مـن الممكـن أن يكـون وجههـا قـد تشـقق.

كل مـن تجمعـوا للقائهـا كانـوا يرتـدون معاطـف باركا ثقيلـة جدًا بقلنسـوات مُبطنـة بالفـرو مسـحوبة فـوق رؤوسـهم لدرجـة أنـه يصعـب التمييـز إن كانـوا رجـالًا أم نسـاء، دببًـا قطبيـة أم دمـى.

انزلقـت فـوق الجليـد فـي طريقهـا إلـى السـيارة غيـر أن سـتيف أمسـك ذراعهـا. مـا إن صـارت داخـل العربـة حتـى بـدأت تهتـز لا إراديًـا. دعكـت ذراعيهـا ثـم رفعـت يدهـا أمـام فتحـة التدفئـة.

«أنـتِ علـى مـا يـرام؟» سـألت بيتسـي مـع أن صوتهـا خـرج فـي تمتمـة لا يمكـن فهمهـا.

بدا واضحًا من وجه بيتسي المتجمد وأسنانها المصطكة أنها لا تستطيع الإجابة إلا بمجموعة من التأوهات. مع هذا تمكنت بطريقة ما من جعل تلك التأوهات حتى بذيئة.

«كم الساعة؟» سألت إيلين ستيف بمجرد أن استعاد فمها قدرته على الحركة.

«العاشرة إلا خمسًا وعشرين دقيقة». قال، وكلماته بالكاد تشكلت عبر شفتيه اللتين لا تزالان متجمدتين.

«وفي واشنطن العاصمة؟»

نظر إلى ساعته. «الثالثة»، سرت رجفة برد عبره قبل أن يتابع: «إلا خمسًا وعشرين دقيقة صباحًا».

«هلا أعطيتني هاتفي، رجاء؟»

ما إن أخذته حتى كتبت رسالة مقتضبة إلى الرئيس وليامز. أصابعها تهتز اهتزازًا عنيفًا حتى أنها اضطرت إلى أن تعود إلى ما كتبته مرات عدة لتصحيح الأخطاء. ولتصحيح «المصحح الآلي»، الذي استبدل بكلمة «قنابل» كلمة بذيئة لا يجب أن تظهر في رسالة موجهة إلى رئيس الولايات المتحدة.

***

قرأ وليامز الرسالة.

كان داخل المكتب البيضاوي.

مشط الفريق الأمني البيت الأبيض، ولم يعثروا على أي آثار لليورانيوم - 235 أو أي إشعاع آخر غير أنهم قد أعلموه أن ذلك لا يعني عدم وجود أي شيء حقًا، بل إنهم لم يستطيعوا العثور عليه فحسب.

عمـلاء الأمـن السـري الواعـون بمـا يحـدث طلبـوا منـه وطالبـوه وتوسـلوا إليـه حتـى يغـادر البيـت الأبيـض. عرفـوا كمـا يعـرف هـو أنـه لـو كان هنالـك قنبلـة نوويـة فـي البيـت الأبيـض فإنهـا ستُوضـع فـي أقـرب مـكان ممكـن مـن الرئيـس.

مع هذا رفض أن يرحل.

«إنهـا لفتـة فارغـة»، انفعلـت عميلـة الأمـن ذات الرتبـة العاليـة التـي كانـت متعبـة ومتوتـرة وحانقـة.

«تعتقديـن ذلـك؟» تفحَّـص المـرأة بعينيـه. «أنـتِ موجـودة حـول الرؤسـاء منـذ مـدة طويلـة حتـى تعرفـي أن لا لفتـة أو كلمـة أو فعـل أو حتـى عـدم فعـل دون تأثيـر. مـا أسـوأ الاحتمـالات؟ أن أمـوت هنـا أم أن أدع الإرهابييـن يعلمـون أنهـم قـد أجبـروا الرئيـس علـى الخـروج مـن بيتـه؟» ابتسـم لهـا. «صدقينـي أود أن أغـادر. لقـد أثبتـت لـي السـاعات القليلـة الماضيـة أننـي لسـت رجـلًا شـجاعًا. مـع هـذا لا أسـتطيع الرحيـل. أنـا آسـف».

«في هذه الحالة لا نستطيع نحن أيضًا أن نرحل».

«أنـا آمركـم بالمغـادرة. موتكـم هـو الـذي سـيكون لفتـة فارغـة حقًـا. استمعي إلـيّ، أعـرف أن وظيفتكـم أن تحمونـي، لكـن ذلـك يعنـي أن تحاولـوا إيقـاف هجـوم معيـن، أو حتـى تتلقـوا رصاصـة لحمايـة الرئيـس. لكـن لا يمكنكـم أن تتلقـوا قنبلـة عوضًـا عنـي. لـو انفجـرت القنبلـة، فلـن تسـتطيعوا حمايتـي. موتـي سـيكون بيانًـا للعالـم أننـا لـن نسـمح بإرهابِنـا. أمـا موتكـم فسـيكون عديـم المعنـى. يجـب أن تغـادروا، ويجـب أن أبقـى».

رفضـوا طبعًـا لكـن العميلـة عاليـة الرتبـة قدمـت تنـازلًا لقائدهـا الأعلـى. العمـلاء الذيـن لديهـم أطفـال صغـار أُعيـد تكليفهـم بحيـث

يحرسون السور الخارجي لمجمع البيت الأبيض حيث قد يكونون أكثر أمانًا.

فقط بعد أن صار الرئيس بمفرده، خرج اللواء من حمام الرئيس الخاص واحتل موقعه بجانبه. وقف الرجلان أمام النافذة وحدقا نحو الحديقة الجنوبية.

«حتى تعرف فقط، سيدي الرئيس، أنت رجل شجاع جدًّا».

«شكرًا أيها اللواء، لكن قل ذلك لسراويلي المبللة».

«هل ذلك أمر، سيدي؟»

ضحك وليامز، ونظر إلى رئيس هيئة الأركان المشتركة.

طالما بقي حيًا، فلن ينسى الرئيس النظرة على وجه الرجل وهو يقف عند مدخل الباب. اللحظة التي أدرك فيها أن كل ضباط الصاعقة فوق الهضبة موتى بمن فيهم رئيسة حرسه الشخصي ومساعدته الأولى التي اختارها شخصيًا لقيادة الهجوم. ذلك الهجوم المضلل الذي كان فكرته.

حتى الآن، وبعد مرور ساعات، لا تزال نظرة الرعب على وجهه كغشاء شفاف لا يراه سوى شخص يقف قريبًا جدًّا منه. شك وليامز في أنها ستكون هناك طالما عاش اللواء.

كانت الساعة الثالثة إلا ربعًا صباحًا.

ذلك يعني أنه ربما تبقت خمس وعشرون دقيقة أخرى على النهاية.

***

استطاعت إيلين أن ترى عبر العواصف الجليدية المباني السوفييتية التي ترجع إلى مرحلة ما بعد الحرب القاسية، وهي

تعبر أمامهم مع رؤوس البشر المحنية الذين يميلون مرغمين باتجاه العاصفة الثلجية فيما يمشون بتثاقل إلى العمل غير عابئين بالنظر إلى أعلى، وموكب الوزيرة يتجاوزهم.

رغم عدم إعجابها بالقيادة، فقد أحبت الوزيرة آدمز الشعب الروسي كثيرًا. على الأقل من قابلتهم. كانوا أكثر من مجرّد قساة الطباع بحكم الطبيعة والتاريخ. كانوا مفعمين بالنشاط ومملوئِين بالحياة والضحك.. كرماء ومضيافين دائمًا، ومستعدين لأن يتشاركوا وجبة طعام أو زجاجة مشروب. لا تستطيع إيلين أن تنكر أبدًا جَلَد الشعب الروسي. خطر ببالها أنه من المؤسف أنهم قد قاتلوا ببسالة النازيين والفاشية من الخارج، فقط حتى يروها تزحف نحوهم من الداخل.

كانت إيلين خائفة بشدة من أنه لو فشلت مهمتها أن يحدث الشيء نفسه في الولايات المتحدة. كان قد بدأ يحدث فعليًا.

لقد حققوا انتصارًا على الرئيس السابق المستبد، مطيحين به من السلطة عبر انتخابات عادلة لكن الفوز كان هشًا. غير أن عملها الآن ليس إقناع الناخب، بل التأكد من أنهم سيصلون بسلام إلى الانتخابات التالية.

تفقدت الساعة. العاشرة إلا خمس دقائق صباحًا بتوقيت موسكو. الثالثة إلا خمس دقائق في واشنطن العاصمة.

شاهدت القمم البصلية الشكل والمذهلة لمبنى الكرملين في الأعلى أمامهم، وهي تظهر وتختفي من خلال العاصفة الجليدية. تدفأت إيلين وبيتسي حتى خمدت رعشة البرد غير أن حذائيهما رطبان وثيابهما مبتلة وملطخة برائحة الشحم الزيتي للأسفلت.

تاقت إيلين بشدة إلى حمام دافئ طويل لكن كان ذلك ضربًا من المستحيل.

تفقدت بيتسي هاتفها. لقد اكتشفت أن مندوب البيت الأبيض السابق يعيش في كبيك، في قرية صغيرة تُدعى ثري باينز.

كان قد غير اسمه لكن بيتسي كانت متأكدة من أنه هو.

أرسلت رسالة تطلب فيها مساعدته. ورغم الساعة المتأخرة، رد عليها. شرح أنه قد بدأ حياة جديدة. وقع في الحب، ويعيش الآن مع مالكة متجر كتب. امرأة تُدعى ميرنا. ويعمل في المتجر ثلاثة أيام في الأسبوع، ويقوم بأعمال تطوعية في أرجاء القرية بقية الوقت. يزيل الجليد، ويُوصِل الطعام، ويشذب الحشائش في الصيف.

كان سعيدًا.

كان يقول لها ببساطة «اغربي عن وجهي».

لم يسألها عن الأمر الذي من أجله تطلب مساعدته لكنها شكت من رده أنه قد خمنه. مع هذا كان من الأفضل أن تكون واضحة.

«هلي». كتبت ثم ضغطت زر الإرسال.

ساد الصمت على الجانب الآخر غير أن بيتسي اعتقدت أنها تستطيع أن تشعر برعبه ينبض عبر الهاتف كأنّ الخوف تطبيقٌ موجود على الهاتف وقد شغلته للتو.

***

«سيدتي الوزيرة».

استقبلت مساعدة مبتدئة للرئيس إيفانوف إيلين أمام باب الكرملين. ابتسمت، وقادتهم إلى الداخل حيث طُلِب من فريق إيلين الأمني تسليم أسلحتهم.

«آسف، سيدتي»، قال ستيف. «لكننا لا نستطيع ذلك. أعتقد أننا نمتلك رخصة دبلوماسية بحمل الأسلحة».

أظهر لها أوراق اعتماده الدبلوماسية.

«شكرًا لك، لكن ذلك صحيح تحت الظروف الطبيعية غير أننا لا نمتلك الوقت من أجل الأعمال الورقية في زيارة تم ترتيبها في آخر لحظة».

«أي أعمال ورقية؟»

كان ستيف كواليسكي هادئًا تمامًا ظاهريًا لكن إيلين تستطيع أن ترى وريدًا ينبض في صدغه.

«تعرف؛ الديمقراطيات»، قالت المساعدة بابتسامة. «توجد دائمًا استمارات يجب ملؤها».

«ليس كالأيام الغابرة الجميلة». قالت بيتسي فرمقتها المساعدة بنظرة صارمة.

«لا بأس». قالت إيلين لستيف بنبرة رقيقة.

«لا، ليس كذلك، سيدتي الوزيرة. لو حدث شيء...»

«ستكون معي. ولن يحدث شيء. لنفرغ من هذا اللقاء ونرحل».

كانت الساعة العاشرة ودقيقتين.

***

ثماني دقائق متبقية.

جلس دوج ويليامز فوق الأريكة داخل المكتب البيضاوي. وجلس اللواء أمامه.

عرف بعضهما بعضًا منذ سنوات. قابل الرئيس زوجة اللواء وابنهما الذي خدم في القوات الجوية في أفغانستان. شعر ويليامز

بـأن عليـه إخبـار اللـواء أن يغـادر غيـر أن الحقيقـة أنـه كان شـاكرًا لرفقتـه.

أمسـك كل منهمـا بـكأس سـكوتش. احتسـيا الـكأس الأولـى علـى نخـب صحتيهمـا، والآن يصبـان الـكأس الثانيـة.

لا يعـرف إذا كان ضيـق أفـق أم حقـدًا مـن جانبـه، لكنـه أمـر تيـم بيتشـام بالعـودة مـن لنـدن. جلـوس مديـر مخابراتـه الوطنيـة فـي فنـدق «براونـز»، واسـتمتاعه بإفطـار إنجليـزي كامـل بينمـا يجلـس هـو فـوق قنبلـة نوويـة كانـت فكـرة لا يسـتطيع الرئيـس أن يستسـيغها.

لـن يصـل بيتشـام بعـد سـوى سـاعات قليلـة أخـرى لكـن ذلـك أعطـى الرئيـس قليـلًا مـن الرضـا.

فيمـا يثرثـر الرجـلان، لـم يسـتطع وليامـز أن يكـف عـن الشـعور بـأن عليهمـا التطـرق إلـى مواضيـع لهـا مغـزى تاريخـي وأهميـة كبـرى، سـواء سياسـيًا أو شـخصيًا. مـع هـذا انتهـى بهمـا الأمـر وهمـا يتحدثـان عـن الـكلاب.

كلـب اللـواء مـن نـوع الشـيبرد الألمانـي، يُدعـى باين. أخبـر الرئيس أنـه كان هديـة مـن صديـق مقـرب يعيـش فـي قريـة صغيـرة فـي كبيـك. زار اللـواء صديقـه، ضابـط أمـن عالـي الرتبـة ذات صيـف. جلسـا فـوق دكـة خشـبية فـي حديقـة القريـة فـي ظـل ثـلاث أشـجار بلـوط ضخمـة. اسـتمع إلـى تغريـد الطيـور وصـوت النسـيم وصخـب أطفـال يلهـون، وشـعر بسـلام أول مـرة منـذ عشـرات السـنين حتـى أنـه سـمى الكلـب علـى اسـم القريـة.

تحـدث وليامـز عـن كلبـه بيشـوب، ريترفيـر ذهبـي، لـم يسـمّه علـى الاسـم الكنسـي، بـل علـى اسـم مدرسـة ارتادهـا الرئيـس وأحبهـا

على وجه الخصوص. ربما لأنها المكان الذي التقى فيه زوجته الراحلة. يستلقي بيشوب عادة، أو ينام أسفل مكتب ريزوليت داخل المكتب البيضاوي لكن دوج وليامز قد طلب من مدير أمنه السري قبل قليل أن يأخذ بيشوب بعيدًا عن البيت الأبيض، ويعتني به إنْ اقتضى الأمر.

خمس دقائق متبقية.

***

«سيدتي الوزيرة».

وقف ماكسيم إيفانوف في منتصف الحجرة دون أن يتحرك من مكانه، مجبرًا إيلين على الذهاب إليه، وهو ما فعلته.

تلك اللفتات الضيقة الأفق والمقصود بها الإهانة لم تكن تؤثر فيها. ربما كانت لتستفزها قليلًا لكن ليس اليوم.

«سيدي الرئيس».

تصافحا ثم قدمت إيلين بيتسي إليه فيما يقدم لها مساعده الأول. لاحظت إيلين أن لا وجود لمستشار.

لا أحد يعطي هذا الرجل نصيحة. ليس مرتين على أي حال.

كان إيفانوف أصغر حجمًا مما توقعت غير أن حضوره الشخصي طاغٍ. شعرت فيما تقف بالقرب منه كأنها قريبة من مادة متفجرة، زر تفجيرها مثبت في مكانه بشريط مطاطي مربوط بإحكام، ومشدود لدرجة أنه يكاد ينقطع. بالكاد يفصل أي شيء بينه وبين الجنون. ثمة أشياء مشتركة كثيرة جدًّا بينه وبين إيريك دَن. الشيء المختلف والواضح وضوحًا تامًا، أن ماكسيم إيفانوف هو الأصل. طاغية وحشي، وخبير في كل أشكال الاضطهاد والقمع، رقيقة كانت أم قاسية.

ما كان يمتلكه إيريك دَن هو غريزة فطرية لاكتشاف نقاط ضعف الآخرين في حين لم يمتلك القدرة على الحساب والتخطيط. كان كسولًا جدًا حتى يفعل ذلك. أما هذا الرجل؟ فهو يحسب حساب كل شيء ببرودة كانت لتصيب سيبيريا نفسها بالقشعريرة.

مع هذا لم يحسب إيفانوف حساب إيلين.

لم يتوقع أن تقفز وزيرة الخارجية الأمريكية داخل طائرة إير فورس ٣ وتأتي إلى موسكو.. إلى الكرملين وإلى داخل مكتبه مباشرة.

استطاعت إيلين من جانبها أن تلاحظ وجود حيرة نادرة تحت نظرة إيفانوف الصارمة. ومعها كان هنالك بعض الخوف، ومع الخوف ثمة غضب. لم يحب هذا الوضع.. ولم يحبها. مقته لها الآن كان أكبر من أي وقت مضى، لكنها تستطيع أن ترى أيضًا أنه ما إن صار وجهًا لوجه معها حتى أخذ يسترد ثقته بنفسه. وقد عرفت إيلين السبب. لأنها كانت في حالة فوضوية. شعرها أشعث. أحد جانبيه منتفخ، وملتصق برأسها على الجانب الآخر.

كانت قد هيأت نفسها على متن الطائرة غير أن العاصفة قد خربت كل ذلك. كما أن ثيابها مبللة وملطخة بالطين. وحذاؤها قد خاض في الوحل في أثناء اقترابها من مبنى الكرملين.

لم تكن هذه هيئة ممثل كبير الشأن لقوة عظمى. كانت وزيرة خارجية أمريكا أشبه بفأر غارق. مثيرة للشفقة وضعيفة. مثل الدولة التي تمثلها.

هكذا فكر إيفانوف.

أو ربما هذا ما أرادت إيلين منه أن يعتقد.

«قهوة؟» سأل عبر مترجم.

«رجاء»، قالت إيلين بالروسية.

كان بوسعها أن تطلب الاغتسال قبل لقاء الرئيس إيفانوف غير أنها اختارت أن لا تفعل. عرفت أن رجالًا مثل إيفانوف ودَن يستهينون ويقللون من قيمة النساء. خاصة امرأة غير مهندمة. كانت أفضلية ضئيلة لصالحها. وكان من الأجدر بها أن لا ترتكب الخطأ نفسه وتستهين بإيفانوف.

أشياء سيئة تحدث لمن يستهين بالآخرين.

كانت عقارب الساعة تتحرك، والآن بعد أن تركت الانطباع المنشود، كان بوسعها أن تطلب.

«هل تمانع، سيدي الرئيس، أن أغتسل ومستشارتي؟»

«لا، أبدًا». أشار إلى مساعدته المبتدئة التي قادت المرأتين إلى الحمام.

كان حمامًا بدائيًا لكن فيه كل الأساسيات، والأهم من ذلك أنه خاص.

ما إن صارت المرأتان بداخله، حتى أجرت إيلين المكالمة.

***

تسعون ثانية متبقية.

رن هاتف الرئيس وليامز. نظر إليه.

إيلين آدمز.

«هل عرفتِ شيئًا؟» سأل، وسمح لآماله أن ترتفع.

«لا، آسفة».

«أتفهم ذلك». قال والإحباط والخنوع واضحان في صوته.

لن يكون هنالك خلاص. ولن يصل المنقذ الأخير.

1600 10 3

خمسون ثانية متبقية.

«لقد وصلنا للتو إلى الكرملين، وأردت أن...» شرعت إيلين تتكلم ثم اندفعت قائلة. «لم أرغب في أن تكون وحيدًا».

«لست وحيدًا». أخبرها بهوية من معه.

«أنا شاكرة»، قالت. «حسنًا، شاكرة ليست الكلمة...»

«أعرف ما تقصدين...»

ثلاثون ثانية متبقية.

وقفت بيتسي قريبة حتى تسمع. قلب كلّ منهما يخفق بقوة.

نهض دوج وليامز داخل المكتب البيضاوي. حذا اللواء حذوه.

عشرون ثانية.

تلاقت نظرات المرأتين.

تلاقت نظرات الرجلين.

عشر ثوانٍ.

أغمض وليامز عينيه. فعل اللواء مثله.

تراءى أمامه مرج من الأزهار البرية.

ثانيتان. ثانية.

صمت... صمت.

انتظرا. قد يكون المؤقت متأخرًا بثوانٍ قليلة. ربما دقيقة حتى.

فتح وليامز عينيه، وشاهد اللواء يحدق إليه.

مع هذا لم يتحدثا.

لم يجرؤ أي منهما على الحديث.

***

«يا إلهي»، قالت آناهيتا. «أعتقد أنني عرفت حل الشيفرة. ماذا تعني 3 10 1600».

«ماذا!؟» قال بوينتون، وقد احتشدوا من حولها.

«الملاحظة التي ذكرتِها عن التفكير من وجهة نظر جهادي». قالت لزهرة. «عندما نرى 9 11، نعرف جميعًا ما تعنيه. الحدث الذي تشير إليه. 3 10 هي الشيء نفسه لدى القاعدة».

«لماذا!؟» سألت كاثرين. «ما الذي تعنين؟»

«أسامة بن لادن وُلِد في العاشر من مارس». أدارت آناهيتا الهاتف ليشاهد الجميع المعلومة التي بحثت عنها.

«ترون؟ إنه تاريخ ميلاده. إنه اليوم. لقد أقسمت القاعدة أن تنتقم لمقتله على يد الأمريكيين. لذلك ستنفجر القنابل اليوم. إنهم يشيرون إلى ذلك. للتفجيرات دلالة رمزية».

«إنه انتقام». قال بوينتون.

كانت كاثرين تبحث عن التاريخ قبل أن تومئ برأسها.

«صحيح. لقد وُلِد في العاشر من مارس ١٩٥٧. إذًا، ماذا تعني 1600؟»

«إنها الساعة التي قُتل فيها». قالت زهرة.

«لا»، قالت كاثرين. «وفقًا لهذه الصفحة، فإنه قُتِل في الواحدة صباحًا».

«بتوقيت باكستان»، قال جيل. «ذلك يعني الرابعة عصرًا بتوقيت الساحل الشرقي الأمريكي».

«نعـرف ذلـك مـن عملنـا فـي إسـلام آبـاد وإرسـال الأخبـار باستمرار إلـى واشـنطن العاصمـة». قالـت آناهيتـا، وهـي تحـدق إلـى عينـي جيـل. «يجـب أن نُبلـغ أمـكَ».

«خـذي»، أعطاهـا هاتفـه. «أنـتِ مـن فككـت الشـيفرة لـذا أرسـلي أنـتِ الرسـالة».

***

قـرأت إيليـن الرسـالة بعينهـا قـراءة سـريعة، ثـم أخبـرت الرئيـس بهـا فـورًا.

زفر دوج وليامز.

«يبـدو أن لدينـا ثـلاث عشـرة سـاعة أخـرى أيهـا اللـواء، ثـم سـنفعل ذلـك كلـه مـن جديـد».

مـا إن شـرح لـه أمـر الشـيفرة حتـى أومـأ اللـواء برأسـه.

«نمتلـك الوقـت حتـى نعثـر علـى تلـك الأشـياء اللعينـة، وسـوف نفعـل».

تحـدث مباشـرة إلـى إيليـن التـي كانـت لا تـزال علـى الهاتـف. «شـكرًا لـك، سـيدتي الوزيـرة. وكونـي حـذرة».

«وأنتمـا أيضًـا. أراكمـا فـي البيـت الأبيـض. سـوف أعـود مـا إن أنتهـي هنـا».

«ربمـا ترغبيـن فـي أخـذ وقتـكِ». قـال وليامـز. «فالغـد قريـب جـدًا».

***

الفصل الأربعون

أخبرت بيتسي إيلين عن عثورها على الصحافي فيما تغتسلان.

«إنه خائف»، قالت. «لذلك لم يغادر الجريدة فقط، بل غادر البلد برمته، وغيَّر اسمه».

«إذًا ربما يعرف شيئًا حقًا؟» سألت إيلين.

«أعتقد ذلك».

«نحتاج إلى الوصول إليه».

«اختطافه؟» سألت بيتسي.

بدت مسرورة تقريبًا من الفكرة.

«بحق المسيح يا بيتسي، أعتقد أننا نستطيع أن نترك شخصًا واحدًا غير مخطوف».

«أنا لست متأكدة من أن «غير مخطوف» كلمة في القاموس».

«وأنا لست متأكدة إن كانت تلك هي النقطة. لا، لن نختطفه، بل نحتاج إلى شخص يستطيع التفاهم معه. هل تستطيعين أن تعرفي إن كان له عائلة أو أصدقاء مقربون؟ شخص نستطيع إرساله إلى هناك بسرعة؟»

***

عند مغادرة الحمام، أعطت إيلين ستيف الذي تفقد وجهها هاتفَها، وهو يعرف ما قد يكون قد حدث للتو في واشنطن العاصمة.

«كل شيء بخير». قالت، وشاهدت الارتياح على وجهه.

***

«لقد انتابني القلق من أن تكوني قد رحلتِ، سيدة آدمز». قال الرئيس إيفانوف ما إن عادوا. «لقد بردت قهوتكِ».

«أنا متأكدة من أنها لذيذة». أخذت رشفة. كانت كذلك حقًا. نكهتها غنية وقوية.

«حسنًا، يجب أن أعترف بأنني فضولي لأعرف سبب قدومكِ إلى هنا». مال إيفانوف إلى الوراء في مقعده ذي الذراعين، وباعد ما بين ساقيه. «مباشرة من باكستان التي سافرت إليها من طهران. وقبل ذلك كنت في عُمان تزورين السلطان، وقبل ذلك في فرانكفورت. لديك جدول مزدحم».

«وقد أبقيت عينًا قريبة عليّ، سيدي الرئيس». قالت إيلين. «من اللطيف أن أعرف أنك مهتم».

«يجعل ذلك الوقت يمضي أسرع. والآن أنتِ هنا». حدق إليها. «أعتقد أنني أستطيع أن أخمن السبب، سيدتي الوزيرة».

«أتساءل إن كان ذلك صحيحًا، سيدي الرئيس».

«هلا تراهنا؟ مليون روبل أن الأمر يتعلق بالقنابل التي انفجرت في أوروبا. لقد أتيت طلبًا للنصيحة. مع هذا لماذا تعتقدين أنني أستطيع المساعدة؟ ذلك أمر لا أفهمه».

«أوه، أعتقد أن ثمة القليل من الأشياء التي لا تفهمها. وأنت محق جزئيًا. ربما نتقاسم الربح».

اختفت ابتسامته. كان صوته خشنًا وكلماته مقتضبة عندما تحدث ثانية.

«إذًا دعيني أكون محددًا».

الشيء الوحيد الأهم لدى ماكسيم إيفانوف من أن يكون مُحقًا هو أن لا يكون مخطئًا. ويمقت حقًا أن يخبره أحدهم بأنه مخطئ. ويكره قطعًا أن يكون الشخص الذي يخبره بأنه مخطئ امرأة في منتصف العمر غير مهندمة ورثة المظهر. امرأة مبتدئة في لعبة قد أجادها.

كل لقاء مع دولة أخرى بمثابة حرب، وعليه أن يفوز بها. لا وجود للتعادل أبدًا في قاموسه.

«نعم؟» مالت إيلين برأسها كأنه يدهشها.

«لقد اكتشفتم أن العلماء الذين قُتِلوا في تلك التفجيرات لم يكونوا العلماء أنفسهم الذين استأجرهم شاه للعمل على القنابل النووية التي يبيعها لعملائه. أنتِ هنا أملًا في أنني أستطيع مساعدتكِ من أجل العثور على تلك القنابل قبل أن تنفجر بدورها».

«أنت تعرف الكثير حقًا، سيدي الرئيس. مرة أخرى، أنت محق جزئيًا. أنا هنا من أجل قنبلة لكن ليست قنبلة نووية. نحن نحسن التعامل معها. لقد أتيت هنا من باب المجاملة. حتى أساعدك في إبطال مفعول شيء على وشك أن ينفجر قريبًا من الوطن».

مال إلى الأمام.

«من هنا؟ في الكرملين؟» جال ببصره في المكان.

«يمكنك أن تقول هذا. كما تعرف فإن ابني يعمل لصالح رويترز. لقد بعث إليّ قصة على وشك أن ينشرها. وقد فكرت في أنه تعبيرٌ عن الاحترام بيننا، فإنني يجب أن أطلعك عليها أولًا. وشخصيًا».

«أنا؟ لماذا؟»

«حسنًا، تتعلق القصة بك، ماكسيم».

استرخى إيفانوف في جلسته مجددًا، وابتسم.

«لا تزالين تسعين وراء تلك القصة عني، وعن المافيا الروسية، أليس كذلك؟ لا حقيقة لذلك. ولو كان لهذه القصة وجود لكنت قد وضعت نهاية لها. لن أسمح لأي أحد بالتقليل من شأن الاتحاد الروسي أو إيذاء مواطنيه».

«هذا نبل شديد. أنا متيقنة أن شعب الشيشان سيكونون سعيدين بسماع هذا. لكن لا، ليست المافيا».

جلست بيتسي ساكنة، ووجهها صافٍ مع أن هذه كانت أخبارًا جديدة عليها.

قضت إيلين مدة الرحلة إلى هنا منكبة على كومبيوترها غير أنها لم تتواصل مع جيل. ما الذي تفعله إذًا؟ مثل إيفانوف، كانت بيتسي فضولية لترى أين سيذهب هذا الحوار لكن بالنظر إلى وجهه وجسمه الملتوي، فربما يكون إيفانوف فضوليًا أكثر قليلًا منها.

«ومن ثمَّ...؟» قال إيفانوف.

«ومن ثمَّ...»

أومأت إيلين إلى ستيف الذي أحضر هاتفها.

بعد نقرات عدة، أدارت إيلين الهاتف نحو إيفانوف. لم تستطع بيتسي أن ترى الشاشة غير أنها استطاعت مشاهدة وجه إيفانوف الذي تلون بالأحمر فجأة. ثم بالبنفسجي.

ضيَّق عينيه، وضغط على شفتيه. وتدفَّق منه غضبٌ لم تشعر بيتسي بمثله من قبل. كان إيفانوف أشبه برجل ضُرِب على وجهه بحجر. داهم بيتسي خوف مفاجئ. كانوا داخل العمق الروسي. داخل الكرملين. وقد جُرِّد أفراد أمن إيلين الدبلوماسي من أسلحتهم. إلى أي مدى سيكون إخفاؤهم صعبًا؟ نشر إشاعة أنهم قد استقلوا طائرة داخلية، تحطمت بهم في السماء، سيكون غاية في السهولة.

نظرت إلى إيلين الذي كان وجهها بلا أي تعبير. مع هذا فضحتها خفقة صغيرة في صدغها. كانت وزيرة الخارجية الأمريكية خائفة أيضًا، لكنها لن تتراجع.

«ما هذا بحق الجحيم؟!» صاح إيفانوف.

«ماذا؟» قالت إيلين، وقد تخلت عن نبرة الدهشة في صوتها. حلَّت محلها برودة وقسوة نادرًا ما سمعتها بيتسي في صوت إيلين. «هل هذه أول مرة تشاهد فيها صورًا مثلها، يا مكسيم؟ لقد استخدمتها بنفسك من قبل. ولو أزحت الصورة إلى اليمين فستشاهد مقطع فيديو أيضًا. لكن لو كنتُ مكانك لما فعلت. إنه شديد الفظاعة. الصور ليست جيدة مثل تلك التي تظهر فيها عاري الصدر على ظهر ذلك الحصان، مع أن جيل يخبرني بأن الحصان يظهر في فيديو آخر».

أصبحت بيتسي الآن فضولية حقًا.

راح إيفانوف يحدق إلى إيلين عاجزًا عن الكلام. أو بالأحرى كانت كل الكلمات تتراكم في حلقه، كأنها جذوع أشجار تخنقه.

بدأت إيلين تبعد الهاتف غير أن يد إيفانوف قد اندفعت واختطفته، وقذفته نحو الجدار.

«ماكسيم، لا حاجة لأن تثور. لن يقودك ذلك إلى أي مكان».

«أنتِ أيتها العاهرة الغبية... الغبية»!

«عاهرة، ربما، لكنني لستُ غبية إلى هذه الدرجة حقًا؟ لقد تعلمت هذا منك. كم عدد الأشخاص الذين ابتززتهم؟ كم عدد أولئك الذين دمرت حياتهم بصور مزيفة لاعتداءات جنسية على الأطفال؟ نستطيع أن نتحدث مثل البالغين ما إن تهدأ».

لاحظت بيتسي بارتياح أن ستيف وعميل الأمن الدبلوماسي الآخر قد اقتربا جدًّا منهم. وأن ستيف قد استعاد هاتف إيلين، وأعاده إليها. تفقدته. كان لا يزال يعمل.

«تعرف»، قالت وهي توازن الهاتف فوق ركبتها كأنما تستفز إيفانوف به. «أنت محظوظ. لو كنت قد حطمت الهاتف ولم أستطع الاتصال بابني، لكانت القصة قد نُشرت. والآن أمامك خمس دقائق لإبطال مفعول هذه القنبلة». أومأت تجاه الهاتف. «قبل أن تخرج للعلن، وتنفجر».

«لن تفعلي ذلك».

«ولماذا لن أفعل؟»

«سوف تدمرين أي أمل في السلام بين أمتينا».

«حقًا؟ هل ذلك هو السلام الذي لا يأتي مصحوبًا بقنبلة واحدة أو قنبلتين، بل بثلاث قنابل نووية؟»

همّ بالحديث غير أن إيلين رفعت يدها وقاطعته.

«كفى. نحن نهدر الوقت القليل الذي يمتلكه كلانا».

مالت باتجاهه.

«أنت لا تدير المافيا الروسية فحسب، بل أنت من صنعتها. أنت أب تلك البذاءة، وهي تنفذ ما تقول. تمتلك المافيا الروسية منفذًا إلى اليورانيوم الروسي. كيف؟ من خلالك. خاصة اليورانيوم-٢٣٥ في جنوب الأورال. مادة شديدة الانشطار. بصمتها الذرية كانت موجودة في المصنع الذي أغارت عليه القوات الأمريكية ليلة أمس في باكستان. لقد باعت المافيا بشير شاه اليورانيوم، الذي بدوره استأجر علماء الفيزياء النووية حتى يحولوه إلى قنابل نووية. ثم باع شاه القنابل إلى القاعدة التي زرعتها داخل مدن أمريكية. كل هذا حدث تحت رعايتك. أحتاج إلى أن أعرف أين شاه، وأحتاج إلى أن أعرف بالتحديد أين تلك القنابل. وأحتاج إلى أن أعرف متى ستنفجر بالضبط».

«هذه فانتازيا».

أمسكت هاتفها، وكتبت رسالة. ثم حامت إصبعها فوق زر الإرسال. لا يمكن الشك في تصميمها، أو الاشمئزاز الذي شعرت به، وهي تنظر إليه.

«هيا»، قال. «لا أحد سيصدقكِ».

«لقد صدقوا الأمر عندما زيفت صورًا مشابهة لتلطخ سمعة خصومك. إنها حركتك المفضلة، أليس كذلك؟ القنبلة النيوترونية للاغتيالات السياسية. اتهام بالاعتداء الجنسي على الأطفال تدعمه الصور. شيء مؤكد».

«أحظى باحترام كبير جدًا»، قال إيفانوف غير أنه قد ضم ساقيه معًا. «لن يصدق أحد هذا. لن يجرؤ أحد على تصديقه».

«وها نحن قد وصلنا إلى قلب الحقيقة! الخوف. أنت تحكم

بالخوف. لكن ما تخلقه ليس ولاء، بل أعداء يتحينون اللحظة المناسبة للانقضاض عليك. وهذه الصور...» رفعت هاتفها. «هي الفتيل الذي سيفجر الثورة. اعتداء جنسي على الأطفال يا ماكسيم. صدقني، إنها صور لن يسهُل نسيانها. لكن ربما أنت محق. دعنا نجرب، ونرى».

ضغطت على زر إرسال قبل أن يستطيع قول أي شيء.

«انتظري»، صاح.

«فات الأوان. لقد أُرسِلت. جيل سيستلم تلك الرسالة. وفي غضون ثلاثين ثانية، سينشر القصة. وفي خلال دقيقة واحدة، ستصبح في كل مكان في العالم على رادار رويترز. وبعد ثلاث دقائق، سوف تلتقطها وكالات أخرى. وبعد ذلك بثوانٍ، سوف تصل إلى وسائل التواصل الاجتماعي، وستصبح موضوعًا رائجًا. وفي خلال أربع دقائق، سيصبح مشوارك المهني، حياتك التي تعرفها، منتهية. حتى أولئك الذين سيقولون إنهم لا يصدقون، سوف يخبئون أطفالهم، ويحبسون حيواناتهم الأليفة ما إن يرونك قادمًا».

حدق إليها بكراهية صريحة.

«سأقاضيهم».

«بالطبع. كنت لأفعل ذلك. غير أن الضرر سيكون قد وقع. توجد فرصة دائمًا، سيدي الرئيس. يمكنني أن أُوقف جيل عن النشر خلال الثواني القليلة القادمة».

«لا أعرف أين القنابل».

وقفت إيلين ووقفت بيتسي من بعدها، وقد قبضت على يديها حتى تكفا عن الاهتزاز. إنّهم تحت رحمة هذا الرجل إلى أن تصبحا على متن إير فورس ٢.

والرحمة عملة نادرة في روسيا إيفانوف.

«إنها الحقيقة»، صاح. «أعدمي القصة».

«لماذا؟ لم تقدم إليّ أي شيء. بجانب أنني لا أحبك حقًا. أنا سعيدة برؤيتك تسقط». توجهت إلى الباب. «سنمتلك فرصة أفضل بكثير لتحقيق السلام ما إن تبتعد عن السلطة، وتنشغل برعاية الورود في الداتشا [66] الخاص بك».

«أعرف أين شاه».

تسمرت إيلين في مكانها ثم استدارت.

«أخبرني. الآن».

تردد إيفانوف قبل أن يقول أخيرًا.

«إسلام آباد. لقد كان أمام عينيكِ مباشرة».

«أنت مخطئ ثانية. كان هناك لكنه اختفى. وترك جثة وزير الدفاع وراءه متصلة بمتفجرات. هل عرفت ذلك؟ لا بد من أنك استغرقت وقتًا طويلًا لترويضه حتى يكون تابعًا لك، والآن عليك أن تبدأ من جديد مع أنني أعتقد أنك ستجد رئيس الوزراء عوان أقل تغافلًا ممَّا كان من قبل. كل ذلك بفضل شاه. إنه ليس حليفًا مستقرًا، أليس كذلك؟» حدقت إليه. «أين هو؟» رفعت صوتها. «أخبرني».

66- داتشا: منزل موسمي أو دائم، يقع في ضواحي المدن الروسية. وتشير الكلمة إلى بيتٍ آخر غير البيت الأساسي الذي يمتلكه الشخص. فإذا كانت الأسرة تمتلك بيتًا واحدًا فلا يعد هذا البناء داتشا. (المترجم).

«الولايات المتحدة».

«أين؟»

«فلوريدا».

«أين؟»

«بالم بيتش».

«أنت تكذب. نحن نضع فيلته تحت المراقبة. لم يصل أي أحد إلى هناك».

«ليس هناك». قال إيفانوف. كان يبتسم الآن.

«تيك توك، سيدي الرئيس. أين في بالم بيتش؟»

مع أن إيلين وبيتسي قد عرفتا الإجابة، إلا أنَّ سماعها من بين شفتي الرئيس الروسي الرفيعتين كان صدمة حقيقية.

مكتبة
t.me/soramnqraa

الفصل الحادي والأربعون

«أرفض أن أصدق هذا»، قال الرئيس وليامز. «كل ما نملكه هو كلمة طاغية. إيريك دَن أحمق ومتغطرس. إنه شخص غبي، ومفيد لإيفانوف وحتى لشاه، لكنه لن يحمي إرهابيًا عن دراية. إيفانوف يكذب. يتلاعب بكِ».

زفرت إيلين ساخطة ثم نظرت إلى بيتسي.

كانوا على متن إير فورس ٣ في طريق عودتهم إلى واشنطن العاصمة.

«الرئيس غير مخطئ في شكِّه»، قالت بيتسي. «لقد شاهدتِ النظرة على وجه إيفانوف. لو كان باستطاعته أن يسلخ جلدكِ حية، لكان قد فعل. لا ضمانة على أنه يخبرنا الحقيقة حتى وأنتِ تبتزينه بهذه الصور. خاصة وأنتِ تفعلين ذلك. في هذه المرحلة كان ليفعل أي شيء حتى يدمركِ. بما في ذلك أن يجعلك تبدين مغفلة».

كانت إيلين قد وضعت يديها فوق الهاتف لكنها لا تزال تستطيع سماع صوت الرئيس الأمريكي الخافت جدًا كأنه عالق داخل الجهاز. «ابتزاز؟ أي صور؟»

رفعت يدها عن الهاتف، وشرحت الأمر.

«اللعنة. فعلت ذلك؟ الطفل...؟»

«صورة الصبي الصغير صممها الكومبيوتر. لا وجود له إطلاقًا في الحقيقة».

«شكرًا للرب على ذلك. لكنكِ زيفتِ الصور، ثم ابتززتِ بها رئيس دولة؟» سأل وليامز.

«إنــه رئيــس منظمــة إجراميــة ســاعدت فــي وضــع قنابــل نوويــة داخــل الأراضــي الأمريكيــة. أجــل، لقــد فعلــت كل ذلــك، وكنــت لأفعــل أكثــر مــن ذلــك إنْ لــزم الأمــر. مــاذا توقعــت أن أفعــل؟ أن أســتخدم معــه طريقــة الإيهــام بالغــرق[67]؟ انظــر، قــد تكــون محقًــا. ربمــا كــذب بشــأن وجــود شــاه فــي منــزل دَن. هنــاك طريقــة وحيــدة لنتأكــد مــن ذلــك».

«أظن أنكِ لا تقترحين أن نقرع جرس الباب».

«لا، أنــا أقتــرح عمليــة مداهمــة يقودهــا ضبــاط الكومنــدو علــى بيــت رئيــس ســابق لاختطــاف أحــد ضيوفــه».

«بحــق المســيح»، تنهــد. «أنصتــي إلــيّ، إيليــن. إيفانــوف مخــادع. لــو كانــت هــذه محاولــة انقــلاب، فإنــه يدفعنــا إلــى فعــل مــا يريــده بالضبــط. فحتــى لــو عثرنــا علــى شــاه والقنابــل، وتمكنــا مــن إبطــال مفعولهــا، فســوف يُطــاح بنــا ليــس فقــط بتهمــة اختــراق القانــون، إنمــا بتهمــة مهاجمتنــا خصمًــا سياســيًا أيضًــا. مهاجمتــه حرفيًــا بأســلحة فعليــة. يــا إلهــي، لــو أصــدرت أمــرًا بشــن غــارة علــى مجمــع منزلــه، فربمــا يُصــاب إيريــك دَن حتــى. ومــاذا بعــد؟» جلســوا فــي صمــت لحظــات قليلــة قبــل أن يســأل الرئيــس وليامــز. «هــل تعتقديــن أن دَن تابــع للــروس؟»

استنشقت إيلين نفسًا عميقًا.

«ربمــا ليــس مُتعمِّــدًا لكننــي أعتقــد أنــه قــد يكــون كذلــك دون وعــي منــه، إنْ كان ذلــك مهمًــا. ففــي كلتــا الحالتيــن المحصلــة واحــدة.

67- الإيهــام بالغــرق: إحــدى طرائــق التعذيــب العنيفــة والمحرمــة دوليًــا التــي ثبُــت اســتخدامها مــن المنظمــات الإرهابيــة والأجهــزة الاســتخباراتية بمــا فيهــا المخابــرات المركزيــة الأمريكيــة. وهــي محــاكاة الغــرق لانتــزاع الاعترافــات مــن المتهميــن. (المترجــم).

لـو عـاد دَن إلـى داخـل البيـت الأبيـض، فسـيكون بيدقًـا فـي رقعـة شطرنج. وقـد تصبـح أمريكا أيضًـا ولايـة روسـية. وسـيكون ماكسـيم إيفانـوف المتحكـم فيهـا. وبعـد ذلـك سيسـتطيع تعييـن رجلـه الخـاص رئيسًـا لـوزراء باكسـتان، ويتأكـد مـن أن آيـة الله العظمـى التالـي مـوالٍ لروسـيا. وسـيصبح إيفانـوف أخيـرًا القـوة المفرطـة[68] التـي يزعـم دائمًـا أنـه يمتلكهـا».

«اللعنة»، تنهدت بيتسي.

«اللعنـة هـي مـا سـتحدث فعـلًا». قـال الرئيـس. «أعتقـد أن أملنـا الوحيـد فـي أن نسـأل دَن إذا كان شـاه هنـاك، ولـو كان كذلـك، فعلينـا أن نناشـده حتـى يسـلمه لنـا طواعيـة. إنْ فعـل، فذلـك عظيـم. وإنْ لـم يفعـل، فسـنمتلك دليـلًا علـى الأقـل علـى أننـا قـد حاولنـا».

«آسـفة، سـيدي الرئيـس، لكـن هـل أنـت مجنـون؟ هـل نسـيت مـع مـن نتعامـل؟ قـد ينجـح ذلـك مـع أي رئيـس سـابق آخـر لكننـي أشـك فـي أن أي رئيـس سـابق سيسـتضيف بشـير شـاه فـي بيتـه. لا نسـتطيع المخاطـرة بذلـك. أن نسـأل دَن مباشـرة يعنـي أننـا نحـذر شـاه. أملنـا الوحيـد هـو عامـل المفاجـأة».

«لم ينجح عامل المفاجأة في باجور ليلة الأمس».

«لا. لـم يكـن ذلـك مأسـاويًا فحسـب، بـل كان مُقلقًـا علـى أقـل تقديـر. بـدا أن المتمرديـن الجهادييـن يعرفـون أن قـوات الصاعقـة قادمـة. لقـد حذرهـم أحدهـم».

البيـت الأبيـض، قـال الرجـل المحتضـر. «هلـي»، كتـب بِيـت هاملتـون

68- القـوة المفرطـة Hyperpower: دولـة واحـدة تهيمـن علـى الـدول الأخـرى جميعهـا فـي المجـالات كافـة. ويعـدّ المصطلـح خطـوة أعلـى مـن القـوة العظمـى. (المترجـم).

وهو شبه متأكد مما على وشك أن يحدث له. كلاهما مات، وهو يحاول أن يُوصِل المعلومة نفسها.

الخائن.

ذلك الشخص الذي حذَّر شاه من الغارة، الذي حذَّر بدوره متمردي طالبان الذين لم يتورعوا عن قتل ضباط الصاعقة. هذا الشخص لا بد من أنه يعرف عن القنابل النووية. وربما زرع بنفسه إحداها داخل البيت الأبيض. يجب أن يكتشفوا هويته. وحتى يفعلوا ذلك، كان على إيلين أن تخاطر وتنتهز الفرصة.

«ثمة شيء لم أخبرك به، سيدي الرئيس».

«يا إلهي، لا تخبريني أنكِ قد اختطفت إيفانوف».

«لا، لكن...»

«ما الأمر؟»

«قبل أن يُقتل بِيت هاملتون، أرسل رسالة إلى بيتسي. ثلاثة حروف. «هلي»».

انتظرت ردة فعله. ساد الصمت.

«تبدو الكلمة مألوفة بصورة مبهمة». قال الرئيس. «هلي. لكنني لا أستطيع أن أتذكر. ماذا تعني؟»

«مخبر رفيع المستوى».

«آه». ضحك. «هذه هي. كانت مزحة انتشرت في أرجاء الكونجرس قبل سنوات. أحد الصحافيين كان يطرح الأسئلة. كل ذلك كان جزءًا من نظرية مؤامرة كبرى اخترعها اليمين المتطرف».

جعل وليامز الأمر يبدو فكاهيًا.

«نعم، إنه أمر هزلي». خيم الصمت من جديد. «أظن أنه ليس مضحكًا الآن». اعترف.

«تظن؟! لقد قُتِل بيت هاملتون لأنه اكتشف ذلك. آخر شيء فعله قبل أن يموت هو إرسال تلك الرسالة. وللتذكير فقط، لا أظن أنها مجرد نظرية مؤامرة يمينية. أعتقد أن الأمر يتجاوز ذلك».

«إذًا تعتقدين أن هنالك «هلي» حقًا؟

«أجل، أعتقد ذلك».

«إذًا لماذا لم تخبريني بهذا من قبل؟» سألها.

«لم أستطع المخاطرة بأن يكتشف ذلك شخص آخر. شخص قريب منكَ».

«تقصدين مديرة مكتبي».

«أجل، لا يوجد أحد رفيع المستوى أكثر من باربرا ستينهاوزر. وهنالك أيضًا مساعدتها التي اكتشفنا منذ قليل أنها الشابة التي كانت برفقة هاملتون في الحانة. إنها مفقودة الآن. يجب أن تعترف أن هذا مثير للريبة».

«ما يجب أن أعترف به هو أن أي أحد ذكي وصبور حتى يخطط لكل هذا سوف يحرص على أن يكون لديه كبش فداء. ألا تعتقدين ذلك؟»

صمتت إيلين.

«وألا تعتقدين أن مديرة مكتبي هدف واضح وضوحًا فاضحًا؟ مبالغ فيه حتى!»

«قد تكون محقًا. الطريقة الوحيدة لمعرفة ذلك هي أن نتقفى أثر موقع «هلي» ذاك». قالت إيلين. «ونحصل على اسم ذلك الخائن. وذلك يعني العثور على آليكس هوانج».

«من؟»

«مندوب البيت الأبيض الذي كان يطرح الأسئلة».

«كيف تعرفين اسمه؟»

«لأنه كان مندوب جريدتي. لقد استقال قبل أن يحصل على القصة الكاملة. قال حينها إن «هلي» لا يقود إلى أي شيء. وأنه ربما شيء اخترعه أصحاب نظريات المؤامرة. إنهم بهذه الطريقة يستطيعون فبركة أي شيء جنوني، وينسبونه إلى «هلي» الغامض».

«يبدو ذلك واقعيًا حقًا».

«لم أفكر في الأمر ثانية إلى أن قُتِل بِيت هاملتون وهو ينقل تلك المعلومات إلينا. والمخبر الإيراني قال: *«البيت الأبيض»*، قبل أن يموت مباشرة. لا يمكننا تجاهل هذا».

«أين هو؟» سأل وليامز. «هذا الصحفي؟»

«لقد عثرت بيتسي عليه. لقد غيَّر اسمه، واختبأ في قرية بكبيك. بلدة تُدعى ثري باينز، لكنه يرفض أن يتكلم. أحاول إرسال شخص يستطيع إقناعه إلى هناك. شخص يثق به. عثورنا عليه يعني أن شاه ليس بعيدًا عن ذلك أيضًا».

«وإذا لم يخبرنا عمّا يعرفه عن «هلي»؟» سأل وليامز. «هل نختطفه أيضًا؟ لم لا؟ وربما نغزو أيضًا دولة أخرى ذات سيادة؛ حليفًا آخر. أنا متأكد من أن كندا لن تمانع».

استطاع الإحساس برأسه يدور فتراجع. عليه أن يحافظ على تركيزه لو أنه سوف يخرج من هذا اليوم حيًا. والطريقة الوحيدة لفعل ذلك هي العثور على القنابل وإبطال مفعولها.

«انظري»، قال. «شاه هدفنا الأساسي. أولويتنا القصوى. إنْ أمسكنا به، فالباقي أمور قابلة للجدال. غير أنني من أجل الوصول إليه، أحتاج إلى إصدار أمر بتنفيذ عملية سرية في وضح النهار. ضد مواطنين أمريكيين. بالأحرى ضد رئيس سابق. وحتى نكون واضحين هنا فإن ذلك مخالف للقانون».

«أجل، حسنًا، وزرع قنابل نووية قد يكون غير قانوني أيضًا، ألا تعتقد ذلك؟» اقترحت بيتسي.

«دوج، فرصة أن ينجو أي منا اليوم بحياته أولًا وسياسيًا ثانيًا ضئيلة جدًّا»، قالت إيلين. «عقوبة بالسجن يجب أن تكون أقل مخاوفنا. إذا كان شاه يعرف أين القنابل، ولدينا...» نظرت إلى الساعة -كانت من سخرية القدر ساعة ذريّة- فوق مكتبها على متن الطائرة أير فورس ٣، «عشر ساعات حتى نعثر عليها، ونبطل مفعولها، فإن تصويتي لصالح أن نكسر كل قانون سيسمح لنا بذلك دون الاهتمام بالعواقب».

«لكن العواقب ستسحقنا، إيلين». لم يبد منهكًا فحسب، بل مستنزفًا ومستسلمًا. «سأشرع في تنفيذ الأمر. من الأفضل أن ينجح. ومن الأفضل أن يكون شاه هناك».

***

كانت الطائرة إير فورس ٣ تقترب من قاعدة أندروز الجوية فيما يقترب إيريك دَن من مكان رمية الغولف الأولى، ويقترب ضباط الكومندو من فيلته.

كان تمرين الغولف الخاص بالرئيس دَن قد تقدم عن موعده المحدد، كما شرحت سكرتيرة النادي، بسبب عطل في نظام الكومبيوتر.

راقبه ضباط الكومندو وهو يغادر المجمع. ثم أخذوا مواقعهم. يمكنهم الآن مشاهدة حراس الأمن: رجال يحملون بنادق ويربطون حول خصورهم أحزمة عدة من الذخيرة لا يصطدم فقط بعضها ببعض في أثناء تجوالهم في المكان، بل تجعلهم عاجزين تقريبًا عن الحركة. في المقابل، اعتمد منفذو الهجوم من قوات دلتا الخاصة على عنصري السرعة والمفاجأة. حملوا سكاكين ومسدسات خفيفة وحبالًا وأشرطة. وذلك كل شيء.

يعرف أي ضابط كومندو حقيقي أن العنصر البشري أهم من المعدات. وأن نجاح أي مهمة يعتمد أكثر على شخصية الجندي وتدريبه أكثر من عتاده.

أعضاء ميليشيا اليمين المتطرف على النقيض، يثمنون سلاح «عوزي» أكثر من الثبات الذهني. همَّش دَن من دور عملاء الأمن السري الذين يحرسون عادة أي رئيس سابق، وأحل مكانهم رجال أمن خاص.

وذلك الصباح على إثر مكالمة هادئة من مركز القيادة، تقهقر عملاء المخابرات السرية إلى مسافة أبعد حتى، وتواروا في الخلفية تمامًا.

تطلب الأمر من قائد فريق العملية السرية مراقبة الحرس الخاص دقائق معدودة حتى يتعرف على روتينهم.

ما إن أعطى الإشارة حتى اندفع رجاله فوق الجدار، وهبطوا مثل القطط على الجانب الآخر ثم ركضوا في صمت نحو الفيلا.

حددت أجهزة الرادار الأماكن التي يوجد فيها بشر داخل البيت، وبينما استطاعوا أن يخمنوا تخمينًا مدروسًا أي من هؤلاء الأشخاص هو شاه، فإنهم لم يستطيعوا الجزم بذلك.

كانت الأوامر بأن لا يوجد أي ضحايا أو مصابين. أن يُمسِكوا بالرجل ويرحلوا في أسرع وقت ممكن. كانت مهمة شبه مستحيلة لكن تلك هي المهام الوحيدة التي يُكلَّف بها ضباط الكومندو من قوات دلتا.

بينما تندفع مجموعة عبر السلالم، تولت مجموعة ثانية الطابق الرئيس، وهبطت ثالثة إلى القبو. وزحف ضابطان إلى الحديقة الخلفية حيث يجلس رجل في الباحة.

«ليس هو». بلَّغت ضابطة، ثم تراجعت قبل أن يراها أي أحد. ثم توجهت إلى هدفها التالي.

«ليس هو».

«ليس هو».

«ليس هو».

كرروا واحدًا تلو الآخر فيما راقب وليامز في البيت الأبيض، وإيلين وبيتسي على متن إير فورس 3 الفيديو الذي تعرضه الكاميرات المثبتة فوق أجساد ضباط الكومندو، وهم بالكاد يتنفسون. لو أن شاه ليس هناك...

«ليس هو». بلغ آخر ضابط كومندو.

«ليس هنا»، قال مساعد قائد العملية.

ساد الصمت لحظة قبل أن يتكلم القائد.

«هناك أشخاص في المطبخ».

«كلهم عمال». قال آخر. «طباخ وخادم وغاسل صحون. تم التأكد منهم».

«أظهر راداري في البداية وجود أربعة أشخاص. لا بد من أن أحدهم في غرفة التبريد الآن. إنها مبطنة بالمعدن، والشخص بداخلها لم يخرج منها».

«تأكد مرة أخرى».

ركض ضابطا الكومندو في صمت عبر السلالم الخلفية إلى القبو، ثم انحرفا إلى داخل حجرة جانبية في آخر لحظة قبل أن تلمحهما إحدى مساعدات دَن التي كانت تحمل إفطارها في طريق رجوعها إلى أعلى.

في أثناء اقترابهما من المطبخ، ملأت الهواء رائحة لا يمكن أن يخطئها الأنف لكزبرة وخبز يُقلى. وصوت بلكنة إنجليزية خفيفة.

«تدعى هذه الأكلة براثا». كان الرجل أمام الموقد يقول، وهو يدفع بيده خبزًا مثلث الشكل داخل مقلاة من حديد الزهر.

«ما إن تقترب من النضوج حتى نضيف خليط البيض إليها».

دخل ضباط الكومندو إلى المطبخ.

بدأ الطباخ يلاحظ وجود الدخلاء، وهمّ الرجل الآخر يستدير لإلقاء نظرة إلى ما يحدث عندما وُضع شريط لاصق فوق فمه وحقيبة فوق رأسه.

«أحضروه».

قذفه أحد ضابطي الكومندو فوق كتفه. ثم استدارا وركضا.

غادرا القبو في غضون ثوانٍ، مختفيين تمامًا قبل أن يستطيع الطباخ أو غاسل الصحون أن يبادر بأي ردة فعل. اندفعا صاعدين السلالم بينما يركل الرجل ويتلوى ويتأوه.

كان ثمة نظام دعم تكنولوجي يوجِّه ضباط الكومندو، ويخبرهم بموقع الأشخاص. انسلوا داخل إحدى الحجرات وانتظروا حتى ركض العمال والأمن متجاوزين مكانهم نحو المطبخ بالقبو على إثر وصول أصوات الصيحات إلى مسامعهم.

لقد دخل ضباط دلتا المكان، وخرجوا منه في غضون دقائق معدودة.

بعد اثنتي عشرة دقيقة، أقلعت مروحية مدنية من أرض خاصة، وتوجهت شمالاً.

***

هبطت إير فورس 3 لكن إيلين وبيتسي ظلتا على متنها لمتابعة العملية.

«أرجوك يا إلهي العزيز»، قالت إيلين ما إن أقلعت المروحية. «ليكن شاه، وليس مجرد طباخ مسكين».

«انزعوا الغطاء عن رأسه». أمر الرئيس وليامز فنفذ قائد قوات دلتا.

حدق إليهم وجه النادل من العشاء في إسلام آباد.

حدق إليهم وجه عالم الفيزياء النووية البارز.

حدق إليهم أخطر تاجر مخدرات في العالم. الدكتور بشير شاه.

«لقد أمسكنا به». تنهدت إيلين. «لقد قبضنا على أزي دهاكه».

يمكنها سماع دوج وليامز يضحك ضحكة هستيرية تشي بالارتياح. ثم توقف الضحك.

«أزي من؟ أليس شاه؟»

«آسفة! أجل، أجل. هو شاه. تهانيّ، سيدي الرئيس. لقد فعلتها».

«فعلناها. فعلوها». تحدث ويليامز عبر سماعات الأذن إلى قائد فرقة دلتا. «تهانيّ. أتمنى أن أستطيع أن أخبرك ذات يوم بمدى أهمية هذا الفعل».

«عفوًا، سيدي الرئيس».

ما إن سمع ذلك حتى اتسعت عينا شاه. لا يزال فاه مغطى بالشريط غير أن عيناه قد قالت كل شيء. كان متأكدًا تمامًا من أنه يعرف أين سيأخذونه. ومما ينتظره هناك برفقة الرئيس الأمريكي.

***

نكس دوج ويليامز رأسه، ورفع يديه إلى وجهه متحسسًا شعر لحيته النامي.

قبل أن يذهب إلى حمامه الخاص ليستحم، ويحلق ذقنه، بحث عن «أزي دهاكه». تطلب الأمر منه محاولات قليلة حتى يكتب الكلمة كتابة صحيحة إملائيًا لكن ها هي أمامه. صورة تنين بثلاثة رؤوس يرمز إلى الدمار والإرهاب، ويُولَد من رحم الأكاذيب، ويتضخم ليعيث الخراب في العالم. طاغية ثُعباني مظهره يزدهر في عتمة الفوضى.

نعم، كان بشير شاه كل ذلك.

فيما يرش دوج ويليامز المياه على وجهه، وينظر إلى انعكاسه في المرأة، تساءل إلى من ينتمي الرأسان المتبقيان. الرأس الثاني محجوز لإيفانوف، أجل. لكن لمن الرأس الثالث؟ من هو

الـ«هلي»؟»

ما إن بات داخل حوض الاستحمام، والمياه الساخنة تتدفق متخللة شعره، وفوق رأسه، ووجهه، وأسفل جسمه، وشعر بأنه عاد ثانية إنسانًا إلى حد ما حتى خطر بباله ما قالته إيلين عن ذلك الصحافي. الصحافي الذي فرَّ مثل الكثيرين غيره إلى كندا أملًا في العثور على الأمان.

لقد ذكرت اسم قرية في كبيك. كانت المرة الثانية التي يتحدث فيها شخص إليه عن هذا المكان مؤخرًا.

تذكر في أثناء تجفيف شعره. تلك اللحظات التي كانت تنتظر أن تُحرق وتُنسى إلى الأبد. لقد ذكر اللواء شيئًا عن كلبه، باين. وثري باينز.

هرول خارج الحمام، ومنشفته حول خصره، واتصل برئيس هيئة الأركان المشتركة. أنصت إليه ثم هاتف وزيرة خارجيته التي كانت في طريقها إلى منزلها من أجل استحمام سريع، وتبديل ثيابها قبل أن تتوجه إلى البيت الأبيض.

«هل أرسلتِ أي أحد إلى كبيك ليتحدث إلى الصحفي؟» سأل.

«ليس بعد. نحاول أن نعثر على شخص يثق به».

«لا تهتمي بذلك. أعتقد أن لدينا الشخص المناسب».

الساعة التاسعة صباحًا الآن. لو كانوا محقين، فستتفجر القنابل النووية في الرابعة عصرًا.

سبع ساعات.

أمامهم سبع ساعات فقط غير أن شاه بحوزتهم أيضًا.

والآن ربما يمتلكون أفضلية على الرأس الثالث لأزي دهاكه.

***

«كيف حال باين؟»

«عظيم، لكن أذنيه ضخمتان شيئًا ما». قال اللواء عبر الهاتف.

«حقًا؟» خفض أرماند جاماش عينيه إلى هنري، كلبه الشيبرد الألماني، الذي كان ليتعثر في أذنيه لو تدلتا فوق الأرض غير أنهما تنتصبان الآن إلى أعلى باستقامة. تعلو وجه الكلب نظرة ذهول مستمرة.

«لقد سمعت ثرثرة قادمة من واشنطن العاصمة. هل كل شيء بخير هناك؟»

«حسنًا، في الحقيقة، ذلك سبب اتصالي بك. هل تعرف شخصًا يُدعى آليكس هوانج؟»

«بالطبع. ليس شخصيًا لكنني كنت أقرأ تقاريره الصحفية عن البيت الأبيض. لقد تقاعد، أليس كذلك؟»

«استقال، أجل. يعيش الآن في ثري باينز».

«لا أعتقد ذلك. لا أحد هنا يحمل ذلك الاسم».

«لا، لكن لديكم شخصًا يدعى آل شين، أمريكي الجنسية. وصل قبل ثلاث سنوات؟»

«قبل سنتين، أجل». صار صوت جاماش قلقًا. «هل تخبرني بأنه هوانج؟ لماذا سيغيِّر اسمه؟»

«لذلك أتصل بك. أحتاج إليك».

***

خطت إيلين داخل حوض الاستحمام أخيرًا.

أغمضت عينيها، وتركت المياه الساخنة ترتطم بوجهها، وتهبط كشلال فوق جسدها المُنهك. شعرت بكدمات في أنحاء جسمها، مع أنها لم تصب بأي إصابة. على الأقل لم تكن إصابات تراها العين غير أنها تعرف أنها لن تتعافى أبدًا من صدمة وألم ورعب الأيام القليلة الماضية.

كانت الجروح داخلية وأبدية.

لا وقت للتفكير في ذلك الآن. لا يزال هنالك مسافة أخيرة يجب أن تركضها. اللفة الأخيرة. لقد توقفت وبيتسي في منزلها لتستحما سريعًا، وتستبدلا ثيابًا أخرى نظيفة ومنعشة بثيابهما.

كان توقُّف لاستعادة الطاقة وتهدئة السرعة بالنسبة إليها.

أما بالنسبة إلى بيتسي؟

ما إن خرجت إيلين من حوض الاستحمام حتى شمت رائحة قهوة طازجة ولحمًا مقددًا مدخنًا بالقيقب.

«هل تعدين فطورًا؟» سألت، وهي تدخل المطبخ الساطع بأشعة الشمس، والمبهج. «العالم على وشك أن ينفجر حرفيًا، وأنت تطهين اللحم المقدد؟»

«وأسخن كعك القرفة الذي تحبينه».

أجل، تستطيع أن تشم رائحته الآن.

«هل تحاولين تعذيبي؟ لا أستطيع المكوث. يجب أن أذهب إلى البيت الأبيض».

«لقد أعددتها حتى نأخذها معنا. نستطيع تناول الطعام والمشروبات في السيارة».

«بيتسي...»

توقفت مستشارتها، وملعقة مسطحة في يدها، ونظرت إليها.

«لا، لا تقوليها».

«لن تأتي معي».

«بل سآتي بحق الجحيم. لقد أنقذتِ حياتي أكثر من مرة، ودعمتِني عاطفيًا وماديًا. بعد وفاة باتريك...» استنشقت نفسًا عميقًا. وأطلقت شهقة، وهي تتأرجح على حافة ذلك الجرح العميق. «أنتِ أعز صديقاتي. لن تتركيني وراءكِ».

«أحتاج إليكِ هنا من أجل كاثرين. ومن أجل جيل. ومن أجل الكلاب».

«لا تمتلكين أي كلاب».

«لا، لكنك ستقتنين بعضًا منها، أليس كذلك؟ لو أن...»

بدأت عينا بيتسي تلسعانها، وتحول تنفسها إلى شهقات متقطعة.

«لا. يمكنكِ... أن... تتركيني... وراءكِ».

«أحتاج إليك»، قالت إيلين. *أرجوكِ*، توسلت بيتسي إليها. *قوليها. قولي الكلمة الأخيرة. «معي». أحتاج إليكِ معي*. «هنا. عديني بأنكِ ستفعلين ما أطلبه. أرجوكِ، مرة واحدة في حياتك. سوف أتصل بكِ عبر مكالمة الفيديو. لكن إنْ لم تكوني هنا، فسأغلق الخط، وليساعدني الرب».

«سأكون هنا».

«سأترك رقمًا بجوار الهاتف في الردهة. استخدميه إن لزم الأمر». أومأت بيتسي برأسها.

أمسكتها إيلين، وعانقتها بقوة.

«الماضي والحاضر والمستقبل يدلفون معًا إلى حانة...»

تشبثت بيتسي بصديقتها، وحاولت أن تتكلم لكن لم تخرج أي كلمة من فمها.

أفلتتها إيلين، وقبلتها على خدها ثم استدارت وغادرت.

بينما تهرول إلى الباب والعربة المنتظرة، تجاوزت الصور المؤطرة للأطفال وأعياد الميلاد وأعياد الشكر والكريسماس. صور زفافها بكوين. بيتسي وهي عندما كانتا طفلتين. بيتسي متسخة والمخاط يسيل من أنفها، وإيلين غاية في النظافة. نصفان لكيان رائع.

غادرت إيلين منزلها، وركبت سيارة SUV المنتظرة حتى تحملها إلى البيت الأبيض حيث ينتظرها الرئيس وقنبلة نووية.

«كانت رحلة موترة للأعصاب». همست بيتسي، وهي تشاهد العربة تبتعد.

ثم انهارت ببطء شديد على ركبتيها. عطر إيلين عالق في الجو بخفة، ويحيط بها من جميع الاتجاهات كأنه يحميها. أروماتكس إليكسير.

مالت إلى الأمام وانكمشت بجسمها إلى أصغر حجم ممكن. وأغمضت عينيها. وراحت تهتز.

لم تكن بيتسي خائفة فحسب. كانت في حالة رعب.

حالة إرهاب.

***

سار كبير المفتشين جاماش، رئيس قسم جرائم القتل في جهاز أمن كبيك، إلى داخل متجر الكتب.

«لم تصل بعد، أرماند». قالت ميرنا.

«ما الذي لم يصل؟»

«رواية «شبكة شارلوت» التي طلبتها من أجل حفيدتك. تبدو مشغول البال».

«قليلًا. أين آل؟»

«يجرف الثلج في بيت روث».

«يجرفه للخارج أم الداخل؟» سأل أرماند.

ضحكت ميرنا.

«للخارج هذه المرة».

«شكرًا»، قال أرماند، ومشى عبر النهار الشتوي اللامع المغطى بالثلج إلى منزل روث زاردو الصغير الذي يقع خارج حديقة القرية مباشرة. شاهد نفخات من الثلج ترتفع من وراء كتل الجليد العالية، وبريق نصل الجاروف في الهواء.

«آل؟»

توقف الرجل، في الأربعينيات من عمره، وبوجه متورد من المجهود والبرد، واتكأ على الجاروف. «أرماند، ما الأمر؟»

«أيمكننا الحديث؟»

حدق آل إلى جاره. يمكنه أن يخمن الأمر من النظرة التي علت وجه جاماش. اتصلت به قبل ساعات قليلة امرأة تدعى بيتسي من وزارة الخارجية. رفض الحديث إليها. وشرح لها أن لديه حياة جديدة. حياة جيدة. حياة مسالمة أخيرًا.

مع أنها ليست مسالمة تمامًا. ثمة ظل يحوم فوقها كل يوم وكل ليلة. عرف آل شين أن هذا اليوم سيأتي. يوم سيتبدد فيه الظل ويُظهِر الوحش نفسه.

زفر شين زفرة طويلة. خرج نَفَسه في تيار من البخار. قال، وهو يقذف الجاروف إلى كومة الثلج، «حسنًا، لنتحدث».

مشيا معًا نحو الحانة، وأقدامهما تسحق الثلج الكثيف تحتها. وأعينهما تضيق، وهي تنظر إلى أشعة الشمس البراقة التي تنعكس عن كتل الجليد العالية.

لمح جاماش الحانة أمامهما. ولمح شين نهاية حياته المسالمة.

ما إن صارا في الداخل، حتى عثرا على مقعدين بجوار النار وطلبا قهوة بالحليب.

«شكرًا»، قال جاماش للنادل عند وصول المشروبات ثم استدار إلى آل، وتأمله لحظة. عندما تحدث، كان صوته خفيضًا. «أعرف من أنت، ولماذا أنت هنا؟ حتى تختبئ، أليس كذلك؟»

لم ينبس آل بكلمة لذا تابع جاماش:

«وأعرف لماذا تمكث هنا». نظر إلى الباب الذي يصِل بين الحانة ومتجر الكتب. مال مقتربًا من شين، وخفض صوته أكثر. «لو عَثَر عليك، فسيجلب كل أشكال الجحيم إلى هنا. لن يؤذيك أنت فقط، بل سيؤذي ميرنا، وأي أحد آخر قد يرغب في إيذائه».

«لا أعرف عمّن تتحدث، أرماند. من هو؟»

«الشخص الذي تختبئ منه. هل تريدني أن أقول اسمه حقًا؟ انظر، لو عثرنا نحن عليك، فسيستطيع هو العثور عليك أيضًا. لا أعرف مقدار الوقت المتبقي لنا لكنني أشك في أنه ليس كثيرًا».

ظل شين صامتًا، وأنفاسه تخرج في نفخات إلى أن احتوت نفخة أخيرًا على كلمات.

«لا يمكنني العودة، أرماند. بالكاد تمكنت من الخروج».

كانت يداه ترتجفان. ذكَّرتا أرماند بالرجل الذي وصل إلى هنا قبل سنتين.

كان يرتجف مع أي ضجة. ولا يستطيع الوجود في حجرة مزدحمة أبدًا. ويرتعش ما إن ينظر إليه أي أحد، أو يتحدث إليه حتى. كل ما استطاعوا فعله هو مهادنته حتى يخرج من حجرته في نُزل «أوليفر آند جابري».

ثم أخيرًا جاءت ميرنا بصوتها الشجي الدافئ وكعك الشوكولاتة الذي تجيد طهيه، ونجحت في إخراجه من هذه الحالة. بعد أن شكت في حبه للكتب، دعته إلى متجر كتبها في أمسية صيفية بعد إغلاقه. ومن بعد تلك الأمسية، كانت تفتح الباب له كل ثلاثة أيام، وتسمح له بمطالعة الكتب بمفرده. اشترى أنواع الكتب شتى. أحيانًا كتب جديدة، لكن غالبًا مستعملة. ثم أقنعته أن يرافقها إلى الفناء خلف متجر الكتب حيث كانا يرتشفان البيرة، ويشاهدان نهر «بيلا» يجري أمامهما. كانا يتحدثان تارة، ويصمتان تارة أخرى. ثم أقنعته بالجلوس في الباحة الأمامية حيث استطاع مشاهدة حياة القرية تتجلى أمامه، بطيئة لكن غير راكدة أبدًا.

وهكذا انخرط آل شين في الحياة شيئًا فشيئًا. والآن صار جزءًا حقيقيًا من المجتمع، غير أنه لم يكن صريحًا تمامًا مع سكان القرية.

«هل تعرف ميرنا من أنت حقًا؟»

«لا، تعرف أن لدي ماضيًا لا أود مناقشته، لكنها لا تعرف من أنا».

«لن أخبرها، غير أنني أحتاج منك أن تعود إلى هناك. يجب أن تخبرهم بما تعرفه عن ذلك الموقع الإلكتروني، «هلي».

هز آل رأسه.

«لن أفعل. لن أستطيع أن أفعل ذلك».

«انظر»، قال. «لقد قبضوا على بشير شاه. إنه في الطريق إلى واشنطن العاصمة الآن، رهن الاحتجاز. لكنهم يحتاجون إلى معرفة هوية المخبر رفيع المستوى. إنك تفهم معنى ذلك، أليس صحيحًا؟»

«بحوزتهم بشير شاه؟ حقًا؟ أأنت لا تدعي ذلك فحسب؟»

«هو بحوزتهم. لكنك تعرف مدى خطورته. وما يستطيع هو ورجاله أن يفعلوه. الرئيس وليامز يحتاج إلى أن يعرف من يعمل مع شاه داخل البيت الأبيض».

لم يكن أرماند على علم بالقنابل النووية. لم يكن بحاجة إلى هذا. يعرف بأمر قنابل الحافلات في أوروبا بالطبع. ولا بد أنه قد سمع الثرثرة عن وجود متفجرات أخرى. أكثر قوة. في مكان ما.

«إنْ كنت لا تستطيع العودة، فأخبرني إذًا. من المخبر رفيع المستوى؟ من هو؟»

أصبح صوت جاماش لينًا بدلًا من أن يصرخ.

يعرف من خبرته الواسعة أن البشر يختبئون وراء خطوط دفاعهم ما إن يصرخ أحدهم فيهم. غير أنه لو وجه الحديث إليهم بلطف، فإنهم يجدون أنفسهم ينصاعون إليه، ويبوحون بالحقيقة مثل حيوان جريح خائف.

هـز آل شـين رأسـه لكـن هـذه المـرة كان الأمـر مختلفًـا. لـم يكـن يرفـض الحديـث. اسـتطاع جامـاش ملاحظـة ذلـك.

«ليس «هـو»».

«هـي؟»

«بل هـم. ذلـك مـا اكتشـفته. «هلـي» ليس شـخصًا واحـدًا. أو قـد يكون كذلـك. مـن الواضـح أن شـخصًا واحـدًا يقـود الأمـر برمتـه لكـن مـا اكتشـفته أن «هلـي» مجموعـة. منظمـة».

«وما هدفها؟»

«إعـادة أمريـكا إلـى الصـورة التـي يجـب أن تكـون عليهـا مـن وجهـة نظرهـم. تتكـون المنظمـة، حسـب معرفتـي، مـن أشـخاص أقويـاء وسـاخطين».

«سـاخطين ممن؟»

«مـن الحكومـة. مـن توجُّـه الدولـة. مـن التغيـرات الثقافيـة. يعـدون أنفسـهم الأمريكييـن الحقيقييـن، ويـرون أن قِيمهـم تتـآكل وتتلاشـى. إنهـم ليسـوا مجـرد محافظيـن محترميـن، يشـتاقون إلـى مـا كانـت عليـه أمريـكا، ويرغبـون فـي عودتهـا. إنهـم متشـددون مـن اليميـن المتطـرف. فاشـيون ومتعصبـون بيـض وميليشـيات، يشـعرون بـأن الولايـات المتحـدة لـم تعـد أمريـكا التـي يعرفونهـا، لـذا لا يراودهـم أي إحسـاس بعـدم الـولاء. علـى النقيـض، يعـدُّون مـا يفعلونـه محاولـة لتصحيـح دفـة السـفينة».

«بأن يُغرِقوها؟»

«بأن يطهروها. يشعرون بأنه واجبهم الوطني».

«ضباط في الجيش؟»

أومأ شين.

«ضباط ذوو رتب عالية ومخضرمون وأعضاء بالكونجرس وأعضاء بمجلس الشيوخ».

«يا إلهي»، همس جاماش وهو يميل إلى الوراء لحظة ويحدق إلى النار المستعرة. «من هم؟ أحتاج إلى أسماء».

«أتمنى لو أنني أعرف. كنت لأخبرك لكنني لا أعرف».

«مؤيدون للرئيس السابق؟»

«ظاهريًا، لكن ظاهريًا فقط. هؤلاء أشخاص يكرهون الحكومة. حتى حكومته».

«لكن بعضهم أعضاء فيها، سياسيون».

«إنْ كنتَ ستهدم نظامًا ضخمًا، ألن تبدأ التدمير من الداخل؟»

أومأ جاماش.

«إن «هلي» موقع إلكتروني على الشبكة المظلمة، صحيح؟ هناك يتشارك أولئك الأشخاص المعلومات».

«بل أبعد من الشبكة المظلمة».

رفع جاماش حاجبيه.

«لم أعرف أنه يوجد شيء مثل هذا».

«الإنترنت أشبه بالكون. لا نهاية له. هناك كل أشكال العجائب، وكل أشكال الثقوب السوداء. هناك عثرت على «هلي»».

«أحتاج إلى العنوان».

«لا أعرفه».

«لا أصدقك».

تبادلا النظرات.

يستطيع جاماش أن يرى الخوف والغضب في عيني آل شين. ويستطيع شين أن يرى الانزعاج ونفاد الصبر في عيني جاماش غير أنه استطاع أن يلمح شيئًا آخر. كان في أعماق هاتين العينين تعاطف.. وطيبة أيضًا.

استنشق آل شين نفسًا عميقًا، وحدق نحو متجر الكتب حيث كانت ميرنا ترتب مجلدات كتب قد وصلت للتو قبل أن يُقدم على فعل شيء لم يتوقعه جاماش. فكَّ أزرار قميصه. فوق قلبه مباشرة توجد ندبة.

«أخبرت ميرنا بأنها شيفرة مختصرة استخدمتها أمي لكتابة اقتباسها المفضل».

«وصدقتك؟»

«لست متأكدًا، لكنها قبلت بالأمر».

«ما هذا حقًا؟»

«عنوان «هلي»».

مال جاماش برأسه، وحدق إلى الندبة ثم إلى عيني شين.

«لا يشبه أي شيء شاهدته من قبل».

«فلتعدَّ نفسك من المحظوظين إذًا. سيقودك هذا إلى الثقب الأسود غير أنه لن يُدخلَك إليه. تحتاج إلى شيفرة دخول من أجل ذلك».

«التي هي؟»

هز شين رأسه.

«لم أصل قط إلى الشيفرة. هذا أبعد ما وصلت إليه قبل أن يرسلوا رجالهم ورائي. بعد ذلك أتيت إلى هنا».

نظر خارج النوافذ المسيجة، التي خدشها الصقيع، إلى أشجار البلوط الثلاث التي ترتفع سامقة فوق القرية، وتشير قممها إلى الجنة.

«نحتاج إلى شيفرة الدخول»، قال جاماش. «هل لديك أي فكرة عمّن يمتلكها؟»

«حسنًا، بالطبع أي عضو في «هلي». وربما بشير شاه».

«هل تمانع؟»

رفع جاماش هاتفه، وعندما هز شين رأسه، التقط صورة لسلسلة الأرقام، والحروف، والرموز التي لا تبدو عنوانًا لموقع إلكتروني إطلاقًا. أو على الأقل ليست عنوانًا لأي موقع عادي. وليس في العالم الذي يعرفه على أي حال.

«من فعل ذلك بك؟»

«أنا من فعل ذلك. ذات ليلة كنتُ فيها ثملًا وغائبًا عن الوعي».

«لماذا؟»

«أعتقد أنك تعرف لماذا، أرماند».

أعاد ربط أزرار قميصه، ثم غادرا معًا الحانة. ومع أنه يرتدي معطف باركا ثقيلًا، غير أن آليكس هوانغ كان لا يزال يشعر بالبرد القارس. لا يمكن لأي قدر من العزل أن يدفئه.

كانت البرودة تنبع من داخله. أو ربما يستطيع الآن فقط أن يشعر بالدفء من جديد. بأنه إنسان كامل ثانية.

قبل أن يفترقا، شكره أرماند وسأله: «هل كان لأمكَ اقتباسٌ مفضلٌ حقًا؟»

«أجل. لا تخف Noli timere [69]».

مد أرماند يده ليصافحه، وقال. «لا تخف».

بينما عاد هوانج إلى متجر الكتب ليبحث أكثر عن الشاعر الناكر للجميل، رجع أرماند إلى منزله حتى يرسل الصورة إلى صديقه. رئيس هيئة الأركان المشتركة. صورة ليست لعنوان موقع إلكتروني سري فقط، بل صورة لتعبير إنسان عن كراهيته لنفسه.

قطع آل شين لحمه كان بمثابة اتهام لذاته، وتذكير يومي له بجُبنه.

لا تخف، فكر أرماند، وهو يضغط على زر الإرسال.

ربما يستطيع آل شين -أو آليكس هوانج- أن يرى الندبات الآن باعتبارها شيء آخر. ترنيمة شكر. أو نعمة. أنه قد نحت الحروف والأرقام والرموز المرعبة فوق قلبه حيث لا يستطيع أبدًا أن يفقدها. وأنه لاذ بالفرار إلى هذه القرية حيث فقد قلبه حقًا لكن فقده من أجل الحب.

طاف أرمان بعينيه في النهار البديع، وهمس. «لا تخف. لا تخف».

مع أنه كان خائفًا.

69- الكلمات الأخيرة للشاعر شيموس جستن هيني إلى زوجته. وهو شاعر إيرلندي حاز جائزة نوبل سنة 1995. (المترجم).

الفصل الثاني والأربعون

هـذه هـي اللعبـة الأخيـرة. النهايـة. عـرف جميـع مـن فـي تلـك الحجـرة هـذا.

كان الوقـت ٢:٥٧ عصـرًا بتوقيـت واشـنطن العاصمـة. أمامهـم حتـى الرابعـة عصـرًا، أي سـاعة وثـلاث دقائـق حتـى يُبطلـوا مفعـول القنابـل. لقـد قطعـوا شـوطًا طويـلًا منـد وصلـت تلـك الرسـالة المشـفرة الأولـى إلـى مكتـب آناهيتـا ضاهـر فـي وزارة الخارجيـة منـذ مـا بـدا أنـه الأبديـة.

لكن هل وصلوا إلى حيث ينبغي لهم الوصول؟

كان فـي كل مدينـة كبـرى فـرق متأهبـة للتحـرك. وكان كل جهـاز مخابـرات دولـي يرسـل إلـى الولايـات المتحـدة الاتصـالات الصـادرة عـن القاعـدة وحلفائهـا، التـي ينجحـون فـي اعتراضهـا. وقـد كان الأمـر علـى هـذا المنـوال منـذ بدايـة الأحـداث. لكـن لا شـيء حتـى الآن.

أملهـم الوحيـد هـو العالـم الباكسـتاني فـي منتصـف العمـر، الجالـس فـوق مقعـد خشـن الظهـر، فـي المكتـب البيضـاوي، وهـو يحـدق مـن فـوق مكتـب رزوليـت إلـى رئيـس الولايـات المتحـدة.

«أخبرنا أين القنابل؟ شاه».

«لماذا يجب عليّ هذا؟»

«لا تنكر الأمر إذًا؟»

مال برأسه مدهوشًا.

«أنكره؟ لقد قضيت سنوات عدة في الإقامة الجبرية بسببكم أيها الأمريكيون، وأنا أفكر في هذه اللحظة. أحلم بها. إن مشاهدة ما يحدث هنا في الولايات المتحدة، مشاهدة ديمقراطيتكم تنهار لأمر ممتع جدًا. إنه أفضل برنامج واقعي على الإطلاق، مع أنه ليس واقعًا حقًا، أليس كذلك؟ معظم السياسة، معظم ما يُطلَق عليه ديمقراطية، هو مجرد وهم. خشبة مسرح نُصِبت لخداع العامة البسطاء».

«هل تقول إنَّ القنابل غير حقيقية؟» قالت إيلين.

«أوه، لا. إنها حقيقية».

«إذًا لو كنت لا ترغب في أن تنفجر أيضًا، فأخبرنا أين هي. لدينا...» تفقدت الساعة. «تسع وخمسون دقيقة».

«إذًا فقد حللتِ الشيفرة التي دسستها في جيبكِ. أجل، تسع وخمسون... آه، ثمان وخمسون دقيقة، ثم يتلاشى كل هذا. ويصبح الخيار إمّا الفوضى وإما الديكتاتورية. ماذا تعتقدان أن الشعب الأمريكي سيختار؟ في حالة إرهاب ومدفوعين بخوفهم من وقوع هجوم آخر، سوف ينفذون عمل الإرهابيين نيابة عنهم. سيدمرون حرياتهم ويقبلون، بل حتى سيصفقون تأييدًا لتعطيل الحريات ولمعسكرات الاعتقال وللتعذيب وللترحيل. الأجندة الليبرالية والمساواة التي تطالب بها النساء وزواج المثليين والمهاجرون. سوف يُلقى اللوم على كل ذلك باعتباره سببًا لوفاة أمريكا الحقيقية. لكن بفضل التصرف الجريء للقلة الوطنية، الأنجلو-سكونيين البيض، ستُسترجع أمريكا الأجداد التي يرهبها الجميع. وإن كان عليهم أن يذبحوا آلافًا قليلة لتحقيق ذلك، فلا بأس.

إنها حرب في نهاية المطاف. وستموت المنارة التي كانت تمثلها أمريكا ذات يوم منتحرة. صراحة، لقد كانت تسعل دمًا على أي حال».

«أين هي؟!» صاح الرئيس وليامز.

«لقد شاهدت انقلابات كثيرة لكن ليس من هذا القرب أبدًا». مال شاه إلى الأمام. «بين كل الانقلابات شيء واحد مشترك. تريدان أن تعرفا ما ذلك الشيء؟»

حدق إليه وليامز وإيلين.

«سأخبركما. كلها... مُفاجِئة جدًّا. على الأقل للشخص الذي يُنقلَب عليه. كل أولئك الذين على وشك أن يُطاح بهم، أو ربما يُرمَون بالرصاص، أو يشنقون حتى. انظر إليك، سيدي الرئيس. مصدوم ومفزوع ومرتبك وخائف ومرعوب. تتساءل كيف يمكن لهذا أن يحدث؟ لكن لو كنت تولي الأمر انتباهًا، لكنت قد شاهدت المد يغيِّر اتجاهه. والمياه ترتفع وتنتفض. هذا خطؤك مثلما هو خطأ أي شخص آخر».

ارتخى شاه في مقعده، وصالب ساقيه، ونفَّض قطعة وبر غير مرئية عن ركبته. مع هذا لاحظت إيلين رعشة طفيفة في يده. رعشة لم تكن حينما أعطاها النادل طبق السلطة في إسلام آباد.

كانت رعشة حديثة.

كان هذا الرجل خائفًا في نهاية المطاف. لكن من ماذا؟ من الموت أم من شيء آخر؟ ما الذي يخاف منه أزي دهاكه؟ من شيء واحد لا محالة. من وحش أضخم. وبالنظر إلى الرعشة في يده، فإن ذلك الوحش لا بد من أنه قريب.

«في حين كنتم تنظرون إلى الخارج وتفحصون الأفق بحثًا عن تهديدات»، تابع. «أغفلتم ما كان يحدث في باحتكم الخلفية. ما كان يتغلغل هناك داخل الأراضي الأمريكية. في بلداتكم ومتاجركم. وبين أصدقائكم وعائلاتكم. دفة الأحاديث تتحرك إلى اليمين بصورة محسوسة. واليمين يتحرك إلى أقصى اليمين. وأقصى اليمين يصبح اليمين البديل. ويصبح الناس في قمة غضبهم وحنقهم متطرفين بفضل إنترنت يعج بنظريات جنونية وحقائق كاذبة وسياسيين متعجرفين سُمح لهم ببث الأكاذيب. شاهدت من على مبعدة ما لم تستطيعوا رؤيته عن قرب. التعاسة هنا تنمو إلى سخط عارم. ومن يدعون أنفسهم وطنيين يمتلكون السخط والعزيمة والدعم المادي. ويمتلكون الفتيل. كل ما كانوا يفتقدون إليه هو الشيء الوحيد الذي أستطيع تزويدهم به».

«قنبلة». قال وليامز.

«بل قنبلة نووية». قالت إيلين.

«بالضبط. كل ما احتجت إليه هو إطلاق سراحي، ورئيسكم الأحمق المفيد قد منحني ذلك. بعدها استطعت أن أجمع النصفين معًا»، رفع يديه، «الإرهابيين الدوليين في القاعدة، والوطنيين في الداخل». ضم يديه معًا. «وها نحن الآن. أجل، لقد كان لديَّ سنوات لأفكر في هذه اللحظة. الوقت والصبر. الوقت والصبر. قال تولستوي إن هذين هما أقوى المقاتلين، وقد كان محقًا. القليلون جدًا من يمتلكونهما. كنتُ من هؤلاء القلة. صحيح أنني قد تخيلت أنني سأشاهد هذا من منزلي في إسلام آباد غير أنني الآن في أحد مقاعد الصف الأمامي».

«أنت فعليًا على خشبة المسرح». قالت إيلين.

استدار إليها.

«وأنتِ أيضًا. أنا في مهنة مُربِحة لكنها خطِرة. لا أمتلك أوهامًا عن ذلك. لقد فكرت مليًا في الطرائق المختلفة التي قد أموت بها. وصراحة، الموت ميتة سريعة في لمح البصر ربما أفضل طريقة ممكنة. أنا مستعد. هل أنتما مستعدان؟» استدار إلى الرئيس مجددًا. «أضف إلى أنني لو أخبرتكَ، فعملائي سوف يتأكدون من أن موتي سيكون أبطأ بكثير، وأكثر سوداوية بكثير».

«ذلك ربما صحيح»، قال وليامز، «أنت محظوظ لأنك في حوزتنا، حيث لا يمكنهم أن يصلوا إليك. إلا إذا كان هناك «هلي» في البيت الأبيض».

استفز ذلك الفيزيائي لحظة فحسب، مع هذا كانت كافية لإيلين حتى تدرك ممن يخاف بشير شاه. من هو الوحش الأضخم. المخبر رفيع المستوى.

««هلي»"؟» قال شاه. «لا أمتلك أدنى فكرة عمَّ تتحدث؟»

«ذلك مؤسف»، قال وليامز. «ليس لك بالطبع. لكن ربما مؤسف للآخرين».

تجمدت الابتسامة على وجه شاه.

«ماذا تقصد؟»

اثنان وخمسون دقيقة متبقية.

«حسنًا»، قال وليامز. «لقد خلَّفت وراءك صفًا من الجثث، بعضهم حتى تمحي الآثار العالقة، وبعضهم ليكونوا تحذيرًا للآخرين. أشك في أن أصدقاءك سيفعلون الشيء نفسه ما

إن يكتشفوا أنك بحوزتنا. الآن، من الذي قد تلاحقه القاعدة والمافيا الروسية ليكون عبرة لمن يخونهم؟»

مالت إيلين، وتحدثت في أذن الدكتور شاه. استطاعت أن تشم رائحة الياسمين والعرق.

«سأمنحك إشارة. من الذي لاحقته بعد أن بدأت وكالات أخباري تنشر عن مبيعات الأسلحة في السوق السوداء التي تديرونها؟ من سمم زوجي؟ من أرهب أطفالي؟ من حاول قتل ابني وابنتي البارحة فقط؟»

«عائلتي؟ ستؤذون عائلتي؟»

اعتدلت إيلين في وقفتها.

«لا، دكتور شاه. ذلك أحد الاختلافات الكثيرة بيننا. لن نؤذي عائلتك».

زفر.

«لكن لسوء الحظ، عملاؤنا وأعواننا كلهم في باكستان وغيرها منشغلون بمحاولة الوصول إلى معلومات عن القنابل. وحلفاؤنا أيضًا. ومع أننا لن نؤذي عائلتك أبدًا، فإننا لا نستطيع أن نحميها أيضًا. من يعرف ما الذي وصل إلى مسامع القاعدة عن سبب وجودك في البيت الأبيض؟ ومن يعرف ما الذي يعتقده الرئيس الروسي إيفانوف الآن؟»

«إن الأمر قابل للتصديق إلى حد كبير»، قال الرئيس وليامز. «ثمة شائعات بالفعل أنك تتعاون معنا، أنك تابع لأمريكا. الديمقراطية. حرية الرأي. إنها ممتعة، أليس كذلك؟»

«يعرفون أنني لن أخونهم أبدًا».

«هل أنت متأكد؟ في أثناء وجودي في طهران، أخبرني آية اللّٰه العظمى خرافة فارسية عن قط وفأر. هل تعرفها؟»

أومأ شاه برأسه.

«لكن ثمة خرافة أخرى قد تثير اهتمامك. خرافة الضفدع والعقرب».

«لست مهتمًا».

«يريد العقرب أن يعبر نهرًا غير أنه لا يستطيع السباحة. يحتاج إلى مساعدة. لذا يسأل ضفدعًا أن يحمله على ظهره». قالت إيلين. «يقول الضفدع: «لكنني إذا فعلت ذلك، فسوف تلدغني. وأموت». حينها يقول العقرب ساخرًا: «أعدك أن لا ألدغك. لأنني لو فعلت، فسيغرق كلانا». وهكذا يوافق الضفدع، وينطلق كلاهما عبر النهر».

أشاح شاه بوجهه بعيدًا لكنه كان ينصت.

«مع هذا في منتصف المسافة، يلدغ العقرب الضفدع»، قالت إيلين. «يسأل الضفدع وهو يلتقط أنفاسه الأخيرة: «لماذا؟»».

«يجيب العقرب: «لا أستطيع التحكم في الأمر» قال الرئيس وليامز. «إنها طبيعتي» يميل عبر المكتب. «نعرف من أنت. ونعرف طبيعتك. ويعرف ذلك أيضًا من تسميهم «حلفاءك». يعرفون أنك سوف تخونهم في لحظة. أخبرنا أين القنابل، وسوف نحمي عائلتك».

دلفت باربرا ستينهاوزر في تلك اللحظة إلى المكتب البيضاوي، وسارت إلى الرئيس وليامز.

«تيم بيتشام قد عاد، وينتظر في المكتب الخارجي؟ هل أسمح له بالدخول؟»

«أرجوكِ، افعلي ذلك، يارب».

«والرئيس دَن على الهاتف».

تفقد وليامز الساعة. خمسون دقيقة متبقية.

«أخبريه بأن يتصل بعد ساعة».

***

جلست كاثرين آدمز وجيل باهار وآناهيتا ضاهر وتشارلز بوينتون حول المائدة المتهالكة. الضوء الوحيد في الحجرة قادمٌ من الزاوية لذا كانت وجوههم في الظل تقريبًا لكن لم يصنع ذلك فارقًا. استطاعوا أن يشعروا بالرعب المتزايد بداخل كل منهم. لا حاجة إلى رؤية ذلك أيضًا.

لمس بوينتون هاتفه، فأضاءت الشاشة كاشفة الساعة. الثانية عشرة وعشر دقائق بعد منتصف الليل في باكستان. خمسون دقيقة متبقية على الوقت الذي قُتِل فيه أسامة بن لادن. خمسون دقيقة متبقية حتى يُقتل مئات وربما الآلاف بمن فيهم أم كاثرين وجيل.

ولا شيء بوسعهم أن يفعلوه.

***

نظر بشير شاه نحو الباب فيما يدخل تيم بيتشام المكتب. تسمر مدير المخابرات الوطنية في مكانه، وحدق إلى الرجل الجالس منتصب الظهر فوق المقعد. بدا بيتشام متفاجئًا مع أن الكدمات حول عينيه والجبيرة فوق أنفه لم تساعداه على إظهار ذلك.

«لقد أمسكتم به؟»

لم يكن أي أحد منتبهًا لمدير المخابرات الوطنية. الأعين كلها على شاه.

«أين القنابل؟» كرر الرئيس.

«كل ما أستطيع إخباركم به أنها في واشنطن العاصمة ونيويورك وكنساس سيتي. احموا عائلتي، أرجوكم».

«أين في تلك المدن؟» سأله الرئيس في حين رفعت إيلين سماعة الهاتف وأجرت المكالمات.

«لا أعرف».

«بالطبع تعرف»، قال بيتشام، وقد استوعب الموقف سريعًا، وتقدم بخطوات سريعة إلى حيث يجلس شاه.

«لا بد من أنك قد رتبت تسليمها».

«فقط إلى العملاء في كل مدينة».

«أسماؤهم!»

«لا أعرف. كيف يمكنني أن أتذكر».

«الشُحنات لم يكن مُلصقًا عليها «قنابل نووية» قطعًا»، قال بيتشام. «ماذا كان يفترض أن تكون؟»

«معدات طبية من أجل معامل أشعة».

«اللعنة»، قال بيتشام، وهو يحاول استخلاص معلومة أخرى، «حتى إذا التقطت الأجهزة الإشعاع، يكون من السهل تفسير الأمر. ومتى شُحِنت؟»

«قبل أسبوعين».

«تاريخ»! صرخ بيتشام. «أحتاج إلى تاريخ». تحدث عبر الهاتف. «أنا بيتشام. صلني بالأمن الداخلي. أحتاج إلى تعقب شحنات

دوليـة. الآن!»

«18 فبـراير. بسفينة عبر فرانكفورت».

نقل بيتشام المعلومات عبر الهاتف.

كانـت إيليـن قـد أنهـت المكالمـات، وكانـت تسـتمع الآن. ثمـة شـيء خاطئ.

«إنه يكذب».

التفت إليها بيتشام.

«لماذا تقولين ذلك؟»

«لأنه يتطوع بتقديم المعلومات».

«حتى يُنقذ عائلته». قال الرئيس وليامز.

هزت إيلين رأسها.

«لا، فكر فـي الأمـر. يجـب أن تكـون عائلتـه فـي أمـان الآن. لقـد قـال بنفسـه إنـه كان لديـه سـنوات ليخطـط للأمـر. لـم يكـن ليتركهـم، أو يتـرك نفسـه معرضًـا للخطـر بتلـك الصـورة. إنـه لا يثـق بالقاعـدة أو المافيـا الروسـية أكثـر ممـا يثقـون بـه. إنـه يعبـث بنـا».

«لماذا؟» سأل بيتشام.

«لمـاذا فـي اعتقـادك؟ لمـاذا يفعـل شـاه أي شـيء؟ سـوف تماطـل، أليـس كذلـك يـا شـاه؟ ثـم تطلـب شـيئًا اسـتثنائيًا مقابـل المعلومـات التـي نحتـاج إليهـا. لكـن سـتخبرنا فقـط بالقنبلـة التـي تجلس فوقهـا. سـوف تسـمح للقنبلتيـن الأخرييـن بالانفجـار. لقـد خططـت للأمـر كلـه. حتـى ذهابـك إلـى منـزل دَن. أي شـخص عاقـل سـوف يختبـئ في قلعـة نائيـة فـي جبـال الألـب حتـى ينتهـي هـذا...»

«ألا تقصديـن قـول «حتـى ينفجـر هـذا»؟» قـال شـاه، وقـد تلاشـى التوتـر والخـوف عـن وجهـه. كان الآن يهـز رأسـه مبتسـمًا.

«تقصدين أنه أرادنا أن نُحضره إلى هنا؟» قال بيتشام.

«أنتِ عبقرية»، قال شاه لإيلين ثم نظر إلى تيم بيتشام. «أما أنت فلست ذكيًا إلى هذه الدرجة»، استدار شاه إلى إيلين ثانية. «ربما كان يجب أن أسممكِ أيضًا لكنني قد استمتعت بعلاقتنا الصغيرة».

ظهرت باربرا ستينهاوزر عند الباب.

«اللواء هنا مع قوات الأمن. هل تريد...»

«أرسليه إلى هنا»، قال الرئيس. «وتعالي أنتِ أيضًا».

أخرجت إيلين هاتفها، وضغطت على زر مكالمة فيديو. ست وثلاثون دقيقة متبقية. هذه هي اللحظة.

أجابت بيتسي مع الرنة الأولى.

تستطيع بيتسي أن تسمع أصواتًا، وتشاهد المكتب البيضاوي، لكنها لا تستطيع رؤية إيلين. كان من الواضح أنها تُمسك هاتفها أمامها. همت بيتسي بأن تتكلم ثم غيَّرت رأيها. لا بد من وجود سبب يدفع إيلين إلى عدم التفوه بأي كلمة. من الأفضل أن تلتزم الصمت حتى تتحدث إيلين أولًا. ما فعلته بيتسي هو أن ضغطت على زر تسجيل.

تحركت الكاميرا باتجاه الباب، واتسعت عينا بيتسي من المفاجأة.

واتسعت عينا تيم بيتشام من المفاجأة.

واتسعت عينا بشير شاه من المفاجأة.

كان وجه اللواء وايتهيد ممتلئًا بالكدمات، وزيه العسكري ملطخًا

بالدم من شجاره مع تيم بيتشام البارحة. وقف ضابطا صاعقة إلى جانبيه.

«سعيد لأنك استطعت الانضمام إلينا»، قال وليامز، وهو يستدير إلى الآخرين. «أعتقد أنكم تعرفون رئيس هيئة الأركان المشتركة».

«السابق»، قال بيتشام.

«شخص واحد هنا «سابق»»، قال وايتهيد. «لكنه ليس أنا».

أومأ إلى الضابطين اللذين سارا إلى الأمام، ووقفا إلى جانبي مدير المخابرات الوطنية... السابق.

الفصل الثالث والأربعون

«ما هذا؟» سأل بيتشام.

«أي أخبار جديدة، بيرت؟» سأل الرئيس ويليامز متجاهلًا بيتشام.

«لا نزال ننتظر».

«ننتظر؟» انتقلت نظرات بيتشام من رجل إلى آخر. «ننتظر ماذا؟»

أربع وثلاثون دقيقة.

سارت إيلين إلى بيتشام.

«أخبرنا».

«ماذا؟»

«أين القنابل يا تيم؟»

«ماذا؟ تعتقدون أنني أعرف؟» بدا مصعوقًا وخائفًا. «سيدي الرئيس، من المستحيل أنك تعتقد...»

«لا نعتقد، بل نعرف». حدق ويليامز إلى بيتشام. «أنت هو المخبر رفيع المستوى. الخائن. الشخص الذي لم يكن يسرب فقط المعلومات، بل كان يعمل فعليًا مع أعدائنا، مع الإرهابيين لتفجير القنابل النووية. لقد انتهى الأمر. لقد كتبت بيانًا سيُرسل إلى الكونجرس، ووسائل الإعلام في ١٦:٠١، أعلن فيه أنك الخائن. حتى لو نجوت بطريقة ما، فسوف تكون مُطارَدًا. لقد أخفقت. أخبرنا أين هي».

«لا، يا إلهي، لا. لست أنا، بل هو»، أشار إلى وايتهيد.

ثلاث وثلاثون دقيقة.

دار وليامز حول مكتبه، وتوجه مباشرة إلى مدير مخابراته الوطنية. ووضع يده حول رقبته، ودفعه عبر المكتب البيضاوي حتى ارتطم ظهر بيتشام بالجدار. لم يحاول أي أحد إيقافه.

«أين القنابل؟»

«لا أعرف». بصق الكلمات.

«أين عائلتك؟» سألت إيلين، وهي تهرول عبر الحجرة لتقف بجانب الرئيس مباشرة.

«عائلتي؟» قال بيتشام لاهثًا.

«سوف أخبرك أنا. إنهم في يوتا. لقد أخرجت أطفالك من المدرسة، وأرسلتهم بعيدًا عن أي أذى. هل تعرف أين عائلة اللواء وايتهيد؟ أنا أعرف. لقد قابلتهم. زوجته وابنته وحفيده هنا في واشنطن العاصمة. ما أول شيء يُقدِم عليه أي شخص يعرف أنه في خطر؟ يُبعد عائلته إلى مكان آمن. حتى شاه فعل ذلك. وقد فعلت أنتَ الشيء نفسه. ثم أبعدت نفسك بسفرك إلى لندن لكن بيرت وايتهيد بقي. وكذلك عائلته. لأنهم لا يمتلكون أي فكرة عمّا هو على وشك أن يحدث. تلك هي اللحظة التي بدأت أدرك فيها من الخائن الحقيقي».

«أخبرنا»! قال الرئيس، وهو يجبر نفسه أن لا يعتصر الحياة من خارج جسد بيتشام.

ثلاثون دقيقة.

«المعلومات بحوزتنا». قال وايتهيد. «لقد وصلت إلينا للتو. سأرسلها إليك، سيدي الرئيس».

أفلت الرئيس بيتشام فانزلق إلى الأرض، وهو يمسك برقبته.

أسرع الرئيس إلى مكتبه، وضغط على الصورة دون أن يهتم بقراءة النص المصاحب، ثم عبس، «هل ذلك جلد بشري؟ ما هذا؟»

«وفقًا لصديقنا، فهو عنوان موقع «هلي» على الإنترنت.

«منحوت على جلد أحدهم؟» سأل الرئيس.

«ليس أي أحد»، قالت إيلين. «إنه آليكس هوانج».

«هوانج؟» قالت باربرا ستينهاوزر التي كانت تنتظر حتى هذه اللحظة بجوار الباب. خطت الآن إلى الأمام، ونظرت إلى الشاشة. «مندوب البيت الأبيض السابق؟ ألم يكن يعمل لصالحكِ؟ لقد استقال قبل سنوات قليلة».

«لقد اختبأ»، قالت إيلين، وهي تحدق إلى شاه الذي كان يراقب الموقف كأنه مسرحية.

«لقد كان يتحرى عن شائعات حول شيء يُدعى «هلي». ظن أنه موقع نظريات مؤامرة تافه آخر يديره اليمين المتطرف، لكنه بحث أعمق من ذلك. اكتشفه بِيت هاملتون أيضًا غير أن بِيت لم يستطع الفرار».

«ما الذي اكتشفاه؟» سأل الرئيس وليامز.

«صديقي في...» تمكن وايتهيد من إيقاف نفسه قبل أن يبوح بموقع هوانغ. راقبت إيلين شاه الذي مال قليلًا إلى الأمام.

«يقول هوانغ إن «هلي» ليس شخصًا واحدًا»، تابع اللواء.

«إنـه مجموعـة، منظمـة. كل أعضائهـا قـد وُضعـوا داخـل دوائـر مختلفـة مـن الحكومـة بمـا فـي ذلـك -فليسـاعدني الـرب- الجيـش».

هـز رأسـه غيـر مصـدق ثـم اسـتطرد: «أعضـاء المنظمـة موظفـون منتخبـون. أعضـاء فـي مجلـس الشيـوخ، وفـي الكونجـرس، ويوجـد مـن بيـن أعضائهـا علـى الأقـل قـاضٍ فـي المحكمـة العليـا».

«يا إلهي»، همس وليامز.

«ها هو»، قال شاه. «وجه الانقلاب».

«أنـت أيهـا الحقيـر اللعيـن...» بـدأ وليامـز يتكلـم غيـر أنـه أسـكت نفسـه.

ثمان وعشرون دقيقة متبقية.

استدار الرئيس إلى الصورة فوق الشاشة.

«مـاذا يُفتـرض أن نفعـل بهـذا؟ إنـه هـراء. مجـرد سلسـلة مـن الأرقـام والحـروف والرمـوز».

مالـت إيليـن مقتربـة أكثـر وهـي تحـرص علـى أن يواجـه هاتفهـا الشاشـة. كان محقًـا. كان مختلفًـا عـن أي عنـوان إنترنـت قـد شـاهدته مـن قبـل.

«يبـدو أن العنـوان يأخـذ الأعضـاء إلـى مـكان يتجـاوز حـدود الشـبكة المظلمـة». قـال وايتهيـد.

«ذلـك هـراء»، نعـق بيتشـام الـذي كان لا يـزال علـى الأرضيـة، ويُمسـك برقبتـه. «لا وجـود لمثـل هـذا المـكان».

«دعونـا نـرى فحسـب». أدخـل وليامـز العنـوان فـي كومبيوتـره الشـخصي، وضغـط علـى «إدخـال».

لم يحدث أي شيء.

راح الكومبيوتر يفكر، ويفكر، ويفكر.

ست وعشرون دقيقة.

هيا، *هيا*، فكرت إيلين. دعت الله.

***

جلست بيتسي فوق مائدة مطبخ إيلين وسط بركة من أشعة الشمس، التي تدفقت عبر النوافذ، وراقبت الأحداث.

هيا، *هيا*، دعت.

***

حدق الرئيس وليامز داخل المكتب البيضاوي إلى الشاشة. في الخط الأزرق الرفيع الذي يومض إلى الأمام ثم يتراجع. يومض ثم يتراجع.

هيا، دعا.

«لا يعمل». قالت ستينهاوزر، والذعر في صوتها. «نحتاج إلى أن نغادر». خطت مقتربة من الباب.

«ابقي مكانكِ، بارب». أمرها الرئيس.

«إنها الرابعة إلا خمسًا وعشرين دقيقة».

«ستبقين. سنبقى جميعًا». قال.

أومأ اللواء وايتهيد إلى أحد ضباط الصاعقة الذي تمركز أمام الباب.

هيا، *هيا*.

توقف الكومبيوتر عن التفكير في هذه اللحظة. وأعتمت الشاشة.

لم يطرف أي أحد بعينيه أو يتنفس.

ثم ظهر باب على الشاشة.

استنشق الرئيس وليامز نفسًا عميقًا وهمس، «آه، شكرًا للرب».

دفع المؤشر إلى مركز الباب، واستعد حتى يضغط عليه.

«انتظر»، قالت إيلين. «كيف نعرف أنها ليست مصيدة؟ كيف نعرف أن الضغط عليه لن يفجر القنابل؟»

تفقد الوقت.

«الرابعة إلا اثنتين وعشرين دقيقة، إيلين. هل يهم ذلك عند هذه النقطة؟»

استنشقت نفسًا عميقًا، وأومأت إيماءة مقتضبة. فعل اللواء وايتهيد الشيء نفسه.

«لا»، همست بيتسي. «لا تفعل».

ضغط وليامز عليه. لا شيء.

حاول ثانية. لا شيء.

«هل هنالك مقبض للباب؟ جرس؟» سألت إيلين. بدا ما تقوله هزليًا لكن لم يضحك أي أحد.

«لا»، قال وليامز الذي أخذ يحرك المؤشر في أنحاء الشاشة، ويضغط عشوائيًا.

«اللعنة! اللعنة! اللعنة»!

عشرون دقيقة متبقية.

التقط وايتهيد هاتفه، ونظر مجددًا إلى الرسالة من جاماش في كبيك.

«اللعنـة، لـم أقـرأ الرسـالة كلهـا. لقـد كنـت متلهفًـا للحصـول علـى الصـورة. يقـول أن هوانـغ أخبـره بأننـا نحتـاج إلـى شـيفرة للدخـول».

«ماذا!؟» سأل وليامز. «هل ذكر ما هـي؟»

«لا، لـم يسـتطع هوانـغ العثـور عليهـا، وتوقـف عـن المحاولـة مـا إن أدرك أنهـم يطاردونـه».

ثماني عشرة دقيقة.

نظروا إلى بيتشام.

«ما هـي؟ ما الشيفرة؟»

ســار وايتهيــد بخطــوات ســريعة، ورفعــه عــن الأرض مــن ياقتــه، وضـرب ظهـره فـي الجـدار بقـوة رهيبـة حتـى أن صـورة إبراهـام لِنكـن قـد مالـت.

«أخبرنا»!

«لا أعــرف. بحــق الــرب، لا أعــرف. اســأله!» لــوح باتجــاه شــاه الــذي كان يبتســم.

«الوقت والصبر. إنني أمتع نفسي. لماذا سأخبركم؟»

«لكنك تعرفها؟»

«ربما. وربما لا».

«مــا الــذي يفتــرض أن نفعــل؟» ســأل وليامــز. «مــاذا قــد تكــون الشــيفرة؟»

حدقت إيلين إلى شاه. عيناها تخترقانه حتى مال قليلًا.

«القاعدة»، قالت.

«تريديــن منــي أن أجــرب «القاعــدة»؟» ســألها وليامــز، وقبــل أن تســتطيع إيليــن أن تقــول لا، فعــل. لا شــيء.

«ما أقصده»، قالت إيلين. «أن القاعدة اختارت اليوم من أجل التفجيرات من أجل سبب معين. من أجل الإشارة إلى تاريخ ميلاد ووفاة أسامة بن لادن. شيء رمزي. ونحن نعرف جميعًا أن الرموز قوية. ثلاثة، عشرة، ألف وستمئة. هؤلاء الناس...» أشارت إلى بيتشام. «يعدون أنفسهم وطنيين، أمريكيين حقيقيين. ماذا سيستخدمون كشيفرة؟»

«عيد الاستقلال»، اقترح وليامز. «لكن الكلمات أم الأرقام؟»

«جرب كليهما». قالت إيلين.

«لكن قد يكون أمامنا محاولة أو محاولتان فقط». قال وليامز.

رفع يديه في حنق. ثم كتب، يوم *الاستقلال* ثم ضغط زر إدخال. لا شيء. جرب كتابتها بحروف كبيرة، وبحروف صغيرة. جرب الأرقام بمسافة، ودون مسافة.

«اللعنة. اللعنة. اللعنة».

خمس عشرة دقيقة.

«انتظر»، قالت إيلين. استدارت إلى شاه. «أنا مخطئة». حدقت إليه لحظة. لحظتين. الوقت والصبر. ثلاث لحظات. كل الأصوات، وكل الحركة توقفت، وهي تحدق في أزي دهاكه الذي حدق إليها بدوره.

«جرب 3101600».

فعل الرئيس.

لا شيء.

قطبت إيلين حاجبيها. ماذا قد تكون؟ كانت متأكدة من أن عيني شاه قد جحظتا حين أملت عليه تلك الأرقام.

«جرب 3 10 1600».

ما إن ضغط وليامز على زر إدخال حتى صدر صوت. صرير، وانفتح الباب ببطء شديد جدًا.

«يا إلهي»، قال وليامز.

«أنت أيها الأحمق. لقد أعطيتهم إياها».

نظر الجميع إلى شاه ثم إلى الشخص الذي تحدث.

كان اللواء بيرت وايتهيد يثبت مسدسًا إلى رأس الرئيس.

الفصل الرابع والأربعون

لـم تسـتطع بيتسـي جيمسـون أن تشـاهد المكتـب البيضـاوي غيـر أنهـا عرفـت أن شـيئًا فظيعًـا قـد حـدث للتـو.

ما استطاعت أن تشاهده هو شاشة الكومبيوتر المحمول.

كانـت إيليـن تمسـك هاتفهـا بثبـات رهيـب، وقـد وجهتـه إلـى البـاب المفتـوح فـوق الشاشـة، ومـا كشـف عنـه.

***

«أنـت أيهـا الملعـون». قـال الرئيـس بصـوت أجـش، وهـو يُجـرّ إلـى الـوراء مـن فـوق مقعـده. والمسـدس موجَّـه إلـى صدغـه.

«ليتراجع الجميع». أمر وايتهيد.

«لهـذا جلسـت معـي هـذا الصبـاح»، قـال وليامـز. «لقـد عرفـت أن القنبلـة لـن تنفجـر فـي الثالثـة وعشـر دقائـق».

«بالطبـع عرفـت. انتـزع أسـلحتهم يـا بيتشـام». أشـار إلـى ضبـاط الصاعقـة الذيـن بـدوا أكثـر صدمـة مـن أي أحـد. «سـتينهاوزر، إنهـم يحملـون أصفـادًا معهـم. قيديهـم بهـا إلـى أرجـل المكتـب».

«أنا؟» قالت ستينهاوزر.

«بحـق الـرب، تعتقديـن أننـي لا أعـرف مـن أنـتِ؟ أنـا مـن جنـدكِ، وأنـت جنـدتِ مسـاعدتكِ. أيـن هـي؟ أفتـرض أنهـا مـن قتلـت هاملتـون. أتمنـى أن تكونـي قـد تدبـرت أمرهـا أيضًـا».

جـرد تيـم بيتشـام ضبـاط الصاعقـة مـن أسـلحتهم، ثـم قـدم مسدسًـا إلـى سـتينهاوزر. نظـرت إليـه وهـي تعـرف بوضـوح مـاذا سـيعني قبولـه.

«أوه، اللعنـة»! قالـت، ثـم أخذتـه. اسـتدارت ببـطء حتـى بـات المسـدس موجهًـا إلـى رئيـس هيئـة الأركان المشـتركة. «مـن أنـت؟» أصدر اللواء صوتًا تهكميًا.

«من أكون باعتقادكِ».

نظرت إلى شاه.

«هل تعرفه؟»

كان شاه يراقب الموقف، ويهز رأسه.

«لا، لكننـي لا أعرفـكِ أيضًـا. الهويـات محمية حمايـة مشـددة غيـر أن حقيقـة أنـه يوجـه مسدسًـا إلـى صـدغ الرئيـس دليـلًا كافيًـا، ألا تعتقديـن؟»

ابتسم بيرت وايتهيد.

«تريديـن أن تعرفـي مـن أنـا؟ أنـا أمريكـي حقيقـي. أنـا وطنـيٌّ. أنـا «هلي»».

الـرأس الثالـث لأزي دهاكـه كان رئيـس هيئـة الأركان المشـتركة فـي نهايـة المطـاف.

الانقلاب العسكري موضع التنفيذ.

***

جحظـت عينـا بيتسـي بسـبب مـا قيـل، لكـن الأهـم مـن ذلـك، بسـبب الصـور التـي ظهـرت علـى الكومبيوتـر الشـخصي للرئيـس.

لقد كشف الباب المفتوح عن مواقع القنابل.

كانـت ثمـة صـور للقنابـل نفسـها علـى أحـد جانبـي الشاشـة، وفيديـو حـي لمواقعهـا علـى الجانـب الآخـر.

اثنتا عشرة دقيقة.

استطاعت رؤية الردهة الضخمة لمحطة غراند سنترال في مدينة نيويورك، وهي مكتظة بالركاب في ساعة الذروة. والقنبلة داخل مستوصف المحطة.

واستطاعت أن ترى العائلات تصطف في ليغولاند بكنساس سيتي. والقنبلة داخل مكتب الإسعافات الأولية.

لكن في البيت الأبيض، كان موقع القنبلة غير واضح. كانت الصورة مقربة جدًّا بحيث لا يمكن رؤية أي شيء من حولها. قد تكون في أي مكان داخل المبنى الشاسع.

كانت هناك أيضًا لقطة حية للمكتب البيضاوي. استطاعت أن ترى أن بيرت وايتهيد قد أخذ الرئيس رهينة. لقد كانوا على حق في نهاية المطاف.

إحدى عشرة دقيقة وخمس وعشرون ثانية.

اعتقدت بيتسي أنه يجب على شخصٍ أن يفعل شيئًا. يجب إخبار أحدهم بالمعلومات.

يجب على شخص إجراء مكالمة.

تنهدت قائلة: «يا إلهي العزيز. إنّه أنا. إيلين تريد مني أن أفعل ذلك».

لكن بمن تتصل؟

أصيبت بيتسي بالشلل.

من يستطيع نزع فتيل القنابل؟ وحتى لو عرفت، فقد كانت تعلم أنها لا تستطيع استخدام هاتفها. كانت في حاجة إلى الحفاظ على هذا الاتصال بالمكتب البيضاوي. وبشاشة الكمبيوتر المحمول الخاصة بالرئيس. بإيلين.

كان هناك هاتف آخر. خط أرضي في الصالة الأمامية.

ركضت إليه، ووجدت الرقم الذي وضعته إيلين بجانبه. أمسكت بيتسي بسماعة الهاتف، واتصلت بالرقم.

«سيدتي نائبة الرئيس؟»

عشر دقائق وثلاث وأربعون ثانية.

***

«لا، أنت لست «هلي»»، قال بيتشام. «إنها هي». وأشار إلى ستينهاوزر. «لقد أعدّت كل شيء. إنها المخبرة رفيعة المستوى».

«اخرس، أيها الأحمق»، صرخت ستينهاوزر.

«إنهم يعرفون». قال بيتشام الذي اتسعت عيناه فيما يحدق إلى وجهي رئيس هيئة الأركان والرئيس. «أنتِ هي. لقد حاولتِ توريطي. أخفيت مستنداتي، وجعلتِ الأمر يبدو كأنني كنت وراء كل هذا. وبهذه الطريقة سأتحمل أنا اللوم إذا حدث خطأ ما. أنت تعملين مع وايتهيد».

«إنه غير متورط. ليس لدي أي فكرة عمّن هو.» قالت ستينهاوزر.

«جيد». قال وايتهيد. «كانت هذه هي الفكرة. هل تعتقدين أنني أردت أن يعرف أي أحد؟ عودي بتفكيرك إلى الوراء، ستينهاوزر. هل كانت فكرتكِ حقًا، أم وُجهتِ إليها؟ كنتُ في حاجة إلى واجهة، شخص يمكنه الاقتراب من أعضاء مجلس الشيوخ وأعضاء الكونجرس وقضاة المحكمة العليا. كم عدد الذين جندتِهم حتى الآن؟ اثنين؟ ثلاثة؟»

قال بيتشام: «ثلاثة».

«اخرس!» قالت ستينهاوزر.

«يا إلهي»، همست إيلين. لقد أصبحت أبعاد المؤامرة واضحة. «لماذا؟ لماذا ستفعلون هذا؟ لماذا ستسمحون للإرهابيين بتفجير قنابل نووية هنا؟ داخل الأراضي الأمريكية؟».

«أمريكا؟ هذه ليست أمريكا!» صرخت ستينهاوزر. «هل تعتقدين أن واشنطن أو جيفرسون أو أيًا من الآباء المؤسسين سيتعرف على هذا البلد الآن؟ وظائف الأمريكيين الكادحين تتعرض للسرقة. الصلاة ممنوعة. وعمليات الإجهاض تُجرى كل ساعة من كل يوم. ويمكن للمثليين الزواج. ويتدفق المهاجرون والمجرمون إلى داخل البلاد. ونحن سنواصل السماح بحدوث ذلك؟ لا، سيتوقف ذلك الآن».

«هذه ليست وطنية، إنه إرهاب داخلي». صرخت إيلين، «بحق الرب، لقد ساعدتم في ذبح فرقة من قوات الصاعقة».

«شهداء». قال بيتشام، «لقد ماتوا من أجل بلدهم».

«أنتم تثيرون اشمئزازي». قالت إيلين، ثم استدارت إلى اللواء وايتهيد. «وأنت من بدأت كل هذا؟»

ست دقائق واثنتان وثلاثون ثانية.

«لا أعرف من هو». قالت بارب ستينهاوزر. «لكنه ليس واحدًا منا. ارم المسدس».

خطت باربرا ستينهاوزر نحو وايتهيد فيما أدار اللواء بحركة سريعة واحدة سلاحه بعيدًا عن الرئيس وليامز ووجَّهه نحوها.

رأى وليامز أن هذه هي اللحظة المناسبة. دفع مرفقه إلى

الخلف، وضرب وايتهيد في أحشائه. انثنى وايتهيد بجسمه في ألم قبل أن يسقط فوق إيلين ويطرحها أرضًا.

فيما تتدفع الطلقات، تكوّرت إيلين حول نفسها، وغطت رأسها.

***

استمعت بيتسي برعب.

سقط هاتف إيلين على الأرض، وشاشته إلى أسفل. لم تعد تستطيع رؤية أي شيء، لكنها سمعت الطلقات. والصيحات.

وبعد ذلك، عمَّ الصمت.

حدقت بفم مفغور وعينين جاحظتين وهي تحبس أنفاسها. أخيرًا تمكنت من الهمس: «إيلين؟» ثم صرخت: «إيلين!»

قال صوت آمر: «سيدي الرئيس، هل أنت بخير؟ سيدتي الوزيرة؟»

اعتقدت بيتسي أنه يجب أن يكون أحد عملاء الأمن السري، وقد وصل لاستعادة الأمن.

«إيلين! إيلين!»

اختفت الشاشة الفارغة، ورأت وجه صديقتها.

«هل أجريت المكالمة؟» سألتها إيلين.

«مكالمة؟»

«نائبة الرئيس. هل أخبرتها أين القنابل؟»

«نعم. الطلقات...»

«طلقات فارغة». أتى صوت الرئيس المألوف، وإنْ كان متوترًا.

خمس دقائق وإحدى وعشرون ثانية.

«انبطح على الأرض»، قال رجل بصوت قوي. «ويداك خلف رأسك».

أدارت إيلين هاتفها حتى تتمكن بيتسي من مشاهدة بشير شاه وتيم بيتشام وباربرا ستينهاوزر ووجوههم إلى أسفل على الأرض وأيديهم خلف ظهورهم. كان بيرت وايتهيد والمسدس في يده راكعًا على ركبتيه بجانب ضباط الصاعقة، وقد راح يفك الأصفاد عنهم.

«القنابل»، قال وليامز.

«نبهت بيتسي نائبة الرئيس». قالت إيلين، «إنهم يعملون على الأمر».

«لكن القنبلة هنا»، قال وايتهيد. «أين هي؟»

نظروا إلى الشاشة.

أربع دقائق وتسع وخمسون ثانية.

«يمكن أن تكون في أي مكان». قال وليامز. التفت إلى المقبوض عليهم. «أين هي؟ أخبرونا! ستموتون أيضًا».

«لقد فات الأوان». قالت ستينهاوزر. «لن تنجحوا في إبطال مفعولها في الوقت المناسب أبدًا». تبادل وليامز وإيلين آدمز ووايتهيد النظرات فيما بينهم.

«أين المستوصف؟» سألت إيلين.

«لا أعرف». قال الرئيس. «بالكاد أستطيع أن أجد غرفة الطعام.» لكن عيني اللواء وايتهيد اتسعتا. «أعرف أين يوجد.» نظر إلى أسفل. «إنه أسفل المكتب البيضاوي مباشرة.»

«أوه، اللعنة». قال الرئيس.

كان اللواء وايتهيد في طريقه إلى الباب بالفعل.

أربع دقائق وإحدى وثلاثون ثانية متبقية.

***

هبط رئيس الولايات المتحدة ووزيرة الخارجية الدرج الخلفي، درجتين في كل مرة، وعلى بعد خطوات قليلة من ضابط الصاعقة، ورئيس هيئة الأركان المشتركة.

«أتمنى من الرب أن تكوني محقة». قال ولیامز.

«أنا محقة. القنبلتان الأخريان في مستوصفين. يجب أن تكون هذه أيضًا».

بدت إيلين أكثر ثقة مما شعرت به.

كان عملاء الأمن السري خلفهم مباشرة.

في القبو وجدوا باب المستوصف مقفلًا.

«لدي رمز الدخول».

ضغط الرئيس على لوحة المفاتيح، لكن يديه كانتا ترتعشان بشدة لدرجة أنه اضطر إلى القيام بذلك مرتين. كان كل ما بوسع إيلين فعله هو أن لا تصرخ في وجهه.

بدلًا من ذلك نظرت إلى العد التنازلي.

أربع دقائق وثلاث ثوان.

انفتح الباب، وأضيئت الأنوار تلقائيًا.

«هل تحمل أدواتك؟» سأل وايتهيد ضابط الصاعقة.

«نعم، سيدي».

وقفوا في منتصف الحجرة، ونظروا حولهم.

«أين هي؟» سأل ولیامز، واستدار بجسمه دورة كاملة، وعيناه الحادتان تمسحان المكان.

«آلـة التصويـر بالرنيـن المغناطيسـي». قالـت إيليـن، «إذا كانـوا قـد أغفلوا وجـود القنبلـة مـن قبـل، فلأنهـم قـد توقعـوا رؤيـة إشـعاع صـادر عنهـا. لكن كل مـا يجـب أن نبحـث عنـه هـو جسـم القنبلـة لا الإشـعاع الصـادر عنهـا».

ثلاث دقائق وثلاث وأربعون ثانية.

فتـح ضابـط الصاعقـة، المتخصـص فـي إبطـال مفعـول القنابـل، اللوحـة بعنايـة علـى التصويـر بالرنيـن المغناطيسـي.

كانت هناك.

«إنهـا قنبلـة نوويـة، سـيدي. قنبلـة كبيـرة. الانفجـار مـن شـأنه أن يدمر البيت الأبيض، وينشـر الإشـعاع على نصف مسـاحة واشـنطن».

انحنـى فوقهـا، وبـدأ يعمـل فيمـا التفـت وايتهيـد إلـى وليامـز وإيليـن، وقـال: «كنـت لأقـول لكمـا أن تهربـا، لكـن...»

ثلاث دقائق وثلاث عشرة ثانية.

تنحـى وايتهيـد بعيـدًا، وأجـرى مكالمـة. شـكت إيليـن فـي أنهـا لزوجتـه.

حدقت بيتسـي فـي هاتفهـا. كان بإمكانهـا رؤيـة إيلين. واسـتطاعت إيليـن رؤيتهـا بدورهـا.

فكـرت بيتسـي أن ثمـة بعـض العـزاء البسـيط فـي حقيقـة أنهـا لـن تضطـر إلـى الحـزن علـى فقـدان صديقتهـا مـدة طويلـة. فسـتموت أيضًـا، فـي النهايـة، مـن التسـمم الإشـعاعي.

***

فكـرت إيلين، إنهـا تشـعر براحـة كبيـرة بسـبب معرفتهـا أن كاثريـن وجيـل بعيـدان عـن هنـا.

***

اجتمعت كاثرين وجيل وآناهيتا وزهرة وبوينتون معًا في شبه ظلام، وحدقوا إلى الهاتف في منتصف المائدة. كان ينقل البث المباشر من شبكة تلفزيون كاثرين.

كانوا يعرفون أنه إذا انفجرت القنابل النووية، فسيُبلّغ عنها مباشرة في غضون دقائق.

في الوقت الحالي، كانت المذيعة تجري مقابلة مع بعض الضيوف حول إنْ كانت الطماطم فاكهة أم خضراوات. وبناء على ذلك، ما مصير الكاتشب في المخططات الغذائية للمدارس؟

دقيقتان وخمس وأربعون ثانية.

شعر جيل بيد مألوفة تستقر في يده. نظر إلى آنا، التي أمسكت بيدها الأخرى يد زهرة. مد يده إلى كاثرين، التي مدت يدها إلى بوينتون.

حدقت الدائرة المغلقة إلى الهاتف، وراقبت العد التنازلي.

فيما يعمل ضابط الصاعقة، ويتحدث اللواء عبر الهاتف، شعرت إيلين بدوج وليامز بجوارها.

ما إن أمسكت يده حتى ابتسم شاكرًا.

***

«لا يمكنني إبطال مفعولها»، قال ضابط الصاعقة، «إن آلية عملها لا تشبه أي قنبلة أخرى رأيتها في حياتي».

دقيقة واحدة وإحدى وثلاثون ثانية.

«إليكَ». دفع وايتهيد هاتفه نحو ضابط الصاعقة. «استمع».

حدقوا إلى ضابط الصاعقة، وهو يعمل بشكل محموم.

أربعون ثانية.

أمسك بأداة أخرى وأسقطها. انحنى اللواء وايتهيد والتقطها وسلمها للضابط واسع العينين.

إحدى وعشرون ثانية.

لا يزال يعمل. لا يزال يعمل.

تسع ثوان.

أغمضت بيتسي عينيها.

ثماني ثوانٍ.

أغمض وليامز عينيه.

سبع ثوانٍ.

أغمضت إيلين عينيها. وشعرت بهدوء يهبط عليها.

الفصل الخامس والأربعون

كل الشبكات كانت تنقل المؤتمر الصحفي على الهواء مباشرة.

ضُبِطت الشاشة في مكتب وزيرة الخارجية على غرفة جيمس برادلي للإحاطة الصحفية داخل البيت الأبيض. كان الصحفيون يتجولون في أرجاء الحجرة في انتظار الرئيس.

«ألم يدعُكِ للانضمام إليه؟» سألت كاثرين والدتها.

«هل تتوقعين منه ذلك؟» سألت بيتسي، وهي تأخذ جرعة كبيرة من الشاردونيه.

«لقد فعل ذلك بالفعل. ورفضتُ». نظرت إيلين إلى عائلتها. «أنا أُفضِّل أن أكون هنا معكم».

«آه». نظر جيل إلى بيتسي. «أنتِ تشربين من كأس!»

«فقط لأنها هنا». أشارت بيتسي إلى آناهيتا.

جلسوا على الأريكة، وعلى مقاعد بذراعين، وأقدامهم المغطاة بالجوارب مفرودة فوق مائدة القهوة.

وضِعت زجاجات من النبيذ والبيرة وصينية من السندويشات نصف المأكولة فوق خزانة جانبية. نزع جيل غطاء زجاجة بيرة، وناولها إلى أناهيتا قبل أن يلتقط واحدة لنفسه.

«ماذا سيقول؟» سأل أمه.

«الحقيقة»، قالت إيلين، وهي تنهار على الأريكة بين ابنيها.

عاد جيل مع الآخرين إلى واشنطن العاصمة في الساعات الأولى ليجدوا أمهما نائمة، ولا تزال ترتدي ملابسها.

فكرت إيلين، شكرًا للرب على عمليات النقل العسكرية السريعة.

عندما استيقظت، أخبرتهم بمعظم القصة غير أنها لن تستطيع حكاية التفاصيل إلا بعد مدة. وبتروٍّ.

شاهدت كاثرين الشاشة. كان لديها صحافيون من مؤسستها الإعلامية في المؤتمر الصحفي لكن بالطبع كان لديها أيضًا القصة الداخلية. لقد كتبت روايتها الخاصة للأحداث التي مروا بها، وأرسلتها إلى كبير محرريها غير أن نشرها محظور إلى ما بعد حديث الرئيس.

حتى مع كل ما عرفوه، سيستغرق الأمر أشهرًا، وربما سنوات، لاستيعاب كل ما حدث. واكتشاف كل أعضاء «هلي».

اعتُقل اثنان من قضاة المحكمة العليا، وستة أعضاء بالكونغرس، ومن المتوقع إلقاء القبض على المزيد في الساعات والأيام التالية. وربما خلال الأسابيع والأشهر القادمة.

«بالأمس»، قال جيل. «في المكتب البيضاوي، حين أخذ اللواء وايتهيد الرئيس رهينة، هل كنتِ تعلمين أنها تمثيلية؟»

«لقد تساءلت عن ذلك أيضًا»، قالت بيتسي. «لقد تركتِ رقم نائبة الرئيس، وأخبرتني بأنني يجب أن أبقى في المنزل. لقد فعلتِ ذلك حتى أكون هناك للاتصال بها. لا بد أنكِ عرفتِ شيئًا».

«كنت آمل ذلك، لكنني لم أكن أعرف يقينًا. اعتقدت أنه إذا لم أتمكن من الاتصال، فيجب عليكِ ذلك. لكن عندما وجَّه وايتهيد المسدس إلى رأس وليامز، اعتقدت لحظة وجيزة أنه كان الخائن حقًا».

عادت بذاكرتها إلى هناك في لمح البصر، إلى تلك اللحظة من الرعب التي عرفت فيها أنهم قد فشلوا. وضاع كل شيء. لقد استيقظت في الثانية والنصف من ذلك الصباح، جالسة في الفراش منتصبة. عيناها واسعتان ومحدقتان، وقد فغرت فاها.

تساءلت إيلين إن كان الرعب سيختفي تمامًا. لقد شعرت به وهو يلمسها، حتى وهي جالسة على الأريكة بين ابنيها سالمة ومعافاة. خفق قلبها وشعرت بالدوار.

كررت أنا بأمان. *أنا بأمان. والجميع بأمان.*

أو على الأقل بأمان مثلما قد يكون أي شخص آخر في ظل ديمقراطية خلافية. كان هذا هو ثمن الحرية.

«هل علم الرئيس أن اللواء كان يتظاهر؟» سألت آناهيتا.

«تبين لي لاحقًا أنه كان يعرف. لقد دبرا الأمر معًا. لقد تساءلت في تلك اللحظة أيضًا لماذا لم يتصرف عملاء الأمن السري على الفور. لقد أمرهم وليامز بالبقاء خارج المكتب البيضاوي».

ابتسمت إيلين، وهي تتذكر كيف نُزِع فتيل القنبلة. تبين أن بيرت وايتهيد لم يتصل بزوجته، بل اتصل بالفرقة التي كانت تنزع القنبلة النووية في نيويورك.

لقد كان لديهم المزيد من الوقت، وتمكنوا من اكتشاف طريقة إبطال مفعول القنبلة في نيويورك. استطاعوا توجيه ضابط الصاعقة في مستوصف البيت الأبيض بسرعة إلى ما يجب عليه فعله.

توقف المؤقت قبل ثانيتين من الانفجار.

ما إن استعادوا رباطة جأشهم، حتى تحول اللواء وايتهيد إلى دوج وليامز. سأل رئيس هيئة الأركان المشتركة، وهو يفرك بطنه إذا كان على الرئيس أن يضربه بتلك القوة حقًا.

«آسف»، قال وليامز. «الكثير من الأدرينالين. لكن من الجيد أن أعرف أن بإمكاني الإطاحة بك».

«قد لا ترغب في اختبار ذلك، سيدي الرئيس»، قال ضابط الصاعقة، وهو لا يزال ينحني فوق القنبلة.

شاهد الوزير آدمز والآخرون الآن الصحافيين وقد بدؤوا يحتلون مقاعدهم في غرفة برادي للإحاطة الصحفية.

«ماما؟» قالت كاثرين.

«آسفة.» عادت إيلين إلى الحاضر.

«كيف عرفتِ أن اللواء لم يكن «هلي»؟» سألت كاثرين.

«اعتقدت أنه كان الخائن في البداية. لقد صدقت تلك الوثائق التي وجدها بيت هاملتون في الأرشيف المخفي لإدارة دَن. ولكن بعد ذلك بدأ شيئان يضايقانني. عندما قُبِض على وايتهيد، هاجم تيم بيتشام وأوسعه ضربًا. ثم قبل أن يُؤخَذ بعيدًا، قال لي، «لقد أديت دوري»».

«أتذكر ذلك». قالت بيتسي. «أصابني بالقشعريرة. اعتقدت أنه كان يعترف بأنه أطلق سراح شاه ومهد الطريق لزرع القنابل في الأراضي الأمريكية».

«لقد أنجز مهمته»، قالت إيلين. «اعتقدت ذلك أيضًا. لكن كلما فكرت في الأمر، أدركت أنه ربما يقصد شيئًا آخر تمامًا. كان فقدان اللواء وايتهيد أعصابه على هذا النحو أمرًا لا يتماشى

مع شخصيته. لقد كان مقاتلًا خاض معارك شتى، وقاد ضباطه في مهام خطِرة. حتى يقود الآخرين بهذه الطريقة، كان يحتاج أولاً إلى قيادة نفسه. لذا بدأت أتساءل إن كان قد فقد السيطرة حقًا أم أنه هاجم بيتشام عن قصد».

«ولكن لماذا سيفعل ذلك؟» سأل جيل.

«لأنه اشتبه في أن بيتشام كان خائنًا ولكن لم يكن لديه دليل، لذلك فعل ما في وسعه حتى لا يكون بيتشام موجودًا عندما ناقش أي خطة. لقد نجح الأمر. كان بيتشام في المستشفى عندما كنا نتوصل إلى خطة مداهمة المصنع».

«هذا ما قصده عندما قال «لقد أديت دوري»». قالت بيتسي. «والآن قد جاء دورنا».

«لكن كان هناك شيء آخر؟» قالت كاثرين.

«نعم، شيء أكثر وضوحًا، وأبسط بكثير. كانت عائلة بيرت وايتهيد لا تزال في واشنطن العاصمة بينما عائلة بيتشام قد غادرتها». قالت أمها.

كان هناك سؤال تخشى بيتسي طرحه، لكنها فعلت ذلك الآن.

«هل صمم اللواء وايتهيد خطة غارة المصنع؟»

«نعم. لقد أخبرت ويليامز أنني اعتقدت أننا قد أخطأنا. أنه قد نُصِب فخ للّواء وايتهيد. يجب أن أعترف أنه لم يقتنع بتفسيري لعبارته «لقد أديت دوري»، ولكن ما إن سمع عن أمر العائلات، حتى بات مقتنعًا. عندما لم يتمكن قائد القوات الخاصة واللواءات من التوصل إلى خطة جيدة للدخول إلى ذلك المصنع والخروج منه، ذهب ويليامز إلى وايتهيد. لقد كان أحد المراقبين الأمريكيين في معركة باجور. كان يعرف التضاريس جيدًا».

«وهكذا صمم خطة الهجوم المضلل».

«ومداهمة المصنع. كانت الخطة مبنية على الأمرين معًا. لقد أراد أن يقود العملية بنفسه». قالت إيلين. «لكن ولیامز لم يسمح له. لم نستطع المخاطرة بأن يكتشف الآخرون أن وايتهيد قد أُطلِق سراحه. كان على بيتشام أن يعتقد أنه أقنعنا».

«إذن كنتم تعلمون حينها حتى أن بيتشام هو الخائن؟» قال جيل.

«اعتقدنا ذلك، لكن لم يكن لدينا دليل. عندما طلب الذهاب إلى لندن، وافق وليامز. مرة أخرى لإبعاده».

والآن وصل الأمر إلى السؤال الذي كانت بيتسي تخشى حقًا من طرحه.

«إذن من الذي قاد الهجوم المضلل؟»

نظرت إليها إيلين وقالت بهدوء: «اختار بيرت مساعدته الأولى. لقد خدمت ثلاث جولات في أفغانستان مع ضباط الصاعقة. كانت أفضل ضباطه».

مكتبة
t.me/soramnqraa

«دينيس فيلان؟»

«نعم.»

أغمضت بيتسي عينيها. لم تكن تعتقد أنه قد تبقت المزيد من التنهدات بداخلها، لكنها أطلقت على الأقل تنهيدة عميقة طويلة من الحزن على الشابة التي وقفت في هذه الحجرة بالذات وهي تمسك القهوة وتبتسم.

لقد شاهدت أيضًا بيت هاملتون، وهو يعمل بجد. يحفر ويحفر أعمق، وأعمق بحثًا عن المعلومات. لم يتوقف بعد العثور

على المعلومات المدسوسة بشأن رئيس هيئة الأركان المشتركة. لقد استمر في البحث. تجاوز الإنترنت العادي. وتجاوز الشبكة المظلمة. وما بعد الهامش. إلى الفراغ الشاسع، الفراغ الذي لا يستطيع أي ضوء أن يخترقه. وهناك وجد «هلي».

وفي أثناء حفره العميق، لم يعرف أنه يحفر قبره.

والآن، رحل كلاهما.

***

ألقى بيرت وايتهيد العصا، وشاهدها وهي تختفي داخل كتلة ثلجية.

قفز باين وراءها. دفن رأسه في الثلج، ومؤخرته في الهواء فيما يهز ذيله. كانت أذناه الضخمتان فوق قمة الثلج البكر أشبه بالأجنحة.

بجانب باين، كان كلب الشيبرد الآخر يرقص بحماس، ثم غمس رأسه في كومة الثلج التالية دون سبب واضح.

«هنري، لا بد من الاعتراف بذلك» قال الرجل بجانب وايتهيد. «يحتفظ هذا الكلب بالقليل جدًا في رأسه. رأسه هناك فقط حتى يسند به أذنيه. كل شيء مهم يحتفظ به في قلبه».

خرجت ضحكة بيرت في صورة نفخة من البخار.

«كلب ذكي».

نظر الرجلان كلاهما نحو منزل جاماشي في ثري باينز، حيث كانت زوجتاهما جالستين بجوار التلفزيون في انتظار مؤتمر الرئيس الصحفي.

«هل ترغب في الدخول والمشاهدة؟» سأل أرماند.

«لا. اذهب إذا أردت. أنا أعرف بالفعل ما سيقوله الرئيس. لا داعي لسماعه».

بدا منهكًا ومستنزفًا. طار بيرت وزوجته برفقة باين إلى مونتريال، ثم استقلوا السيارة إلى القرية الصغيرة الهادئة في الريف. من أجل هذا بالضبط.

من أجل راحة البال.

سار الرجلان في صمت، وقد صرّت أحذيتهما فوق الثلج في أثناء شق طريقهما حول حديقة القرية. استقبلتهم المنازل القديمة المصنوعة من الحجر والطوب والألواح الخشبية، فيما يتصاعد الدخان من المداخن، وتنعكس الأضواء الدافئة على النوافذ المسيجة.

كانت الساعة قد تجاوزت السادسة بقليل، والظلام قد حل بالفعل. كان بولاريس، نجم الشمال، ساطعًا في السماء. ظل ثابتًا في مكانه دائمًا فيما بقية سماء الليل تتحرك من حوله.

توقف الرجلان، ونظرا إلى أعلى.

كان من المريح أن يمتلك المرء شيئًا لا يتغير، ثابتًا واحدًا في عالم دائم التغيُّر.

كشط البرد وجنتيهما، لكن لم يكن أي منهما في عجلة من أمره للدخول. كان الهواء منعشًا.

لقد مر أكثر من يوم بقليل على الأحداث، لكنها بدت منذ زمن بعيد، ومن عالم آخر.

«أنا آسف بشأن دينيس فيلان. بشأنهم جميعًا».

«شكرًا، أرماند».

يعرف اللواء أن كبير المفتشين يفهم حزنه على فقدان أشخاص، معظمهم في مقتبل الشباب، كانوا تحت قيادته.

احتفظ اللواء وايتهيد أيضًا بأغلى ما لديه داخل قلبه. كان الشباب والشابات الذين ضحوا بأرواحهم يعيشون هناك بأمان مادام قلبه ينبض.

«آمل فقط أن نُمسك بهم جميعًا». قال وايتهيد.

توقف أرماند.

«هل هناك شك في ذلك؟»

«مع شخص مثل شاه، هناك دائمًا شك».

«عندما وضعت المسدس على رأس الرئيس، كنت تعرف بالفعل أين كانت القنابل. كان الرئيس قد فتح موقع «هلي»، وأعطاك مواقعها بالضبط، بما فيها القنبلة داخل البيت الأبيض. لماذا لم ترسل خبراء إبطال القنابل لنزع فتيلها؟ لماذا ضيعتم الوقت الثمين في التظاهر باحتجاز الرئيس رهينة؟»

«لأننا لم نكن نعرف أين كانت قنبلة البيت الأبيض بالضبط. أظهرت المعلومات داخل الموقع أن القنبلة في المكتب البيضاوي، لكن كاميرا الفيديو التي تعرض مكان القنبلة نفسها كانت قريبة جدًا منها، ولم تُظهر ما حولها».

«إذن كيف عرفتم مكانها؟»

«لقد كان تخمينًا».

نظر أرماند إلى رئيس هيئة الأركان المشتركة مفزوعًا.

«تخمينًا؟»

«علمنا أن القنبلتين الأخريين كانتا في مستوصفات طبية. لذا اعتقدنا أن هذه مثل الأخريين، لكن لم يخطر ذلك على بالنا إلا لاحقًا. ما لم نحصل عليه من الموقع هو اعترافات بيتشام وستينهاوزر. لم يكن كافيًا الحصول على القنابل. كان علينا الوصول إلى المخططين للتفجير، وأن يكون بحوزتنا دليل».

«هل تعلم أن الوزيرة آدمز كانت تبث ما يحدث على الهواء مباشرة إلى مستشارتها؟ وأن مستشارتها كانت تنشر المعلومات؟»

«كان بإمكاني رؤية ما كانت تفعله بهاتفها. نعم، تمنيت...»

«لقد كان الأمر وشيكًا»، قال أرماند. «لماذا فعلوا ذلك؟ أستطيع أن أرى خيبة أملهم من الاتجاه الذي تسلكه البلاد، لكن القنابل النووية؟ كم كان عدد من سيُقتلون؟».

«كم عدد الذين يموتون في الحرب؟ لقد رأوا هذا على أنه ثورة أمريكية أخرى».

«مع القاعدة بوصفها حليفًا لهم؟ مع المافيا الروسية بوصفها حليفًا؟!» قال جاماشي.

«كلنا نعقد صفقات مع الشياطين في بعض الأحيان. حتى أنتَ يا صديقي».

أومأ أرماند برأسه.

لقد كان ذلك صحيحًا. لقد أبرمت مثل هذه الصفقات.

قادهما السير إلى ما وراء الحانة الصغيرة، التي كانت نوافذها تلقي بضوء مزبّد على الثلج. أمكنهما رؤية القرويين جالسين بجانب النار، يتناولون المشروبات، ويتحدثون بحماس. يمكنهما تخمين عمّا يتحدثون. الشيء نفسه الذي يتحدث عنه الجميع حول العالم.

توقفا عند متجر الكتب المعتم. في الأعلى كان هناك ضوء في العلية، يومض بهدوء فيما كانت ميرنا لاندرز، وآليكس هوانغ يتابعان المؤتمر الصحفي.

قال بيرت وايتهيد: «المكان هادئ جدًّا هنا»، وهو ينظر بعيدًا ويتأمل الجبال والغابات. والسماء الملأى بالنجوم.

«حسنًا، لها لحظاتها». قال أرماند. رأى تنهيدة طويلة تهرب من رفيقه. «لماذا لا تتقاعد؟ وتنتقل إلى هنا؟ يمكنك أنت ومارثا الإقامة معنا إلى أن تجدا منزلًا».

التزم بيرت الصمت بضع خطوات قبل أن يجيب. «إنه عرض مغرٍ. ليس لديك أدنى فكرة عن مدى إغرائه. لكنني أمريكي. رغم عيوبها، فإنّ هذه هي ندوب الديمقراطية التي تستحق النضال من أجلها. إنه وطني يا أرماند. تمامًا كما هذه القرية لك. أضف إلى ذلك، حتى نتأكد من أن جميع المتآمرين بحوزتنا، سأبقى في العمل».

***

«السيدات والسادة، رئيس الولايات المتحدة».

مشى دوج وليامز ببطء إلى المنصة. وجهه جاد.

«قبل أن أقدم بياني المُعد، أود أن نصمت دقيقة من أجل أولئك الذين ضحوا بحياتهم لإنقاذ هذا البلد من كارثة محتملة، بمن فيهم ستة من أفراد الطاقم الجوي للعمليات الخاصة، وفرقة صاعقة بكاملها. ستة وثلاثون رجلًا وامرأة شجعانًا».

***

في مكتب وزير الخارجية، حنوا رؤوسهم.

في حانة «أو ذا ريكورد»، حنوا رؤوسهم.

في تايمز سكوير وفي بالم بيتش وفي شوارع كنساس سيتي وأوماها ومنيابوليس ودنفر وعبر السهول الشاسعة وسلاسل الجبال وفي البلدات والقرى والمدن الكبرى حنى الأمريكيون رؤوسهم من أجل الوطنيين الحقيقيين الذين ضحوا بحياتهم.

***

«سوف أقرأ بيانًا معدًا»، قال الرئيس وليامز مخترقًا الصمت. ثم توقف، وبدا أنه يفكر. «قبل تلقي الأسئلة.»

كان بين حشد الصحافيين همهمة طفيفة. لم يتوقعوا ذلك.

***

استمعوا في مكتب وزيرة الخارجية.

دعا الرئيس وليامز إيلين إلى المكتب البيضاوي في ذلك الصباح لمناقشة ما ينبغي وما لا ينبغي أن يُقال للجمهور الأمريكي. كما دعاها إلى الانضمام إليه في المؤتمر الصحفي، لكنها توسلت إليه أن يعفيها من ذلك.

«شكرًا لك، لكني أشعر بالحاجة إلى أن أكون مع عائلتي الآن، سيدي الرئيس. سأشاهده مع الجميع».

«أحتاج إلى نصيحتك، إيلين». لوح لها نحو المقعد بذراعين بجوار المدفأة.

«هذا القميص لا يناسب تلك البدلة».

«لا، لا، ليس ذلك. أحاول أن أقرر ما إذا كنت سأتلقى أسئلة في المؤتمر الصحفي».

«أعتقد أنه يجب عليك».

«لكنكِ تعلمين أنهم سيطرحون أسئلة حساسة. يكاد يكون من المستحيل الإجابة عنها».

«أعرف ذلك، مع هذا أخبرهم الحقيقة»، قالت إيلين. «يمكننا التعامل مع الحقيقة. الأكاذيب هي التي تُلحِق الضرر».

«إذا فعلت ذلك، فأنت تعلمين أنهم سيلقون اللوم عليّ للسماح للأمر بالوصول إلى هذا الحد.» نظر إليها من كثب. «هل هذا هو السبب في أنك تقترحين ذلك؟»

«اعتبر الأمر ردًا لدين ما حدث في كوريا الجنوبية».

«آه». تجهم. «تعلمين عن ذلك؟»

«خمنت. أليس هذا سبب تعيينك لي وزيرة للخارجية؟ ليس فقط حتى تجبرني على أن أتخلى عن منصتي الإعلامية، بل حتى أكون أيضًا خارج البلاد معظم الوقت، وأكف عن إزعاجك. وحيث ستستطيع أن تتأكد من أنني سأفشل، وأتعرض لإهانة دولية، ويمكنك حينها أن تطردني».

«خطة جيدة، أليس كذلك؟»

«ومع ذلك أنا هنا. دوج، ما الذي سيحدث في أفغانستان؟ أنت تعلم أنه مع انسحابنا ستتولى طالبان والقاعدة والإرهابيون الآخرون زمام الأمور».

«نعم».

«يمكن القضاء على كل التقدم المحرز في مجال حقوق الإنسان. كل الفتيات، وكل النساء اللائي ذهبن إلى المدرسة وتلقين تعليمًا وحصلن على وظائف، وأصبحن معلمات وطبيبات ومحاميات وسائقات حافلات. أنت تعرف ما سيحدث لهن إذا تولت طالبان السلطة».

«حسنًا، أعتقد أننا سنحتاج إلى وزيرة خارجية قوية ومحترمة دوليًا للتأكيد على أي حكومة أفغانية بوجوب احترام الحقوق. ويجب أن لا تصبح أفغانستان مرة أخرى موطنًا للإرهابيين». نظر إليها مدة كافية حتى بدأ وجهها يحمر. «شكرا لكِ على كل ما فعلتِه لوقف الهجمات. لقد خاطرتِ بكل شيء».

«أنت تعلم، أليس كذلك»، قالت. «أن المتآمرين ليسوا وحدهم الذين يشعرون بأننا فقدنا طريقنا. هم الأكثر وضوحًا، لكن عشرات الملايين يتفقون معهم: الناس الطيبون، الناس المحترمون . أولئك الذين قد لا يشاركوننا سياساتنا لكن سيساندوننا إذا كنا في حاجة إليهم».

أومأ برأسه.

«أنا أعرف. علينا أن نفعل شيئًا. علينا أن نقدم لهم المساندة بدورنا».

«قدم لهم الوظائف. قدم لأطفالهم مستقبلاً، ولبلداتهم مستقبلاً. أوقف الأكاذيب التي تغذي مخاوفهم».

الأكاذيب التي خلقت وغذت أزي دهاكه الذي استشرى في بلادهم.

«هناك الكثير من الحساب. والكثير من التعافي»، قال. «أكثر مما توقعت. لقد كنتِ محقة في الكثير من مقالاتك الافتتاحية. لدي الكثير لأتعلمه».

«أعتقد في الواقع أنني قلت في إحدى المقالات أنه يجب عليك إخراج رأسك من...»

«نعم، نعم، أتذكر ذلك».

لكنـه كان يبتسـم، والطريقـة التـي كان ينظـر بهـا إليهـا جعلـت خديهـا يحترقـان خجـلاً.

الآن، بعد سـاعات، ومـع غـروب الشـمس، جلسـت فـي مكتبهـا مـع ابنتهـا وابنهـا، ومـع بيتسـي وتشـارلز بوينتون، وآناهيتـا ضاهـر موظفـة الشـؤون الأجنبيـة. شـكت إيليـن فـي أنهـا، بالحكـم علـى تعبيـر وجـه جيل، ربمـا سـتكون أكثـر بكثيـر مـن مجـرد موظفـة شـؤون أجنبيـة فـي الوزارة.

شـاهدوا دوج وليامـز يقـدم خبـراء التخلـص مـن القنابـل الذيـن أبطلـوا مفعـول الأجهـزة النوويـة. ثـم وصـف مـا حـدث منـذ انفجـار القنابـل علـى متـن الحافـلات.

«هـذه إشـارة لطيفـة لـك يـا أمـي». قالـت كاثريـن. «لقـد غيَّـر طريقـة كلامـه عنـكِ».

ولاحظت إيلين بدلته. لقد عمل بنصيحتها، وبدَّل بالقميص آخر.

انحنت بيتسي، وسلمت إيلين شيئًا.

«سيدتي الوزيرة، هذا تقدير بسيط لخدمتك العامة».

لقـد كان قـرص كوسـتر مـن حانـة «أوف ذا ريكـورد»، مـع وجـه إيليـن آدامـز عليـه.

***

عندمـا انتهـى المؤتمـر الصحفـي، سـأل جيـل آناهيتـا إنْ كانـت ترغـب فـي تنـاول العشـاء.

فـي المطعـم، استمعت إليـه، وهـو يحدثهـا عـن عقـد الكتـاب الـذي عُـرض عليـه. سـألته كيف يشـعر حيـال ذلـك. وكم مـن الوقـت ستسـتغرق الكتابـة.

نظـرًا إلـى أن جميـع الحقائـق مُعلنـة، لـم تكـن هنـاك مشـكلة فـي خـرق أي سـرية. كان متحمسًـا لسـرد القصـة الكاملـة مـن وراء الكواليـس غيـر أنـه سـيتجاهل الجـزء الخـاص بحمـزة الأسـد. أحـد أفـراد عائلـة بشـتون الإرهابيـة الـذي كان صديقـه.

سـألها جيل إن كانت تود أن تشاركه في تأليف الكتاب.

رفضت.

كانـت لا تـزال تشـغل وظيفتهـا باعتبارهـا موظفـة فـي الشـؤون الأجنبيـة بـوزارة الخارجيـة.

«كيف حال والديكِ؟» سأل.

«لقد عادا إلى البيت».

أومأ جيل برأسه.

نظـرت آناهيتـا خـارج النافـذة. إلـى واشـنطن العاصمـة التـي لا تـزال هنـاك.

«كيف يشعران؟» سأل.

أدارت آناهيتا عينيها المدهوشتين إليه قبل أن تخبره.

«وكيف حالكِ؟» سألها. أخيرًا.

***

«سيدتي الوزيرة».

«نعم، تشارلز».

«طلبـت منـي البحـث فـي مسـألة المـواد الانشـطارية المفقـودة مـن روسـيا».

كان يقف على بعد بضعة أقدام من مكتبها.

كان الظـلام قـد حـلَّ منـذ مـدة. وبيتسـي جالسـة إلـى مكتبهـا

فـي حجـرة مكتبهـا الخـاص تكتـب الملاحظـات، وتـرد علـى أسـئلة المخابـرات الأمريكيـة المتعلقـة بالفيديـو الـذي سـجلته.

«ماذا وجدت؟» سألت الوزيرة آدمز.

كان ينظـر إليهـا بطريقـة مقلقـة جدًّا. كان مـن الواضـح تقريبًـا أنّ مدير مكتبها لـم يعثر على سلة مـن القطـط الصغيـرة.

مـدت يدهـا إلـى الورقـة التـي كان يحملهـا، ثـم أشـارت إلـى مقعـد بجانبهـا. لـم تفعـل ذلـك مـن قبـل، مفضلـة أن يبقـى علـى جانبـه مـن المكتـب واقفًـا.

لكن العالم كان جديدًا، وسيبدؤون بداية جديدة.

ارتدت نظارتها، ونظرت إلى الورقة، ثم نظرت إليه.

«ما هذا؟»

«هنـاك مـواد انشـطارية مفقـودة، ليـس فقـط مـن روسـيا، ولكـن أيضًـا مـن أوكرانيـا وأسـتراليا وكنـدا.. والولايـات المتحـدة».

«أيـن اختفـت؟» حتـى وهـي تطـرح هـذا السـؤال، عرفـت كـم كان سـؤالًا سـخيفًا. كانـت مفقـودة فـي نهايـة المطـاف.

مـع هـذا أجـاب وهـو يفـرك جبهتـه بيـده. «أنـا لا أعـرف. لكنهـا تكفـي لصنـع مئـات القنابـل».

«كم مضى من الوقت على اختفائها؟»

هز رأسه مرة أخرى.

«ومن مخازننا أيضًا؟»

أومأ برأسه.

«لكن هذا ليس كل شيء».

أشار إلى أسفل الصفحة.

فكرت إيلين، *لمّا فعلت، فإنك لم تفعل شيئًا، لأن لدي المزيد*».

خفضت عينيها إلى نهاية الصفحة.

في أثناء قراءتها، أطلقت شهقة طويلة وبطيئة.

غاز السارين.

الجمرة الخبيثة.

إيبولا.

فيروس ماربورغ.

قلبت الصفحة.

استمرت القائمة. كل رعب يعرفه الإنسان. كل رعب من صنع الإنسان كان هناك. وليس هناك.

مفقود. في عداد المفقودين.

نظرت إيلين إلى القائمة الطويلة.

«أعتقد»، همست. «أن لدينا كابوسنا التالي».

«نعم، أعتقد أنكِ على حق، سيدتي الوزيرة».

النهاية

شكر وتقدير

نحن الاثنتان شاكرتان لفرصة العمل معًا، وهي تجربة أضافت إلى مباهج ومفاجآت صداقتنا. ولكل منا الكثير من الأشخاص لنشكرهم، لذلك:

لويز:

بدأ هذا الكتاب بالنسبة إليّ، كما تحدث أشياء كثيرة بشكل غير متوقع.

كنت في كوخ عائلي على ضفاف بحيرة، شمال مونتريال في ربيع عام 2020. كان الوباء في ذروته، وكنت منعزلة عندما وصلت رسالة من وكيل أعمالي مفادها، *إنني بحاجة إلى التحدث إليكِ.*

الآن، من واقع خبرتي، هذا لا يعني أخبارًا جيدة في أغلب الأحيان.

وسط وباء عالمي (كما اتضح في ما بعد، لم يكن الوسط، بل البداية فقط)، وفي عزلة بجوار بحيرة معزولة بالفعل، وكارثة الكوارث على وشك أن تضرب مسيرتي الأدبية، أمسكت كيسًا من حبوب الجيلي بينز، واتصلت بوكيلي.

«ما شعورك حيال كتابة قصة إثارة سياسية مع هيلاري كلينتون؟»

«هاه؟»

كرر ما قاله. كررت بدوري ما قلته.

«هاه؟»

الآن، ومع أن هذا السؤال كان بمثابة مفاجأة كاملة، لم يكن دون سابق إنذار. أنا وهيلاري يعرف بعضنا بعضًا، بل نحن في الواقع

صديقتـان مقربتـان (ومـا زلنـا حتـى بعـد هـذه التجربـة. أعتقـد أن ذلـك يمكـن اعتبـاره معجـزة).

بدأت صداقتنا، كأشياء أخرى كثيرة، بداية غير متوقعة.

كانت هيـلاري ترشـح نفسـها لمنصـب رئيس الولايـات المتحـدة. كان ذلـك فـي يوليـو 2016. وأجـرت فـي ذلـك الوقـت صديقتهـا المقربـة بيتسـي جونسـون إبيلينـج مقابلـة مـع مراسـل مـن شـيكاغو حـول علاقتهمـا. فـي تلـك المقابلـة سُئلت عمـا هـو مشـترك بينهمـا. مـن بيـن الأشـياء التـي ذكرتهـا بيتسـي حبهمـا للكتـب، وتحديـدًا روايـات الجريمـة.

ثـم طـرح المراسـل السـؤال الـذي غيَّـر حيـاة ثلاثتنـا: «مـاذا تقرئيـن الآن؟»

كمـا لـو أنّـه القـدر، كانـت كلتاهمـا تقـرأ أحـد كتبـي. شـاهدت سـارة مِلنيـك، مسـؤولة الدعايـة فـي مَينـاتـور بوكـس المقابلـة، واتصلـت بـي بحمـاس وأخبرتنـي بـأنّ جولتـي القـادمـة لكتـاب المحقـق جاماشـي الجديـد سـتبدأ فـي شـيكاغو، وسـألتني عـن شـعوري حيـال مقابلـة بيتسـي هنـاك قبـل الحـدث؟

لأكون صادقـة، إن ذلـك أمـر مرهِـق جدًّا قبـل الأحـداث الكبيـرة، ومقابلـة شـخص غريـب بالتحديـد قبلهـا ليسـت فكـرة مثاليـة. مـع هـذا وافقـت.

بعـد أسـبوع أو نحـو ذلـك، كنـت وراء الكواليـس.. سـمعت صوتًـا.. اسـتدرت.. ووقعـت فـي الحـب.

بهذه البسـاطة تمامًا.

كنـت أتوقـع أن تكـون أفضـل صديقـة لهيـلاري سياسـية وصانعـة قـرار صارمـة.

بدلاً من ذلك، رأيت امرأة ضئيلة الحجم، بشعر رمادي مصفف على شكل كعكة، وبأدفأ ابتسامة، وبعينين لطيفتين.

لقد أحببت بيتسي حينها، ولا أزال أحبها.

بعد أسابيع قليلة من عودتي إلى المنزل من تلك الجولة، توفي زوجي الحبيب مايكل بسبب الخرف. في صراعي من أجل السيطرة على زمام حياتي دونه وجدت الراحة في فتح جميع بطاقات التعزية.

ذات يوم، وأنا جالسة إلى مائدة الطعام، فتحت إحداها، وبدأت القراءة. كانت تذكر إسهامات مايكل في مجال البحث العلمي المتعلق بسرطان الدم لدى الأطفال. أشارت إلى منصبه رئيسًا لقسم أمراض الدم في مستشفى مونتريال للأطفال وعمله باحثًا رئيسًا مع المجموعة الدولية لطب أورام الأطفال.

تحدث كاتب البطاقة عن الفقد والحزن وقدم تعازيه القلبية.

كانت بطاقة التعزية من هيلاري رودهام كلينتون. وزيرة الخارجية كلينتون، في المراحل الأخيرة من حملة رئاسية ضارية وشرسة من أجل الظفر بأقوى وظيفة في العالم، قد اقتطعت من وقتها حتى تكتب إلي.

إلى امرأة لم تقابلها من قبل.

عن رجل لم تقابله من قبل.

إلى كندية لا تمتلك حتى حق التصويت لها.

لقد كانت رسالة شخصية، لا تقصد بها المساعدة بأي شكل من الأشكال. تقدم فقط المواساة لشخص غريب في حالة حزن عميق.

لقد كان عملاً من أعمال الإيثار لن أنساه أبدًا، وهو عمل ألهمني لأن أكون أكثر لطفًا في حياتي.

كنت على تواصل مع بيتسي، ومع بداية شهر نوفمبر، دعتني إلى مركز جافيتس في مدينة نيويورك لرؤية هيلاري تفوز بالرئاسة. لن أنسى أبدًا النظر عبر الغرفة الواسعة، ورؤية بيتسي الضئيلة الجسم جالسة، وهي تحدق إلى الشاشة التي تعرض النتائج. تلك النظرة التي تمتد مسافة ألف ياردة، ويتمتع بها شخص قد رأى الكثير في دنياه.

في فبراير من عام 2017، دعتني هيلاري أنا وبيتسي إلى تشاباكوا لقضاء عطلة نهاية الأسبوع. سيكون أول لقاء بيني وبين هيلاري.

ووقعت في الحب مرة أخرى، مع أن جزءًا من سحر تلك الأيام القليلة غير العادية كان يكمن في جلوسي بهدوء، ومراقبة الصديقتين اللتين التقيتا في الصف السادس، وظلتا مقربتين طوال حياتهما. ستصبح إحداهما محامية والسيدة الأولى وعضوة مجلس الشيوخ ووزيرة الخارجية، وإذا أحصينا الأصوات الانتخابية بدلاً من المجمع الانتخابي، فقد فازت بالرئاسة أيضًا، فيما أصبحت الأخرى معلمة في مدرسة ثانوية، ثم ناشطة مجتمعية. وتربي ثلاثة أطفال مع زوجها الرائع توم.

كان من الواضح جدًا أن بيتسي وهيلاري توأمي روح لدرجة أن رؤيتهما معًا كانت تجربة روحية تقريبًا.

جاءت بيتسي، وتوم، وهيلاري، وبيل لزيارتي في كبيك في ذلك الصيف لقضاء عطلة مدة أسبوع.

بحلـول ذلـك الوقـت، كان مـن الواضـح أن سـرطان الثـدي الـذي كافحتـه بيتسـي لسـنوات عديـدة ينتصـر. مـع ذلـك، تمسـكت بالحيـاة بدعـم مـن الدائـرة الضخمـة مـن الأصدقـاء المقربيـن التـي تشـاركتها هـي وهيـلاري.

في يوليو 2019، تُوفيت بيتسـي.

إذا كنـت قـد قـرأت «حالـة إرهـاب»، فسـتعرف أنهـا كُتبـت لتكـون قصـة إثـارة سياسـية وفحصًـا دقيقًـا للكراهيـة، لكنهـا فـي نهايـة المطـاف احتفـالٌ بالحـب.

شـعرت أنـا وهيـلاري برغبـة قويـة فـي أن نعكـس العلاقـة العميقـة بيننـا. ربـاط الصداقـة الـذي لا يتزعـزع.

وأردنا أن يكون لبيتسـي مساحة كبيرة من ذلك.

بينمـا كانـت بيتسـي إبيلينـج فـي الحيـاة الواقعيـة ألطـف بكثيـر، فإنهـا تشـترك فـي الكثيـر مـن الصفـات مـع شـخصية بيتسـي جيمسـون. ذكاؤهـا السـاطع وولاؤهـا الشـرس وشـجاعتها. شـجاعتها. شـجاعتها. وقدرتهـا اللامحـدودة علـى الحـب.

لـذا، نعـم، عندمـا سـأل وكيلـي الرائـع، ديفيـد جيرنـرت، عـن إنْ كنـت سـأكتب روايـة إثـارة سياسـية مـع صديقتـي هيـلاري، وافقـت، ولكـن ليـس دون خـوف.

كنـت قـد انتهيـت للتـو مـن إصـدار أحـدث روايـات سلسـلة كبيـر المفتشـين جاماشـي، لذلـك شـعرت بـأن لـدي الوقـت، ولكـن فـي حيـن أن هنالـك أوجـه تشـابه، لـم أكتـب سـوى روايـات الجريمـة. كانـت روايـة إثـارة سياسـية بهـذا الحجـم بعيـدة عـن منطقـة راحتـي، كمـا لـو كانـت تنتمـي إلـى كوكـب آخـر.

لكـن كيـف يمكننـي السـماح للخـوف مـن الفشـل بسـرقة هـذه الفرصـة منـي؟ كان علـي أن أحـاول علـى الأقـل. لـدي ملصـق معلـق فـي المـكان الـذي أكتـب فيـه، مكتوبـة فيـه الكلمـات الأخيـرة للشـاعر الإيرلنـدي شـيموس هينـي.

لا تخف.

الحقيقـة هـي أننـي كنـت خائفـة، لكـن المسـألة لا تتعلـق غالبًـا بامتـلاك المـرء خوفًـا أقـل، بـل شـجاعة أكبـر. لذلـك أغمضـت عينـي، واستنشـقت نفسًـا، وقلـت نعـم. سـأفعل ذلـك مـا دامـت هيـلاري سـعيدة أيضًـا. كان مـن الواضـح أنهـا سـتأخذ مخاطـرة أكبـر منـي بكثيـر.

لـن أخـوض فـي تفاصيـل تطـور حبكـة الروايـة إلا أننـي سـأقول إنهـا جـاءت مـن إحـدى مكالماتنـا الهاتفيـة الكثيـرة فـي ذلـك الربيـع، عندمـا تحدثـت هيـلاري عمّـا كان يوقظهـا بصفتهـا وزيـرة للخارجيـة فـي السـاعة الثالثـة صباحًـا.

كانت هناك ثلاثة سيناريوهات مرعبة. اخترنا هذا من بينها.

كانـت الفكـرة الفعليـة لكتابـة هـذا الكتـاب معًـا هـي فكـرة صديقـي، أحـد كبـار الناشـرين فـي جيلـه أو أي جيـل، سـتيفن روبـن. شـكرًا لـك سـتيف!

لقد تواصل مع ديفيد جيرنرت الذي تواصل معي.

شـكرًا لـك، ديفيـد، علـى رعايـة هـذا الكتـاب خـلال كل المصاعـب التـي واجهتهـا، ولأنـك دائمًـا حكيـم جـدًا وإيجابـي بشـدة ودافـئ وحـام لـي ولعملـي.

أود أن أشـكر ناشـريّ فـي ماكميـلان وفـي سـانت مارتنـز بريـس وفـي مَيناتـور بوكـس لأخذهـم -كمـا نقـول فـي كيبـك- المخاطـرة

النبيلة: دون ويسبرغ وجون سارجنت وآندي مارتن وسالي ريتشاردسون وتريسي جيست وسارة ملنيك وبول هوكمان وكيلي راجلاند، والمرأة التي حررت «حالة إرهاب» الناشرة الكبيرة في إس إم بي جينيفر إندرلين.

شكرًا جزيلًا لفريق نشر هيلاري في سايمون آند شوستر على أفكاركم وتعاونكم.

شكرًا لبوب بارنيت.

شكرًا لمساعدتي (وصديقتي الرائعة) ليز ديسروسيرس. لن يكون أي من هذا ممكنًا دون دعمكِ يا عزيزتي.

وشكرًا لتوم إيبلينج للسماح لنا بوضع نسخة خيالية من بيتسي في الكتاب.

إلى أخي دوج الذي كنت أنعزل معه من الوباء في شتاء وربيع 2020، والذي استمع إلى كل أفكاري المقلقة والمضحكة.

إلى روب وأودي وماري وكيرك ووالتر وروكي وستيف.

وإلى بيل كلينتون لمساهمتك ودعمك. كان من الصعب الجدال عندما قرأ بيل مسوّدة أولية، وقال: «من غير المرجح أن يفعل الرئيس...»

كان علينا الحفاظ على سرية هذا التعاون لأكثر من عام، ولكن الكثير من الأصدقاء ساعدونا دون أن يدركوا ذلك بمجرد الوجود دائمًا هناك. ويشمل ذلك الأصدقاء الذين أشاركهم هيلاري وأنا وجميعهم في حياتي بسبب بيتسي.

هاردي ودون وأليدا وجودي وبوني وكين وسوكي وباتسي وأوسكار وبريندان.

وهيلاري، شكرا لكِ.. لقد جعلت ما كان يمكن أن يكون كابوسًا متعةً. لقد جعلت الكتاب ذكيًا جدًا، وجعلت التجربة سهلة وممتعة جدًا، إلا عندما كنت أتلقى خمسمئة صفحة (حرفيًا) من المخطوطة، ممسوحة ضوئيًا مع خربشاتك الكثيرة في الهامش.

شكرًا للرب على حبيبات جيلي بينز السحرية.

وشكرًا للضحكات التي تشاركناها في أثناء كتابة هذا الكتاب، وسط مدد التوقف الطويلة فيما كنا يحدق بعضنا إلى بعض عبر الفيس تايم، بعد أن فقدنا خيوط الحبكة حرفيًا.

وبالطبع، أود أن أشكر عزيزي مايكل. أوه، كم سيكون سعيدًا وفخورًا. لقد كان معجبًا جدًا بالوزيرة كلينتون. كان سيسعده أن يعرفها باسم هيلاري. ويرى كم هي امرأة جميلة.

عشق مايكل روايات الإثارة. في الواقع، عندما اتضح أنه كان بوسعه قراءة كتاب واحد أخير قبل أن يسرق الخرف قدرته على القراءة والفهم، اخترت أن يكون كتاب إثارة سياسية. كل يوم أتخيله يمسك «حالة إرهاب»، والبهجة تعلو وجهه.

لا يوجد شيء أراه أو أشعر به أو أشمه أو أسمعه لا يدين بوجوده لليوم الذي وقعت فيه في حب مايكل وايتهيد.

والآن أنت تعرف نشأة شخصية أخرى.

«حالة إرهاب» رواية تتعلق بالإرهاب والرعب المصاحب له، لكنها في جوهرها وفي صميمها تدور حول الشجاعة والمحبة.

<u>هيلاري:</u>

كنتُ في المنزل في تشاباكوا، أنعزل مع عائلتي في أثناء الوباء، عندما اتصل المحامي والصديق بوب بارنيت ليبلغني أن ستيف روبين اقترح أن نكتب أنا ولويز كتابًا.

كنت مرتابة لكني استمعت إلى بوب وهو يعرض الفكرة بناءً على خبرته السابقة في العمل مع عميلين آخرين: زوجي وجيمس باترسون اللذين كتبا روايتي إثارة معًا.

أنا معجبة بلويز بصفتها كاتبة، وأحبها كونها صديقة، لكن الفكرة بدت مخيفة.

لقد كتبت فقط كتبًا غير خيالية، مع هذا فكرت في حياتي دائمًا باعتبارها مادة للخيال، لذلك ربما كان الأمر يستحق المحاولة.

بدأت أنا ولويز نتحدث، وأنتجنا مخططًا طويلًا ومفصلاً أعجب ناشرينا المحتملين، لذلك انغمسنا في تعاوننا البعيد المدى. ويا لها من متعة إنشاء شخصياتنا، وتحسين حبكتنا، وكل هذه المسوّدات.

فيما أكتب في عام 2020، كانت خسارة اثنين من صديقاتي المقربات وشقيقي توني في عام 2019، في ذهني دائمًا.

كانت بيتسي جونسون إبيلينج أفضل صديقة لي منذ الصف السادس، عندما التقينا في فصل مسز كينغز في مدرسة فيلد في بارك ريدج بإلينوي. لقد تجاوزنا ستة عقود من تقلبات الحياة معًا، وأنا أفتقدها كل يوم.

كانت إيلين توشر -العضوة السابقة في الكونغرس من ولاية كاليفورنيا ووكيلة وزارة الخارجية للحد من التسلح والأمن الدولي في حين كنتُ وزيرة للخارجية من 2009 إلى -2013 صديقتي العزيزة لأكثر من خمسة وعشرين عامًا. بعد انتخابات عام 2016، كانت تأتي كثيرًا للبقاء معي لمشاهدة «ما حدث».

توفيت إيلين في 29 أبريل 2019.

ثم توفي أخي الأصغر توني في 7 يونيو بعد عام من المرض. يتحطم قلبي عندما أفكر فيه طفلًا صغيرًا، وفي الأطفال الثلاثة الذين تركهم وراءه.

وفي 28 يوليو، خسرت بيتسي معركتها الطويلة مع سرطان الثدي.

كانت أي واحدة من هذه الخسائر بمفردها مؤلمة جدًا، لكن المزيج كان مدمرًا، ولا يزال من الصعب عليَّ قبوله تمامًا.

دعم كل من زوج بيتسي -توم- وابنة إيلين -كاثرين- رغبتنا في استلهام شخصياتنا الخيالية من زوجته وأمها على التوالي.

إنهما لا يتحملان أي مسؤولية عن الاختلافات التي خلقناها بين الواقع والخيال.

عندما قررت أنا ولويز بناء قصتنا حول وزيرة الخارجية اقترحت عليّ إيلين توشر بصفتها مصدر إلهام لنا، جنبًا إلى جنب مع ابنتها الواقعية، كاثرين، ليكونا اسمين لنسختنا الخيالية.

وبالطبع، ستكون بيتسي نموذجًا لأفضل صديقة ومستشارة للوزيرة.

أود أن أضيف شكري إلى الأشخاص الذين ذكرتهم لويز في «شكر وتقدير» الخاص بها، وأضيف أن أوسكار وبريندان قد ساعدا بطرائق شتى، بما فيها حل خلل في الكمبيوتر يتعلق بمخطوطتنا النهائية.

شكرًا أيضًا لهيثر ساميولسون، ونيك ميريل لمساعدتهما في توثيق الحقائق الواردة.

هذا هو الكتاب الثامن الذي أصدره مع سايمون آند شوستر. والأول من دون كارولين ريدي التي لا تُقهر والتي افتُقِدت لكنها لم تُنس قط. لحسن الحظ، يستمر إرثها تحت قيادة جوناثان كارب الذي يواصل تحفيزي.

أنا شاكرة له وللفريق بكامله: دانا كانيدي وستيفن روبين وماريسو روتشي وجوليا بروسر وماري فلوريو وستيفن بيدفورد وإليزابيث بريدين وإميلي غراف وإيرين خرادي وجانيت كاميرون وفيليس جافيت وكوارولين ليفين وجيف ويلسون وجاكي سيو وكيمبرلي غولدشتاين.

وأشكر بيل، القارئ العظيم وكاتب الروايات المثيرة، على دعمه المستمر واقتراحاته المفيدة، كما هو الحال دائمًا.

أخيرًا، هذا عمل خيالي، لكن القصة التي يرويها ربما تحدث في الوقت المناسب. الأمر متروك لنا للتأكد من أن حبكة القصة ستظل خيالية.

عن المؤلفتين

هيلاري رودهام كلينتون أول امرأة في تاريخ الولايات المتحدة تصبح المرشحة الرئاسية لحزب سياسي كبير. شغلت منصب وزيرة الخارجية رقم سبعة وستين بعد ما يقرب من أربعة عقود في الخدمة العامة، وفي الدفاع عن الأطفال والعائلات باعتبارها محامية والسيدة الأولى وعضوة مجلس الشيوخ الأمريكي. هي زوجة وأم وجدة ومؤلفة سبعة كتب سابقة.

لويز بيني مؤلفة حائزة جوائز دولية، ومن أكثر الكتّاب مبيعًا. احتلت كتبها المرتبة الأولى في نيويورك تايمز ويو إس إيه توداي وقوائم جلوب آند ميل. تُرجمت رواياتها، سلسلة كبير المفتشين أرماند جاماشي، إلى إحدى وثلاثين لغة. في عام 2017، حصلت على وسام كندا لمساهماتها في الثقافة الكندية. تعيش لويز بيني في قرية جنوب مونتريال.

مكتبة
t.me/soramnqraa

هيلاري رودهام كلينتون
وزيرة الخارجية الأمريكية السابقة
و لويز بيني
أحد أشهر كتّاب الجريمة في كندا

إن ما يبدأ، ظاهريًا هو سلسلة من الهجمات الإرهابية، ولكن يتضح فيما بعد أنه مجرد بداية مباراة شطرنج دولية تشمل سياسات باكستان وأفغانستان وإيران العنيفة والمتقلبة، وسباقًا لتطوير الأسلحة النووية في المنطقة، و"الحشد الروسية" -منظمة إرهابية خطِرة يتزايد نفوذها-، وحكومة أمريكية قد تراجع دورها في الساحة الدولية.

مع اتضاح حجم التهديد المروع، تدرك وزيرة الخارجية وفريقها أنه قد خُطّط بعناية لاستغلال السنوات الأربع التي شغلت السلطة فيها حكومة أمريكية فاشلة على صعيد الشؤون الدولية، وجاهلة بالممارسات الديمقراطية، وفاقدة السيطرة في أماكن شديدة الأهمية.

لدحض مثل هذه المؤامرة المعقدة والمصممة بعناية؛ سيتطلب الأمر تضافر مهارات فريق فريد من نوعه: شابة شغوفة في السلك الدبلوماسي، وصحفي متخصص، ووزيرة خارجية جديدة.
وزيرة ذكية وحازمة، لكنها لم تُختبر من قبل.

"حالة إرهاب"؛ رواية تشويق فريدة ومحبوكة ببراعة شديدة، كتبتها معًا هيلاري رودهام كلينتون وزيرة الخارجية الأمريكية السابعة والستون، ولويز وبيني كاتبة روايات الجريمة والتشويق الحائزة جوائز عدة، التي تصدرت رواياتها مرات عدة قائمة التايمز للكتب الأكثر مبيعًا.

بعد فترة مضطربة في السياسة الأمريكية، وصلت إدارة جديدة إلى سدة الحكم. ولدهشة الجميع؛ اختار الرئيس خصمًا سياسيًا ليتولى منصب وزارة الخارجية الشديد الأهمية.

لا توجد أي مشاعر محبة بين رئيس الولايات المتحدة و"إلين آدمز" وزيرة خارجيته الجديدة، لكن تعيينها وزيرة كان حركة حاذقة من الرئيس؛ فقد أسكت به أحد أكثر نقاده قسوة؛ إذ إن قبول هذه الوظيفة يعني أنه على آدمز أن تتنحي عن رئاستها لتكتل إعلامي متعدد الجنسيات.

بينما يخاطب الرئيس الكونجرس لأول مرة -في حضور آدمز وزيرة الخارجية-، تتلقى أناهيتا داهير -موظفة شابة في السلك الدبلوماسي في مكتب باكستان التابع لوزارة الخارجية- نصًا محيرًا من مصدر مجهول.
بعد فوات الأوان، تدرك أن الرسالة تمثل تحذيرًا مشفرًا.

telegram @soramnqraa